لباب النقول

في أسباب النزول

تأليف

الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

المجلد ٢

دار الكتب العلمية



www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مرآة العقول المجلد 2

اشارة

سرشناسه : مجلسی، محمدباقربن محمدتقی، ۱۰۳۷ - ۱۱۱۱ق.
عنوان قراردادی : الکافی .شرح
عنوان و نام پدیدآور : مرآه‌العقول فی شرح اخبار آل‌الرسول علیهم‌السلام/ محمدباقر المجلسی. مع بیانات نافعه لاحادیث‌الکافی من‌الوافی/ محسن الفیض‌الکاشانی؛ التحقیق بهراد الجعفری.
مشخصات نشر : تهران: دارالکتب‌الاسلامیه، ۱۳۸۹-
مشخصات ظاهری : ج.
شابک : ۱۰۰۰۰۰ ریال: دوره978-964-440-476-4 :
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتابنامه.
موضوع : کلینی، محمدبن یعقوب - ۳۲۹ق. . الکافی -- نقد و تفسیر
موضوع : احادیث شیعه -- قرن ۴ق.
موضوع : احادیث شیعه -- قرن ۱۱ق.
شناسه افزوده : فیض کاشانی، محمد بن شاه مرتضی، ۱۰۰۶- ۱۰۹۱ق.
شناسه افزوده : جعفری، بهراد، ۱۳۴۵-
شناسه افزوده : کلینی، محمدبن یعقوب - ۳۲۹ق. . الکافی. شرح
رده بندی کنگره : BP۱۲۹/ک۸ک۷ ۲۱۷ ۲۰ ۱۳۸۹
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۲۱۲
شماره کتابشناسی ملی : ۲۰ ۸۳۷۳۹
ص:1

اشارة

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَ الصُّورَةِ

1 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَرْوِي عَنْكُمْ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ صَمَدِيٌّ نُورِيٌّ مَعْرِفَتُهُ ضَرُورَةٌ يَمُنُّ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ فَقَالَ ع سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَا يُحَدُّ

[تتمة كتاب التوحيد]

باب النهى عن الجسم و الصورة

: موثق.
قوله: معرفته ضرورة: أى تقذف فى القلب من غير اكتساب أو تحصل بالرؤية تعالى الله عن ذلک، و قد يؤول كلامه بأن مراده بالجسم الحقيقة العينية القائمة بذاتها لا بغيرها و بالصمدى ما لا يكون خاليا فى ذاته عن شىء فيستعد أن يدخل هو فيه، أو مشتملا على شىء يصح عليه خروجه عنه، و بالنورى ما يكون صافيا عن ظلم المواد و قابلياتها، بل عن المهية المغايرة للوجود و قابليتها.
قيل: و لما كان السائل فهم من هذا الكلام ما هو الظاهر و لم يحمله على ما ذكر، أجاب عليه السلام لا بتخطئة إطلاق الجسم بل بنفى ما فهمه عنه سبحانه، فقال: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، أى ليس لأحد أن يصفه بصفة يعرفها من صفات ذاته الفانية و صفات أشباهه من الممكنات، فإنه لا يكون معرفة شىء منها معرفة" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" أى لا بآلة و قوة و هو" لا يحد" و كل جسم محدود متناه" و لا يجس" أى لا يمس و كل جسم يصح عليه أن يمس" و لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ" أى الأوهام، و لا الحواس الظاهرة و الجسم يدرک بالحواس الباطنة و الظاهرة" و لا

ص: 2
وَ لَا يُحَسُّ وَ لَا يُجَسُّ وَ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ لَا الْحَوَاسُّ وَ لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ وَ لَا جِسْمٌ وَ لَا صُورَةٌ وَ لَا تَخْطِيطٌ وَ لَا تَحْدِيدٌ
2 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ ع أَسْأَلُهُ عَنِ الْجِسْمِ وَ الصُّورَةِ فَكَتَبَ سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا جِسْمٌ وَ لَا صُورَةٌ
وَ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ الرَّجُلَ
3 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ جِئْتُ إِلَى الرِّضَا ع أَسْأَلُهُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَأَمْلَى عَلَيَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً وَ مُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً بِقُدْرَتِهِ وَ حِكْمَتِهِ لَا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلَ الِاخْتِرَاعُ وَ لَا لِعِلَّةٍ فَلَا يَصِحَّ الِابْتِدَاعُ خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ مُتَوَحِّداً بِذَلِكَ لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ وَ حَقِيقَةِ رُبُوبِيَّتِهِ لَا تَضْبِطُهُ الْعُقُولُ وَ لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ وَ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ لَا يُحِيطُ بِهِ مِقْدَارٌ عَجَزَتْ دُونَهُ الْعِبَارَةُ وَ كَلَّتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ وَ ضَلَّ فِيهِ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ وَ اسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ وَ وُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ وَ نُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ

يحيط به شىء" إحاطة عقلية أو وهمية أو حسية" و لا جسم" لأن معناه حقيقة مقتدر محدود" و لا صورة و لا تخطيط" أى تشكل كيف، و الصورة و التشكل لا ينفك عن التحديد و لا تحديد.

الحديث الثانى

: ضعيف و آخره مرسل و محمد بن أبى عبد الله هو محمد بن جعفر ابن عون.
قوله: لم يسم الرجل أى الراوى.

الحديث الثالث

: ضعيف.
قوله: بقدرته و حكمته، متعلق بالابتداع أو به و بالفطر و الإنشاء و قد مر شرح تلک الفقرات فی شرح خطبة الکتاب.

ص: 3
.....

الحديث الرابع

: مرسل و الجواليقى بائع الجواليق و هو جمع جولق معرب جوال، و الخنى: الفحش و الفساد.
قوله: أو بخلقة، أى مخلوقية أو بأعضاء كأعضاء المخلوقين.

: مرفوع و لا ريب فى جلالة قدر الهشامين و براءتهما عن هذين القولين، و قد بالغ السيد المرتضى قدس الله روحه فى براءة ساحتهما عما نسب إليهما فى كتاب الشافى مستدلا عليها بدلائل شافية، و لعل المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشنيعة إلى زرارة و غيره من أكابر المحدثين، أو لعدم فهم كلامهما، فقد قيل إنهما قالا بجسم لا كالأجسام، و بصورة لا كالصور فلعل مرادهم بالجسم الحقيقة القائمة بالذات، و بالصورة المهية و إن أخطئا فى إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى.
قال المحقق الدوانى: المشبهة منهم من قال: أنه جسم حقيقة ثم افترقوا فقال بعضهم: إنه مركب من لحم و دم، و قال بعضهم: هو نور متلألئ كالسبيكة البيضاء، طوله سبعة أشبار بشبر نفسه، و منهم من قال: أنه على صورة إنسان، فمنهم من يقول:
إنه شاب أمرد جعد قطط، و منهم من قال: إنه شيخ أشمط الرأس و اللحية، و منهم من قال: هو من جهة الفوق مماس للصفحة العليا من العرش، و يجوز عليه الحركة

ص: 4
4 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَمَّنْ ذَکَرَهُ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَکِیمٍ قَالَ وَصَفْتُ لِأَبِی إِبْرَاهِیمَ ع قَوْلَ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ الْجَوَالِیقِیِّ وَ حَکَیْتُ لَهُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَکَمِ أَنَّهُ جِسْمٌ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَی لَا یُشْبِهُهُ شَیْءٌ أَیُّ فُحْشٍ أَوْ خَنًا أَعْظَمُ مِنْ قَوْلِ مَنْ یَصِفُ خَالِقَ الْأَشْیَاءِ بِجِسْمٍ أَوْ صُورَةٍ أَوْ بِخِلْقَةٍ أَوْ بِتَحْدِیدٍ وَ أَعْضَاءٍ تَعَالَی اللَّهُ عَنْ ذَلِکَ عُلُوّاً کَبِیراً
5 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ الرُّخَّجِیِّ قَالَ کَتَبْتُ إِلَی أَبِی الْحَسَنِ ع أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَکَمِ فِی الْجِسْمِ وَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِی الصُّورَةِ فَکَتَبَ دَعْ عَنْکَ حَیْرَةَ الْحَیْرَانِ وَ اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّیْطَانِ لَیْسَ الْقَوْلُ مَا قَالَ الْهِشَامَانِ

و الانتقال، و تبدل الجهات، و تأط العرش تحته أطیط الرحل الجدید تحت الراکب الثقیل، و هو یفصل عن العرش بقدر أربع أصابع، و منهم من قال: هو محاذ للعرش غیر مماس له و بعده عنه بمسافة متناهیة، و قیل: بمسافة غیر متناهیة، و لم یستنکف هذا القائل عن جعل غیر المتناهی محصورا بین حاصرین، و منهم من تستر بالبلکفة فقال: هو جسم لا کالأجسام و له حیز لا کالأحیاز، و نسبته إلی حیزه لیس کنسبة الأجسام إلی أحیازها، و هکذا ینفی جمیع خواص الجسم عنه حتی لا یبقی إلا اسم الجسم و هؤلاء لا یکفرون بخلاف المصرحین بالجسمیة" انتهی".
قال الشهرستانی: حکی الکعبی عن هشام بن الحکم أنه قال: هو جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار، و لکن لا یشبه شیئا من المخلوقات و لا تشبهه، و نقل عنه أنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، و أنه فی مکان مخصوص، و جهة مخصوصة و أنه یتحرک و حرکته فعله، و لیست من مکان إلی مکان، و قال: هو متناه بالذات غیر متناه بالقدر، و حکی عنه أبو عیسی الوراق أنه قال: أن الله تعالی مماس لعرشه لا یفضل عنه شیء من العرش، و لا یفصل عنه شیء، و قال هشام بن سالم: أنه تعالی علی صورة إنسان أعلاه مجوف و أسفله مصمت، و هو نور ساطع یتلألأ، و له حواس خمس و ید و رجل و أنف و إذن، و عین، و فم، و له وفرة سوداء، هو نور أسود لکنه لیس بلحم و لا دم، ثم قال: و غلا هشام بن الحکم فی حق علی علیه السلام، حتی قال: إنه إله واجب الطاعة، و هذا هشام بن الحکم صاحب غور فی الأصول لا یجوز أن یغفل عن إلزاماته علی المعتزلة، فإن الرجل وراء ما یلزمه علی الخصم، و دون ما یظهره من التشبیه و ذلک أنه ألزم العلاف، فقال: إنک تقول إن البارئ تعالی عالم بعلم، و علمه ذاته فیشارک المحدثات فی أنه عالم بعلم و یباینها فی أن علمه ذاته فیکون عالما لا

كالعالمين، فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام، و صورة لا كالصور، و أنه قدرة لا كالأقدار إلى غير ذلک.

ص: 5
6 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِیلَ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ بَکْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِیدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِیرَةِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِیَادٍ قَالَ سَمِعْتُ یُونُسَ بْنَ ظَبْیَانَ یَقُولُ دَخَلْتُ عَلَی أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَکَمِ یَقُولُ قَوْلًا عَظِیماً إِلَّا أَنِّی أَحْتَصِرُ لَکَ مِنْهُ أَحْرُفاً فَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ لِأَنَ

أقول: فظهر أن نسبة هذين القولين إليهما إما لتخطئة رواة الشيعة و علمائهم لبيان سفاهة آرائهم، أو أنهم لما ألزموهم فى الاحتجاج أشياء إسكاتا لهم، نسبوها إليهم، و الأئمة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إبقاء عليهم، أو لمصالح أخر، و يمكن أن يحمل هذا الخبر على أن المراد: ليس القول الحق ما قال الهشامان بزعمک أو ليس هذا القول الذى تقول، ما قال الهشامان بل قولهما مباين لذلک، و يحتمل أن يكون هذان مذهبهما قبل الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام، و الأخذ بقولهم، فقد قيل: إن هشام بن الحكم قبل أن يلقى الصادق عليه السلام كان على رأى جهم بن صفوان، فلما تبعه عليه السلام تاب و رجع إلى الحق، و يؤيده ما ذكره الكراجكى فى كنز الفوائد من الرد على القائلين بالجسم بمعنييه، حيث قال: و أما موالاتنا هشاما (ره) فهى لما شاع عنه و استفاض من تركه للقول بالجسم الذى كان ينصره، و رجوعه عنه و إقراره بخطائه فيه و توبته منه، و ذلک حين قصد الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام إلى المدينة فحجبه و قيل له: إنه أمرنا أن لا نوصلک إليه ما دمت قائلا بالجسم، فقال: و الله ما قلت به إلا لأنى ظننت أنه وفاق لقول إمامى عليه السلام، فأما إذا أنكره على فإننى تائب إلى الله منه فأوصله الإمام عليه السلام إليه، و دعا له بخير، و حفظ عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام: إن الله تعالى لا يشبه شيئا و لا يشبهه شىء، و كل ما وقع فى الوهم فهو بخلافه، و روى عنه أيضا أنه قال: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثله شىء و هو السميع البصير لا يحد و لا يحس و لا تدركه الأبصار، و لا يحيط به شىء، و لا هو جسم و لا صورة و لا بذى تخطيط و لا تحديد.

الحديث السادس

: ضعيف.

الْأَشْيَاءَ شَيْئَانِ جِسْمٌ وَ فِعْلُ الْجِسْمِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الصَّانِعُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ وَ يَجُوزُ

قوله: جسم و فعل الجسم، هذا الكلام يحتمل وجهين" الأول" أن يكون مبنيا على ما يذهب إليه و هم أكثر الناس من أن الموجود منحصر فى المحسوس و ما فى حكمه و كل ما لا وضع له و لا إشارة حسية إليه، فعندهم فرض وجوده مستحيل، فالشىء عندهم إما جسم و إما عرض قائم بالجسم و هو المراد بفعل الجسم لأنه تابع له فى الوجود.
الثانى: أن يكون أراد بالجسم الحقيقة القائمة بذاتها المغايرة للأفعال من غير اعتبار التقدر و التحدد كما مرت الإشارة إليه، فالمراد بقوله عليه السلام: أ ما علم أن الجسم محدود، أنه مخطئ فى إطلاق الجسم على كل حقيقة قائمة بالذات، و على التقديرين قوله: فإذا احتمل، استدلال على نفى جسميته سبحانه بأنه لو كان جسما لكان محدودا بحدود متناهيا إليها لاستحالة لا تناهى الأبعاد و كل محتمل للحد قابل للانقسام بأجزاء متشاركة فى الاسم و الحد، فله حقيقة كلية غير متشخصة بذاتها و لا موجودة بذاتها أو هو مركب من أجزاء، حال كل واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقا أو بأن كل جسم متناه، و إذا كان متناهيا كان محدودا بحد واحد معين أو حدود معينة فيكون مشكلا، فذلک الحد المعين و الشكل المخصوص إما أن يكون من جهة طبيعة الجسمية بما هى جسمية، أو لأجل شىء آخر، و الأول باطل، و إلا لزم كون جميع الأقسام محدودة بحد واحد و شكل واحد، لاشتراكها فى معنى الجسمية بل يلزم أن يكون مقدار الجزء و الكل و شكلهما واحد، فيلزم أن لا جزء و لا كل و لا تعدد فى الأجسام و هو محال، و الثانى أيضا باطل، لأن ذلک الشىء إما جسم أو جسمانى أو مفارق عنهما، و الكل محال، لأنه إن كان جسما آخر فيعود المحذور و يلزم التسلسل و إن كان جسمانيا فيلزم الدور إذ وجوده لكونه جسمانيا يتوقف على تحدد ذلک الجسم، لأن الجسم ما لم يتحدد لم يوجد، و إذا كان وجود ذلک الجسم و تحدده متوقفين عليه كان وجوده متوقفا على ما يتوقف عليه وجوده، فيتوقف وجود ذلک الشىء على وجوده، و كان تحدد الجسم متوقفا على ما يتوقف على تحدده، فيتوقف

ص: 7
أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع وَيْحَهُ أَ مَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ مُتَنَاهٍ وَ الصُّورَةَ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَ النُّقْصَانَ وَ إِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَ النُّقْصَانَ كَانَ مَخْلُوقاً قَالَ قُلْتُ فَمَا أَقُولُ قَالَ لَا جِسْمٌ وَ لَا صُورَةٌ وَ هُوَ مُجَسِّمُ الْأَجْسَامِ وَ مُصَوِّرُ الصُّوَرِ لَمْ يَتَجَزَّأْ وَ لَمْ يَتَنَاهَ وَ لَمْ يَتَزَايَدْ وَ لَمْ يَتَنَاقَصْ لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ فَرْقٌ وَ لَا بَيْنَ الْمُنْشِئِ وَ الْمُنْشَإِ لَكِنْ هُوَ الْمُنْشِئُ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَّمَهُ وَ صَوَّرَهُ وَ أَنْشَأَهُ إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَ لَا يُشْبِهُ هُوَ شَيْئاً
7 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَّانِیِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ع إِنَّ هِشَامَ

تحدد ذلک الجسم على تحدده، فيلزم تقدم الشىء على نفسه و هذا محال، و إن كان أمرا خارجا عن الأجسام و الجسمانيات فيلزم كون الجسم المفروض إلها مفتقرا فى وجوده إلى أمر مفارق لعالم الأجسام، فيكون هو إلا له لا الجسم، و قد فرض الجسم إلها و هذا خلف، على أنه عين المطلوب، و هو نفى كونه جسما و لا صورة فى جسم.
ثم استدل عليه السلام بوجه آخر و هو ما يحكم به الوجدان: من كون الموجد أعلى شأنا و أرفع قدرا من الموجد، و عدم المشابهة و المشاركة بينهما، و إلا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلة دون الآخر، و كيف صار هذا موجدا لهذا بدون العكس، و يحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة و المشابهة فيما يوجب الاحتياج إلى العلة فيحتاج إلى علة أخرى.
قوله: فرق، بصيغة المصدر أى الفرق حاصل بينه و بين من صوره، و يمكن أن يقرأ على الماضى المعلوم، أى فرق بين من جسمه و صوره، و بين من لم يجسمه و لم يصوره، أو بين كل ممن جسمه و غيره من المجسمات، و قوله: إذ كان لا يشبهه شىء أى من غير مشابهة شىء له، أو مشابهته لشىء أو المراد أنه لما لم يكن بينه و بين الأشياء المفرقة مشابهة صح كونه فارقا بينها.

الحديث السابع

: ضعيف.

ص: 8
بْنَ الْحَكَمِ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْ‌ءٌ عَالِمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ نَاطِقٌ وَ الْكَلَامُ وَ الْقُدْرَةُ وَ الْعِلْمُ يَجْرِی مَجْرَی وَاحِدٍ لَيْسَ شَيْ‌ءٌ مِنْهَا مَخْلُوقاً فَقَالَ قَاتَلَهُ اللَّهُ أَ مَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ وَ الْكَلَامَ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ مَعَاذَ اللَّهِ وَ أَبْرَأُ إِلَی اللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ لَا جِسْمٌ وَ لَا صُورَةٌ وَ لَا تَحْدِيدٌ وَ كُلُّ شَيْ‌ءٍ سِوَاهُ مَخْلُوقٌ إِنَّمَا تُكَوَّنُ الْأَشْيَاءُ بِإِرَادَتِهِ وَ مَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ وَ لَا تَرَدُّدٍ فِی نَفْسٍ وَ لَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ

8 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَی عَنْ يُونُسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ وَصَفْتُ لِأَبِی الْحَسَنِ ع قَوْلَ هِشَامٍ الْجَوَالِيقِیِّ وَ مَا يَقُولُ فِی الشَّابِّ الْمُوفِقِ

قوله: ليس كمثله شی‌ء، يومئ إلى أنه لم يقل بالجسمية الحقيقية، بل أخطأ فی إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى، و نفى عنه صفات الأجسام كلها، و يحتمل أن يكون مراده أنه لا يشبهه شی‌ء من الأجسام، بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام فعلى الأول نفى عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى، بأن الجسم إنما يطلق على الحقيقة التى يلزمهما التقدر و التحدد فكيف يطلق عليه تعالى.

و قوله: يجرى مجرى واحد، إشارة إلى عينية الصفات و كون الذات قائمة مقامها، فنفى عليه السلام كون الكلام كذلک و لم ينفه من سائر الصفات، ثم نبه على بطلان ما يوهم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء، فلفظة" كُنْ*" فى الآية الكريمة كناية عن تسخيره للأشياء، و انقيادها له من غير توقف على التكلم بها، كما قال سيد الساجدين عليه السلام:" فهى بمشيتک دون قولک مؤتمرة، و بإرادتک دون نهيک منزجرة" على أقرب الاحتمالين، ثم نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطور بال أو تردد فى نفس، و يحتمل أن يكون المقصود بما نسب إلى هشام: كون الصفات كلها مع زيادتها مشتركة فى عدم الحدوث و المخلوقية فنفاه عليه السلام بإثبات المغايرة أولا، ثم بيان أن كل ما سواه مخلوق، و الأول أظهر، و قوله: تكون يمكن أن يقرأ على المعلوم من المجرد أو المجهول من بناء التفعيل.

الحديث الثامن

: مجهول.

ص: 9
وَ وَصَفْتُ لَهُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُشْبِهُهُ شَیْءٌ
بَابُ صِفَاتِ الذَّاتِ
1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الطَّیَالِسِیِّ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ یَحْیَی عَنِ ابْنِ مُسْکَانَ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع یَقُولُ لَمْ یَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ رَبَّنَا وَ الْعِلْمُ ذَاتُهُ وَ لَا مَعْلُومَ وَ السَّمْعُ ذَاتُهُ وَ لَا مَسْمُوعَ وَ الْبَصَرُ ذَاتُهُ وَ لَا مُبْصَرَ وَ الْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَ لَا مَقْدُورَ فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْیَاءَ وَ کَانَ الْمَعْلُومُ وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَی الْمَعْلُومِ وَ السَّمْعُ عَلَی

باب صفات الذات

: مجهول.
قوله: وقع العلم منه على المعلوم، أى وقع على ما كان معلوما فى الأزل و انطبق عليه، و تحقق مصداقه، و ليس المقصود تعلقه به تعلقا لم يكن قبل الإيجاد أو المراد بوقوع العلم على المعلوم العلم به على أنه حاضر موجود، و كان قد تعلق العلم به قبل ذلک على وجه الغيبة، و أنه سيوجد و التغير يرجع إلى المعلوم لا إلى العلم و تحقيق المقام: أن علمه تعالى بأن شيئا وجد هو عين العلم الذى كان له تعالى بأنه سيوجد، فإن العلم بالقضية إنما يتغير بتغيرها، و هو إما بتغير موضوعها أو محمولها، و المعلوم هيهنا هى القضية القائلة بأن زيدا موجود فى الوقت الفلانى، و لا يخفى أن زيدا لا يتغير معناه بحضوره و غيبته، نعم يمكن أن يشار إليه إشارة خاصة بالموجود حين وجوده و لا يمكن فى غيره، و تفاوت الإشارة إلى الموضوع لا يؤثر فى تفاوت العلم بالقضية، و نفس تفاوت الإشارة راجع إلى تغير المعلوم لا العلم.
و أما الحكماء فذهب محققوهم إلى أن الزمان و الزمانيات كلها حاضرة عنده تعالى، لخروجه عن الزمان كالخيط الممتد من غير غيبة لبعضها دون بعض، و على هذا فلا إشكال لكن فيه إشكالات لا يسع المقام إيرادها.

الْمَسْمُوعِ وَ الْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصَرِ وَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُورِ قَالَ قُلْتُ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَحَرِّكاً قَالَ فَقَالَ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ إِنَّ الْحَرَكَةَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ بِالْفِعْلِ قَالَ قُلْتُ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّماً قَالَ فَقَالَ إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا مُتَكَلِّمَ

2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَ لَمْ يَزَلْ عَالِماً بِمَا يَكُونُ فَعِلْمُهُ بِهِ قَبْلَ كَوْنِهِ كَعِلْمِهِ بِهِ بَعْدَ كَوْنِهِ

3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنِ الْكَاهِلِيِ

ثم اعلم أن صفاته سبحانه على ثلاثة أقسام منها سلبية محضة كالقدوسية و الفردية و منها إضافية محضة كالمبدئية و الخالقية و الرازقية، و منها حقيقية سواء كانت ذات إضافة كالعالمية و القادرية أو لا، كالحياة و البقاء، و لا شک أن السلوب و الإضافات زائدة على الذات، و زيادتها لا توجب انفعالا و لا تكثرا، و قيل: إن السلوب كلها راجعة إلى سلب الإمكان، و الإضافات راجعة إلى الموجدية، و أما الصفات الحقيقية فالحكماء و الإمامية على أنها غير زائدة على ذاته تعالى، و ليس عينيتها و عدم زيادتها بمعنى نفى أضدادها عنه تعالى، حتى يكون علمه سبحانه عبارة عن نفى الجهل ليلزم التعطيل، فقيل: معنى كونه عالما و قادرا أنه يترتب على مجرد ذاته ما يترتب على الذات و الصفة، بأن ينوب ذاته مناب تلک الصفات، و الأكثر على أنه تصدق تلک الصفات على الذات الأقدس، فذاته وجود و علم و قدرة و حياة و سمع و بصر، و هو أيضا موجود عالم قادر حى سميع بصير، و لا يلزم فى صدق المشتق قيام المبدأ به، فلو فرضنا بياضا قائما بنفسه لصدق عليه أنه أبيض.

الحديث الثانى

: صحيح.

الحديث الثالث

: حسن.

ص: 11
قَالَ كَتَبْتُ إِلَى أَبِی الْحَسَنِ ع فِی دُعَاءٍ الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْتَهَی عِلْمِهِ فَكَتَبَ إِلَیَّ لَا تَقُولَنَّ مُنْتَهَی عِلْمِهِ فَلَیْسَ لِعِلْمِهِ مُنْتَهًی وَ لَكِنْ قُلْ مُنْتَهَی رِضَاهُ
4 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ أَیُّوبَ بْنِ نُوحٍ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَی أَبِی الْحَسَنِ ع یَسْأَلُهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَ كَانَ یَعْلَمُ الْأَشْیَاءَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ الْأَشْیَاءَ وَ كَوَّنَهَا أَوْ لَمْ یَعْلَمْ ذَلِكَ حَتَّی خَلَقَهَا وَ أَرَادَ خَلْقَهَا وَ تَكْوِینَهَا فَعَلِمَ مَا خَلَقَ عِنْدَ مَا خَلَقَ وَ مَا كَوَّنَ عِنْدَ مَا كَوَّنَ فَوَقَّعَ بِخَطِّهِ لَمْ یَزَلِ اللَّهُ عَالِماً بِالْأَشْیَاءِ قَبْلَ أَنْ یَخْلُقَ الْأَشْیَاءَ كَعِلْمِهِ بِالْأَشْیَاءِ بَعْدَ مَا خَلَقَ الْأَشْیَاءَ
5 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ قَالَ كَتَبْتُ إِلَی الرَّجُلِ ع أَسْأَلُهُ أَنَّ مَوَالِیَكَ اخْتَلَفُوا فِی الْعِلْمِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَمْ یَزَلِ اللَّهُ عَالِماً قَبْلَ فِعْلِ الْأَشْیَاءِ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ لَا نَقُولُ لَمْ یَزَلِ اللَّهُ عَالِماً لِأَنَّ مَعْنَی یَعْلَمُ یَفْعَلُ

قوله فلیس لعلمه: أی لمعلوماته عدد متناه، فلا یكون لعلمه عدد ینتهی إلی حد أو لیس لعلمه بحمده نهایة بانتهاء حمده إلی حد لا یتصور فوقه حمد، و لكن للرضاء نهایة بالمعنیین، فإن لرضاه بحمد العبد منتهی عددا أو لرضاه بحمد العبد حدا لا یتجاوزه.

الحديث الرابع

: صحيح.

: ضعيف.
قوله: لأن معنى يعلم يفعل، أى يفعل العلم و يوجده، على أن العلم إدراک و الإدراک فعل، و قال بعض المحققين: هذا الكلام يحتمل وجهين:
أحدهما أن تعلق علمه بشىء يوجب وجود ذلک الشىء و تحققه، فلو كان لم يزل عالما كان لم يزل فاعلا فكان معه شىء فى الأزل فى مرتبة علمه أعنى ذاته، أو غير مسبوق بعدم زمانى، و هذا على تقدير كون علمه فعليا.
و ثانيهما أن تعلق العلم بشىء يستدعى انكشاف ذلک الشىء و انكشاف الشىء يستدعى نحو حصول له، و كل حصول و وجود لغيره سبحانه مستند إليه سبحانه فيكون

ص: 12
فَإِنْ أَثْبَتْنَا الْعِلْمَ فَقَدْ أَثْبَتْنَا فِی الْأَزَلِ مَعَهُ شَیْئاً فَإِنْ رَأَیْتَ جَعَلَنِیَ اللَّهُ فِدَاکَ أَنْ تُعَلِّمَنِی مِنْ ذَلِکَ مَا أَقِفُ عَلَیْهِ وَ لَا أَجُوزُهُ فَکَتَبَ ع بِخَطِّهِ لَمْ یَزَلِ اللَّهُ عَالِماً تَبَارَکَ وَ تَعَالَی ذِکْرُهُ
6 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ سَعِیدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِیرٍ عَنْ فُضَیْلِ بْنِ سُکَّرَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی جَعْفَرٍ ع جُعِلْتُ فِدَاکَ إِنْ رَأَیْتَ أَنْ تُعَلِّمَنِی هَلْ کَانَ اللَّهُ جَلَّ وَجْهُهُ یَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ یَخْلُقَ الْخَلْقَ أَنَّهُ وَحْدَهُ فَقَدِ اخْتَلَفَ مَوَالِیکَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ کَانَ یَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ یَخْلُقَ شَیْئاً مِنْ خَلْقِهِ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا مَعْنَی یَعْلَمُ یَفْعَلُ فَهُوَ الْیَوْمَ یَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غَیْرُهُ قَبْلَ فِعْلِ الْأَشْیَاءِ فَقَالُوا إِنْ أَثْبَتْنَا أَنَّهُ لَمْ یَزَلْ عَالِماً بِأَنَّهُ لَا غَیْرُهُ فَقَدْ أَثْبَتْنَا مَعَهُ غَیْرَهُ فِی أَزَلِیَّتِهِ فَإِنْ رَأَیْتَ یَا سَیِّدِی أَنْ تُعَلِّمَنِی مَا لَا أَعْدُوهُ إِلَی غَیْرِهِ فَکَتَبَ ع مَا زَالَ اللَّهُ عَالِماً تَبَارَکَ وَ تَعَالَی ذِکْرُهُ

من فعله، فیکون معه فی الأزل شیء من فعله فأجاب علیه السلام بأنه لم یزل عالما و لم یلتفت إلی بیان فساد متمسک نافیه، لأنه أظهر من أن یحتاج إلی البیان، فإنه علی الأول مبنی علی کون العلم فعلیا و هو ممنوع، و لو سلم فلا یستلزم فعلیة العلم عدم انفکاک المعلوم عنه عینا بمعنی عدم مسبوقیته بعدم زمانی، أو کون المعلوم فی مرتبة العالم و علی الثانی مبنی علی کون الصور العلمیة صادرة عنه صدور الأمور العینیة، فیکون من أقسام الموجودات العینیة و من أفعاله سبحانه و هو ممنوع، فإن الصور العلمیة توابع غیر عینیة لذات العالم و لا تحصل لها عدا الانکشاف لدی العالم، و لا حظ لها من الوجود و الحصول العینی أصلا، و لا مسبوقیة لها إلا بذات العالم، لکنها لیست فی مرتبة ذاته، و لا یجب فیها نحو التأخر الذی للأفعال الصادرة عن المبدأ بالإیجاد.

الحديث السادس

: ضعيف.

بَابٌ آخَرُ وَ هُوَ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ

1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی بْنِ عُبَیْدٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ حَرِیزٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع أَنَّهُ قَالَ فِی صِفَةِ الْقَدِیمِ إِنَّهُ وَاحِدٌ صَمَدٌ أَحَدِیُّ الْمَعْنَی لَیْسَ بِمَعَانِی کَثِیرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ یَزْعُمُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنَّهُ یَسْمَعُ بِغَیْرِ الَّذِی یُبْصِرُ وَ یُبْصِرُ بِغَیْرِ الَّذِی یَسْمَعُ قَالَ فَقَالَ کَذَبُوا وَ أَلْحَدُوا وَ شَبَّهُوا تَعَالَی اللَّهُ عَنْ ذَلِکَ إِنَّهُ سَمِیعٌ بَصِیرٌ یَسْمَعُ بِمَا یُبْصِرُ وَ یُبْصِرُ بِمَا یَسْمَعُ قَالَ قُلْتُ یَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَصِیرٌ عَلَی مَا یَعْقِلُونَهُ قَالَ فَقَالَ تَعَالَی اللَّهُ إِنَّمَا یَعْقِلُ مَا کَانَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ وَ لَیْسَ اللَّهُ کَذَلِکَ

2 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَکَمِ قَالَ

باب آخر و هو من الباب الأول

الحديث الأول

: صحيح، و لعل المراد بوحدته أنه لا يشاركه غيره فى حقيقته لتشخصه بذاته، و بصمديته كونه غير محتمل لأن يحله غيره، و لا يصح عليه الخلو عما يمكن أن يدخل فيه، و بأحديته أن لا يصح عليه الائتلاف من معان متعددة، أو الانحلال إليها، و قوله: ليس بمعان كثيرة، تفسير لإحدى المعنى، و يحتمل أن يكون تفسيرا لكل واحد من الثلاثة.
قوله: على ما يعقلونه، أى من الإبصار بآلة البصر فيكون نقلا لكلام المجسمة أو باعتبار صفة زائدة قائمة بالذات، فيكون نقلا لمذهب الأشاعرة، و الجواب أنه إنما يعقل بهذا الوجه من كان بصفة المخلوق، أو المراد: تعالى الله أن يتصف بما يحصل و يرتسم فى العقول و الأذهان، و الحاصل أنهم يثبتون لله تعالى ما يعقلون من صفاتهم و الله منزه عن مشابهتهم و مشاركتهم فى تلك الصفات الإمكانية.

: مجهول، و قد مر الكلام فيه، و يدل على نفى زيادة الصفات

ص: 14
فِی حَدِیثِ الزِّنْدِیقِ الَّذِی سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ لَهُ أَ تَقُولُ إِنَّهُ سَمِیعٌ بَصِیرٌ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هُوَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ سَمِیعٌ بِغَیْرِ جَارِحَةٍ وَ بَصِیرٌ بِغَیْرِ آلَةٍ بَلْ یَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَ یُبْصِرُ بِنَفْسِهِ وَ لَیْسَ قَوْلِی إِنَّهُ سَمِیعٌ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ شَیْ ءٌ وَ النَّفْسُ شَیْ ءٌ آخَرُ وَ لَکِنِّی أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِی إِذْ کُنْتُ مَسْئُولًا وَ إِفْهَاماً لَکَ إِذْ کُنْتَ سَائِلًا فَأَقُولُ یَسْمَعُ بِکُلِّهِ لَا أَنَّ کُلَّهُ لَهُ بَعْضٌ لِأَنَّ الْکُلَّ لَنَا لَهُ بَعْضٌ وَ لَکِنْ أَرَدْتُ إِفْهَامَکَ وَ التَّعْبِیرُ عَنْ نَفْسِی وَ لَیْسَ مَرْجِعِی فِی ذَلِکَ کُلِّهِ إِلَّا أَنَّهُ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ الْعَالِمُ الْخَبِیرُ بِلَا اخْتِلَافِ الذَّاتِ وَ لَا اخْتِلَافِ مَعْنًی

أی نفی صفات موجودة زائدة علی ذاته سبحانه، و أما کونها عین ذاته تعالی بمعنی أنها تصدق علیها أو أنها قائمة مقام الصفات الحاصلة فی غیره تعالی أو أنها أمور اعتباریة غیر موجودة فی الخارج، واجبة الثبوت لذاته تعالی فلا نص فیه و فی أمثاله علی شیء منها، و إن کان ظاهر أکثرها أحد الأولین.

قال المحقق الدوانی: لا خلاف بین المتکلمین کلهم، و الحکماء، فی کونه تعالی عالما قدیرا مریدا متکلما، و هکذا فی سائر الصفات، و لکنهم تخالفوا فی أن الصفات عین ذاته أو غیر ذاته أو لا هو و لا غیره، فذهبت المعتزلة و الفلاسفة إلی الأول و جمهور المتکلمین إلی الثانی، و الأشعری إلی الثالث، و الفلاسفة حققوا عینیة الصفات بأن ذاته تعالی من حیث أنه مبدء لانکشاف الأشیاء علیه علم، و لما کان مبدء الانکشاف عین ذاته کان عالما بذاته، و کذا الحال فی القدرة و الإرادة و غیرهما من الصفات قالوا:

و هذه المرتبة أعلی من أن تکون تلک الصفات زائدة علیه، فإنا نحتاج فی انکشاف الأشیاء علینا إلی صفة مغایرة عنا قائمة بنا، و الله تعالی لا یحتاج إلیه بل بذاته ینکشف الأشیاء علیه، و لذلک قیل محصول کلامهم نفی الصفات و إثبات نتائجها و غایاتها، و أما المعتزلة فظاهر کلامهم أنها عندهم من الاعتبارات العقلیة التی لا وجود لها فی الخارج" انتهی".

بَابُ الْإِرَادَةِ أَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ وَ سَائِرِ صِفَاتِ الْفِعْلِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ الْأَهْوَازِيِّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لِمْ يَزَلِ اللَّهُ مُرِيداً قَالَ إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمُرَادٍ مَعَهُ- لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِماً قَادِراً ثُمَّ أَرَادَ

باب الإرادة أنها من صفات الفعل و سائر صفات الفعل

الحديث الأول

: صحيح، و اعلم أن إرادة الله سبحانه عند متكلمى الإمامية هى العلم بالخير و النفع و ما هو الأصلح و لا يثبتون فيه تعالى وراء العلم شيئا، و لعل المراد بتلك الأخبار الدالة على حدوث الإرادة هو أنه يكون فى الإنسان قبل حدوث الفعل اعتقاد النفع فيه، ثم الرؤية، ثم الهمة، ثم انبعاث الشوق منه، ثم تأكده حتى يصير إجماعا باعثا على الفعل، و ذلک كله فينا إرادة متوسطة بين ذاتنا و بين الفعل و ليس فيه سبحانه بعد العلم القديم بالمصلحة من الأمور المقارنة سوى الأحداث و الإيجاد فالإحداث فى الوقت الذى تقتضى المصلحة صدور الفعل فيه قائم مقام ما يحدث من الأمور فى غيره تعالى، فالمعنى أن ذاته تعالى بصفاته الكمالية الذاتية كافية فى حدوث الحادث من غير حاجة إلى حدوث أمر فى ذاته عند حدوث الفعل.

قوله عليه السلام: إلا لمراد معه: قال بعض المحققين أى لا يكون المريد بحال إلا حال كون المراد معه، و لا يكون مفارقا من المراد، و حاصله أن ذاته تعالى مناط لعلمه و قدرته، أى صحة الصدور و اللاصدور بأن يريد فيفعل، و أن يريد فيترک، فهو بذاته مناط لصحة الإرادة و صحة عدمها، فلا يكون بذاته مناطا للإرادة و عدمها، بل المناط فيها الذات مع حال المراد، فالإرادة أى المخصصة لأحد الطرفين لم يكن من صفات الذات فهو بذاته عالم قادر مناط لهما، و ليس بذاته مريدا مناطا لها، بل بمدخلية مغاير متأخر عن الذات، و هذا معنى قوله: لم يزل عالما قادرا ثم أراد.

ص: 16

2 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِیلَ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ بَکْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ بُکَیْرِ بْنِ أَعْیَنَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع عِلْمُ اللَّهِ وَ مَشِیئَتُهُ هُمَا مُخْتَلِفَانِ أَوْ مُتَّفِقَانِ فَقَالَ الْعِلْمُ لَیْسَ هُوَ الْمَشِیئَةَ أَ لَا تَرَی أَنَّکَ تَقُولُ سَأَفْعَلُ کَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ لَا تَقُولُ سَأَفْعَلُ کَذَا إِنْ عَلِمَ اللَّهُ فَقَوْلُکَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ دَلِیلٌ عَلَی أَنَّهُ لَمْ یَشَأْ فَإِذَا شَاءَ کَانَ الَّذِی شَاءَ کَمَا شَاءَ وَ عِلْمُ اللَّهِ السَّابِقُ لِلْمَشِیئَةِ

3 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِیسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ یَحْیَی قَالَ قُلْتُ لِأَبِی الْحَسَنِ ع أَخْبِرْنِی عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ وَ مِنَ الْخَلْقِ قَالَ فَقَالَ الْإِرَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ الضَّمِیرُ وَ مَا یَبْدُو لَهُمْ بَعْدَ ذَلِکَ مِنَ الْفِعْلِ وَ أَمَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَی فَإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ

: ضعيف و لعل المراد المشية المتأخرة عن العلم، الحادثة عند حدوث المعلوم، و قد عرفت أنه فى الله تعالى ليس سوى الإيجاد، و مغايرته للعلم ظاهر، و يحتمل أن يكون المقصود بيان عدم اتحاد مفهوميهما، إذ ليست الإرادة مطلق العلم، إذ العلم يتعلق بكل شىء، بل هى العلم بكونه خيرا و صلاحا و نافعا و لا يتعلق إلا بما هو كذلک، و فرق آخر بينهما، و هو أن علمه تعالى بشىء لا يستدعى حصوله بخلاف علمه به على النحو الخاص، فالسبق على هذا يكون محمولا على السبق الذاتى الذى يكون للعام على الخاص، و الأول أظهر كما عرفت.
قوله عليه السلام و علم الله السابق المشية: بنصب المشية ليكون معمولا للسابق، أو بجرها بإضافة السابق إليه، و ربما يقرأ بالرفع ليكون خبرا، و يكون السابق صفة للعلم، و لا يخفى بعده، و فى التوحيد سابق للمشية.

الحديث الثالث

: صحيح، قال بعض المحققين فى شرح هذا الخبر: الظاهر أن المراد بالإرادة مخصص أحد الطرفين و ما به يرجح القادر أحد مقدورية على الآخر لا ما يطلق فى مقابل الكراهة، كما يقال يريد الصلاح و الطاعة، و يكره الفساد و المعصية.
و حاصل الجواب: أن الإرادة من الخلق الضمير، أى أمر يدخل فى خواطرهم

لَا غَيْرُ ذَلِکَ لِأَنَّهُ لَا يُرَوِّی وَ لَا يَهُمُّ وَ لَا يَتَفَکَّرُ وَ هَذِهِ الصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ وَ هِیَ صِفَاتُ الْخَلْقِ فَإِرَادَةُ اللَّهِ الْفِعْلُ لَا غَيْرُ ذَلِکَ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِلَا لَفْظٍ وَ لَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ وَ لَا هِمَّةٍ وَ لَا تَفَكُّرٍ وَ لَا كَيْفَ لِذَلِکَ كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ

و أذهانهم، و يوجد فی نفوسهم و يحل فيها، بعد ما لم يكن فيها، و كانت هی خالية عنه، و قوله: و ما يبدو لهم بعد ذلک من الفعل، يحتمل أن يكون جملة معطوفة على الجملة السابقة و الظرف خبرا للموصول، و يحتمل أن يكون الموصول معطوفا على قوله الضمير، و يكون قوله من الفعل بيانا للموصول، و المعنى على الأول أن الإرادة من الخلق الضمير و الذى يكون لهم بعد ذلک من الفعل، لا من إرادتهم، و على الثانى أن إرادتهم مجموع ضمير يحصل فی قلبهم و ما يكون لهم من الفعل المترتب عليه، فالمقصود هنا من الفعل ما يشمل الشوق إلى المراد و ما يتبعه من التحريک إليه و الحركة، و أما الإرادة من الله فيستحيل أن يكون كذلک فإنه يتعالى أن يقبل شيئا زائدا على ذاته، بل إرادته المرجحة للمراد من مراتب الأحداث لا غير ذلک، إذ ليس فی الغائب إلا ذاته الأحدية، و لا يتصور هناک كثرة المعانى و لا له بعد ذاته و ما لذاته بذاته إلا ما ينسب إلى الفعل، فإرادة الله سبحانه من مراتب الفعل المنسوب إليه لا غير ذلک.

أقول: و يحتمل على الاحتمال الأول أن يكون المراد بالضمير تصورا لفعل و بما يبدو بعد ذلک اعتقاد النفع و الشوق و غير ذلک، فقوله: من الفعل، أى من أسباب الفعل أو من جهة الفعل، و قوله عليه السلام: و لا كيف لذلک، أى لا صفة حقيقية لقوله ذلک و إرادته كما أنه لا كيف لذاته، أو لا يعرف كيفية إرادته على الحقيقة، كما لا يعرف كيفية ذاته و صفاته بالكنه.

و قال الشيخ المفيد قدس الله روحه: إن الإرادة من الله جل اسمه نفس الفعل و من الخلق الضمير و أشباهه مما لا يجوز إلا على ذوى الحاجة و النقص، و ذلک لأن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلا بقلب، كما لا تكون الشهوة و المحبة إلا لذى

ص: 18
4 عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ

قلب، و لا تصح النية و الضمير و العزم إلا على ذى خاطر يضطر معها فى الفعل الذى يغلب عليه إلى الإرادة له، و النية فيه و العزم، و لما كان الله تعالى يجل عن الحاجات و يستحيل عليه الوصف بالجوارح و الأدوات، و لا يجوز عليه الدواعى و الخطرات بطل أن يكون محتاجا فى الأفعال إلى القصود و العزمات، و ثبت أن وصفه بالإرادة مخالف فى معناه لوصف العباد، و أنها نفس فعله الأشياء، و بذلک جاء الخبر عن أئمة الهدى ثم أورد هذه الرواية، ثم قال: نص على اختيارى فى الإرادة، و فيه نص على مذهب لى آخر، و هو أن إرادة العبد تكون قبل فعله، و إلى هذا ذهب البلخى، و القول فى تقدم الإرادة للمراد كالقول فى تقدم القدرة للفعل، و قوله عليه السلام: إن الإرادة من الخلق الضمير و ما يبدو لهم بعد الفعل، صريح فى وجوب تقدمها للفعل، إذا كان الفعل يبدو من العبد بعدها، و لو كان الأمر فيها على مذهب الجبائى لكان الفعل باديا فى حالها و لم يتأخر بدوه إلى الحال التى هى بعد حالها.

: حسن و يحتمل وجوها من التأويل:
الأول: أن لا يكون المراد بالمشية الإرادة بل إحدى مراتب التقديرات التى اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشىء كالتقدير فى اللوح، مثلا و الإثبات فيه، فإن اللوح و ما أثبت فيه لم يحصل بتقدير آخر فى لوح سوى ذلک اللوح، و إنما وجد سائر الأشياء بما قدر فى ذلک اللوح، و ربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار كما سيأتى فى كتاب العدل، و على هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير.
الثانى: أن يكون خلق المشية بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقفة على تعلق إرادة أخرى بها، فيكون نسبة الخلق إليها مجازا عن تحققها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى بلا توقف على مشية أخرى أو أنه كناية عن أنه اقتضى علمه الكامل، و حكمته الشاملة كون جميع الأشياء حاصلة بالعلم بالأصلح، فالمعنى أنه

لما اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شىء إلا على الوجه الأصلح و الأكمل، فلذا لا يصدر شىء عنه تعالى إلا بإرادته المقتضية لذلک.
الثالث: ما ذكره السيد الداماد قدس الله روحه: أن المراد بالمشية هنا مشية العباد لأفعالهم الاختيارية لتقدسه سبحانه عن مشية مخلوقة زائدة على ذاته عز و جل و بالأشياء أفاعيلهم المترتب وجودها على تلک المشية، و بذلک تنحل شبهة ربما أوردت هاهنا و هى أنه لو كانت أفعال العباد مسبوقة بإرادتهم لكانت الإرادة مسبوقة بإرادة أخرى، و تسلسلت الإرادات لا إلى نهاية.
الرابع: ما ذكره بعض الأفاضل و هو أن للمشية معنيين" أحدهما" متعلق بالشائى و هى صفة كمالية قديمة هى نفس ذاته سبحانه و هى كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير و الصلاح.
" و الآخر" يتعلق بالمشىء و هو حادث بحدوث المخلوقات لا يتخلف المخلوقات عنه و هو إيجاده سبحانه إياها بحسب اختياره، و ليست صفة زائدة على ذاته عز و جل و على المخلوقات، بل هى نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيتها المنتسبين معا فنقول: إنه لما كان هيهنا مظنة شبهة هى أنه إن كان الله عز و جل خلق الأشياء بالمشية فبم خلق المشية؟ أ بمشية أخرى فيلزم أن تكون قبل كل مشية مشية إلى ما لا نهاية له، فأفاد الإمام عليه السلام أن الأشياء مخلوقة بالمشية، و أما المشية نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشية أخرى، بل هى مخلوقة بنفسها لأنها نسبة و إضافة بين الشائى و المشى تتحصل بوجوديهما العينى و العلمى، و لذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأن كلا الوجودين له و فيه و منه، و فى قوله عليه السلام بنفسها دون أن يقول بنفسه إشارة لطيفة إلى ذلک، نظير ذلک ما يقال: إن الأشياء إنما توجد بالوجود، فأما الوجود نفسه فلا يفتقر إلى وجود آخر، بل إنما يوجد بنفسه.
الخامس: ما ذكره بعض المحققين بعد ما حقق أن إرادة الله [المتحققة]

ص: 20

5 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْمَشْرِقِيِّ حَمْزَةَ بْنِ الْمُرْتَفِعِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أَبِي جَعْفَرٍ ع إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى مَا ذَلِكَ الْغَضَبُ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع هُوَ الْعِقَابُ يَا عَمْرُو إِنَّهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَالَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ وَصَفَهُ صِفَةَ مَخْلُوقٍ وَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسْتَفِزُّهُ شَيْءٌ فَيُغَيِّرَهُ

المتجددة هى نفس أفعاله المتجددة الكائنة الفاسدة، فإرادته لكل حادث بالمعنى الإضافى يرجع إلى إيجاده، و بمعنى المرادية ترجع إلى وجوده، قال: نحن إذا فعلنا شيئا بقدرتنا و اختيارنا فأردناه أولا ثم فعلناه بسبب الإرادة، فالإرادة نشأت من أنفسنا بذاتها لا بإرادة أخرى، و إلا لتسلسل الأمر لا إلى نهاية، فالإرادة مرادة لذاتها، و الفعل مراد بالإرادة، و كذا الشهوة فى الحيوان مشتهاة لذاتها، لذيذة بنفسها، و سائر الأشياء مرغوبة بالشهوة، فعلى هذا المثال حال مشية الله المخلوقة، و هى نفس وجودات الأشياء، فإن الوجود خير و مؤثر لذاته، و مجعول بنفسه، و الأشياء بالوجود موجودة، و الوجود مشيئ بالذات و الأشياء مشيئة بالوجود و كما أن الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدة و الضعف و الكمال و النقص، فكذا الخيرية و المشيئية، و ليس الخير المحض الذى لا يشوبه شر إلا الوجود البحث الذى لا يمازجه عدم و نقص، و هو ذات البارى جل مجده، فهو المراد الحقيقى. إلى آخر ما حققه، و الأوفق بأصولنا هو الوجه الأول، و الله يعلم.

الحديث الخامس

: ضعيف.
قوله عليه السلام: هو العقاب، أى ليس فيه سبحانه قوة تغير عن حالة إلى حالة تكون إحداهما رضاه و الأخرى غضبه، إنما أطلق عليه الغضب باعتبار صدور العقاب عنه، فليس التغير إلا فى فعله صفة مخلوق من إضافة المصدر إلى المفعول" لا يستفزه" أى لا يستخفه و لا يزعجه، و قيل: أى لا يجده خاليا عما يكون قابلا له فيغيره للحصول له تغير الصفة لموصوفها.

ص: 21

6 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع فَكَانَ مِنْ سُؤَالِهِ أَنْ قَالَ لَهُ فَلَهُ رِضًا وَ سَخَطٌ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع نَعَمْ وَ لَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ وَ ذَلِكَ أَنَّ الرِّضَا حَالٌ تَدْخُلُ عَلَيْهِ فَتَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ أَجْوَفُ مُعْتَمِلٌ مُرَكَّبٌ لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ مَدْخَلٌ وَ خَالِقُنَا لَا مَدْخَلَ لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ وَاحِدِيُّ الذَّاتِ وَاحِدِيُّ الْمَعْنَى فَرِضَاهُ ثَوَابُهُ وَ سَخَطُهُ عِقَابُهُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يَتَدَاخَلُهُ فَيُهَيِّجُهُ وَ يَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ الْعَاجِزِينَ الْمُحْتَاجِينَ

: مجهول.
قوله: و ذلک أن الرضا حال. فی التوحید و ذلک لأن الرضا و الغضب دخال، و الحاصل أن عروض تلک الأحوال و التغیرات إنما یکون لمخلوق أجوف له قابلیة ما یحصل فیه و یدخله" معتمل" بالکسر أی یعمل بأعمال صفاته و آلاته، أو بالفتح أی مصنوع رکب فیه الأجزاء و القوی، و الأول أولی، لیکون تأسیسا مرکب من أمور مختلفة للأشیاء من الصفات و الجهات و الآلات فیه مدخل، و خالقنا تبارک اسمه لا مدخل للأشیاء فیه لاستحالة الترکب فی ذاته فإنه واحدی الذات واحدی المعنی فأذن لا کثرة فیه لا فی ذاته و لا فی صفاته الحقیقیة، و إنما الاختلاف فی الفعل فیثیب عند الرضا و یعاقب عند السخط من غیر مداخلة شیء فیه، یهیجه و ینقله من حال إلی حال، لأن ذلک ینافی وجوب الوجود، فلا یکون من صفاته سبحانه، بل من صفات المخلوقین العاجزین، قال السید الداماد قدس سره: المخلوق أجوف لما قد برهن و استبان فی حکمة ما فوق الطبیعة أن کل ممکن زوج ترکیبی، و کل مرکب مزوج الحقیقیة فإنه أجوف الذات لا محالة، فما لا جوف لذاته علی الحقیقة هو الأحد الحق سبحانه لا غیر، فإذا الصمد الحق لیس هو إلا الذات الأحدیة الحقة من کل جهة، فقد تصحح من هذا الحدیث الشریف تأویل الصمد بما لا جوف له، و لا مدخل لمفهوم من المفهومات و شیء من الأشیاء فی ذاته أصلا.

7 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ الْمَشِيئَةُ مُحْدَثَةٌ جُمْلَةُ الْقَوْلِ فِی صِفَاتِ الذَّاتِ وَ صِفَاتِ الْفِعْلِ إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ وَصَفْتَ اللَّهَ بِهِمَا وَ كَانَا جَمِيعاً فِی الْوُجُودِ فَذَلِكَ صِفَةُ فِعْلٍ وَ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّكَ تُثْبِتُ فِی الْوُجُودِ مَا يُرِيدُ وَ مَا لَا يُرِيدُ وَ مَا يَرْضَاهُ وَ مَا يُسْخِطُهُ وَ مَا يُحِبُّ وَ مَا يُبْغِضُ فَلَوْ كَانَتِ الْإِرَادَةُ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ مِثْلِ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ كَانَ مَا لَا يُرِيدُ نَاقِضاً لِتِلْكَ الصِّفَةِ وَ لَوْ كَانَ مَا يُحِبُّ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ كَانَ مَا يُبْغِضُ نَاقِضاً لِتِلْكَ الصِّفَةِ أَ لَا تَرَى أَنَّا لَا نَجِدُ فِی الْوُجُودِ مَا لَا يَعْلَمُ وَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَ كَذَلِكَ صِفَاتُ ذَاتِهِ الْأَزَلِيِّ لَسْنَا نَصِفُهُ بِقُدْرَةٍ وَ عَجْزٍ وَ عِلْمٍ وَ جَهْلٍ وَ سَفَهٍ وَ حِكْمَةٍ وَ خَطَإٍ وَ عِزٍّ وَ ذِلَّةٍ وَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ يُحِبُّ مَنْ أَطَاعَهُ وَ يُبْغِضُ مَنْ عَصَاهُ وَ يُوَالِی مَنْ أَطَاعَهُ وَ يُعَادِی مَنْ عَصَاهُ وَ إِنَّهُ

: صحيح.
قوله: جملة القول. هذا التحقيق للمصنف (ره) و ليس من تتمة الخبر و غرضه الفرق بين صفات الذات و صفات الفعل، و أبان ذلک بوجوه:
الأول: أن كل صفة وجودية لها مقابل وجودى فهى من صفات الأفعال لا من صفات الذات، لأن صفاته الذاتية كلها عين ذاته، و ذاته مما لا ضد له، ثم بين ذلک فى ضمن الأمثلة و أن اتصافه سبحانه بصفتين متقابلتين ذاتيتين محال.
و الثانى: ما أشار إليه بقوله: و لا يجوز أن يقال يقدر أن يعلم.
و الحاصل: أن القدرة صفة ذاتية تتعلق بالممكنات لا غير، فلا تتعلق بالواجب و لا بالممتنع، فكل ما هو صفة الذات فهو أزلى غير مقدور، و كلما هو صفة الفعل فهو ممكن مقدور، و بهذا يعرف الفرق بين الصفتين، و قوله: و لا يقدر أن لا يعلم، الظاهر أن لا لتأكيد النفى السابق، أى لا يجوز أن يقال يقدر أن لا يعلم، و يمكن أن يكون من مقول القول الذى لا يجوز، و توجيهه: أن القدرة لا ينسب إلا إلى الفعل نفيا أو إثباتا، فيقال: يقدر أن يفعل أو يقدر أن لا يفعل، و لا ينسب إلى ما لا

يَرْضَى وَ يَسْخَطُ وَ يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِّي وَ لَا تَسْخَطْ عَلَيَّ وَ تَوَلَّنِي وَ لَا تُعَادِنِي وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْلَمَ وَ لَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَعْلَمَ وَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْلِكَ وَ لَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَمْلِكَ وَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ عَزِيزاً حَكِيماً وَ لَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَكُونَ عَزِيزاً حَكِيماً وَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ جَوَاداً وَ لَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَكُونَ جَوَاداً وَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ غَفُوراً وَ لَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَكُونَ غَفُوراً وَ لَا يَجُوزُ أَيْضاً أَنْ يُقَالَ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ رَبّاً وَ قَدِيماً وَ عَزِيزاً وَ حَكِيماً

يعتبر الفعل فيه لا إثباتا و لا نفيا، فما يكون من صفات الذات التى لا شائبة للفعل فيها كالعلم و القدرة و غيرهما، لا يجوز أن ينسب إليها القدرة، فإن القدرة إنما يصح استعمالها مع الفعل و الترک، فلا يقال يقدر أن يعلم و لا يقال و لا يقدر أن لا يعلم، لأن العلم لا شائبة فيه من الفعل.

أقول: و يحتمل أن يكون الواو للحال، و الحاصل: أن من لا يقدر أن لا يعلم كيف يصح أن يقال له يقدر أن يعلم، إذ نسبة القدرة إلى طرفى الممكن على السواء و أما الجود و الغفران فيحتمل أن يكونا على سياق ما تقدم بأن يكون المراد بالجواد ذات يليق به الجود، و بالغفور من هو فى ذاته بحيث يتجاوز عن المؤاخذة لمن يشاء، فمرجعه إلى خيريته و كماله و قدرته، لا فعل الجود و المغفرة حتى يكونا من صفات الفعل، و يحتمل أن يكونا مقطوعين عن السابق، لبيان كون الجود و فعل المغفرة مقدورين.

الثالث: ما أشار إليه بقوله: و لا يجوز أن يقال أراد أن يكون ربا.

و الحاصل: أن الإرادة لما كانت فرع القدرة فما لا يكون مقدورا لا يكون مرادا، و قد علمت أن الصفات الذاتية غير مقدورة فهى غير مرادة أيضا، و لكونها غير مرادة وجه آخر و هو قوله: لأن هذه من صفات الذات" إلخ" و معناه أن الإرادة لكونها من صفات الفعل فهى حادثة، و هذه الصفات يعنى الربوبية و القدم و أمثالهما لكونها من صفات الذات فهى قديمة، و لا يؤثر الحادث فى القديم فلا تعلق للإرادة بشىء منها، و قوله: أ لا ترى توضيح لكون الإرادة لا تتعلق بالقديم بأن إرادة شىء

وَ مَالِكاً وَ عَالِماً وَ قَادِراً لِأَنَّ هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ وَ الْإِرَادَةُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ أَ لَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ أَرَادَ هَذَا وَ لَمْ يُرِدْ هَذَا وَ صِفَاتُ الذَّاتِ تَنْفِي عَنْهُ بِكُلِّ صِفَةٍ مِنْهَا ضِدَّهَا يُقَالُ حَيٌّ وَ عَالِمٌ وَ سَمِيعٌ وَ بَصِيرٌ وَ عَزِيزٌ وَ حَكِيمٌ غَنِيٌّ مَلِكٌ حَلِيمٌ عَدْلٌ كَرِيمٌ فَالْعِلْمُ ضِدُّهُ الْجَهْلُ وَ الْقُدْرَةُ ضِدُّهَا الْعَجْزُ وَ الْحَيَاةُ ضِدُّهَا الْمَوْتُ وَ الْعِزَّةُ ضِدُّهَا الذِّلَّةُ وَ الْحِكْمَةُ ضِدُّهَا الْخَطَأُ وَ ضِدُّ الْحِلْمِ الْعَجَلَةُ وَ الْجَهْلُ وَ ضِدُّ الْعَدْلِ الْجَوْرُ وَ الظُّلْمُ بَابُ حُدُوثِ الْأَسْمَاءِ

1 عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَّادٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ

مع كراهة ضده و القديم لا ضد له كما قيل، أو المعنى أن القديم واجب الوجود و الإرادة متعلقة الحادث الممكن، ثم رجع إلى أول الكلام لمزيد الإيضاح فقال:

و صفات الذات إلى آخره.

باب حدوث الأسماء

الحديث الأول

: مجهول و هو من متشابهات الأخبار و غوامض الأسرار التى لا يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون فى العلم، و السكوت عن تفسيره و الإقرار بالعجز عن فهمه أصوب و أولى و أحوط و أحرى، و لنذكر وجها تبعا لمن تكلم فيه على سبيل الاحتمال.

فنقول:" أسماء" فى بعض النسخ بصيغة الجمع، و فى بعضها بصيغة المفرد و الأخير أظهر، و الأول لعله مبنى على أنه مجزأ بأربعة أجزاء، كل منها اسم، فلذا أطلق عليه صيغة الجمع.

و قوله" بالحروف غير متصوت" و فى أكثر نسخ التوحيد غير منعوت و كذا ما بعده من الفقرات تحتمل كونها حالا عن فاعل خلق، و عن قوله أسماء، و يؤيد الأول ما فى أكثر نسخ التوحيد خلق أسماء بالحروف، و هو عز و جل بالحروف غير منعوت

وَ تَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مُتَصَوِّتٍ وَ بِاللَّفْظِ غَيْرَ مُنْطَقٍ وَ بِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ وَ بِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ وَ بِاللَّوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ مَنْفِيٌّ عَنْهُ الْأَقْطَارُ مُبَعَّدٌ عَنْهُ الْحُدُودُ مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَسْتُورٍ فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مَعاً لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الْآخَرِ فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاءٍ لِفَاقَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهَا وَ حَجَبَ مِنْهَا وَاحِداً وَ هُوَ الِاسْمُ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي ظَهَرَتْ فَالظَّاهِرُ هُوَ

فيكون المقصود بيان المغايرة بين الاسم و المسمى بعدم جريان صفات الاسم بحسب ظهوراته النطقية و الكتبية فيه تعالى، و أما على الثانى فلعله إشارة إلى حصوله فى علمه تعالى فيكون الخلق بمعنى التقدير و العلم، و هذا الاسم عند حصوله فى العلم الأقدس، لم يكن ذات صوت و لا ذات صورة و لا ذا شكل و لا ذا صبغ، و يحتمل أن يكون إشارة إلى أن أول خلقه كان بالإضافة على روح النبى صلى الله عليه و آله و أرواح الأئمة عليهم السلام بغير نطق و صبغ و لون و خط بقلم، و لنرجع إلى تفصيل كل من الفقرات و توضيحها، فعلى الأول قوله غير متصوت إما على البناء للفاعل، أى لم يكن خلقها بإيجاد حرف و صوت، أو على البناء للمفعول أى هو تعالى ليس من قبيل الأصوات و الحروف، حتى يصلح كون الاسم عينه تعالى.
و قوله عليه السلام: و باللفظ غير منطق بفتح الطاء أى ناطق، أو أنه غير منطوق باللفظ كالحروف ليكون من جنسها، أو بالكسر أى لم يجعل الحروف ناطقة على الإسناد المجازى كقوله تعالى" هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ" و هذا التوجيه يجرى فى الثانى من احتمالى الفتح و تطبيق تلك الفقرات على الاحتمال الثانى، و هو كونها حالا عن الاسم بعد ما ذكرنا ظاهر، و كذا تطبيق الفقرات الآتية على الاحتمالين.
قوله عليه السلام: مستتر غير مستور، أى كنه حقيقته مستور عن الخلق مع أنه من حيث الآثار أظهر من كل شىء، أو مستتر بكمال ذاته من غير ستر و حاجب أو أنه غير مستور [عن الخلق] بل هو فى غاية الظهور، و النقص إنما هو من قبلنا، و يجرى

اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی وَ سَخَّرَ سُبْحَانَهُ لِکُلِّ اسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ أَرْبَعَةَ أَرْکَانٍ فَذَلِکَ اثْنَا عَشَرَ رُکْناً ثُمَّ خَلَقَ لِکُلِّ رُکْنٍ مِنْهَا ثَلَاثِینَ اسْماً فِعْلًا مَنْسُوباً إِلَیْهَا فَهُوَ الرَّحْمنُ

نظیر الاحتمالات فی الثانی، و یحتمل علی الثانی أن یکون المراد أنه مستور عن الخلق غیر مستور عنه تعالی، و أما تفصیل الأجزاء و تشعب الأسماء فیمکن أن یقال إنه لما کان کنه ذاته تعالی مستورا عن عقول جمیع الخلق فالاسم الدال علیه ینبغی أن یکون مستورا عنهم، فالاسم الجامع هو الاسم الذی یدل علی کنه الذات مع جمیع الصفات الکمالیة، و لما کانت أسماؤه تعالی ترجع إلی أربعة لأنها إما أن تدل علی الذات أو الصفات الثبوتیة الکمالیة أو السلبیة التنزیهیة أو صفات الأفعال، فجری ذلک الاسم الجامع إلی أربعة أسماء جامعة، واحد منها للذات فقط، فلما ذکرنا سابقا استبد تعالی به و لم یعطه خلقه و ثلاثة منها تتعلق بالأنواع الثلاثة من الصفات فأعطاها خلقه لیعرفوه بها بوجه من الوجوه، فهذه الثلاثة حجب و وسائط بین الخلق و بین هذا الاسم المکنون، إذ بها یتوسلون إلی الذات و إلی الاسم المختص بها إذ فی التوحید" بهذه الأسماء" و هو أظهر، و لما کانت تلک الأسماء الأربعة مطویة فی الاسم الجامع علی الإجمال لم یکن بینها تقدم و تأخر، و لذا قال: لیس منها واحد قبل الآخر، و یمکن أن یقال علی بعض المحتملات السابقة: أنه لما کان تحققها فی العلم الأقدس، لم یکن بینها تقدم و تأخر، أو یقال أن إیجادها لما کان بالإفاضة علی الأرواح المقدسة و لم یکن بالتکلم لم یکن بینها و بین أجزائها تقدم و تأخر فی الوجود، کما یکون فی تکلم الخلق، و الأول أظهر ثم بین الأسماء الثلاثة.

و هنا اختلاف بین نسخ الکافی و التوحید، ففی أکثر نسخ الکافی فالظاهر هو الله تبارک و تعالی، و سخر لکل اسم، فعلی ما فی الکافی یحتمل أن یکون فالظاهر هو الله و تبارک و سبحانه لکل اسم، فعلیما فی الکافی یحتمل أن یکون المعنی أن الظاهر بهذه الأسماء هو الله تعالی و هذه الأسماء إنما جعلها لیظهر بها علی

الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْمُقْتَدِرُ الْقَادِرُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْبَارِئُ الْمُنْشِئُ

الخلق، فالمظهر هو الاسم، و الظاهر به هو الرب سبحانه.
و يحتمل أن يكون بيانا للأسماء الثلاثة، و يؤيده نسخة الواو، و ما فى التوحيد فأولها" الله" و هو الدال على النوع الأول لكونه موضوعا للذات مستجمعا للصفات الذاتية الكمالية، و الثانى" تبارک" لأنه من البركة و النمو و هو إشارة إلى أنه معدن الفيوض و منبع الخيرات التى لا تتناهى، و هو رئيس جميع الصفات الفعلية من الخالقية و الرازقية و المنعمية و سائر ما هو منسوب إلى الفعل، كما أن الأول رئيس الصفات الوجودية من العلم و القدرة و غيرهما، و لما كان المراد بالاسم كل ما يدل على ذاته و صفاته تعالى أعم من أن يكون اسما أو فعلا أو جملة لا محذور فى عد" تبارک" من الأسماء.
و الثالث هو" سبحان" الدال على تنزيهه تعالى عن جميع النقائص، فيندرج فيه و يتبعه جميع الصفات السلبية و التنزيهية، هدا على نسخة التوحيد، و على ما فى الكافى الاسم الثالث" تعالى" لدلالته على تعاليه سبحانه عن مشابهة الممكنات و ما يوجب نقصا أو عجزا، فيدخل فيه جميع صفات التنزيهية، ثم لما كان لكل من تلک الأسماء الثلاثة الجامعة شعب أربع ترجع إليها، جعل لكل منها أربعة أركان، هى بمنزلة دعائمه، فأما" الله" فلدلالته على الصفات الكمالية الوجودية له أربع دعائم هى وجوب الوجود المعبر عنه بالصمدية و القيومية، و العلم و القدرة و الحياة، أو مكان الحياة اللطف، أو الرحمة أو العزة، و إنما جعلت هذه الأربعة أركانا لأن سائر الصفات الكمالية إنما يرجع إليها كالسميع و البصير و الخبير مثلا، فإنها راجعة إلى العلم، و العلم يشملها و هكذا، و أما" تبارک" فله أركان أربعة: هى الإيجاد، و التربية فى الدارين، و الهداية فى الدنيا، و المجازاة فى الآخرة، أى الموجد أو الخالق

الْبَدِيعُ الرَّفِيعُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّازِقُ الْمُحْيِی الْمُمِيتُ الْبَاعِثُ الْوَارِثُ فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَ مَا كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى حَتَّى تَتِمَّ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَ سِتِّينَ اسْماً فَهِیَ

و الرب و الهادی و الدیان، و یمکن إدخال الهدایة فی التربیة و جعل المجازاة رکنین الإثابة و الانتقام، و لکل منها شعب من أسماء الله الحسنی کما لا یخفی بعد التأمل و التتبع.
و إما" سبحان" أو" تعالی" فلکل منهما أربعة أرکان لأنه إما تنزیه الذات عن مشابهة الممکنات، أو تنزیهه عن إدراک الحواس و الأوهام و العقول، أو تنزیه صفاته عما یوجب النقص، أو تنزیه أفعاله عما یوجب الظلم و العجز و النقص، و یحتمل وجها آخر و هو تنزیهه عن الشریک و الأضداد و الأنداد، و تنزیهه عن المشاکلة و المشابهة، و تنزیهه عن إدراک العقول و الأوهام، و تنزیهه عما یوجب النقص و العجز من الترکب و الصاحبة و الولد، و التغیرات و العوارض و الظلم و الجور و الجهل و غیر ذلک، و ظاهر أن لکل منها شعبا کثیرة، فجعل علیه السلام شعب کل منها ثلاثین و ذکر بعض أسمائه الحسنی علی التمثیل و أجمل الباقی.
و یحتمل علی ما فی الکافی علی الاحتمال الأول أن تکون الأسماء الثلاثة ما یدل علی وجوب الوجود و العلم و القدرة، و الاثنا عشر ما یدل علی الصفات الکمالیة و التنزیهیة التی تتبع تلک الصفات، و المراد بالثلاثین صفات الأفعال التی هی آثار تلک الصفات الکمالیة، و یؤیده قوله: فعلا منسوبا إلیها، و علی الأول یکون المعنی أنها من توابع تلک الصفات، فکأنها من فعلها.
هذا ما خطر ببالی فی حل هذا الخبر، و إنما أوردته علی سبیل الاحتمال من غیر تعیین لمراد المعصوم علیه السلام، و لعله أظهر الاحتمالات التی أوردها أقوام علی وفق مذاهبهم المختلفة، و طرائقهم المتشتتة.
و إنما هدانی إلی ذلک ما أورده ذریعتی إلی الدرجات العلی، و وسیلتی إلی مسالک الهدی بعد أئمة الوری علیهم السلام أعنی والدی العلامة قدس الله روحه فی

ص: 29
نِسْبَةٌ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ وَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ أَرْكَانٌ وَ حَجَبَ الِاسْمَ الْوَاحِدَ الْمَكْنُونَ الْمَخْزُونَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ

شرح هذا الخبر على ما فى الكافى حيث قال:
الذى يخطر بالبال فى تفسير هذا الخبر على الإجمال، هو أن الاسم الأول كان اسما جامعا للدلالة على الذات و الصفات، و لما كان معرفة الذات محجوبة عن غيره تعالى، جزء ذلک الاسم على أربعة أجزاء، و جعل الاسم الدال على الذات محجوبا عن الخلق، و هو الاسم الأعظم باعتبار، و الدال على المجموع اسم أعظم باعتبار آخر، و يشبه أن يكون الجامع هو الله و الدال على الذات فقط هو، و تكون المحجوبية باعتبار عدم التعيين كما قيل: إن الاسم الأعظم داخل فى جملة الأسماء المعروفة و لكنها غير معينة لنا، و يمكن أن يكونا غيرهما و الأسماء التى أظهرها الله للخلق على ثلاثة أقسام، منها ما يدل على التقديس مثل العلى العظيم العزيز الجبار المتكبر، و منها ما يدل على علمه تعالى، و منها ما يدل على قدرته تعالى، و انقسام كل واحد منها إلى أربعة أقسام بأن يكون التنزيه إما مطلقا أو للذات أو للصفات أو الأفعال، و يكون ما يدل على العلم إما لمطلق العلم أو للعلم بالجزئيات كالسميع و البصير أو الظاهر أو الباطن، و ما يدل على القدرة إما للرحمة الظاهرة أو الباطنة أو الغضب ظاهرا أو باطنا، أو ما يقرب من ذلک التقسيم، و الأسماء المفردة على ما ورد فى القرآن و الأخبار يقرب من ثلاثمائة و ستين اسما ذكرها الكفعمى فى مصباحه، فعليک بجمعها و التدبر فى ربط كل منها بركن من تلک الأركان." انتهى كلامه رفع الله مقامه".
أقول: و بعض الناظرين فى هذا الخبر جعل الاثنى عشر كناية عن البروج الفلكية و الثلاثمائة و ستين عن درجاتها، و لعمرى لقد تكلف بأبعد مما بين السماء و الأرض، و منهم من جعل الاسم كناية عن مخلوقاته تعالى، و الاسم الأول الجامع عن أول مخلوقاته، و بزعم القائل هو العقل، و جعل ما بعد ذلک كناية عن كيفية تشعب

ص: 30
وَ ذَلِکَ قَوْلُهُ تَعَالَی- قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَیًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی
2 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِیسَ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَ مُوسَی بْنِ عُمَرَ وَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیِّ بْنِ عُثْمَانَ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع هَلْ کَانَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَارِفاً بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ یَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ یَرَاهَا وَ یَسْمَعُهَا قَالَ مَا کَانَ مُحْتَاجاً إِلَی ذَلِکَ لِأَنَّهُ لَمْ یَکُنْ یَسْأَلُهَا وَ لَا یَطْلُبُ مِنْهَا هُوَ نَفْسُهُ وَ نَفْسُهُ هُوَ قُدْرَتُهُ نَافِذَةٌ فَلَیْسَ یَحْتَاجُ أَنْ یُسَمِّیَ نَفْسَهُ وَ لَکِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَسْمَاءً لِغَیْرِهِ یَدْعُوهُ بِهَا لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ یُدْعَ بِاسْمِهِ لَمْ یُعْرَفْ فَأَوَّلُ مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ

المخلوقات، و تعدد العوالم، و کفی ما أومأنا إلیه للاستغراب، و ذکرها بطولها یوجب الإطناب.
قوله: و ذلک قوله عز و جل، استشهاد لأن له تعالی أسماء حسنی، و أنه إنما وضعها لیدعوه الخلق بها، فقال تعالی: قل ادعوه تعالی بالله أو بالرحمن أو بغیرهما فالمقصود واحد، و هو الرب، و له أسماء حسنی کل منها یدل علی صفة من صفاته المقدسة فأیا ما تدعو فهو حسن، قیل: نزلت الآیة حین سمع المشرکون رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: یا الله، یا رحمن، فقالوا: إنه ینهانا أن نعبد إلهین و هو یدعو إلها آخر؟ و قالت الیهود: إنک لتقل ذکر الرحمن و قد أکثره الله فی التوراة، فنزلت الآیة ردا لما توهموا من التعدد، أو عدم الإتیان بذکر الرحمن.

: ضعيف على المشهور.
قوله: و يسمعها، على بناء المجرد أى بأن يذكر اسم نفسه و يسمعه، أو على بناء الأفعال لأن المخلوق يعرفه تعالى بأسمائه و يدعوه بها، فزعم أن الخالق أيضا كذلک لأنه أعلى الأشياء، أى إنما سمى بالعلى لأنه أعلى الأشياء ذاتا، و بالعظيم لأنه أعظمها صفاتا، فهذان اسمان جامعان يدلان على تنزهه تعالى عن مناسبة المخلوقات و مشابهتها بالذات و الصفات، فمعناه" الله" أى مدلول هذا اللفظ، و يدل على أنه أخص الأسماء بالذات المقدس، بل على أنه اسم بإزاء الذات لا باعتبار صفة من

ص: 31
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لِأَنَّهُ أَعْلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا فَمَعْنَاهُ اللَّهُ وَ اسْمُهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ هُوَ أَوَّلُ أَسْمَائِهِ عَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
3 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ الِاسْمِ مَا هُوَ قَالَ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ
4 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ اِسْمُ اللَّهِ غَيْرُهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ فَأَمَّا مَا عَبَّرَتْهُ الْأَلْسُنُ أَوْ عَمِلَتِ الْأَيْدِی فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَ اللَّهُ غَايَةُ مِنْ غَايَاتِهِ

الصفات" علا على كل شیء" أی علا الاسم على كل الأسماء الدالة على الصفات، أو هو تفسير للاسم تأكيدا لما سبق.

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام: صفة لموصوف، أى سمة و علامة تدل على ذات فهو غير الذات، أو المعنى أن أسماء الله تعالى تدل على صفات تصدق عليه، أو المراد بالاسم هنا ما أشرنا إليه سابقا، أى المفهوم الكلى الذى هو موضوع اللفظ.

الحديث الرابع

اشارة

: ضعيف.
قوله عليه السلام: اسم شىء، أى لفظ الشىء أو هذا المفهوم المركب و الأول أظهر، ثم بين المغايرة بأن اللفظ الذى يعبر به الألسن و الخط الذى تعمله الأيدى فظاهر أنه مخلوق.
قوله: و الله غاية من غاياه، اعلم أن الغاية تطلق على المدى و النهاية، و على امتداد المسافة و على الغرض و المقصود من الشىء، و على الراية و العلامة، و هذه العبارة تحتمل وجوها

وَ الْمُغَيَّا غَيْرُ الْغَايَةِ وَ الْغَايَةُ مَوْصُوفَةٌ وَ كُلُّ مَوْصُوفٍ مَصْنُوعٌ وَ صَانِعُ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مَوْصُوفٍ

الأول: أن تكون الغاية بمعنى الغرض و المقصود، أى كلمة الجلالة مقصود من جعله مقصودا، و ذريعة من جعله ذريعة، أى كل من كان له مطلب و عجز عن تحصيله بسعيه يتوسل إليه باسم الله، و المغيى بالغين المعجمة و الياء المثناة المفتوحة أى المتوسل إليه بتلك الغاية غير الغاية، أو بالياء المكسورة أى الذى جعل لنا الغاية غاية هو غيرها، و فى بعض النسخ و المعنى بالعين المهملة و النون، أى المقصود بذلك التوسل، أو المعنى المصطلح، غير تلك الغاية التى هى الوسيلة إليه.
الثانى: أن يكون المراد بالغاية النهاية، و بالله: الذات لا الاسم أى الرب تعالى غاية آمال الخلق يدعونه عند الشدائد بأسمائه العظام، و المغيى بفتح الياء المشددة المسافة ذات الغاية، و المراد هنا الأسماء فكأنها طرق و مسالك توصل الخلق إلى الله فى حوائجهم، و المعنى أن العقل يحكم بأن الوسيلة غير المقصود بالحاجة، و هذا لا يلائمه قوله و الغاية موصوفة إلا بتكلف تام.
الثالث: أن يكون المراد بالغاية العلامة و صحفت غاياه بغاياته، و كذا فى بعض النسخ أيضا، أى علامة من علاماته، و المعنى أى المقصود، أو المغيى أى ذو العلامة غيرها.
الرابع: أن يكون المقصود أن الحق تعالى غاية أفكار من جعله غاية و تفكر فيه، و المعنى المقصود أعنى ذات الحق غير ما هو غاية أفكارهم، و مصنوع عقولهم، إذ غاية ما يصل إليه أفكارهم و يحصل فى أذهانهم موصوف بالصفات الزائدة الإمكانية و كل موصوف كذلك مصنوع.
الخامس: ما صحفه بعض الأفاضل حيث قرأ: عانة من عاناه أى الاسم ملابس من لابسه، قال فى النهاية: معاناة الشىء ملابسته و مباشرته، أو مهم من اهتم به من قولهم عنيت به فأنا عان، أى اهتممت به و اشتغلت أو أسير من أسره، و فى النهاية العانى الأسير، و كل من ذل و استكان و خضع فقد عنا يعنو فهو عان، أو محبوس من حبسه، و فى النهاية و عنوا بالأصوات أى احبسوها، و المعنى أى المقصود بالاسم غير

ص: 33
بِحَدٍّ مُسَمًّى لَمْ يَتَكَوَّنْ فَيُعْرَفَ كَيْنُونِيَّتُهُ بِصُنْعِ غَيْرِهِ وَ لَمْ يَتَنَاهَ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا كَانَتْ غَيْرَهُ لَا يَزِلُّ مَنْ فَهِمَ هَذَا الْحُكْمَ أَبَداً وَ هُوَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ فَارْعَوْهُ وَ صَدِّقُوهُ

العانة أى غير ما نتصوره و نعقله.
ثم اعلم أنه على بعض التقادير يمكن أن يقرأ و الله بالكسر، بأن يكون الواو للقسم.
قوله: غير موصوف بحد، أى من الحدود الجسمانية أو الصفات الإمكانية، أو الحدود العقلية، و قوله: مسمى صفة لحد، للتعميم كقوله تعالى" لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً" و يحتمل أن يكون المراد أنه غير موصوف بالصفات التى هى مدلولات تلك الأسماء، و قيل: هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف.
قوله: لم يتكون فيعرف كينونته بصنع غيره. قيل: المراد أنه لم يتكون فيكون محدثا بفعل غيره، فتعرف كينونته و صفات حدوثه بصنع صانعه كما تعرف المعلولات بالعلل.
أقول: لعل المراد أنه غير مصنوع حتى يعرف بالمقايسة إلى مصنوع آخر، كما يعرف المصنوعات بمقايسة بعضها إلى بعض، فيكون الصنع بمعنى المصنوع و غيره صفة له، أو أنه لا يعرف بحصول صورة هى مصنوعة لغيره، إذ كل صورة ذهنية مصنوعة للمدرک، معلولة له.
قوله: و لم يتناه، أى هو تعالى فى المعرفة أو عرفانه أو العارف فى عرفانه إلى نهاية إلا كانت تلک النهاية غيره تعالى و مباينة له غير محمولة عليه.
قوله عليه السلام: لا يزل، فى بعض النسخ بالذال، أى ذل الجهل و الضلال من فهم هذا الحكم و عرف سلب جميع ما يغايره عنه، و علم أن كلما يصل إليه أفهام الخلق فهو غيره تعالى.

وَ تَفَهَّمُوهُ بِإِذْنِ اللَّهِ- مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِحِجَابٍ أَوْ بِصُورَةٍ أَوْ بِمِثَالٍ فَهُوَ مُشْرِكٌ لِأَنَّ حِجَابَهُ وَ مِثَالَهُ وَ صُورَتَهُ غَيْرُهُ وَ إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مُتَوَحِّدٌ فَكَيْفَ يُوَحِّدُهُ مَنْ زَعَمَ

قوله عليه السلام: من زعم أنه يعرف الله بحجاب. أى بالأسماء التى هى حجب بين الله و بين خلقه، و وسائل بها يتوسلون إليه، بأن زعم أنه تعالى عين تلك الأسماء أو الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام، بأن زعم أن الرب تعالى اتحد بهم أو بالصفات الزائدة فإنها حجب عن الوصول إلى حقيقة الذات الأحدية أو بأنه ذو حجاب كالمخلوقين" أو بصورة" أى بأنه ذو صورة كما قالت المشبهة، أو بصورة عقلية زعم أنها كنه ذاته و صفاته تعالى" أو بمثال" أى خيالى أو بأن جعل له مماثلا و مشابها من خلقه" فهو مشرک" لما عرفت مرارا من لزوم تركبه تعالى و كونه ذا حقائق مختلفة، و ذا أجزاء، تعالى الله عن ذلک.

و يحتمل أن يكون إشارة إلى أنه لا يمكن الوصول إلى حقيقته تعالى بوجه من الوجوه لا بحجاب و رسول يبين ذلک، و لا بصورة عقلية و لا خيالية، إذ لا بد بين المعرف و المعرف من مماثلة و جهة اتحاد، و إلا فليس ذلک الشىء معرفا أصلا، و الله تعالى مجرد الذات عن كل ما سواه، فحجابه و مثاله و صورته غيره من كل وجه، إذ لا مشاركة بينه و بين غيره فى جنس أو فصل أو مادة أو موضوع أو عارض، و إنما هو واحد موحد فرد عما سواه، فإنما يعرف الله بالله إذا نفى عنه جميع ما سواه، و كلما وصل إليه عقله كما مر أنه التوحيد الخالص.

و قال بعض المحققين: من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال أى بحقيقة من الحقائق الإمكانية كالجسم و النور أو بصفة من صفاتها التى هى عليها كما أسند إلى القائلين بالصورة أو بصفة من صفاتها عند حصولها فى العقل كما فى قول الفلاسفة فى رؤية العقول المفارقة فهو مشرک، لأن الحجاب و الصورة و المثال كلها مغايرة له غير محمولة عليه، فمن عبد الموصوف بها عبد غيره، فكيف يكون موحدا له عارفا به، إنما عرف الله من عرفه بذاته و حقيقته المسلوب عنه جميع ما يغايره، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنما يكون يعرف غيره.

أَنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيْرِهِ وَ إِنَّمَا عَرَفَ اللَّهَ مَنْ عَرَفَهُ بِاللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ إِنَّمَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ لَيْسَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَ الْمَخْلُوقِ شَيْءٌ وَ اللَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ

أقول: لا يخفى أن هذا الوجه و ما أوردته سابقا من الاحتمالات التى سمحت بها قريحتى القاصرة لا يخلو كل منها من تكلف، و قد قيل فيه وجوه أخر أعرضت عنها صفحا، لعدم موافقتها لأصولنا، و الأظهر عندى أن هذا الخبر موافق لما مر، و سيأتى فى كتاب العدل أيضا من أن المعرفة من صنعه تعالى و ليس للعباد فيها صنع، و أنه تعالى يهبها لمن طلبها و لم يقصر فيما يوجب استحقاق إفاضتها، و القول بأن غيره تعالى يقدر على ذلک نوع من الشرک فى ربوبيته و إلهيته، فإن التوحيد الخالص هو أن يعلم أنه تعالى مفيض جميع العلوم و الخيرات، و المعارف و السعادات كما قال تعالى: " ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ" فالمراد بالحجاب إما أئمة الضلال و علماء السوء الذين يدعون أنهم يعرفونه تعالى بعقولهم و لا يرجعون فى ذلک إلى حجج الله تعالى، فإنهم حجب يحجبون الخلق عن معرفته و عبادته تعالى، فالمعنى أنه تعالى إنما يعرف بما عرف نفسه للناس لا بأفكارهم و عقولهم، أو أئمة الحق أيضا فإنه ليس شأنهم إلا بيان الحق للناس فأما إفاضة المعرفة و الإيصال إلى البغية فليس إلا من الحق تعالى كما قال سبحانه:" إِنَّکَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ" و يجرى فى الصورة و المثال ما مر من الاحتمالات، ف قوله عليه السلام: ليس بين الخالق و المخلوق شىء، أى ليس بينه تعالى و بين خلقه حقيقة أو مادة مشتركة حتى يمكنهم معرفته من تلک الجهة، بل أوجدهم لا من شىء كان، و يؤيد هذا المعنى ما ذكره فى التوحيد تتمة لهذا الخبر:" و الأسماء غيره و الموصوف غير الواصف، فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضال عن المعرفة، لا يدرک مخلوق شيئا إلا بالله، و لا يدرک معرفة الله إلا بالله، و الله خلو من خلقه و خلقه خلو منه، و إذا أراد شيئا كان كما أراد بأمره من غير نطق، لا ملجأ لعباده مما قضى، و لا حجة لهم فيما ارتضى

وَ اللَّهُ يُسَمَّى بِأَسْمَائِهِ وَ هُوَ غَيْرُ أَسْمَائِهِ وَ الْأَسْمَاءُ غَيْرُهُ

لم يقدروا على عمل و لا معالجة مما أحدث فى أبدانهم المخلوقة إلا بربهم، فمن زعم أنه يقوى على عمل لم يرده الله عز و جل فقد زعم أن إرادته تغلب إرادة الله تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ*" و وجه التأييد ظاهر لمن تأمل فيها.

تذييل:

اعلم أن المتكلمين اختلفوا فى أن الاسم هل هو عين المسمى أو غيره، فذهب أكثر الأشاعرة إلى الأول و الإمامية و المعتزلة إلى الثانى، و قد وردت هذه الأخبار ردا على القائلين بالعينية و أول بعض المتأخرين كلامهم لسخافته و إن كانت كلماتهم صريحة فيما نسب إليهم.
قال شارح المقاصد: الاسم هو اللفظ المفرد الموضوع للمعنى على ما يعم أنواع الكلمة، و قد يقيد بالاستقلال و التجرد عن الزمان، فيقابل الفعل و الحرف على ما هو مصطلح النحاة، و المسمى هو المعنى الذى وضع الاسم بإزائه، و التسمية هو وضع الاسم للمعنى و قد يراد بها ذكر الشىء باسمه كما يقال يسمى زيدا و لم يسم عمروا، فلا خفاء فى تغاير الأمور الثلاثة، و إنما الخفاء فيما ذهب إليه بعض أصحابنا من أن الاسم نفس المسمى، و فيما ذكره الشيخ الأشعرى من أن أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام ما هو نفس المسمى مثل" الله" الدال على الوجود، أى الذات، و ما هو غيره كالخالق و الرازق و نحو ذلک مما يدل على فعل، و ما لا يقال إنه هو و لا غيره كالعالم و القادر و كل مما يدل على الصفات، و أما التسمية فغير الاسم و المسمى.
و توضيحه: أنهم يريدون بالتسمية اللفظ و بالاسم مدلوله كما يريدون بالوصف قول الواصف، و بالصفة مدلوله، و كما يقولون: أن القراءة حادثة و المقر و قديم، إلا أن الأصحاب اعتبروا المدلول المطابقى فأطلقوا القول بأن الاسم نفس المسمى للقطع بأن مدلول الخالق شىء ماله الخلق لا نفس الخلق، و مدلول العالم شىء ما له العلم لا نفس العلم، و الشيخ أخذ المدلول أعم، و اعتبر فى أسماء الصفات المعانى المقصودة،

بَابُ مَعَانِی الْأَسْمَاءِ وَ اشْتِقَاقِهَا
1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ تَفْسِيرِ

فزعم أن مدلول الخالق الخلق و هو غير الذات، و مدلول العالم العلم و هو لا عين و لا غير" انتهى".

باب معانى الأسماء و اشتقاقها

: ضعيف.
قوله عليه السلام: الباء بهاء الله، يظهر من كثير من الأخبار أن للحروف المفردة أوضاعا و معانى متعددة لا يعرفها إلا حجج الله عليه السلام، و هذه إحدى جهات علومهم و استنباطهم من القرآن، و قد روت العامة فى" الم" عن ابن عباس أن الألف آلاء الله و اللام لطفه و الميم ملكه، و البهاء الحسن، و السناء بالمد: الرفعة، و المجد: الكرم و الشرف.
و أقول: يمكن أن يكون هذا مبنيا على الاشتقاق الكبير و المناسبة الذاتية بين الألفاظ و معانيها، فالباء لما كانت مشتركة بين المعنى الحرفى و بين البهاء فلا بد من مناسبة بين معانيهما، و كذا الاسم و السناء لما اشتركا فى السين فلذا اشتركا فى معنى العلو و الرفعة، و كذا الاسم لما اشترک مع المجد و الملک فلا بد من مناسبة بين معانيها، و هذا باب واسع فى اللغة يظهر ذلک للمتتبع بعد تتبع المبانى و المعانى، فالمراد بقوله عليه السلام و السين سناء الله، أن هذا الحرف فى الاسم مناط لحصول هذا المعنى فيه، و كذا البواقى، و التأمل فى ذلک يكسر سورة الاستبعاد عن ظاهر هذا الكلام، و هذا مما خطر بالبال فى هذا المقام.
و لعله أقرب مما أفاده بعض الأعلام، حيث قال: لما كان تفسيره بحسب معنى حرف الإضافة، و لفظ الاسم غير محتاج إلى البيان للعارف باللغة أجاب عليه السلام بالتفسير

ص: 38
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ- قَالَ الْبَاءُ بَهَاءُ اللَّهِ وَ السِّينُ سَنَاءُ اللَّهِ وَ الْمِيمُ مَجْدُ اللَّهِ وَ رَوَى بَعْضُهُمْ الْمِيمُ مُلْكُ اللَّهِ وَ اللَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ الرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ وَ الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً

بحسب المدلولات البعيدة، أو لأنه لما صار مستعملا للتبرک مخرجا عن المدلول الأول ففسره بغيره مما لوحظ فی التبرک، و المراد بهذا التفسير إما أن هذه الحروف لما كانت أوائل هذه الألفاظ الدالة على هذه الصفات أخذت للتبرک أو أن هذه الحروف لها دلالة على هذه المعانی إما على أن للحروف مناسبة مع المعانی بها وضعت لها، و هی أوائل هذه الألفاظ فهی أشد حروفها مناسبة و أقواها دلالة لمعانيها أو لأن الباء لما دلت على الارتباط و الانضياف و مناط الارتباط و الانضياف إلى شیء وجدان حسن مطلوب للطالب، ففيها دلالة على حسن و بهاء مطلوب لكل طالب، و بحسبها فسرت ببهاء الله، و لما كان الاسم من السمو الدال على الرفعة و العلو و الكرم و الشرف، فكل من الحرفين بالانضمام إلى الآخر دال على ذلک المدلول فنسبت الدلالة على السناء بحسب المناسبة إلى السين، و فسرها بسناء الله و الدلالة على المجد أو الملک بحسبها إلى الميم، و فسرها بالمجد أو الملک على الرواية الأخرى" و الله إله كل شیء" أی مستحق للعبودية لكل شیء و الحقيق بها، و الرحمن لجميع خلقه.
اعلم أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، و ذلک إنما يعبر تارة باعتبار الكمية و أخرى باعتبار الكيفية، فعلى الأول قيل: يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن و الكافر، و رحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن و على الثانی قيل: يا رحمن الدنيا و الآخرة و رحيمهما بتخصيص الأول بجلائل النعم و الثانی بغيرها، و الثانی أيضا يحتمل أن يكون محمولا على الوجه الأول، أی رحمن الدارين بالنعم العامة، و الرحيم فيهما بالنعم الخاصة بالهداية و التوفيق فی الدنيا و الجنة و درجاتها فی الآخرة، و الأخير فی هذا الخبر أظهر.

2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَ اشْتِقَاقِهَا اللَّهُ مِمَّا هُوَ مُشْتَقٌّ فَقَالَ يَا هِشَامُ اللَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ إِلَهٍ وَ إِلَهٌ يَقْتَضِي مَأْلُوهاً وَ الِاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى فَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَ لَمْ يَعْبُدْ شَيْئاً وَ مَنْ عَبَدَ الِاسْمَ وَ الْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَكَ وَ عَبَدَ اثْنَيْنِ وَ مَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى دُونَ الِاسْمِ فَذَاكَ التَّوْحِيدُ أَ فَهِمْتَ يَا هِشَامُ قَالَ قُلْتُ زِدْنِي قَالَ لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَ تِسْعُونَ اسْماً فَلَوْ كَانَ الِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى لَكَانَ كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا إِلَهاً وَ لَكِنَّ اللَّهَ مَعْنًى يُدَلُّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَ كُلُّهَا غَيْرُهُ يَا هِشَامُ الْخُبْزُ اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ وَ الْمَاءُ اسْمٌ لِلْمَشْرُوبِ وَ الثَّوْبُ اسْمٌ لِلْمَلْبُوسِ وَ النَّارُ اسْمٌ لِلْمُحْرِقِ أَ فَهِمْتَ يَا هِشَامُ فَهْماً تَدْفَعُ بِهِ وَ تُنَاضِلُ بِهِ أَعْدَاءَنَا الْمُتَّخِذِينَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ غَيْرَهُ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ نَفَعَكَ اللَّهُ بِهِ وَ ثَبَّتَكَ يَا هِشَامُ قَالَ فَوَ اللَّهِ مَا قَهَرَنِي أَحَدٌ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى قُمْتُ مَقَامِي هَذَا

3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ع قَالَ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى

الحديث الثانى

: حسن و قد مر بعينه متنا و سندا فى باب المعبود فلا نعيد شرحه.

الحديث الثالث

: ضعيف.
قوله عليه السلام: استولى، لعله من باب تفسير الشىء بلازمه، فإن معنى الإلهية يلزمه الاستيلاء على جميع الأشياء دقيقها و جليلها، و قيل: السؤال إنما كان عن مفهوم الاسم و مناطه، فأجاب عليه السلام بأن الاستيلاء على جميع الأشياء مناط المعبودية بالحق لكل شىء.
أقول: الظاهر أنه سقط من الخبر شىء، لأنه مأخوذ من كتاب البرقي و روى فى المحاسن بهذا السند بعينه عن القاسم عن جده الحسن عن أبى الحسن موسى عليه السلام و سئل عن معنى قول الله" عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى" فقال: استولى على

اللَّهِ فَقَالَ اسْتَوْلَى عَلَى مَا دَقَّ وَ جَلَ
4 عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ- سَأَلْتُ الرِّضَا ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَقَالَ هَادٍ لِأَهْلِ السَّمَاءِ وَ هَادٍ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَ فِي رِوَايَةِ الْبَرْقِيِّ هُدَى مَنْ فِي السَّمَاءِ وَ هُدَى مَنْ فِي الْأَرْضِ
5 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عُثْمَانَ عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ- سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ قُلْتُ أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ وَ أَمَّا الْآخِرُ فَبَيِّنْ لَنَا تَفْسِيرَهُ فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا يَبِيدُ أَوْ يَتَغَيَّرُ أَوْ يَدْخُلُهُ التَّغَيُّرُ وَ الزَّوَالُ أَوْ يَنْتَقِلُ مِنْ لَوْنٍ إِلَى لَوْنٍ وَ مِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ وَ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ وَ مِنْ زِيَادَةٍ إِلَى نُقْصَانٍ وَ مِنْ

ما دق و جل، و روى الطبرسى فى الاحتجاج أيضا هكذا، فلا يحتاج إلى هذه التكلفات إذ أكثر المفسرين فسروا الاستواء بمعنى الاستيلاء، و قد حققنا فى مواضع من كتبنا أن العرش يطلق على جميع مخلوقاته سبحانه و هذا أحد إطلاقاته لظهور وجوده و علمه و قدرته فى جميعها، و هذا من الكلينى غريب و لعله من النساخ.

الحديث الرابع

: ضعيف على المشهور و آخره مرسل.
قوله عليه السلام: هاد لأهل السماء. أقول: النور ما يكون ظاهرا بنفسه و سببا لظهور غيره، و الله سبحانه هو الموجود بنفسه، الموجد لغيره، و العالم بذاته المفيض للعلوم على من سواه، فهو هاد لأهل السماء و أهل الأرض، و هدى لهم بما أوجد و أظهر لهم من آيات وجوده و علمه و قدرته، و بما أفاض عليهم من العلوم و المعارف.

الحديث الخامس

: صحيح.
قوله عليه السلام: يبيد، أى يهلک، و الرفات: المتكسر من الأشياء اليابسة، و الرميم ما بلى من العظام، و البلح محركة بين الخلال و البسر، قال الجوهرى: البلح قبل البسر لأن أول التمر طلع، ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب. أقول: الغرض أن

نُقْصَانٍ إِلَى زِيَادَةٍ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزَالُ بِحَالَةٍ وَاحِدَةٍ هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْآخِرُ عَلَى مَا لَمْ يَزَلْ وَ لَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ وَ الْأَسْمَاءُ كَمَا تَخْتَلِفُ عَلَى غَيْرِهِ مِثْلُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ تُرَاباً مَرَّةً وَ مَرَّةً لَحْماً وَ دَماً وَ مَرَّةً رُفَاتاً وَ رَمِيماً وَ كَالْبُسْرِ الَّذِي يَكُونُ مَرَّةً بَلَحاً وَ مَرَّةً بُسْراً وَ مَرَّةً رُطَباً وَ مَرَّةً تَمْراً فَتَتَبَدَّلُ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ وَ الصِّفَاتُ وَ اللَّهُ جَلَّ وَ عَزَّ بِخِلَافِ ذَلِكَ

6 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ مَيْمُونٍ الْبَانِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع وَ قَدْ سُئِلَ عَنِ الْأَوَّلِ وَ الْآخِرِ فَقَالَ الْأَوَّلُ لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ وَ لَا عَنْ بَدْءٍ سَبَقَهُ وَ الْآخِرُ لَا عَنْ نِهَايَةٍ كَمَا يُعْقَلُ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ وَ لَكِنْ قَدِيمٌ أَوَّلٌ آخِرٌ لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزُولُ بِلَا بَدْءٍ وَ لَا نِهَايَةٍ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ وَ لَا يَحُولُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

7 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ

دوام الجنة و النار و أهلهما و غيرها لا ينافى آخريته تعالى و اختصاصها به فإن هذه الأشياء دائما فى التغير و التبدل و بمعرض الفناء و الزوال، و هو سبحانه باق من حيث الذات و الصفات، أزلا و أبدا بحيث لا يعتريه تغير أصلا، فكل شىء هالک و فإن إلا وجهه تعالى، و قيل: آخريته سبحانه باعتبار أنه تعالى يفنى جميع الأشياء قبل القيامة ثم يعيدها كما يدل عليه ظواهر بعض الآيات و صريح بعض الأخبار، و قد بسطنا القول فى ذلک فى الفرائد الطريفة فى شرح الدعاء الأول.

الحديث السادس

: مجهول و مضمونه قريب من الخبر السابق.
" لا عن أول قبله" أى سابق عليه بالزمان أو علة" و لا عن بدء" بالهمز أى ابتداء أو بدئ على فعيل أى علة" لا عن نهاية" أى من حيث الذات و الصفات كما مر" لا يقع عليه الحدوث" ناظر إلى الأولية" و لا يحول" ناظر إلى الآخرية.

الحديث السابع

: مرفوع.

الثَّانِی ع فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَخْبِرْنِی عَنِ الرَّبِّ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی لَهُ أَسْمَاءٌ وَ صِفَاتٌ فِی کِتَابِهِ وَ أَسْمَاؤُهُ وَ صِفَاتُهُ هِیَ هُوَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع إِنَّ لِهَذَا الْکَلَامِ وَجْهَیْنِ إِنْ کُنْتَ تَقُولُ هِیَ هُوَ أَیْ إِنَّهُ ذُو عَدَدٍ وَ کَثْرَةٍ فَتَعَالَی اللَّهُ عَنْ ذَلِکَ وَ إِنْ کُنْتَ تَقُولُ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَ الْأَسْمَاءُ لَمْ تَزَلْ فَإِنَّ لَمْ تَزَلْ مُجْتَمِلٌ مَعْنَیَیْنِ فَإِنْ قُلْتَ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ فِی عِلْمِهِ وَ هُوَ مُسْتَحِقُّهَا فَنَعَمْ وَ إِنْ کُنْتَ تَقُولُ لَمْ یَزَلْ تَصْوِیرُهَا وَ هِجَاؤُهَا وَ تَقْطِیعُ

قوله: له أسماء و صفات: الظاهر أن المراد بالأسماء ما دل على الذات من غير ملاحظة صفة، و بالصفات ما دل على الذات مع ملاحظة الاتصاف بصفة فأجاب عليه السلام بالاستفسار عن مراد السائل و ذكر محتملاته و هى ثلاثة، و ينقسم بالتقسيم الأول إلى احتمالين، لأن المراد به إما معناه الظاهر أو مأول بمعنى مجازى، لكون معناه الظاهر فى غاية السخافة، فالأول و هو معناه الظاهر: أن يكون المراد كون كل من تلك الأسماء و الحروف المؤلفة المركبة عين ذاته تعالى، و حكم بأنه تعالى منزه عن ذلک لاستلزامه تركبه و حدوثه و تعدده تعالى الله عن ذلک.
الثانى: أن يكون قوله:" هى هو" كناية عن كونها دائما معه فى الأزل فكأنها عينه و هذا يحتمل معنيين:
" أحدهما" أن يكون المراد أنه تعالى كان فى الأزل مستحقا لإطلاق تلک الأسماء عليه، و كون تلک الأسماء فى علمه تعالى من غير تعدد فى ذاته تعالى و صفاته و من غير أن يكون معه شىء فى الأزل فهذا حق.
" و ثانيهما" أن يكون المراد كون تلک الأسماء و الحروف المؤلفة دائما معه فى الأزل فمعاذ الله أن يكون معه غيره فى الأزل، و هذا صريح فى نفى تعدد القدماء و لا يقبل تأويل القائلين بمذاهب الحكماء، و قوله عليه السلام: تصويرها، أى إيجادها بتلک الصور و الهيئات، و هجاؤها، أى التكلم بها، و فى القاموس: الهجاء ككساء تقطيع اللفظ بحروفها، و هجيت الحروف و تهجيته" انتهى".
فقوله: و تقطيع حروفها، كالتفسير له، ثم أشار عليه السلام إلى حكمة خلق الأسماء

حُرُوفِهَا فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَىْءٌ غَيْرُهُ بَلْ كَانَ اللَّهُ وَ لَا خَلْقَ ثُمَّ خَلَقَهَا وَسِيلَةً بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ يَتَضَرَّعُونَ بِهَا إِلَيْهِ وَ يَعْبُدُونَهُ وَ هِىَ ذِكْرُهُ وَ كَانَ اللَّهُ وَ لَا ذِكْرَ وَ الْمَذْكُورُ بِالذِّكْرِ هُوَ اللَّهُ الْقَدِيمُ الَّذِى لَمْ يَزَلْ وَ الْأَسْمَاءُ وَ الصِّفَاتُ مَخْلُوقَاتٌ وَ الْمَعَانِى وَ الْمَعْنِىُّ بِهَا هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا يَلِيقُ بِهِ اِلاخْتِلَافُ وَ لَا اِلائْتِلَافُ وَ إِنَّمَا يَخْتَلِفُ وَ يَأْتَلِفُ الْمُتَجَزِّئُ

و الصفات بأنها وسيلة بينه و بين خلقه يتضرعون بها إليه و يعبدونه،" و هى ذكره" بالضمير أى يذكر بها، و المذكور بالذكر قديم، و الذكر حادث، و منهم من قرأ بالتاء قال الجوهرى: الذكر و الذكرى نقيض النسيان، و كذلك الذكرة.

قوله عليه السلام: و الأسماء و الصفات مخلوقات، أقول: ههنا اختلفت نسخ الحديث ففى توحيد الصدوق مخلوقات المعانى، أى معانيها اللغوية و مفهوماتها الكلية مخلوقة و فى احتجاج الطبرسى ليس لفظ المعانى أصلا، و فى الكتاب و المعانى بالعطف، فالمراد إما مصداق مدلولاتها، و يكون قوله و المعنى بها عطف تفسير له، أو هى معطوفة على الأسماء، أى و المعانى و هى حقائق مفهومات الصفات مخلوقة، أو المراد بالأسماء الألفاظ و بالصفات ما وضع أسماؤها له، و قوله: مخلوقات و المعانى خبران للأسماء و الصفات، أى الأسماء مخلوقات و الصفات هى المعانى و المعنى بها هو الله أى المقصود بها المذكور بالذكر، و مصداق تلك المعانى المطلوب بها هو ذات الله تعالى، و المراد بالاختلاف تكثر الأفراد أو تكثر الصفات، أو الأحوال المتغيرة أو اختلاف الأجزاء و تباينها بحسب الحقيقة، أو الانفكاك و التحلل و بالائتلاف التركب من الأجزاء أو اتفاق الأجزاء فى الحقيقة، و حاصل الكلام أن ذات الله سبحانه ليس بمؤتلف و لا مختلف لأنه واحد حقيقى، و كل ما يكون واحدا حقيقيا لا يكون مؤتلفا و لا مختلفا، أما أنه واحد حقيقى فلقدمه، و وجوب وجوده لذاته.

و أما أن الواحد لا يصح عليه الائتلاف و الاختلاف، لأن كل متجزء أو متوهم بالقلة و الكثرة مخلوق، و لا شىء من المخلوق بواحد حقيقى لمغايرة الوجود و المهية و للتحلل إلى المهية و التشخص، فلا شىء من الواحد بمتجزى و لا شىء من

فَلَا يُقَالُ اللَّهُ مُؤْتَلِفٌ وَ لَا اللَّهُ قَلِيلٌ وَ لَا كَثِيرٌ وَ لَكِنَّهُ الْقَدِيمُ فِی ذَاتِهِ لِأَنَّ مَا سِوَی الْوَاحِدِ مُتَجَزِّئٌ وَ اللَّهُ وَاحِدٌ لَا مُتَجَزِّئٌ وَ لَا مُتَوَهَّمٌ بِالْقِلَّةِ وَ الْكَثْرَةِ وَ كُلُّ مُتَجَزِّئٍ أَوْ مُتَوَهَّمٍ بِالْقِلَّةِ وَ الْكَثْرَةِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ دَالٌّ عَلَی خَالِقٍ لَهُ فَقَوْلُکَ إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ- خَبَّرْتَ أَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَیْءٌ فَنَفَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْعَجْزَ وَ جَعَلْتَ الْعَجْزَ سِوَاهُ وَ كَذَلِکَ قَوْلُکَ عَالِمٌ إِنَّمَا نَفَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْجَهْلَ وَ جَعَلْتَ الْجَهْلَ سِوَاهُ وَ إِذَا أَفْنَی اللَّهُ الْأَشْيَاءَ أَفْنَی الصُّورَةَ وَ الْهِجَاءَ وَ التَّقْطِيعَ وَ لَا يَزَالُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَالِماً

المتجزی بواحد، و قوله علیه السلام: فقولک إن الله قدیر، بیان لحال توصیفه سبحانه بالصفات کالقدرة و العلم، و أن معانیها مغایرة للذات، فمعنی قولک: أن الله قدیر خبرت بهذا القول إنه لا یعجزه شیء، فمعنی القدرة فیه نفی العجز عنه لا صفة و کیفیة موجودة، فجعلت العجز مغایرا له منفیا عنه، و نفی المغایر للشیء مغایر له کالمنفی عنه، و کذا العلم و سائر الصفات.

و قوله علیه السلام: فإذا أفنی الله الأشیاء استدلال علی مغایرته تعالی للأسماء و هجائها و تقطیعها، و المعانی الحاصلة منها من جهة النهایة، کما أن المذکور سابقا کان من جهة البدایة.

و الحاصل أن علمه تعالی لیس عین قولنا عالم، و لیس اتصافه تعالی به متوقفا علی التکلم بذلک، و کذا الصور الذهنیة لیست عین حقیقة ذاته و صفاته تعالی، و لیس اتصافه تعالی بالصفات متوقفا علی حصول تلک الصور إذ بعد فناء الأشیاء تفنی تلک الأمور مع بقائه تعالی متصفا بجمیع الصفات الکمالیة، کما أن قبل حدوثها کان متصفا بها، و هذا الخبر مما یدل علی أنه سبحانه یفنی جمیع الأشیاء قبل القیامة.

ثم اعلم أن المقصود بما ذکر فی هذا الخبر و غیره من أخبار البابین هو نفی تعقل کنه ذاته و صفاته تعالی، و بیان أن صفات المخلوقات مشوبة بأنواع النقص و العجز و الله تعالی متصف بها، معری عن جهات النقص و العجز، کالسمع فإنه فینا العلم بالمسموعات بالحاسة المخصوصة، و لما کان توقف علمنا علی الحاسة لعجزنا و کان حصولها لنا من

فَقَالَ الرَّجُلُ فَكَيْفَ سَمَّيْتَا رَبَّنَا سَمِيعاً فَقَالَ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يُدْرَكُ بِالْأَسْمَاعِ وَ لَمْ نَصِفْهُ بِالسَّمْعِ الْمَعْقُولِ فِی الرَّأْسِ وَ كَذَلِکَ سَمَّيْنَاهُ بَصِيراً لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يُدْرَكُ بِالْأَبْصَارِ مِنْ لَوْنٍ أَوْ شَخْصٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِکَ وَ لَمْ نَصِفْهُ بِبَصَرِ لَحْظَةِ الْعَيْنِ وَ كَذَلِکَ سَمَّيْنَاهُ لَطِيفاً لِعِلْمِهِ بِالشَّیْءِ اللَّطِيفِ مِثْلِ الْبَعُوضَةِ وَ أَخْفَى مِنْ ذَلِکَ وَ مَوْضِعِ

جهة تجسمنا و إمكاننا و نقصنا، و أيضا ليس علمنا من ذاتنا لعجزنا و علمنا حادث لحدوثنا، و ليس علمنا محيطا بحقائق ما نسمعه كما هى، لقصورنا عن الإحاطة، و كل هذه نقائص شابت ذلک الكمال، فلذا أثبتنا له سبحانه ما هو الكمال، و هو أصل العلم و نفينا عنه جميع تلک الجهات التى هى سمات النقص و العجز، و لما كان علمه سبحانه غير متصور لنا بالكنه، و رأينا الجهل فينا نقصا فنفيناه عنه، فكأنا لم نتصور من علمه تعالى إلا عدم الجهل، فإثباتنا العلم له تعالى إنما يرجع إلى نفى الجهل، لأنا لم نتصور علمه تعالى إلا بهذا الوجه، و إذا وفيت فى ذلک حق النظر وجدته نافيا لما يدعيه القائلون بالاشتراک اللفظى فى الوجود و سائر الصفات لا مثبتا له، و قد عرفت أن الأخبار الدالة على نفى التعطيل ينفى هذا القول.

قوله عليه السلام: بالسمع المعقول فى الرأس، أى الذى نتعقله فى الرأس و نحكم بأنه فيه، و اللطيف قد يكون بمعنى رقيق القوام أو عديم اللون من الأجسام أو صغير الجسم، و فيه سبحانه لا يتصور هذه الأمور لكونها من لوازم الأجسام، فقد يراد به التجرد مجازا أو بمعنى لطيف الصنعة أو العالم بلطائف الأمور كما فسر به فى هذا الخبر.

و موضع النشو منها، أى المواد التى جعلها فى أبدانها و بها ينمو و موضع نمو كل عضو و قدر نموها بحيث لا يخرج عن التناسب الطبيعى بين الأعضاء، و النشوء بالهمزة: النمو، و ربما يقرأ بكسر النون و الواو خبرا بمعنى شم الريح، جمع نشوة أى يعلم محل القوة الشامة منها، و فى التوحيد: موضع الشبق أى شهوة الجماع، و فى الاحتجاج: موضع المشى و العقل، أى موضع قواها المدركة، و الحدب محركة التعطف، و يمكن عطفه على موضع النشو و على النشو.

النَّشُوءِ مِنْهَا وَ الْعَقْلِ وَ الشَّهْوَةِ لِلسِّفَادِ وَ الْجَدَبِ عَلَى نَسْلِهَا وَ إِقَامِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ وَ نَقْلِهَا الطَّعَامَ وَ الشَّرَابَ إِلَى أَوْلَادِهَا فِي الْجِبَالِ وَ الْمَفَاوِزِ وَ الْأَوْدِيَةِ وَ الْقِفَارِ فَعَلِمْنَا أَنَّ خَالِقَهَا لَطِيفٌ بِلَا كَيْفٍ وَ إِنَّمَا الْكَيْفِيَّةُ لِلْمَخْلُوقِ الْمُكَيَّفِ وَ كَذَلِكَ سَمَّيْنَا رَبَّنَا قَوِيّاً لَا بِقُوَّةِ الْبَطْشِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَخْلُوقِ وَ لَوْ كَانَتْ قُوَّتُهُ قُوَّةَ الْبَطْشِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَخْلُوقِ لَوَقَعَ التَّشْبِيهُ وَ لَاحْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَ مَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ احْتَمَلَ النُّقْصَانَ وَ مَا كَانَ نَاقِصاً

و إقام بعضها، الإقام مصدر بمعنى الإقامة كقوله تعالى" أَقامَ الصَّلاةَ*" حذفت التاء المعوضة عن العين [الساقطة من إقوام] و أقيمت الإضافة مقامها، و يمكن عطف هذه الفقرة على علمه و على المعلومات، و الفقرات الآتية تؤيد الثانى، و القفار جمع القفر و هو مفازة لا نبات فيها و لا ماء.

قوله عليه السلام: لوقع التشبيه. قال بعض الأفاضل: أبطل كون قوته قوة البطش المعروف من المخلوقين بوجهين:

" أحدهما" لزوم وقوع التشبيه و كونه ماديا مصورا بصورة المخلوق" و ثانيهما" لزوم كونه سبحانه محتملا للزيادة لأن الموصوف بمثل هذه الكيفية لا بد لها من مادة قابلة لها متقومة بصورة جسمانية، موصوفة بالتقدر بقدر، و التناهى و التحدد بحد لا محالة فيكون لا محالة حينئذ موصوفا بالزيادة على ما دونه من ذوى الأقدار و كل موصوف بالزيادة الإضافية موصوف بالنقصان الإضافى لوجهين:

" أحدهما" أن المقادير الممكنة لأحد لها تقف عنده فى الزيادة، كما لأحد لها فى النقصان، فالمتقدر بمقدار متناه يتصف بالنقص الإضافى بالنسبة إلى بعض الممكنات، و إن لم يدخل فى الوجود.

" و ثانيهما" أنه يكون حينئذ لا محالة موصوفا بالنقص الإضافى بالنسبة إلى مجموع الموصوف بالزيادة الإضافية، و المقيس إليه، فيكون أنقص من مجموعهما، و ما كان ناقصا بالنسبة إلى غيره من الممكنات لا يكون قديما واجب الوجود لذاته

كَانَ غَيْرَ قَدِيمٍ وَ مَا كَانَ غَيْرَ قَدِيمٍ كَانَ عَاجِزاً فَرَبُّنَا تَبَارَکَ وَ تَعَالَی لَا شِبْهَ لَهُ وَ لَا ضِدَّ وَ لَا نِدَّ وَ لَا کَيْفَ وَ لَا نِهَايَةَ وَ لَا تَبْصَارَ بَصَرٍ وَ مُحَرَّمٌ عَلَی الْقُلُوبِ أَنْ تُمَثِّلَهُ وَ عَلَی

لأنه علة و مبدء لكل ما يغايره، و المبدأ المفيض أكمل و أتم من المعلول الصادر عنه المفاض عليه منه، فكل ناقص إضافى أحق بالمعلولية من المبدئية لما هو أكمل و أزيد منه، و هذا ينافى ربوبيته و يتم به المطلوب لكنه لما أراد إلزام ما هو أظهر فسادا و هو لزوم عجزه عن قوته ضم إليه قوله: و ما كان غير قديم كان عاجزا، لأنه كان معلولا لعلته و مبدئه، مسخرا له غير قوى على مقاومته.

إذا عرفت ذلک فربنا تبارک و تعالى لا شبه له لأن شبه الممكن ممكن، و لا ضد له لأن الشىء لا يضاد علته، و مقتضى العلية و المعلولية الملازمة و الاجتماع فى الوجود، فلا يجامع المضادة و لا ند له، لأن المثل المقاوم لا يكون معلولا و لا قديم سواه بدليل التوحيد، و لا كيف له لكونه تاما كاملا فى ذاته، غير محتمل لما يفقده و لا نهاية له لتعاليه عن التقدر و القابلية لما يغايره.

و لا يبصار بصر، و فى بعض النسخ و لا تبصار بالتاء، أى التبصر بالبصر، و محرم على القلوب أن تمثله أى أن يجعل حقيقته موجودا ظليا مثاليا، و يأخذ منه حقيقة كلية معقولة لكونه واجب الوجود بذاته لا تنفک حقيقته عن كونه موجودا عينيا شخصيا، و على الأوهام أن تحده لعجزها عن أخذ المعانى الجزئية عما لا يحصل فى القوى و الأذهان، و لا يحاط بها فلا تأخذ منه صورة جزئية، و على الضمائر أن تكونه الضمير السر و داخل الخاطر و البال، و يطلق على محله كما أن الخاطر فى الأصل ما يخطر بالبال و يدخله، ثم أطلق على محله، و التكوين التحريک، و المعنى أنه محرم على ما يدخل الخواطر أن يدخله، و ينقله من حال إلى حال، لاستحالة قبوله لما يغايره، أو المراد بالضمائر خواطر الخلق و قواهم الباطنة، و أنه يستحيل أن يخرجه من الغيبة إلى الحضور و الظهور عليهم، أى ليس لها أن تجعله بأفعالها متنزلا إلى مرتبة الحضور عندهم.

الْأَوْهَامِ أَنْ تَحُدَّهُ وَ عَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تُكَوِّنَهُ جَلَّ وَ عَزَّ عَنْ أَدَاةِ خَلْقِهِ وَ سِمَاتِ بَرِيَّتِهِ وَ تَعَالَى عَنْ ذَلِکَ عُلُوّاً کَبِیراً

8 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَمَّنْ ذَکَرَهُ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ اللَّهُ أَکْبَرُ فَقَالَ اللَّهُ أَکْبَرُ مِنْ أَیِّ شَیْءٍ فَقَالَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع حَدَّدْتَهُ فَقَالَ الرَّجُلُ کَیْفَ أَقُولُ قَالَ قُلْ اللَّهُ أَکْبَرُ مِنْ أَنْ یُوصَفَ

9 وَ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ مَرْوَکِ بْنِ عُبَیْدٍ عَنْ جُمَیْعِ بْنِ عُمَیْرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع أَیُّ شَیْءٍ اللَّهُ أَکْبَرُ فَقُلْتُ اللَّهُ أَکْبَرُ مِنْ

أقول: و یحتمل أن یکون دلیلا علی امتناع حصوله فی المعقول و الضمائر، لأنه یلزم أن یکون حقیقته سبحانه مکونة مخلوقة و لو فی الوجود الذهنی، و هو متعال عن ذلک" عن أداة خلقه" أی آلتهم التی بها یفعلون و یحتاجون فی أفعالهم إلیها و" سمات بریته" أی صفاتهم.

الحديث الثامن

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام: من أي شىء، هذا استعلام عن مراد القائل أنه هل أراد اتصافه سبحانه بالشدة أو الزيادة فى الكبر الذى يعقل فى المخلوقين، فيلزم اتصافه بالكبر الإضافى أو أراد نفى اتصافه سبحانه بما يعقل عن الصفات فى المخلوقات، و لما أجاب القائل بقوله: من كل شىء، علم أنه أراد الأول فنبه على فساده بقوله حددته، لأن المتصف بصفات الخلق محدود بحدود الخلق، غير خارج عن مرتبتهم، فلما علم القائل خطاءه قال: كيف أقول؟ فأجاب عليه السلام بقوله: قل: الله أكبر من أن يوصف، و معناه اتصافه بنفى صفات المخلوقات عنه و تعاليه عن أن يتصف بها.

الحديث التاسع

: مجهول.
قوله عليه السلام: أی شیء الله أكبر؟ أی ما المراد به و ما معناه؟

كُلِّ شَيْءٍ فَقَالَ وَ كَانَ ثَمَّ شَيْءٌ فَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ فَقُلْتُ وَ مَا هُوَ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ
10 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ سُبْحَانَ اللَّهِ فَقَالَ أَنَفَةٌ لِلَّهِ
11 أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ سُلَيْمَانَ مَوْلَى طَرْبَالٍ عَنْ هِشَامٍ الْجَوَالِيقِيِّ قَالَ- سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ سُبْحانَ اللَّهِ مَا يُعْنَى بِهِ قَالَ تَنْزِيهُهُ
12 عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى جَمِيعاً عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ- سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَ ع مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ فَقَالَ إِجْمَاعُ الْأَلْسُنِ عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

قوله عليه السلام: و كان ثم شيء؟ استفهام للإنكار أى أ كان فى مرتبة تدانى مرتبته سبحانه، و يصح فيها النسبة بينه و بين غيره شيء، و الحاصل أنه يضمحل فى جنب عظمته و جلاله كل شيء، فلا وجه للمقايسة، أو المعنى أنه لم يكن فى الأزل شيء، و كانت هذه الكلمة صادقة فى الأزل، و الأول أعلى و أظهر.

الحديث العاشر

: صحيح.
قوله عليه السلام: أنفة لله، أى براءة و تعال و تنزه له سبحانه عن صفات المخلوقات و نصب سبحان على المصدر، أى أسبح الله سبحانا يليق به و يقال: أنف منه أى استنكف.

الحديث الحادى عشر

: ضعيف.

الحديث الثانى عشر

: صحيح.
قوله عليه السلام: إجماع الألسن، أى معنى الواحد فى أسمائه و صفاته سبحانه ما أجمع عليه الألسن من وحدانيته و تفرده بالخالقية و الألوهية، كقوله:" وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ*" أى جميع الخلق إذا راجعوا إلى أنفسهم و جانبوا الأغراض الفاسدة التى صرفتهم

مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
بَابٌ آخَرُ وَ هُوَ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ زِيَادَةً وَ هُوَ الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْمَعَانِى الَّتِى تَحْتَ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَ أَسْمَاءِ الْمَخْلُوقِينَ
1 عَلِىُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ الْهَمْدَانِىِّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِىِّ جَمِيعاً عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِىِّ عَنْ أَبِى الْحَسَنِ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ الْمُشَبِّهَةُ لَمْ يُعْرَفِ

عن مقتضى عقولهم، أو المراد به مشركو مكة، فإن شركهم كان فى المعبودية لا الخالقية، و يحتمل أن يكون الواحد فى الله سبحانه موضوعا شرعا لهذا المعنى، أى من أجمعت الألسن على وحدانيته.

باب آخر و هو من الباب الأول إلا أن فيه زيادة، و هو الفرق ما بين المعانى تحت أسماء الله و أسماء المخلوقين

: مجهول، و أبو الحسن عليه السلام يحتمل الثانى و الثالث عليهما السلام
قال ابن الغضائرى: اختلفوا فى أن مسئول فتح بن يزيد هو الرضا عليه السلام أم الثالث، و صرح الصدوق بأنه الرضا عليه السلام.
قوله عليه السلام: لم يعرف الخالق، فى التوحيد هكذا" وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، منشئ الأشياء و مجسم الأجسام و مصور الصور، و لو كان كما يقولون لم يعرف" و هو أصوب، و المعنى أنه لو كان قول المشبهة حقا لم يتميز الخالق من المخلوق، لاشتراكهما فى الصفات الإمكانية، و على ما فى الكتاب: المعنى: لا يمكن معرفة الخالق من المخلوق، و بالمقايسة إليه، إذ ليس المخلوق ذاتيا لخالقه و لا مرتبطا به

الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ- وَ لَا الْمُنْشِئُ مِنَ الْمُنْشَإِ لَكِنَّهُ الْمُنْشِئُ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَّمَهُ وَ صَوَّرَهُ وَ أَنْشَأَهُ إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَ لَا يُشْبِهُ هُوَ شَيْئاً قُلْتُ أَجَلْ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ لَكِنَّكَ قُلْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ وَ قُلْتَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَ الْإِنْسَانُ وَاحِدٌ أَ لَيْسَ قَدْ تَشَابَهَتِ الْوَحْدَانِيَّةُ قَالَ يَا فَتْحُ أَحَلْتَ ثَبَّتَكَ اللَّهُ إِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعَانِي فَأَمَّا فِي الْأَسْمَاءِ فَهِيَ وَاحِدَةٌ وَ هِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْمُسَمَّى وَ ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَ إِنْ قِيلَ وَاحِدٌ

ارتباطا يصحح الحمل و القول عليه، و المراد بالخلق إما مطلق الإيجاد، فقوله: و لا المنشئ، من المنشأ كالمفسر و المؤكد له، أو المراد به التقدير و التصوير، فقوله: و لا المنشأ تعميم، و الضمير فى لكنه إما للشأن أو راجع إليه سبحانه.

قوله: فرق، إما اسم أى الفرق و الامتياز لازم بينه سبحانه و بين من جسمه أى أوجده جسما، أو أعطاه حقيقة الجسمية، و صوره أى أوجده متصورا بصورة خاصة و أنشأه من العدم، فقوله: إذ كان تعليل لعدم المعرفة أو الفرق، أو فعل، أى فرق و باين بين المهيات و صفاتها و لوازمها، و جعل لكل منها حقيقة خاصة و صفة مخصوصة فقوله:" إذ" يحتمل الظرفية و التعليل، فعلى الأول، المعنى: أنه خلقها فى وقت لم يكن متصفا بشىء من تلك الحقائق و الصفات، و لم يكن فى شىء منها شبيها بالمخلوقات و على الثانى لعل المعنى أنه أعطى المخلوقات المهيات المتباينة و الصفات المتضادة لأنه لم يكن يشبهه شيئا منها، إذ لو كان متصفا بأحد تلك الأضداد لم يكن معطيا لضدها، إذ لو كان حارا مثلا لم يكن معطيا و مفيضا للبرودة، فلما لم يكن متصفا بشىء منهما صار علة لكل منهما فيما يستحقه من المواد، و أيضا لو كان مشاركا لبعضها فى المهية لم يكن معطيا تلك المهية غيره، و إلا لزم كون الشىء علة لنفسه.

قوله عليه السلام: أحلت، أى أتيت بالمحال و قلت به، ثبتك الله، أى على الحق.

قوله عليه السلام: إنما التشبيه بالمعانى، أى التشبيه الممنوع منه إنما هو تشبيه معنى حاصل فيه تعالى بمعنى حاصل للخلق، لا محض إطلاق لفظ واحد عليه تعالى، و على الخلق بمعنيين متغايرين، أو المعنى أنه ليس التشبيه هنا فى كنه الحقيقة و الذات،

فَإِنَّهُ يُخْبَرُ أَنَّهُ جُثَّةٌ وَاحِدَةٌ وَ لَيْسَ بِاثْنَيْنِ وَ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ لَيْسَ بِوَاحِدٍ لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ وَ أَلْوَانَهُ مُخْتَلِفَةٌ وَ مَنْ أَلْوَانُهُ مُخْتَلِفَةٌ غَيْرُ وَاحِدٍ وَ هُوَ أَجْزَاءٌ مُجَزَّاةٌ لَيْسَتْ بِسَوَاءٍ دَمُهُ غَيْرُ لَحْمِهِ وَ لَحْمُهُ غَيْرُ دَمِهِ وَ عَصَبُهُ غَيْرُ عُرُوقِهِ وَ شَعْرُهُ غَيْرُ بَشَرِهِ وَ سَوَادُهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ وَ كَذَلِكَ سَائِرُ جَمِيعِ الْخَلْقِ فَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ فِی الِاسْمِ وَ لَا وَاحِدٌ فِی الْمَعْنَی وَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ وَاحِدٌ لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَ لَا تَفَاوُتَ وَ لَا زِيَادَةَ وَ لَا نُقْصَانَ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ الْمَخْلُوقُ الْمَصْنُوعُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ جَوَاهِرَ شَتَّی غَيْرَ أَنَّهُ بِالِاجْتِمَاعِ شَیْءٌ وَاحِدٌ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ فَرَّجْتَ عَنِّی فَرَّجَ اللَّهُ عَنْکَ فَقَوْلَکَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فَسِّرْهُ لِی کَمَا فَسَّرْتَ الْوَاحِدَ فَإِنِّی أَعْلَمُ أَنَّ لُطْفَهُ عَلَی خِلَافِ لُطْفِ خَلْقِهِ لِلْفَصْلِ غَيْرَ أَنِّی أُحِبُّ أَنْ تَشْرَحَ ذَلِکَ لِی فَقَالَ يَا فَتْحُ إِنَّمَا قُلْنَا اللَّطِيفُ لِلْخَلْقِ اللَّطِيفِ وَ لِعِلْمِهِ

و إنما التشبيه فی المفهومات الكلية التی هی مدلولات الألفاظ، و تصدق عليه سبحانه كما مر تحقيقه، فأما فی الأسماء فهی واحدة، أی الأسماء التی تطلق عليه تعالی، و علی الخلق واحدة، لكنها لا توجب التشابه، إذ الأسماء دالة علی المسميات، و ليس عينها حتی يلزم الاشتراک فی حقيقة الذات و الصفات، ثم بين عليه السلام عدم كون التشابه فی المعنی فی اشتراک لفظ الواحد بينه و بين خلقه تعالی، بأن الوحدة فی المخلوق هی الوحدة الشخصية التی تجتمع مع أنواع التكثرات، و ليست إلا تألف أجزاء و اجتماع أمور متكثرة، و وحدته سبحانه هی نفی التجزی و الكثرة و التعدد عنه سبحانه مطلقا، و قوله عليه السلام: فأما الإنسان، فيحتمل أن يكون كل من المخلوق و المصنوع و المؤلف و الظرف خبرا، و إن كان الأول أظهر.

قوله عليه السلام: للفصل. بالصاد المهملة، أی للفرق الظاهر بينه و بين خلقه، أو بالمعجمة أی لما بينت من فضله علی المخلوق.

قوله عليه السلام: إنما قلنا اللطيف، قيل: إن اللطيف هو الشیء الدقيق، ثم استعمل فيما هو سبب، و مبدء للدقيق من القوة علی صنعه و العلم به، فيقال لعامله:

إنه دق و لطف بصنعه، و هو صانع دقيق فی صنعه، و العالم به أنه دق و لطف بدركه،

ص: 53
بِالشَّیْءِ اللَّطِیفِ أَ وَ لَا تَرَی وَفَّقَکَ اللَّهُ وَ ثَبَّتَکَ إِلَی أَثَرِ صُنْعِهِ فِی النَّبَاتِ اللَّطِیفِ وَ غَیْرِ اللَّطِیفِ وَ مِنَ الْخَلْقِ اللَّطِیفِ وَ مِنَ الْحَیَوَانِ الصِّغَارِ وَ مِنَ الْبَعُوضِ وَ الْجِرْجِسِ وَ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهَا مَا لَا یَکَادُ تَسْتَبِینُهُ الْعُیُونُ بَلْ لَا یَکَادُ یُسْتَبَانُ لِصِغَرِهِ الذَّکَرُ مِنَ الْأُنْثَی وَ الْحَدَثُ الْمَوْلُودُ مِنَ الْقَدِیمِ فَلَمَّا رَأَیْنَا صِغَرَ ذَلِکَ فِی لُطْفِهِ وَ اهْتِدَاءَهُ لِلسِّفَادِ وَ الْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ وَ الْجَمْعَ لِمَا یُصْلِحُهُ وَ مَا فِی لُجَجِ الْبِحَارِ وَ مَا فِی لِحَاءِ الْأَشْجَارِ وَ الْمَفَاوِزِ وَ الْقِفَارِ وَ إِفْهَامَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ مَنْطِقَهَا وَ مَا یَفْهَمُ بِهِ أَوْلَادُهَا عَنْهَا وَ نَقْلَهَا الْغِذَاءَ إِلَیْهَا ثُمَّ تَأْلِیفَ أَلْوَانِهَا حُمْرَةٍ مَعَ صُفْرَةٍ وَ بَیَاضٍ مَعَ حُمْرَةٍ وَ أَنَّهُ مَا لَا تَکَادُ عُیُونُنَا تَسْتَبِینُهُ لِدَمَامَةِ خَلْقِهَا لَا تَرَاهُ عُیُونُنَا وَ لَا تَلْمِسُهُ أَیْدِینَا عَلِمْنَا أَنَّ خَالِقَ هَذَا الْخَلْقِ لَطِیفٌ لَطُفَ بِخَلْقِ مَا سَمَّیْنَاهُ

و هو عالم دقیق فی درکه. و قوله علیه السلام و لعلمه: لیس الواو فی بعض النسخ فهو بدل للخلق أو علة له، و قال الجوهری: صغر الشیء فهو صغیر و صغار بالضم، و قال:
الجرجس: البعوض الصغار فهو من قبیل عطف الخاص علی العام.
قوله علیه السلام: فی لطفه، أی مع لطف ذلک المخلوق أو بسبب لطفه سبحانه و السفاد بالکسر: نزو الذکر علی الأنثی، و لجة البحر معظمه، و اللحاء بالکسر و المد: قشر الشجر، و" إفهام" إما بالکسر أو بالفتح، و یؤید الأخیر ما فی العیون: و فهم بعض عن بعض، و قال السید الداماد رحمه الله: الدمامة بفتح الدال المهملة و بمیمین عن حاشیتی الألف: القصر و القبح، یقال رجل دمیم و به دمامة إذا کان قصیر الجثة، حقیر الجثمان قبیح الخلقة، و أما الذمامة بإعجام الذال بمعنی القلة، من قولهم بئر ذمة بالفتح أی قلیل الماء، و فی هذا المقام تصحیف" انتهی".
و أقول: فلما کان لسائل أن یقول: اللطف بهذا المعنی أیضا یطلق علی المخلوق فیقال: صانع لطیف، فأشار علیه السلام إلی جواب ذلک بقوله: بلا علاج و لا أداة و لا آلة، و الحاصل أن لطفه سبحانه لیس علی ما یعقل فی المخلوقین، بأی معنی کان، بل یرجع إلی نفی العجز عن خلق الدقیق، و نفی الجهل بالدقیق، فأما کیفیة خلقه و کنه علمه

ص: 54
بِلَا عِلَاجٍ وَ لَا أَدَاةٍ وَ لَا آلَةٍ وَ أَنَّ كُلَّ صَانِعِ شَیْءٍ فَمِنْ شَیْءٍ صَنَعَ وَ اللَّهُ الْخَالِقُ اللَّطِیفُ الْجَلِیلُ خَلَقَ وَ صَنَعَ لَا مِنْ شَیْءٍ
2 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ مُرْسَلًا عَنْ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا ع قَالَ قَالَ اعْلَمْ عَلَّمَکَ اللَّهُ الْخَیْرَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی قَدِیمٌ وَ الْقِدَمُ صِفَتُهُ الَّتِی دَلَّتِ الْعَاقِلَ عَلَی أَنَّهُ لَا شَیْءَ قَبْلَهُ وَ لَا شَیْءَ مَعَهُ فِی دَیْمُومِیَّتِهِ فَقَدْ بَانَ لَنَا بِإِقْرَارِ الْعَامَّةِ مُعْجِزَةُ الصِّفَةِ أَنَّهُ

فهو مستور عنا، و قال الجزری: فی أسماء الله تعالی اللطیف، و هو الذی اجتمع له الرفق فی الفعل و العلم بدقائق المصالح و إیصالها إلی من قدرها له من خلقه، یقال:
لطف له بالفتح یلطف لطفا إذا رفق به، و أما لطف بالضم یلطف فمعناه صغر و دق.

: مرسل و المراد بالقدم وجوب الوجود.
قوله عليه السلام فقد بأن لنا بإقرار العامة: الإقرار إما من أقر بالحق إذا اعترف به، أو من أقر الحق فى مكانه فاستقر هو، ف قوله عليه السلام: معجزة الصفة على الأول منصوب بنزع الخافض، و على الثانى منصوب على المفعولية، و المعجزة اسم فاعل من أعجزته بمعنى وجدته عاجزا أو جعلته عاجزا أو من أعجزه الشىء بمعنى فاته، و إضافتها إلى الصفة المراد بها القدم، من إضافة الصفة إلى الموصوف، و إنما وصفها بالإعجاز لأنها تجدهم أو تجعلهم لنباهة شأنها، عاجزين عن إدراكهم كنهها، أو عن اتصافهم بها، أو عن إنكارهم لها، أو لأنها تفوتهم، و هم فاقدون لها.
و يحتمل أن تكون المعجزة مصدر عجز عن الشىء عجزا و معجزة بفتح الميم و كسر الجيم و فتحها، أى إقرارهم بعجزهم عن الاتصاف بتلك الصفة، و يمكن أن يقرأ على بناء المفعول بأن يكون حالا عن العامة أو صفة لها، أى بإقرارهم موصوفين بالعجز عن ترک الإقرار، أو و الحال أن صفة القدم أعجزتهم و ألجأتهم إلى الإقرار فالمقر به و البين شىء واحد، و هو قوله: أن لا شىء قبل الله، لكن فى الحالية و أول احتمالى الوصفية مناقشة.
و قال بعض الأفاضل: المراد بقوله: إقرار العامة إذعانهم، أو الإثبات، و على

لَا شَیْءَ قَبْلَ اللَّهِ وَ لَا شَیْءَ مَعَ اللَّهِ فِی بَقَائِهِ وَ بَطَلَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ کَانَ قَبْلَهُ أَوْ کَانَ مَعَهُ شَیْءٌ وَ ذَلِکَ أَنَّهُ لَوْ کَانَ مَعَهُ شَیْءٌ فِی بَقَائِهِ لَمْ یَجُزْ أَنْ یَکُونَ خَالِقاً لَهُ لِأَنَّهُ لَمْ یَزَلْ مَعَهُ فَکَیْفَ یَکُونُ خَالِقاً لِمَنْ لَمْ یَزَلْ مَعَهُ وَ لَوْ کَانَ قَبْلَهُ شَیْءٌ کَانَ الْأَوَّلَ ذَلِکَ الشَّیْءُ لَا هَذَا وَ کَانَ الْأَوَّلُ أَوْلَی بِأَنْ یَکُونَ خَالِقاً لِلْأَوَّلِ ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی بِأَسْمَاءٍ دَعَا الْخَلْقَ إِذْ خَلَقَهُمْ وَ تَعَبَّدَهُمْ وَ ابْتَلَاهُمْ إِلَی أَنْ یَدْعُوهُ بِهَا فَسَمَّی نَفْسَهُ سَمِیعاً بَصِیراً قَادِراً قَائِماً نَاطِقاً ظَاهِراً بَاطِناً لَطِیفاً خَبِیراً قَوِیّاً عَزِیزاً حَکِیماً عَلِیماً وَ مَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ فَلَمَّا رَأَی ذَلِکَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْقَالُونَ الْمُکَذِّبُونَ وَ قَدْ سَمِعُونَا

الأول متعلق الإذعان إما معجزة الصفة بحذف الصلة، أو محذوف، أی إقرار العامة بأنه خالق کل شیء و معجزة الصفة صفة للإقرار، أو بدل عنه أی إقرار العامة بأنه خالق کل شیء معجزة الصفة، أی صفة الخالقیة لکل شیء، أو صفة القدم، لا یسع أحدا أن ینکره، و أما علی الثانی فمعجزة الصفة من إضافة الصفة إلی الموصوف، أی الصفة التی هی معجزة لهم عن أن لا یثبتوا له خالقیة کل شیء أو المعجزة بمعناه المتعارف و الإضافة لامیة، أی إثباتهم الخالقیة للکل معجزة هذه الصفة، حیث لا یسعهم أن ینکروها و إن أرادوا الإنکار، و یحتمل أن یکون معجزة الصفة فاعل بأن و یکون قوله: إنه لا شیء قبل الله، بیانا أو بدلا لمعجزة الصفة" انتهی".
أقول: لا یخفی أنه یدل علی أنه لا قدیم سوی الله، و علی أن التأثیر لا یعقل إلا فی الحادث، و أن القدم مستلزم لوجوب الوجود.
قوله علیه السلام ثم وصف: أی سمی نفسه بأسماء بالتنوین، دعاء الخلق بالنصب أی لدعائهم، و یحتمل إضافة الأسماء إلی الدعاء و الأظهر أنه علی صیغة الفعل کما فی التوحید و العیون، و قوله: إلی أن یدعوه متعلق به، أو بالابتلاء أیضا علی التنازع، لکن فی أکثر نسخ الکتاب مهموز.
قوله علیه السلام و ابتلاهم: أی بالمصائب و الحوائج أو ألجأهم إلی أن یدعوه بتلک الأسماء.

نُحَدِّثُ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَ لَا شَيْءَ مِنَ الْخَلْقِ فِی حَالِهِ قَالُوا أَخْبِرُونَا إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لِلَّهِ وَ لَا شِبْهَ لَهُ كَيْفَ شَارَكْتُمُوهُ فِی أَسْمَائِهِ الْحُسْنَی فَتَسَمَّيْتُمْ بِجَمِيعِهَا فَإِنَّ فِی ذَلِکَ دَلِيلًا عَلَی أَنَّكُمْ مِثْلُهُ فِی حَالاتِهِ كُلِّهَا أَوْ فِی بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ إِذْ جَمَعْتُمُ الْأَسْمَاءَ الطَّيِّبَةَ قِيلَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی أَلْزَمَ الْعِبَادَ أَسْمَاءً مِنْ أَسْمَائِهِ عَلَی اخْتِلَافِ الْمَعَانِی- وَ ذَلِکَ كَمَا يَجْمَعُ الِاسْمُ الْوَاحِدُ مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ وَ الدَّلِيلُ عَلَی ذَلِکَ قَوْلُ النَّاسِ الْجَائِزُ عِنْدَهُمُ الشَّائِعُ وَ هُوَ الَّذِی خَاطَبَ اللَّهُ بِهِ الْخَلْقَ فَكَلَّمَهُمْ بِمَا يَعْقِلُونَ لِيَكُونَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً فِی تَضْيِيعِ مَا ضَيَّعُوا فَقَدْ يُقَالُ لِلرَّجُلِ كَلْبٌ وَ حِمَارٌ وَ ثَوْرٌ وَ سُكَّرَةٌ وَ عَلْقَمَةٌ وَ أَسَدٌ كُلُّ ذَلِکَ عَلَی خِلَافِهِ وَ حَالاتِهِ لَمْ تَقَعِ الْأَسَامِی عَلَی مَعَانِيهَا الَّتِی كَانَتْ بُنِيَتْ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِأَسَدٍ وَ لَا كَلْبٍ فَافْهَمْ ذَلِکَ رَحِمَکَ اللَّهُ وَ إِنَّمَا سُمِّیَ اللَّهُ تَعَالَی بِالْعِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ حَادِثٍ عَلِمَ بِهِ الْأَشْيَاءَ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَی حِفْظِ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ أَمْرِهِ وَ الرَّوِيَّةِ فِيمَا يَخْلُقُ مِنْ خَلْقِهِ وَ يُفْسِدُ مَا مَضَی مِمَّا أَفْنَی مِنْ

قوله عليه السلام: و الدليل على ذلک، أی على إطلاق اللفظ الواحد على المعنيين المختلفين، و القول الشائع هو ما فسره عليه السلام بقوله: و قد يقال، و فی التوحيد و غيره السائغ، أی الجائز، و العلقم شجر مر، و يقال: للحنظل و لكل شیء مر علقم.

قوله عليه السلام: على خلافه، أی على خلاف موضعه الأصلی.

قوله: و حالاته، عطف على الضمير المجرور فی خلافه بدون إعادة الجار و هو مجوز، أو الواو بمعنی مع، أو يقدر المضاف، و فی العيون و غيره: على خلافه لأنه لم يقع، و هو أظهر.

قوله عليه السلام: و الروية، عطف على الحفظ، و قوله: و يفسد عطف على قوله يخلق و قوله: ما مضی بدل من الموصول، أو قوله: و يفسد حال، أی فيما يخلق من خلقه و الحال أنه يفسد عنه خلقه ما مضی، قوله: و يعينه كذا فی بعض النسخ من التعيين أی من العلم الذی لو لم يحضر العالم ذلک العلم و يعينه و يحصله تعيينا و تحصيلا لا

خَلْقِهِ مِمَّا لَوْ لَمْ يَحْضُرْهُ ذَلِکَ الْعِلْمُ وَ يَغِيبُهُ كَانَ جَاهِلًا ضَعِيفاً كَمَا أَنَّا لَوْ رَأَيْنَا عُلَمَاءَ الْخَلْقِ إِنَّمَا سُمُّوا بِالْعِلْمِ لِعِلْمٍ حَادِثٍ إِذْ كَانُوا فِيهِ جَهَلَةً وَ رُبَّمَا فَارَقَهُمُ الْعِلْمُ بِالْأَشْيَاءِ فَعَادُوا إِلَى الْجَهْلِ وَ إِنَّمَا سُمِّيَ اللَّهُ عَالِماً لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئاً فَقَدْ جَمَعَ الْخَالِقَ وَ الْمَخْلُوقَ اسْمُ الْعَالِمِ وَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى عَلَى مَا رَأَيْتَ وَ سُمِّيَ رَبُّنَا سَمِيعاً لَا بِخَرْتٍ فِيهِ يَسْمَعُ بِهِ الصَّوْتَ وَ لَا يُبْصِرُ بِهِ كَمَا أَنَّ خَرْتَنَا الَّذِي بِهِ نَسْمَعُ لَا نَقْوَى بِهِ عَلَى الْبَصَرِ وَ لَكِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ لَيْسَ عَلَى حَدِّ مَا سُمِّينَا نَحْنُ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ بِالسَّمْعِ وَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَ هَكَذَا الْبَصَرُ لَا بِخَرْتٍ مِنْهُ أَبْصَرَ كَمَا أَنَّا نُبْصِرُ بِخَرْتٍ مِنَّا لَا نَنْتَفِعُ بِهِ فِي غَيْرِهِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ لَا يَحْتَمِلُ شَخْصاً مَنْظُوراً إِلَيْهِ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَ هُوَ قَائِمٌ لَيْسَ عَلَى مَعْنَى انْتِصَابٍ وَ قِيَامٍ عَلَى سَاقٍ فِي كَبَدٍ كَمَا قَامَتِ الْأَشْيَاءُ

يكون له إلا بحصوله بعد خلوه عنه بذاته كان جاهلا، و فى بعض النسخ و لغيبة من الغيبة فيكون عطفا على النفى و مفسرا له أو حالا، و فى العيون و غيره و يعنه و هو الصواب، و فى بعض نسخ العيون و تفنية ما مضى أى إفناءها، و فى بعض نسخ التوحيد و تقفية ما مضى بما أفنى أي جعل بعض ما يفنى فى قفاء ما مضى، أى يكون مستحضرا لما مضى مما أعدمه سابقا حتى يفنى ما يفنى بعده على طريقته، و على التقديرين معطوف على الموصول.

قوله عليه السلام: لا بخرت، هو بالفتح و الضم الثقب فى الأذن و غيرها.

قوله عليه السلام: فقد جمعنا، بسكون العين على صيغة المتكلم أو بفتحها على صيغة الغائب، و الاسم على الأول منصوب، و على الثانى مرفوع.

قوله عليه السلام: لا يحتمل شخصا، أى لا يقبل مثاله و لا ينطبع صورته الذهنى و شبحه فيه، فيدل على أن الإبصار بالانطباع لا بخروج الشعاع، و فى العيون و التوحيد:

لا يجهل شخصا و هو أظهر، و الكبد بالتحريک: المشقة و التعب، و القضافة بالقاف و الضاد المعجمة ثم الفاء: الدقة و النحافة.

وَ لَكِنْ قَائِمٌ يُخْبِرُ أَنَّهُ حَافِظٌ كَقَوْلِ الرَّجُلِ الْقَائِمُ بِأَمْرِنَا فُلَانٌ وَ اللَّهُ هُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ الْقَائِمُ أَيْضاً فِی کَلَامِ النَّاسِ الْبَاقِی وَ الْقَائِمُ أَيْضاً يُخْبِرُ عَنِ الْكِفَايَةِ كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ قُمْ بِأَمْرِ بَنِی فُلَانٍ أَیِ اكْفِهِمْ وَ الْقَائِمُ مِنَّا قَائِمٌ عَلَى سَاقٍ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَ لَمْ نَجْمَعِ الْمَعْنَى وَ أَمَّا اللَّطِيفُ فَلَيْسَ عَلَى قِلَّةٍ وَ قَضَافَةٍ وَ صِغَرٍ وَ لَكِنْ ذَلِكَ عَلَى النَّفَاذِ فِی الْأَشْيَاءِ وَ الِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُدْرَكَ كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ لَطُفَ عَنِّی هَذَا الْأَمْرُ وَ لَطُفَ فُلَانٌ فِی مَذْهَبِهِ وَ قَوْلِهِ يُخْبِرُكَ أَنَّهُ غَمَضَ فِيهِ الْعَقْلُ وَ فَاتَ الطَّلَبُ وَ عَادَ مُتَعَمِّقاً مُتَلَطِّفاً لَا يُدْرِكُهُ الْوَهْمُ فَكَذَلِكَ لَطُفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَنْ أَنْ يُدْرَكَ بِحَدٍّ أَوْ يُحَدَّ بِوَصْفٍ وَ اللُّطَافَةُ مِنَّا الصِّغَرُ وَ الْقِلَّةُ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَ أَمَّا الْخَبِيرُ فَالَّذِی لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَیْءٌ وَ لَا يَفُوتُهُ لَيْسَ لِلتَّجْرِبَةِ وَ لَا لِلِاعْتِبَارِ بِالْأَشْيَاءِ فَعِنْدَ التَّجْرِبَةِ وَ الِاعْتِبَارِ عِلْمَانِ وَ لَوْ لَا هُمَا مَا عُلِمَ لِأَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ جَاهِلًا وَ اللَّهُ لَمْ يَزَلْ خَبِيراً بِمَا يَخْلُقُ وَ الْخَبِيرُ مِنَ النَّاسِ الْمُسْتَخْبِرُ عَنْ جَهْلِ الْمُتَعَلِّمُ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى

قوله عليه السلام: و فات الطلب، أی فات ذلک الشیء عن الطلب فلا يدركه الطلب، أو فات عن العقل الطلب فلا يمكنه طلبه، و يحتمل على هذا أن يكون الطلب بمعنى المطلوب" و عاد" أی العقل أو الوهم على التنازع، أو ذلک الشیء فالمراد أنه صار ذا عمق و لطافة و دقة لا يدركه الوهم لبعد عمقه و غاية دقته، و تفصيله: أنه يمكن أن يقرأ الطلب مرفوعا و منصوبا، فعلى الأول يكون فات لازما أی ضاع و ذهب الطلب، و على الثانی فضمير الفاعل إما راجع إلى الأمر المطلوب، أی لا يدرک الطلب ذلک الأمر كما ورد فی الدعاء" لا يفوته هارب" أو إلى العقل على الوجهين المذكورين، و ربما يحمل الطلب على الطالب بإرجاع ضمير الفاعل إلى الأمر، و ربما يقال: يعود ضمير الفاعل فی عاد إلى الطلب، و تقدير القول فی قوله: لا يدركه وهم، أی يعود الطلب أو الطالب متعمقا متلطفا قائلا لا يدركه و هم، و لا يخفى بعده، و سنام كل شیء: أعلاه

وَ أَمَّا الظَّاهِرُ فَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ عَلَا الْأَشْيَاءَ بِرُكُوبِ فَوْقَهَا وَ قُعُودٍ عَلَيْهَا وَ تَسَنُّمٍ لِذُرَاهَا وَ لَكِنْ ذَلِکَ لِقَهْرِهِ وَ لِغَلَبَتِهِ الْأَشْيَاءَ وَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهَا كَقَوْلِ الرَّجُلِ ظَهَرْتُ عَلَى أَعْدَائِي وَ أَظْهَرَنِی اللَّهُ عَلَى خَصْمِي يُخْبِرُ عَنِ الْفَلْجِ وَ الْغَلَبَةِ فَهَكَذَا ظُهُورُ اللَّهِ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَ وَجْهٌ آخَرُ أَنَّهُ الظَّاهِرُ لِمَنْ أَرَادَهُ وَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَ أَنَّهُ مُدَبِّرٌ لِكُلِّ مَا بَرَأَ فَأَیُّ ظَاهِرٍ أَظْهَرُ وَ أَوْضَحُ مِنَ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى لِأَنَّکَ لَا تَعْدَمُ صَنْعَتَهُ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ وَ فِيکَ مِنْ آثَارِهِ مَا يُعْنِيکَ وَ الظَّاهِرُ مِنَّا الْبَارِزُ بِنَفْسِهِ وَ الْمَعْلُومُ بِحَدِّهِ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَ لَمْ يَجْمَعْنَا الْمَعْنَى وَ أَمَّا الْبَاطِنُ فَلَيْسَ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِبْطَانِ لِلْأَشْيَاءِ بِأَنْ يَغُورَ فِيهَا وَ لَكِنْ ذَلِکَ مِنْهُ عَلَى اسْتِبْطَانِهِ لِلْأَشْيَاءِ عِلْماً وَ حِفْظاً وَ تَدْبِيراً كَقَوْلِ الْقَائِلِ أَبْطَنْتُهُ يَعْنِی خَبَّرْتُهُ وَ عَلِمْتُ مَكْتُومَ سِرِّهِ وَ الْبَاطِنُ مِنَّا الْغَائِبُ فِی الشَّیْءِ الْمُسْتَتِرُ وَ قَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَ أَمَّا الْقَاهِرُ فَلَيْسَ عَلَى مَعْنَى عِلَاجٍ وَ نَصَبٍ وَ احْتِيَالٍ وَ مُدَارَاةٍ وَ مَكْرٍ كَمَا يَقْهَرُ الْعِبَادُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَ الْمَقْهُورُ مِنْهُمْ يَعُودُ قَاهِراً وَ الْقَاهِرُ يَعُودُ مَقْهُوراً وَ لَكِنْ ذَلِکَ مِنَ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَا خَلَقَ مُلَبَّسٌ بِهِ الذُّلُّ لِفَاعِلِهِ وَ قِلَّةُ الِامْتِنَاعِ لِمَا أَرَادَ بِهِ لَمْ

و منه تسنمه أی علاه، و الذرى بضم الذال المعجمة و كسرها جمع الذروة بهما، و هی أيضا أعلى الشیء.

قوله عليه السلام: لا يخفى عليه شیء، يحتمل إرجاع الضمير المجرور إلى الموصول، أی لا يخفى على من أراد معرفته شیء من أموره: من وجوده و علمه و قدرته و حكمته و على تقدير إرجاعه إليه تعالى لعله ذكر استطرادا، أو إنما ذكر لأنه مؤيد لكونه مدبرا لكل شیء، أو لأنه مسبب عن علية كل شیء، أو لأن ظهوره لكل شیء و ظهور كل شیء له مسببان عن تجرده تعالى، و يحتمل أن يكون وجها آخر لإطلاق الظاهر عليه تعالى، لأن فى المخلوقين لما كان المطلع على شیء حاضرا عنده ظاهرا له، جاز أن يعبر عن هذا المعنى بالظهور، و العلاج: العمل و المزاولة بالجوارح.

يَخْرُجْ مِنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَ الْقَاهِرُ مِنَّا عَلَى مَا ذَكَرْتُ وَ وَصَفْتُ فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَ اخْتَلَفَ الْمَعْنَى وَ هَكَذَا جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ وَ إِنْ كُنَّا لَمْ نَسْتَجْمِعْهَا كُلَّهَا فَقَدْ يَكْتَفِى الِاعْتِبَارُ بِمَا أَلْقَيْنَا إِلَيْکَ وَ اللَّهُ عَوْنُکَ وَ عَوْنُنَا فِى إِرْشَادِنَا وَ تَوْفِيقِنَا

بَابُ تَأْوِيلِ الصَّمَدِ

1 عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَ لَقَبُهُ

قوله عليه السلام لم يخرج منه طرفة عين: لعله يدل على أن الأشياء فى كل آن محتاجة إلى إفاضة جديدة و إيجاد جديد، و فى التوحيد طرفة عين، غير أنه يقول له و قد أشار إلى ما أومأنا إليه بهمنيار فى التحصيل و غيره، حيث قالوا: كل ممكن بالقياس إلى ذاته باطل، و به تعالى حق كما يرشد إليه قوله تعالى:" كُلُّ شَىْءٍ هالِکٌ إِلَّا وَجْهَهُ" فهو آنا فآنا يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحق: كن، و يفيض عليه الوجود بحيث لو أمسک عنه هذا القول و الإفاضة طرفة عين، لعاد إلى البطلان الذاتى و الزوال الأصلى، كما أن ضوء الشمس لو زال عن سطح المستضىء لعاد إلى ظلمته الأصلية.

باب تأويل الصمد

: ضعيف على المشهور.
و اعلم أن العلماء اختلفوا فى تفسير الصمد، فقيل: إنه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه إذا قصده، و هو السيد المقصود إليه فى الحوائج، كما ورد فى هذا الخبر، و روت العامة عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية قالا: ما الصمد؟ قال صلوات الله عليه و آله: هو السيد الذى يصمد إليه فى الحوائج، و قيل: إن الصمد هو الذى لا جوف له.

ص: 61
شَبَابٌ الصَّيْرَفِیُّ عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِیِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی جَعْفَرٍ الثَّانِی ع جُعِلْتُ فِدَاکَ مَا الصَّمَدُ قَالَ السَّیِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَیْهِ فِی الْقَلِیلِ وَ الْکَثِیرِ
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ

و قال ابن قتیبة: الدال فیه مبدلة من التاء و هو الصمت، و قال بعض اللغویین:
الصمد هو الأملس من الحجر لا یقبل الغبار و لا یدخله و لا یخرج منه شیء، فعلی الأول عبارة عن وجوب الوجود و الاستغناء المطلق و احتیاج کل شیء فی جمیع أموره إلیه، أی الذی یکون عنده ما یحتاج إلیه کل شیء، و یکون رفع حاجة الکل إلیه و لم یفقد فی ذاته شیئا مما یحتاج إلیه الکل و إلیه یتوجه کل شیء بالعبادة و الخضوع و هو المستحق لذلک، و أما علی الثانی فهو مجاز عن أنه تعالی أحدی الذات، أحدی المعنی، لیست له أجزاء لیکون بین الأجزاء جوف، و لا صفات زائدة فیکون بینها و بین الذات جوف، أو عن أنه الکامل بالذات، لیس فیه جهة استعداد و إمکان، و لا خلو له عما یلیق به، فلا یکون له جوف یصلح أن یدخله ما لیس له فی ذاته، فیستکمل به، فالجوف کنایة عن الخلو عما یصلح اتصافه به، و أما علی الثالث فهو کنایة عن عدم الانفعال و التأثر عن الغیر، و کونه محلا للحوادث کما مر عن الصادق علیه السلام:
أن الرضا دخال یدخل علیه فینقله من حال إلی حال، لأن المخلوق أجوف معتمل مرکب للأشیاء فیه مدخل، و خالقنا لا مدخل للأشیاء فیه لأنه واحد واحدی الذات واحدی المعنی، و قد ورد بکل من تلک المعانی أخبار.
و قد روی الصدوق فی التوحید و معانی الأخبار خبرا طویلا مشتملا علی معانی کثیرة للصمد، و قد نقل بعض المفسرین عن الصحابة و التابعین و الأئمة و اللغویین قریبا من عشرین معنی، و یمکن إدخال جمیعها فیما ذکرنا من المعنی الأول، لأنه لاشتماله علی الوجوب الذاتی یدل علی جمیع السلوب، و لدلالته علی کونه مبدء للکل یدل علی اتصافه بجمیع الصفات الکمالیة، و به یمکن الجمع بین الأخبار المختلفة الواردة فی هذا المعنی، و قد أوردنا الأخبار فی کتاب بحار الأنوار.

: مجهول كالصحيح، و قوله: واحد خبر إن و الجملتان

بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ السَّرِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ الَّتِی يُدْعَا بِهَا وَ تَعَالَى فِی عُلُوِّ كُنْهِهِ وَاحِدٌ تَوَحَّدَ بِالتَّوْحِيدِ فِی تَوَحُّدِهِ ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلَى خَلْقِهِ فَهُوَ وَاحِدٌ صَمَدٌ قُدُّوسٌ يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ يَصْمُدُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ وَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً

فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ فِی تَأْوِيلِ الصَّمَدِ لَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُشَبِّهَةُ أَنَّ تَأْوِيلَ الصَّمَدِ الْمُصْمَتُ الَّذِی لَا جَوْفَ لَهُ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ صِفَةِ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مُتَعَالٍ عَنْ ذَلِكَ هُوَ أَعْظَمُ وَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ تَقَعَ الْأَوْهَامُ عَلَى صِفَتِهِ أَوْ تُدْرِكَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ وَ لَوْ كَانَ تَأْوِيلُ الصَّمَدِ فِی صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُصْمَتَ لَكَانَ مُخَالِفاً لِقَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ- لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْأَجْسَامِ الْمُصْمَتَةِ الَّتِی لَا أَجْوَافَ لَهَا مِثْلِ الْحَجَرِ وَ الْحَدِيدِ وَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْمُصْمَتَةِ الَّتِی لَا أَجْوَافَ لَهَا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً فَأَمَّا مَا جَاءَ فِی الْأَخْبَارِ مِنْ ذَلِكَ- فَالْعَالِمُ ع أَعْلَمُ بِمَا قَالَ وَ هَذَا الَّذِی قَالَ ع

معترضتان، تباركت أسماؤه: أی تطهرت عن النقائص أو كثرت صفات جلاله و عظمته أو ثبتت و لا يعتريها التغير من قولهم: برک البعير بالمكان أی أقام، و كلمة" فی" فی قوله: فی علو كنهه، تعليلية، و قوله عليه السلام: توحد بالتوحيد، أی لم يكن فی الأزل أحد يوحده، فهو كان يوحد نفسه، فكان متفردا بالوجود، متوحدا بتوحيد نفسه، ثم بعد الخلق عرفهم نفسه، و أمرهم أن يوحدوه، أو المراد أن توحده لا يشبه توحد غيره، فهو متفرد بالتوحد، أو كان قبل الخلق كذلک و أجری سائر أنواع التوحد علی خلقه، إذا الوحدة تساوق الوجود أو تستلزمه، لكن وحداتهم مشوبة بأنواع الكثرة كما عرفت.

قوله: فهذا هو الصحيح، من كلام الكلينی (ره).

قوله: من ذلک، أی تفسير الصمد بالصمت فالعالم عليه السلام أعلم، أی هو عليه السلام أعلم بتفسيره و مراده، و الجمرة بالتحريک و الفتح واحدة جمرات المناسک، و القصوی: العقبة

ص: 63
إِنَّ الصَّمَدَ هُوَ السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ هُوَ مَعْنًى صَحِيحٌ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ الْمَقْصُودُ فِي اللُّغَةِ قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي بَعْضِ مَا كَانَ يَمْدَحُ بِهِ- النَّبِيَّ ص مِنْ شِعْرِهِ-
وَ بِالْجَمْرَةِ الْقُصْوَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا- يَؤُمُّونَ قَذْفاً رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ
يَعْنِي قَصَدُوا نَحْوَهَا يَرْمُونَهَا بِالْجَنَادِلِ يَعْنِي الْحَصَى الصِّغَارَ الَّتِي تُسَمَّى بِالْجِمَارِ وَ قَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ شِعْراً
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ بَيْتاً ظَاهِراً- لِلَّهِ فِي أَكْنَافِ مَكَّةَ يُصْمَدُ-
يَعْنِي يُقْصَدُ وَ قَالَ ابْنُ الزِّبْرِقَانِ-
وَ لَا رَهِيبَةَ إِلَّا سَيِّدٌ صَمَدٌ-
وَ قَالَ شَدَّادُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ-
عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ- خُذْهَا حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ-
وَ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ هُوَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي جَمِيعُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِلَيْهِ يَصْمُدُونَ فِي الْحَوَائِجِ وَ إِلَيْهِ يَلْجَئُونَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَ مِنْهُ يَرْجُونَ الرَّخَاءَ وَ دَوَامَ النَّعْمَاءِ لِيَدْفَعَ عَنْهُمُ الشَّدَائِدَ بَابُ الْحَرَكَةِ وَ الِانْتِقَالِ
1 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَرْمَكِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ الْخَرَازِينِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ع قَالَ ذُكِرَ عِنْدَهُ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

و الحصى بالفتح و القصر جمع الحصاة" ما كنت أحسب" أى أظن و" رهيبة" اسم رجل" علوته بحسام" الحسام: السيف، أى رفعته فوق رأسه، و حذيف: منادى مرخم.

باب الحركة و الانتقال

الحديث الأول

: ضعيف.

فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ وَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ إِنَّمَا مَنْظَرُهُ فِی الْقُرْبِ وَ الْبُعْدِ سَوَاءٌ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَرِيبٌ وَ لَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ بَعِيدٌ- وَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى شَیْءٍ بَلْ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَ هُوَ ذُو الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أَمَّا قَوْلُ الْوَاصِفِينَ إِنَّهُ يَنْزِلُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَنْسُبُهُ إِلَى نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ وَ كُلُّ مُتَحَرِّكٍ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يُحَرِّكُهُ أَوْ يَتَحَرَّكُ بِهِ فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هَلَكَ فَاحْذَرُوا فِی صِفَاتِهِ مِنْ أَنْ تَقِفُوا لَهُ عَلَى

قوله عليه السلام: إنما منظره: أی نظره و علمه و إحاطته بأن يكون مصدرا ميميا أو ما ينظر إليه فی القرب و البعد منه سواء، أی لا يختلف اطلاعه على الأشياء بالقرب و البعد، لأنهما إنما يجريان فی المكانيات بالنسبة إلى أمثالها و هو سبحانه متعال عن المكان، إذ يوجب الحاجة إلى المكان، و هو لم يحتج إلى شیء بل يحتاج إليه على المجهول، أی كل شیء غيره محتاج إليه، و الطول: الفضل و الإنعام.
قوله عليه السلام فإنما يقول ذلک" إلخ" أی النزول المكانی إنما يتصور فی المتحيز و كل متحيز موصوف بالتقدر، و كل مقتدر متصف بالنقص عما هو أزيد منه و بالزيادة على ما هو أنقص منه، أو يكون فی نفسه قابلا للزيادة و النقصان، و الوجوب الذاتی ينافی ذلک لاستلزامه التجزی و الانقسام المستلزمين للإمكان، و أيضا كل متحرک محتاج إلى من يحركه أو يتحرک به، لأن المتحرک إما جسم أو متعلق بالجسم، و الجسم المتحرک لا بد له من محرک، لأنه ليس يتحرک بجسميته، و المتعلق بالجسم لا بد له فی تحركه من جسم يتحرک به، و هو سبحانه منزه عن الاحتياج إلى المحرک، و عن التغير بمغير، و عن التعلق بجسم يتحرک به.
و يحتمل أن يكون المراد بالأول الحركة القسرية، و بالثانی ما يشمل الإرادية و الطبيعية، بأن يكون المراد بمن يتحرک به ما يتحرک به من طبيعة أو نفس، و قوله:
من أن يقفوا، من وقف يقف، أی أن يقوموا فی الوصف له و توصيفه على حد فتحدونه بنقص أو زيادة، و يحتمل أن يكون من قفا يقفو، أی تتبعوا له فی البحث عن صفاته

حَدٍّ تَحُدُّونَهُ بِنَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ تَحْرِيكٍ أَوْ تَحَرُّكٍ أَوْ زَوَالٍ أَوِ اسْتِنْزَالٍ أَوْ نُهُوضٍ أَوْ قُعُودٍ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَ عَزَّ عَنْ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ وَ نَعْتِ النَّاعِتِينَ وَ تَوَهُّمِ الْمُتَوَهِّمِينَ وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِی يَرَاکَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِينَ

2 وَ عَنْهُ رَفَعَهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِی إِبْرَاهِيمَ ع أَنَّهُ قَالَ لَا أَقُولُ إِنَّهُ قَائِمٌ فَأَزِيلَهُ عَنْ مَكَانِهِ وَ لَا أَحُدُّهُ بِمَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ وَ لَا أَحُدُّهُ أَنْ يَتَحَرَّکَ فِی شَیْءٍ مِنَ الْأَرْكَانِ وَ الْجَوَارِحِ وَ لَا أَحُدُّهُ بِلَفْظِ شَقٍّ فَمٍ وَ لَكِنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى- كُنْ فَيَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِی نَفَسٍ صَمَداً فَرْداً لَمْ يَحْتَجْ إِلَى شَرِيكٍ يَذْكُرُ لَهُ مُلْكَهُ وَ لَا يَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ عِلْمِهِ

تتبعا على حد تحدونه بنقص أو زيادة، قوله:" حِينَ تَقُومُ" أی إلى التهجد أو إلى الخيرات أو إلى الأمور كلها" وَ تَقَلُّبَکَ فِی السَّاجِدِينَ" أی ترددک و حركاتک بين المصلين بالقيام و القعود و الركوع و السجود، و المعنى توكل عليه فی جميع أمورک عارفا بأنه عالم بجميع أحوالک فی جميع الأوقات، أو توكل عليه فی توصيفه بصفاته فقل فی صفته بما وصف به نفسه، و لا تعتمد فی توصيفه على ما يذهب إليه و همک.

: ضعيف.
قوله عليه السلام: فأزيله عن مكانه، أى لا يتصف بالقيام اتصاف الأجسام لاستلزامه الزوال فى الجملة عن مكانه، كزوال ما يقوم من الأجسام عن مكانه الذى استقر فيه، و لأن القيام نسبة إلى المكان بخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه و شغل بعضه ببعض، و نسبته تعالى إلى كل الأمكنة سواء.
أقول: و يمكن أن يكون المراد بالمكان: الدرجة الرفيعة التى له سبحانه من التقدس و التنزه و التجرد، أى نسبة القيام إليه تعالى مستلزم لإزالته عن تجرده و تقدسه و تنزهه سبحانه.
قوله عليه السلام: فى شىء من الأركان، أى الأركان البدنية أو النواحى و الجوانب أى أركان الخلق" و الجوارح" بأن يتحرک رأسه أو عينه أو يده سبحانه" بلفظ شق فم" أى لفظ خارج من فرجة الفم.

3 وَ عَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِیلَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عِیسَی بْنِ یُونُسَ قَالَ قَالَ ابْنُ أَبِی الْعَوْجَاءِ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی بَعْضِ مَا کَانَ یُحَاوِرُهُ ذَکَرْتَ اللَّهَ فَأَحَلْتَ عَلَی غَائِبٍ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَیْلَکَ کَیْفَ یَکُونُ غَائِباً مَنْ هُوَ مَعَ خَلْقِهِ شَاهِدٌ وَ إِلَیْهِمْ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ یَسْمَعُ کَلَامَهُمْ وَ یَرَی أَشْخَاصَهُمْ وَ یَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ فَقَالَ ابْنُ أَبِی الْعَوْجَاءِ أَ هُوَ فِی کُلِّ مَکَانٍ أَ لَیْسَ إِذَا کَانَ فِی السَّمَاءِ کَیْفَ یَکُونُ فِی الْأَرْضِ وَ إِذَا کَانَ فِی الْأَرْضِ کَیْفَ یَکُونُ فِی السَّمَاءِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّمَا وَصَفْتَ الْمَخْلُوقَ الَّذِی إِذَا انْتَقَلَ عَنْ مَکَانٍ اشْتَغَلَ بِهِ مَکَانٌ وَ خَلَا مِنْهُ مَکَانٌ فَلَا یَدْرِی فِی الْمَکَانِ الَّذِی صَارَ إِلَیْهِ مَا یَحْدُثُ فِی الْمَکَانِ الَّذِی کَانَ فِیهِ فَأَمَّا اللَّهُ الْعَظِیمُ الشَّأْنِ الْمَلِکُ الدَّیَّانُ فَلَا یَخْلُو مِنْهُ مَکَانٌ وَ لَا یَشْتَغِلُ بِهِ مَکَانٌ وَ لَا یَکُونُ إِلَی مَکَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَی مَکَانٍ
4 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی قَالَ کَتَبْتُ إِلَی أَبِی الْحَسَنِ عَلِیِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ع جَعَلَنِیَ اللَّهُ فِدَاکَ یَا سَیِّدِی قَدْ رُوِیَ لَنَا أَنَّ اللَّهَ فِی مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوی وَ أَنَّهُ یَنْزِلُ کُلَّ لَیْلَةٍ فِی النِّصْفِ الْأَخِیرِ مِنَ اللَّیْلِ إِلَی السَّمَاءِ الدُّنْیَا وَ رُوِیَ أَنَّهُ یَنْزِلُ عَشِیَّةَ عَرَفَةَ ثُمَّ یَرْجِعُ إِلَی مَوْضِعِهِ فَقَالَ بَعْضُ مَوَالِیکَ فِی ذَلِکَ إِذَا کَانَ فِی مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ فَقَدْ یُلَاقِیهِ الْهَوَاءُ وَ یَتَکَنَّفُ عَلَیْهِ

الحديث الثالث

: مجهول.
قوله عليه السلام: من حبل الوريد، لعل فيه إشارة إلى أن قربه سبحانه قرب العلية و التأثير و التدبير، إذ عرق العنق سبب للحياة و بانقطاعه يكون الموت و الفناء، أى هو تعالى أدخل فى حياة الشخص من عرق العنق، إذ هو خالقه و مسبب سائر أسباب حياته

الحديث الرابع

: ضعيف، و سنده الثانى صحيح على الظاهر.
قوله عليه السلام: علم ذلک عنده، أى علم كيفية نزوله عنده سبحانه، و ليس عليكم معرفة ذلک، ثم أشار إشارة خفية إلى أن المراد بنزوله: تقديره نزول رحمته، و إنزالها بتقديره بقوله: و هو المقدر له بما هو أحسن تقديرا، ثم أفاد أن ما عليكم علمه أنه

وَ الْهَوَاءُ جِسْمٌ رَقِيقٌ يَتَكَثَّفُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ بِقَدْرِهِ فَكَيْفَ يَتَكَثَّفُ عَلَيْهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ فَوَقَّعَ ع عِلْمُ ذَلِکَ عِنْدَهُ وَ هُوَ الْمُقَدِّرُ لَهُ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ تَقْدِيراً وَ اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَهُ سَوَاءٌ عِلْماً وَ قُدْرَةً وَ مُلْكاً وَ إِحَاطَةً
وَ عَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْكُوفِىِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى مِثْلَهُ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاَثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ
5 عَنْهُ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ أَبِى عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ ع فِى قَوْلِهِ تَعَالَى ما يَكُونُ

لا يجرى عليه أحكام الأجسام و المحيزات من المجاورة و القرب المكانى، و التمكن فى الأمكنة، بل حضوره سبحانه حضور و شهود علمى و إحاطة بالعلم و القدرة و الملک بقوله: و علم أنه" إلخ".
قوله: فى قوله. هذا كلام المصنف (ره) أى روى فى تفسير هذه الآية الرواية الآتية، و قيل: عطف على عنوان الباب، أى باب فى قوله، و هو بعيد

الحديث الخامس

: صحيح.
قوله تعالى" ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ" أى ما يقع من تناجى ثلاثة، و يجوز أن يقدر مضاف أو يؤول نجوى من متناجين و يجعل ثلاثة صفة لها" إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ" أى إلا الله يجعلهم أربعة من حيث أنه يشاركهم فى الاطلاع عليها" وَ لا خَمْسَةٍ" أى و لا نجوى خمسة، و تخصيص العددين إما لخصوص الواقعة، أو لأن الله وتر يحب الوتر و الثلاثة أول الأوتار، أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين، و ثالث يتوسط بينهما.

ص: 68
مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ- فَقَالَ هُوَ وَاحِدٌ وَاحِدِيُّ الذَّاتِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَ بِذَاکَ وَصَفَ نَفْسَهُ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ مُحِیطٌ بِالْإِشْرَافِ وَ الْإِحَاطَةِ وَ الْقُدْرَةِ- لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ لَا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ بِالْإِحَاطَةِ وَ الْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ لِأَنَّ الْأَمَاکِنَ مَحْدُودَةٌ تَحْوِیهَا حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ فَإِذَا کَانَ بِالذَّاتِ لَزِمَهَا الْحَوَایَةُ

فِی قَوْلِهِ الرَّحْمنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوی

6 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَی الْخَشَّابِ عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- الرَّحْمنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوی فَقَالَ اسْتَوَی عَلَی کُلِّ شَیْءٍ فَلَیْسَ شَیْءٌ أَقْرَبَ إِلَیْهِ مِنْ شَیْءٍ

ثم اعلم أنه لما کان القدام و الخلف و الیمین و الشمال غیر متمیزة إلا بالاعتبار عد الجمیع حدین، و الفوق و التحت حدین، فصارت أربعة، و المعنی أنه لیست إحاطته سبحانه بالذات، لأن الأماکن محدودة، فإذا کانت إحاطته بالذات بأن کانت بالدخول فی الأمکنة لزم کونه محاطا بالمکان کالمتمکن، و إن کانت بالانطباق علی المکان لزم کونه محیطا بالمتمکن کالمکان.

: ضعيف.
و اعلم أن الاستواء يطلق على معان:" الأول" الاستقرار و التمكن على الشىء" الثانى" قصد الشىء و الإقبال إليه" الثالث" الاستيلاء على الشىء، قال الشاعر:
قد استوى شبر على العراق من غير سيف و دم مهراق
" الرابع" الاعتدال يقال: سويت الشىء فاستوى" الخامس" المساواة فى النسبة.
فأما المعنى الأول فيستحيل على الله تعالى، لما ثبت بالبراهين العقلية و النقلية

ص: 69
7 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ سَهْلٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَارِدٍ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فَقَالَ اسْتَوَى

من استحالة كونه تعالى مكانيا، فمن المفسرين من حمل الاستواء فى هذه الآية على الثانى، أى أقبل على خلقه و قصد إلى ذلک، و قد ورد أنه سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن هذه الآية، فقال: الاستواء الإقبال على الشىء، و نحو هذا قال الفراء و الزجاج فى قوله عز و جل:" ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ*" و الأكثرون منهم حملوها على الثالث، أى استولى عليه و ملكه و دبره قال الزمخشرى: لما كان الاستواء على العرش و هو سرير الملک لا يحصل إلا مع الملک جعلوه كناية عن الملک، فقالوا: استوى فلان على السرير يريدون ملكه، و إن لم يعقد على السرير البتة، و إنما عبروا عن حصول الملک بذلک لأنه أصرح و أقوى فى الدلالة من أن يقال فلان ملک، و نحوه قولک يد فلان مبسوطة، و يد فلان مغلولة، بمعنى أنه جواد أو بخيل، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال، أو لم يكن له يد رأسا و هو جواد قيل فيه يد مبسوطة، لأنه لا فرق عندهم بينه و بين قولهم جواد" انتهى".
و يحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفى النقص عنه تعالى من جميع الوجوه، فيكون قوله تعالى" عَلَى الْعَرْشِ*" حالا و سيأتى توجيهه، و لكنه بعيد.
و أما المعنى الخامس فهو الظاهر مما مر من الأخبار.
فاعلم أن العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذى أحاط بسائر الجسمانيات، و قد يطلق على جميع المخلوقات، و قد يطلق على العلم أيضا كما وردت به الأخبار الكثيرة، و قد حققناه فى كتاب السماء و العالم من كتاب بحار الأنوار، فإذا عرفت هذا فإما أن يكون عليه السلام فسر العرش بمجموع الأشياء، و ضمن الاستواء ما يتعدى بعلى

مِنْ كُلِّ شَیْءٍ فَلَیْسَ شَیْءٌ أَقْرَبَ إِلَیْهِ مِنْ شَیْءٍ

کالاستیلاء و الاستعلاء و الإشراف، فالمعنی استوت نسبته إلی کل شیء حالکونه مستولیا علیها، أو فسره بالعلم، و یکون متعلق الاستواء مقدرا، أی تساوت نسبته من کل شیء حالکونه متمکنا علی عرش العلم، فیکون إشارة إلی بیان نسبته تعالی و أنها بالعلم و الإحاطة، أو المراد بالعرش عرش العظمة و الجلال و القدرة کما فسر بها أیضا فی بعض الأخبار، أی استوی من کل شیء مع کونه فی غایة العظمة و متمکنا علی عرش التقدس و الجلالة، و الحاصل أن علو قدره لیس مانعا من دنوة بالحفظ و التربیة و الإحاطة و کذا العکس.

و علی التقادیر فقوله" اسْتَوی" خبر، و قوله" عَلَی الْعَرْشِ" حال، و یحتمل أن یکونا خبرین علی بعض التقادیر، و لا یبعد علی الاحتمال الأول جعل قوله: علی العرش، متعلقا بالاستواء بأن تکون کلمة" علی" بمعنی إلی، و یحتمل علی تقدیر حمل العرش علی العلم أن یکون قوله علی العرش خبرا، و قوله: استوی، حالا عن العرش و لکنه بعید.

و علی التقادیر یمکن أن یقال أن النکتة فی إیراد الرحمن بیان أن رحمانیته توجب استواء نسبته إیجادا و حفظا و تربیة و علما إلی الجمیع، بخلاف الرحیمیة فإنها تقتضی إفاضة الهدایات الخاصة علی المؤمنین فقط، و کذا کثیر من أسمائه الحسنی تخص جماعة کما حققناه فی الکتاب المذکور.

و یؤید بعض الوجوه الذی ذکرنا ما ذکره الصدوق (ره) فی کتاب العقائد حیث قال: اعتقادنا فی العرش أنه جملة جمیع الخلق، و العرش فی وجه آخر هو العلم، و سئل الصادق علیه السلام: عن قول الله عز و جل:" الرَّحْمنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوی" فقال: استوی من کل شیء فلیس شیء أقرب إلیه من شیء" انتهی" و إنما بسطنا الکلام فی هذا المقام لصعوبة فهم تلک الأخبار علی أکثر الأفهام.

8 وَ عَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى- الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى فَقَالَ اسْتَوَى فِى كُلِّ شَىْءٍ فَلَيْسَ شَىْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَىْءٍ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ وَ لَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ قَرِيبٌ اسْتَوَى فِى كُلِّ شَىْءٍ

9 وَ عَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِى بَصِيرٍ عَنْ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَىْءٍ أَوْ فِى شَىْءٍ أَوْ عَلَى شَىْءٍ فَقَدْ كَفَرَ قُلْتُ فَسِّرْ لِى قَالَ أُعْنِى بِالْحَوَايَةِ مِنَ الشَّىْءِ لَهُ أَوْ بِإِمْسَاكٍ لَهُ أَوْ مِنْ شَىْءٍ سَبَقَهُ وَ فِى رِوَايَةٍ أُخْرَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَىْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مُحْدَثاً وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِى شَىْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْصُوراً وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى شَىْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولًا

فِى قَوْلِهِ تَعَالَى وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ

10 عَلِىُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِى عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ قَالَ أَبُو شَاكِرٍ الدَّيْصَانِىُّ- إِنَّ فِى الْقُرْآنِ آيَةً هِىَ قَوْلُنَا قُلْتُ مَا هِىَ فَقَالَ- وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ فَلَمْ أَدْرِ بِمَا أُجِيبُهُ فَحَجَجْتُ فَخَبَّرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع فَقَالَ هَذَا كَلَامُ زِنْدِيقٍ خَبِيثٍ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ مَا اسْمُكَ بِالْكُوفَةِ فَإِنَّهُ يَقُولُ فُلَانٌ فَقُلْ لَهُ مَا اسْمُكَ بِالْبَصْرَةِ

الحديث السابع

: صحيح.

الحديث الثامن

: صحيح و آخره مرسل.
قوله: بالحواية من الشىء له، تفسير لقوله: فى شىء، و قوله: أو بإمساک له، تفسير لقوله: على شىء، و قوله: أو من شىء سبقه، تفسير لقوله: من شىء.

: حسن، و لعل هذا الديصانى لما كان قائلا بإلهين: نور، ملكه السماء، و ظلمة ملكها الأرض، أول الآية بما يوافق مذهبه بأن جعل قوله:" وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ" جملة تامة معطوفة على مجموع الجملة السابقة، أى و فى الأرض إله

فَإِنَّهُ يَقُولُ فُلَانٌ فَقُلْ كَذَلِکَ اللَّهُ رَبُّنَا فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ وَ فِی الْبِحَارِ إِلَهٌ وَ فِی الْقِفَارِ إِلَهٌ وَ فِی کُلِّ مَکَانٍ إِلَهٌ قَالَ فَقَدِمْتُ فَأَتَیْتُ أَبَا شَاکِرٍ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ هَذِهِ نُقِلَتْ مِنَ الْحِجَازِ

بَابُ الْعَرْشِ وَ الْکُرْسِیِ

1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِیِّ رَفَعَهُ قَالَ سَأَلَ الْجَاثَلِیقُ أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ ع فَقَالَ أَخْبِرْنِی عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ یَحْمِلُ الْعَرْشَ أَمِ الْعَرْشُ یَحْمِلُهُ فَقَالَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ ع اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ حَامِلُ الْعَرْشِ وَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِیهِمَا وَ مَا بَیْنَهُمَا وَ ذَلِکَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- إِنَّ اللَّهَ یُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا

آخر، و یظهر من بعض الأخبار أنه کان من الدهریین، فیمکن أن یکون استدلاله بما یوهم ظاهر الآیة من کونه بنفسه حاصلا فی السماء و الأرض، فیوافق ما ذهبوا إلیه من کون المبدإ الطبیعة، فإنها حاصلة فی الأجرام السماویة و الأجسام الأرضیة معا، فأجاب علیه السلام بأن المراد أنه تعالی مسمی بهذا الاسم فی السماء و فی الأرض، و الأکثرون علی أن الظرف متعلق بالإله لأنه بمعنی المعبود أو مضمن معناه، کقولک: هو حاتم فی البلد.

باب العرش و الكرسى

الحديث الأول

: مرفوع، و قال فى القاموس: الجاثليق بفتح الثاء المثلثة. رئيس للنصارى فى بلاد الإسلام بمدينة السلام.
قوله تعالى" أَنْ تَزُولا" أى يمسكهما كراهة أن تزولا بالعدم و البطلان، أو يمنعهما و يحفظهما أن تزولا، فإن الإمساک متضمن للمنع و الحفظ، و فيه دلالة على أن الباقى فى البقاء محتاج إلى المؤثر" إِنْ أَمْسَكَهُما" أى ما أمسكهما" مِنْ بَعْدِهِ" أى من بعد الله أو من بعد الزوال و" من" الأولى زائدة للمبالغة فى الاستغراق، و الثانية

وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً قَالَ فَأَخْبِرْنِی عَنْ قَوْلِهِ وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ فَكَيْفَ قَالَ ذَلِکَ وَ قُلْتَ إِنَّهُ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ احْمَرَّتِ الْحُمْرَةُ وَ نُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْخُضْرَةُ وَ نُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ اصْفَرَّتِ الصُّفْرَةُ وَ نُورٍ أَبْيَضَ مِنْهُ ابْيَضَّ الْبَيَاضُ وَ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِی حَمَّلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ وَ ذَلِکَ نُورٌ مِنْ عَظَمَتِهِ فَبِعَظَمَتِهِ وَ نُورِهِ أَبْصَرَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ بِعَظَمَتِهِ وَ نُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ وَ بِعَظَمَتِهِ وَ نُورِهِ ابْتَغَى مَنْ فِی السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِنْ

للابتداء.
قوله: فأخبرنی عن قوله. لعله توهم المنافاة من جهتين:" الأولى" أن حملة العرش ثمانية لا هو، و قلت هو حامله، و الثانية أن الثمانية إذا حملوا عرشه فقد حملوه أيضا لأنه على العرش، و قلت إنه حامل جميع ما سواه.
قوله عليه السلام: و هو العلم، أى العرش أو البياض أى النور الأبيض، و الأخير أنسب بما مضى فى باب النهى عن الصفة فى تفسير الأنوار منقولا عن الوالد العلامة، و على الأول لعل المعنى أن العلم أحد معانى العرش، إذ يظهر من الأخبار أن العرش يطلق على الجسم المحيط بجميع الأجسام، و عليه مع ما فيه من الأجسام أعنى العالم الجسمانى، و قد يراد به جميع ما سوى الله من العقول و الأرواح و الأجسام، و قد يراد به علم الله سبحانه المتعلق بما سواه، و قد يراد به علم الله الذى اطلع عليه أنبيائه و رسله و حججه صلوات الله عليهم خاصة، و لعل أحد الأخيرين هو المراد فى هذا الخبر و الذى بعده، و الله يعلم.
قوله عليه السلام: أبصر قلوب المؤمنين، أى ما يبصرون و يعلمون.
قوله عليه السلام: عاداه الجاهلون، لأن الجهل مساوق الظلمة التى هى ضد النور،

جَمِيعِ خَلَائِقِهِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بِالْأَعْمَالِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْأَدْيَانِ الْمُشْتَبِهَةِ فَكُلٌّ مَحْمُولٍ يَحْمِلُهُ اللَّهُ بِنُورِهِ وَ عَظَمَتِهِ وَ قُدْرَتِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً وَ لَا نَفْعاً وَ لَا مَوْتاً وَ لَا حَيَاةً وَ لَا نُشُوراً فَكُلٌّ شَيْءٍ مَحْمُولٌ وَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى الْمُمْسِكُ لَهُمَا أَنْ تَزُولَا وَ الْمُحِيطُ بِهِمَا مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَ نُورُ كُلِّ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً قَالَ لَهُ فَأَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَيْنَ هُوَ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع هُوَ هَاهُنَا وَ هَاهُنَا وَ فَوْقُ وَ تَحْتُ وَ مُحِيطٌ بِنَا وَ مَعَنَا وَ هُوَ قَوْلُهُ- ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا فَالْكُرْسِيُّ مُحِيطٌ بِالسَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى وَ إِنْ تَجْهَرْ

و المعاداة إنما يكون بين الضدين كذا قيل، و الأظهر عندى أن المراد أن ظهوره صار سببا لخفائه كما قيل: يا خفيا من فرط الظهور، فتأمل" ابتغى" أى طلب، و لعل المعنى أن نوره سبحانه لما ظهر فى عالم الوجود طلبه جميع الخلق، لكن بعضهم أخطأوا طريق الطلب و تعيين المطلوب، فمنهم من يعبد الصنم لتوهمه أنه هناک، و منهم من يعتقد الدهر لزعمه أنه الإله و المدبر، فكل منهم يعلمون اضطرارهم إلى مدبر و خالق و رازق و حافظ و يطلبونه و يبتغون إليه الوسيلة لكنهم لعماهم يخطئون و يتحيرون، و لبسط هذا الكلام مقام آخر.
قوله عليه السلام: الممسک لهما، أى للسماوات و الأرض" و المحيط" يجوز جر المحيط بالعطف على ضمير لهما، و" من" بيان له، يعنى الممسک للشىء المحيط بهما، أو متعلق بقوله:" أَنْ تَزُولا" يعنى الممسک لهما و للمحيط بهما أن تزولا، و قوله: من شىء، للتعميم و يجوز رفعه بالعطف على الممسک" و من" بيان لضمير بهما لقصد زيادة التعميم، أو بيان المحذوف يعنى المحيط بهما مع ما حوتاه من شىء.
قوله عليه السلام: و هو حياة كل شىء، أى من الحيوانات أو الحيات بمعنى الوجود و البقاء مجازا" و نور كل شىء" أى سبب وجوده و ظهوره.
قوله عليه السلام: فالكرسى، يمكن أن يكون المراد تفسير الكرسى أيضا بالعلم فتأمل.

بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى وَ ذَلِکَ قَوْلُهُ تَعَالَى- وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ فَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ حَمَّلَهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ وَ لَيْسَ يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ خَلَقَ اللَّهُ فِی مَلَكُوتِهِ الَّذِی أَرَاهُ اللَّهُ أَصْفِيَاءَهُ وَ أَرَاهُ خَلِيلَهُ ع فَقَالَ- وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ وَ كَيْفَ يَحْمِلُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ اللَّهَ وَ بِحَيَاتِهِ حَيِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَ بِنُورِهِ اهْتَدَوْا إِلَى مَعْرِفَتِهِ

2 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ سَأَلَنِی أَبُو قُرَّةَ الْمُحَدِّثُ أَنْ أُدْخِلَهُ عَلَى أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا ع فَاسْتَأْذَنْتُهُ فَأَذِنَ لِی فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَ فَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ مَحْمُولٌ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ ع كُلُّ مَحْمُولٍ مَفْعُولٌ بِهِ مُضَافٌ إِلَى غَيْرِهِ مُحْتَاجٌ وَ الْمَحْمُولُ اسْمُ نَقْصٍ فِی اللَّفْظِ وَ الْحَامِلُ فَاعِلٌ

قوله تعالى:" وَ لا يَؤُدُهُ" أى لا يثقل عليه.

قوله عليه السلام: هم العلماء، إذا كان المراد بالعرش عرش العلم كان المراد بالأنوار الأربعة صنوف العلم و أنواعه، و لا يخرج عن تلك الأنواع أحد، و إذا كان المراد بالأنوار نور المحبة و المعرفة و العبادة و العلم كما مر فهو أيضا صحيح، إذ لا يخرج شىء أيضا منها، إذ ما من شىء إلا و له محبة و عبادة و معرفة، و هو يسبح بحمده، و قال الوالد العلامة قدس سره: الظاهر أن المراد بالأربعة العرش و الكرسى و السماوات و الأرض، و يحتمل أن يكون المراد بها الأنوار الأربعة التى هى عبارة عن العرش لأنه محيط على ما هو المشهور.

: صحيح.
قوله عليه السلام: و المحمول اسم نقص، ليس المراد أن كل ما ورد على صيغة المفعول اسم نقص، و إلا لانتقض بالموجود و المعبود و المحمود، بل ما دل على وقوع تأثير و تغيير من غيره، كالمحفوظ و المربوب و المحمول و أمثالها، و قيل: لما رأى عليه السلام قصور

وَ هُوَ فِی اللَّفْظِ مِدْحَةٌ وَ کَذَلِکَ قَوْلُ الْقَائِلِ فَوْقَ وَ تَحْتَ وَ أَعْلَی وَ أَسْفَلَ وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنی فَادْعُوهُ بِها وَ لَمْ یَقُلْ فِی کُتُبِهِ إِنَّهُ الْمَحْمُولُ بَلْ قَالَ إِنَّهُ الْحَامِلُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ الْمُمْسِکُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَ الْمَحْمُولُ مَا سِوَی اللَّهِ وَ لَمْ یُسْمَعْ أَحَدٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَ عَظَمَتِهِ قَطُّ قَالَ فِی دُعَائِهِ یَا مَحْمُولُ قَالَ أَبُو قُرَّةَ فَإِنَّهُ قَالَ وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَةٌ وَ قَالَ الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ ع الْعَرْشُ لَیْسَ هُوَ اللَّهَ وَ الْعَرْشُ اسْمُ عِلْمٍ وَ قُدْرَةٍ وَ عَرْشٍ فِیهِ کُلُّ شَیْءٍ ثُمَّ أَضَافَ الْحَمْلَ إِلَی غَیْرِهِ خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ لِأَنَّهُ اسْتَعْبَدَ خَلْقَهُ بِحَمْلِ عَرْشِهِ

فهمه عن إدراک الدلائل العقلیة احتج علیه بصورة الألفاظ و مدلولاتها الأولیة، تارة بأن المحمول اسم مفعول فعل به فاعل فعله، و کل مفعول به فهو مضاف إلی غیره الذی هو فاعله، و هو محتاج إلی غیره، و تارة بأن المحمول لکونه اسم المفعول اسم نقص فی اللفظ، و الحامل لکونه اسم الفاعل اسم مدحة، و قوله علیه السلام: و کذلک قول القائل فوق" إلخ" یعنی أن مثل ذینک اللفظین فی کون أحدهما اسم مدح و الآخر اسم نقص، قول القائل: فوق، و تحت، فإن فوق اسم مدح، و تحت اسم نقص، و کذلک أعلی اسم مدح و أسفل اسم نقص.

قوله علیه السلام: خلق، بالجر بدل من غیره، و أشار بذلک إلی أن الحامل لما کان من خلقه، فیرجع الحمل إلیه تعالی و هم حملة علمه، أی و قد یطلق حملة العرش علی حملة العلم أیضا، أو حملة العرش فی القیامة هم حملة العلم فی الدنیا.

قوله علیه السلام: بحمل عرشه، و الحاصل أنه لا یحتاج فی حمل العرش إلی غیره بل استعبد أصناف خلقه بأصناف الطاعات، و حملة العرش عبادتهم حمل العرش من غیر حاجة إلیهم، و قوله علیه السلام: و خلقا و ملائکة معطوفان علی خلقه، ذکر کل ذلک للتنظیر أی کما أنه تعالی لا یحتاج إلی تسبیح الملائکة و کتابتهم أعمال العباد و طواف العباد حول

وَ هُمْ حَمَلَةُ عِلْمِهِ وَ خَلْقاً يُسَبِّحُونَ حَوْلَ عَرْشِهِ وَ هُمْ يَعْمَلُونَ بِعِلْمِهِ وَ مَلَائِكَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ عِبَادِهِ وَ اسْتَعْبَدَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِالطَّوَافِ حَوْلَ بَيْتِهِ وَ اللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى كَمَا قَالَ وَ الْعَرْشُ وَ مَنْ يَحْمِلُهُ وَ مَنْ حَوْلَ الْعَرْشِ وَ اللَّهُ الْحَامِلُ لَهُمُ الْحَافِظُ لَهُمُ الْمُمْسِكُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ وَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا يُقَالُ مَحْمُولٌ وَ لَا أَسْفَلُ قَوْلًا مُفْرَداً لَا يُوصَلُ بِشَيْءٍ فَيَفْسُدُ اللَّفْظُ وَ الْمَعْنَى قَالَ أَبُو قُرَّةَ فَتُكَذِّبُ بِالرِّوَايَةِ الَّتِي جَاءَتْ أَنَّ اللَّهَ إِذَا غَضِبَ إِنَّمَا يُعْرَفُ غَضَبُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يَجِدُونَ ثِقْلَهُ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ فَيَخِرُّونَ سُجَّداً فَإِذَا ذَهَبَ الْغَضَبُ خَفَّ وَ رَجَعُوا إِلَى مَوَاقِفِهِمْ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ ع أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى مُنْذُ لَعَنَ إِبْلِيسَ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا هُوَ غَضْبَانُ عَلَيْهِ فَمَتَى رَضِيَ وَ هُوَ فِي صِفَتِكَ لَمْ يَزَلْ غَضْبَانَ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ عَلَى

بيته، فكذا لا يحتاج إلى من يحمل عرشه، و إنما أمرهم بجميع ذلک ليعبدوه و يستحقوا ثوابه.
قوله عليه السلام: و هم يعملون بعلمه، أى بما أعطاهم من العلم، و قوله عليه السلام: و العرش و ما عطف عليه مبتدأ خبره محذوف، أى محمول كلهم، أو سواء فى نسبتهم إليه تعالى قوله عليه السلام: كما قال، أى استواؤه سبحانه على العرش على النحو الذى قال، و أراد [من] استواء النسبة أو الاستيلاء كما مر لا كما تزعمه المشبهة.
قوله عليه السلام: قولا مفردا لا يوصل بشىء، أى لا يوصل بقرينة صارفة عن ظاهره أو ينسب إلى شىء آخر على طريقة الوصف بحال المتعلق، بأن يقال: عرشه محمول أو أرضه تحت كذا و جحيمه أسفل و نحو ذلک، و إلا فيفسد اللفظ لعدم الإذن الشرعى و أسمائه توقيفية، و أيضا هذا اسم نقص كما مر، و المعنى لأنه يوجب نقصه و عجزه تعالى عن ذلک علوا كبيرا.
قوله عليه السلام: و هو فى صفتک، أى وصفک إياه أنه لم يزل غضبانا على الشيطان و على أوليائه، و الحاصل أنه لما فهم من كلامه أن الملائكة الحاملين للعرش قد يكونون قائمين، و قد يكونون ساجدين، يطريان الغضب و ضده، و حمل الحديث على ظاهره

أَتْبَاعِهِ كَيْفَ تَجْتَرِئُ أَنْ تَصِفَ رَبَّکَ بِالتَّغْيِيرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَ أَنَّهُ يَجْرِی عَلَيْهِ مَا يَجْرِی عَلَى الْمَخْلُوقِينَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَمْ يَزُلْ مَعَ الزَّائِلِينَ وَ لَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ الْمُتَغَيِّرِينَ وَ لَمْ يَتَبَدَّلْ مَعَ الْمُتَبَدِّلِينَ وَ مَنْ دُونَهُ فِی يَدِهِ وَ تَدْبِيرِهِ وَ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ وَ هُوَ غَنِیٌّ عَمَّنْ سِوَاهُ

3 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ رِبْعِیِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ- وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فَقَالَ يَا فُضَيْلُ كُلُّ شَیْءٍ فِی الْكُرْسِیِّ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ كُلُّ شَیْءٍ فِی الْكُرْسِیِ

نبه عليه السلام على خطائه إلزاما عليه بقدر فهمه بأنه لا يصح ما ذكرت إذ من غضبه تعالى ما علم أنه لم يزل كغضبه على إبليس فيلزم أن يكون حملة العرش منذ غضب على إبليس إلى الآن سجدا غير واقفين إلى مواقفهم فعلم أن ما ذكرته و فهمته خطاء و الحديث على تقدير صحته محمول على أن المراد بغضبه سبحانه إنزال العذاب و بوجدان الحملة ثقل العرش اطلاعهم عليه بظهور مقدماته و أسبابه، و بسجودهم خضوعهم و خشوعهم له سبحانه خشية و خوفا من عذابه، فإذا انتهى تزول العذاب و ظهرت مقدمات رحمته اطمأنوا و رغبوا فى طلب رحمته، ثم بعد إلزامه عليه السلام بذلک شرع فى الاستدلال على تنزيهه سبحانه مما فهمه، فقال: كيف تجترئ أن تصف ربک بالتغير من حال إلى حال، و هو من صفات المخلوقات و الممكنات،" لم يزل" بضم الزاء من زال يزول، و ليس من الأفعال الناقصة، و وجه الاستدلال بما ذكره عليه السلام على ما ما ذكر قد مر مرارا فلا نعيده.

الحديث الثالث

: كالصحيح، و فى التوحيد هكذا: يا فضيل السماوات و الأرض و كل شىء فى الكرسى، بدون تلك الزيادة، و إحاطة الكرسى بالسماوات و الأرض لا ينافى كون العرش محيطا بالجميع.

ص: 79
4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَجَّالِ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ- وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَسِعْنَ الْكُرْسِيَّ أَمِ الْكُرْسِيُّ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَقَالَ بَلِ الْكُرْسِيُّ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ الْعَرْشَ وَ كُلَّ شَيْءٍ وَسِعَ الْكُرْسِيُّ
5 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ

: صحيح.
قوله: السماوات و الأرض وسعن، و لعل سؤال زرارة لاستعلام أن فى قرآن أهل البيت كرسيه منصوب أو مرفوع، و إلا فعلى تقدير العلم بالرفع لا يحسن منه هذا السؤال، و يروى عن الشيخ البهائى قدس سره أنه قال: سألت عن ذلک والدى، فأجاب رحمه الله بأن بناء السؤال على قراءة وسع بضم الواو و سكون السين مصدرا مضافا، و على هذا يتجه السؤال، و إنى تصفحت كتب التجويد فما ظفرت على هذه القراءة إلا هذه الأيام رأيت كتابا فى هذا العلم مكتوبا بالخط الكوفى و كانت هذه القراءة فيه، و كانت النسخة بخط مصنفه.
و قوله عليه السلام: و العرش، لعله منصوب بالعطف على الأرض، فالمراد بالكرسى العلم أو بالعرش فيما ورد أنه محيط بالكرسى العلم، و روى الصدوق فى التوحيد عن حفص قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل" وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ" قال: علمه، و قيل: العرش معطوف على الكرسى أى و العرش أيضا وسع السماوات و الأرض، فالمراد أن الكرسى و العرش كلا منهما وسع السماوات و الأرض و قيل: العرش مرفوع بالابتدائية، أى و العرش و كل شىء من أجزاء العرش و دوائره وسع الكرسى بنصب الكرسى، و على الاحتمالين الأولين قوله: و كل شىء، جملة مؤكدة لما سبق فى التوحيد فى آخر الخبر: و كل شىء فى الكرسى.

الحديث الخامس

: موثق كالصحيح.

ص: 80
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَسِعْنَ الْكُرْسِيَّ أَوِ الْكُرْسِيُّ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَقَالَ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِی الْكُرْسِیِ
6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَ الْعَرْشُ الْعِلْمُ ثَمَانِيَةٌ أَرْبَعَةٌ مِنَّا وَ أَرْبَعَةٌ مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ

: مجهول.
قوله عليه السلام: و العرش العلم، جملة معترضة، و المراد بقوله أربعة منا محمد و على و الحسن و الحسين عليه السلام، و الأربعة الأخرى نوح و إبراهيم و موسى و عيسى على نبينا و عليهم السلام كما ورد فى الخبر، و سائر الأئمة داخلون فى الحسين عليه السلام لأنهم من صلبه، و قيل: الأربعة الأخيرة سلمان و أبو ذر و مقداد و عمار، و الأول أصوب لما روى عن الكاظم عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم القيامة كان حملة العرش ثمانية: أربعة من الأولين: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى، و أربعة من الآخرين محمد و على و الحسن و الحسين.
و فى اعتقادات الصدوق رحمه الله: فأما العرش الذى هو جملة الخلق فحملته أربعة من الملائكة، لكل واحد منهم ثمانى أعين، كل عين طباق الدنيا، واحد منهم على صورة آدم يسترزق الله تعالى لولد آدم، و الآخر على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها، و الآخر على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، و الآخر على صورة الديک يسترزق الله للطيور، فهم اليوم هؤلاء الأربعة، و إذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية، و أما العرش الذى هو العلم فحملته أربعة من الأولين و أربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين فنوح و إبراهيم و موسى و عيسى، و أما الأربعة من الآخرين، فمحمد و على و الحسن و الحسين عليهم السلام أجمعين، هكذا روى بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام فى العرش و حملته" انتهى".

6- 7 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فَقَالَ مَا يَقُولُونَ قُلْتُ يَقُولُونَ إِنَّ الْعَرْشَ كَانَ عَلَى الْمَاءِ وَ الرَّبُّ فَوْقَهُ فَقَالَ كَذَبُوا مَنْ زَعَمَ هَذَا فَقَدْ صَيَّرَ اللَّهَ مَحْمُولًا وَ وَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ وَ لَزِمَهُ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَحْمِلُهُ أَقْوَى مِنْهُ قُلْتُ بَيِّنْ لِي جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَمَّلَ دِينَهُ وَ عِلْمَهُ الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَرْضٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ جِنٌّ أَوْ إِنْسٌ أَوْ شَمْسٌ أَوْ قَمَرٌ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ نَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ مَنْ رَبُّكُمْ فَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام: و علمه الماء، قال السيد الداماد: كثيرا ما وقع اسم الماء فى التنزيل الكريم و فى الأحاديث الشريفة على العلم أو على العقل القدسى الذى هو حامله، و اسم الأرض على النفس المجردة التى هى بجوهرها قابلة العلوم و المعارف، و منه قوله:
عز سلطانه" وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً، فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" على ما قد قرره غير واحد من أئمة التفسير، فكذلک قول مولانا أبى عبد الله عليه السلام فى هذا الحديث، الماء تعبير عن الجوهر العقلى الحامل لنور العلم من الأنوار العقلية القدسية" انتهى".
و أقول: هذه التأويلات فى الأخبار جرأة على من صدرت عنه، و الأولى تسليمها و رد علمها إليهم.
و يحتمل أن يكون المراد بحمل دينه و علمه على الماء: أنه تعالى جعله مادة قابلة لأن يخلق منه الأنبياء و الأوصياء عليه السلام، الذين هم قابلون و حاملون لعلمه و دينه، أو أن علمه سبحانه لما كان قبل خلق الأشياء غير متعلق بشىء من الموجودات العينية بل كان عالما بها و هى معدومة، فلما أوجد الماء الذى هو مادة سائر الموجودات كان متعلقا لعلمه سبحانه به، و بما يوجد منه، فلعل هذا الكلام إشارة إلى ذلک،

ص: 82
رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ الْأَئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا أَنْتَ رَبُّنَا فَحَمَّلَهُمُ الْعِلْمَ وَ الدِّينَ ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ هَؤُلَاءِ حَمَلَةُ دِينِي وَ عِلْمِي وَ أُمَنَائِي فِي خَلْقِي وَ هُمُ الْمَسْئُولُونَ ثُمَّ قَالَ لِبَنِي آدَمَ أَقِرُّوا لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَ لِهَؤُلَاءِ النَّفَرِ بِالْوَلَايَةِ وَ الطَّاعَةِ فَقَالُوا نَعَمْ رَبَّنَا أَقْرَرْنَا فَقَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ اشْهَدُوا فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ شَهِدْنَا عَلَى أَنْ لَا يَقُولُوا غَداً إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ يَا دَاوُدُ وَلَايَتُنَا مُؤَكَّدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ

بَابُ الرُّوحِ

1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنِ الْأَحْوَلِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنِ الرُّوحِ الَّتِي فِي آدَمَ ع قَوْلِهِ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي قَالَ هَذِهِ رُوحٌ مَخْلُوقَةٌ وَ الرُّوحُ الَّتِي فِي عِيسَى مَخْلُوقَةٌ

مع أنه لا يمتنع أن يكون الله سبحانه أفاض على الماء روحا و أعطاه علما.
و قد أول بعض من سلك مسلك الحكماء: الماء بالمادة الجسمانية تشبيها لها بالماء، لقبولها الأنواع و الأشكال، و قال: قبلية حمل الدين و العلم إياه على الموجودات المذكورة قبليته بالذات و المرتبة لا بالزمان، و هى أقوى لأنها بعلاقة ذاتية، و قال: نثرهم، أى نثر مهياتهم و حقائقهم بين يدى علمه، فاستنطق الحقائق بالسنة قابليات جواهرها، و ألسن استعدادات ذواتها، و فيه إشارة إلى قوله سبحانه" وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ" الآية.
أقول: و سيأتى بعض الكلام فيه فى كتاب الإيمان و الكفر.

باب الروح

اشارة

أى بيان الروح التى أضافها الله إلى نفسه، و معنى إضافتها إليه سبحانه.

الحديث الأول

: صحيح.

ص: 83
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَجَّالِ عَنْ ثَعْلَبَةَ عَنْ حُمْرَانَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ رُوحٌ مِنْهُ قَالَ هِيَ رُوحُ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ فِي آدَمَ وَ عِيسَى
3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع- عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَيْفَ هَذَا النَّفْخُ فَقَالَ إِنَّ الرُّوحَ مُتَحَرِّكٌ كَالرِّيحِ وَ إِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً لِأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمَهُ مِنَ الرِّيحِ وَ إِنَّمَا أَخْرَجَهُ عَنْ لَفْظَةِ الرِّيحِ لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ مُجَانِسَةٌ لِلرِّيحِ وَ إِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ الْأَرْوَاحِ كَمَا قَالَ لِبَيْتٍ مِنَ الْبُيُوتِ بَيْتِي وَ لِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ خَلِيلِي وَ أَشْبَاهِ ذَلِكَ وَ كُلُ

الحديث الثانى

: حسن.

: مجهول و لعل إخراجه على لفظة الريح عبارة عن التعبير عن إيجاده فى البدن بالنفخ فيه، لمناسبة الروح للريح و مجانسته إياه و إنما أضافه إلى نفسه سبحانه لأنه اصطفاه بتقدسه و تشرفه على سائر الأرواح.
و اعلم أن الروح قد تطلق على النفس الناطقة التى تزعم الحكماء أنها مجردة و هى محل للعلوم و الكمالات و مدبرة للبدن، و قد تطلق على الروح الحيوانى و هو البخار اللطيف المنبعث من القلب السارى فى جميع الجسد، و تلك الأخبار تحتملهما و إن كانت بالأخير بعضها أنسب، و قيل: الروح و إن لم تكن فى أصل جوهرها من هذا العالم إلا أن لها مظاهر و مجالى فى الجسد، و أول مظهر لها فيه بخار لطيف دخانى شبيه فى لطافته و اعتداله بالجرم السماوى، و يقال له: الروح الحيوانى، و هو مستوى الروح الربانى الذى هو من عالم الأمر و مركبة و مطيته قواه، فعبر عليه السلام عن الروح بمظهره تقريبا إلى الأفهام، لأنها قاصرة عن فهم حقيقته كما أشير إليه بقوله تعالى:
" قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" و لأن مظهره هذا هو

ذَلِکَ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مُحْدَثٌ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ
4 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحْرٍ عَنْ أَبِی أَيُّوبَ الْخَزَّازِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَمَّا يَرْوُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَی صُورَتِهِ فَقَالَ هِیَ صُورَةٌ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ وَ اصْطَفَاهَا اللَّهُ وَ اخْتَارَهَا عَلَی سَائِرِ الصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ فَأَضَافَهَا إِلَی نَفْسِهِ كَمَا أَضَافَ الْكَعْبَةَ إِلَی نَفْسِهِ وَ الرُّوحَ إِلَی نَفْسِهِ فَقَالَ بَيْتِیَ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی
بَابُ جَوَامِعِ التَّوْحِيدِ
1 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی جَمِيعاً رَفَعَاهُ إِلَی أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَ

المنفوخ دون أصله.

الحديث الرابع

: ضعيف.
قوله عليه السلام: فأضافها إلى نفسه، أى تشريفا و تكريما، و روى الصدوق (ره) فى العيون بإسناده عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: إن الله خلق آدم على صورته؟ فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث، أن رسول الله صلى الله عليه و آله مر برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهک و وجه من يشبهک. فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله:
يا عبد الله لا تقل هذا لأخيک، فإن الله عز و جل خلق آدم على صورته، فلعل الباقر عليه السلام أجاب هكذا على تقدير تسليم الخبر، أو لم يتعرض لنفيه تقية، و ربما يجاب أيضا بأن المراد على صفته، لأنه مظهر للصفات الكمالية الإلهية، أو يقال: إن الضمير راجع إلى آدم أى صورته المناسبة له اللائقة به.

باب جوامع التوحيد

الحديث الأول

: مرفوع.

ص: 85
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع اسْتَنْهَضَ النَّاسَ فِي حَرْبِ مُعَاوِيَةَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ فَلَمَّا حَشَدَ النَّاسُ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْمُتَفَرِّدِ الَّذِي لَا مِنْ شَيْ‌ءٍ كَانَ وَ لَا مِنْ شَيْ‌ءٍ خَلَقَ مَا كَانَ قُدْرَةٌ بَانَ بِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَ بَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ فَلَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ تُنَالُ وَ لَا حَدٌّ تُضْرَبُ لَهُ فِيهِ الْأَمْثَالُ كَلَّ دُونَ صِفَاتِهِ تَحْبِيرُ اللُّغَاتِ وَ ضَلَّ هُنَاكَ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ

قوله: حشد، أى جمع، و فى بعض النسخ بالراء بمعناه.
قوله عليه السلام: المتفرد، أى فى الخلق و التدبير أو بسائر الكمالات،" و لا من شىء خلق" أى ليس إحداثه للأشياء موقوفا على مادة أو شىء ليس هو موجده.
قوله عليه السلام: قدرة، أى له قدرة، أو هو عين القدرة بناء على عينية الصفات، و قيل: نصب على التميز، أو على أنه منزوع الخافض، أى و لكن خلق الأشياء قدرة، أو بقدرة، و فى التوحيد: قدرته فهو مبتدأ" و بأن بها" خبره أو خبره" كافية"، فكانت جملة استئنافية، فكأن سائلا سئل و قال: فكيف خلق لا من شىء؟ فأجاب بأن قدرته كافية.
قوله: و لا حد، أى جسمانى أو عقلى، أو ليس لمعرفة ذاته و صفاته تعالى حد و نهاية حتى يضرب له فيه الأمثال، إذ الأمثال إنما تصح إذا كان له مشابهة بالممكنات أو مناسبة بينه و بين المدركات بالعقول و المشاعر، و الكلال: العجز و الإعياء، و التحبير التحسين أى أعيى قبل الوصول إلى بيان صفاته أو عنده تزيين الكلام باللغات البديعة الغريبة" و ضل هنالک" أى فى ذاته تعالى أو فى توصيفه بصفاته صفات تصاريف صفات الواصفين، و أنحاء تعبيرات العارفين، أو ضل و ضاع فى ذاته الصفات المتغيرة الحادثة فيكون نفيا للصفات الحادثة عنه تعالى، أو مطلق الصفات، أى ليس فى ذاته التغيرات الحاصلة من عروض الصفات المتغايرة، فيكون نفيا لزيادة الصفات مطلقا، كل ذلک أفاده الوالد العلامة قدس الله روحه" فى ملكوته" فعلوت من الملک، و قد يخص بعالم الغيب و عالم المجردات، و الملک بعالم الشهادة و عالم الماديات، و أفكر فى الشىء و فكر

وَ حَارَ فِی مَلَکُوتِهِ عَمِیقَاتُ مَذَاهِبِ التَّفْکِیرِ وَ انْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوخِ فِی عِلْمِهِ جَوَامِعُ التَّفْسِیرِ وَ حَالَ دُونَ غَیْبِهِ الْمَکْنُونِ حُجُبٌ مِنَ الْغُیُوبِ تَاهَتْ فِی أَدْنَی أَدَانِیهَا طَامِحَاتُ الْعُقُولِ فِی لَطِیفَاتِ الْأُمُورِ فَتَبَارَکَ اللَّهُ الَّذِی لَا یَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَ لَا یَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ وَ تَعَالَی الَّذِی لَیْسَ لَهُ

فیه و تفکر بمعنی، أی تحیر فی إدراک حقائق ملکوته و خواصها و آثارها و کیفیة نظامها و صدورها عنه تعالی الأفکار العمیقة، الواقعة فی مذاهب التفکیر أو مذاهب التفکیر العمیقة، فیکون إسناد الحیرة إلیها إسنادا مجازیا.

" دون الرسوخ فی علمه" الرسوخ: الثبوت أی انقطع جوامع تفسیرات المفسرین قبل الثبوت فی علمه أو عنده، إشارة إلی قوله تعالی:" وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ" و قد مرت الإشارة إلی توجیهه فی باب النهی عن التفکر فی ذاته تعالی هذا إذا کان المراد بقوله: فی علمه، فی معلومه، و یحتمل أن یکون المراد فی العلم به سبحانه أو فی إبانة حقیقة علمه سبحانه بالأشیاء.

" و حال دون غیبه المکنون" المکنون: المستور، و المراد معرفة ذاته و صفاته، فالمراد بالحجب النورانیة و الظلمانیة المعنویة من کماله تعالی و نقص مخلوقاته أو الأعم منها و من سائر العلوم المغیبة، فالحجب أیضا أعم أو المراد أسرار الملکوت الأعلی من العرش و الکرسی و الملائکة، الحافین بهما و سائر ما هو مستور عن حواسنا بالحجب الجسمانیة، و التیه: التحیر، و الأدنی: الأقرب، و الإضافة فی" طامحات العقول و لطیفات الأمور" من إضافة الصفة إلی الموصوف، و الطامح: المرتفع، و الظرف فی قوله: فی لطیفات، متعلق بالطامحات، بأن یکون" فی" بمعنی إلی، أو حال منه فتبارک إما مشتق من البروک بمعنی الثبات و البقاء أو من البرکة و هی الزیادة، و الهمة العزم، و یقال: فلان بعید الهمة إذا کانت إرادته تتعلق بالأمور العالیة، و المعنی لا تبلغه الهمم العالیة الطالبة لأعلی و أبعد ما من شأنها الوصول إلیه، و کذا المراد بغوص

وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ وَ لَا نَعْتٌ مَحْدُودٌ سُبْحَانَ الَّذِی لَیْسَ لَهُ أَوَّلٌ مُبْتَدَأٌ وَ لَا غَایَةٌ مُنْتَهًی وَ لَا آخِرٌ یَفْنَی سُبْحَانَهُ هُوَ کَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ وَ الْوَاصِفُونَ لَا یَبْلُغُونَ نَعْتَهُ وَ حَدَّ الْأَشْیَاءَ کُلَّهَا عِنْدَ خَلْقِهِ إِبَانَةً لَهَا مِنْ شِبْهِهِ وَ إِبَانَةً لَهُ مِنْ شِبْهِهَا لَمْ یَحْلُلْ فِیهَا فَیُقَالَ هُوَ فِیهَا کَائِنٌ وَ لَمْ یَنْأَ عَنْهَا فَیُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ وَ لَمْ یَخْلُ مِنْهَا فَیُقَالَ لَهُ أَیْنَ لَکِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ وَ أَتْقَنَهَا صُنْعُهُ وَ أَحْصَاهَا حِفْظُهُ لَمْ یَعْزُبْ عَنْهُ خَفِیَّاتُ غُیُوبِ الْهَوَاءِ وَ لَا غَوَامِضُ مَکْنُونِ ظُلَمِ الدُّجَی وَ لَا مَا فِی السَّمَاوَاتِ الْعُلَی إِلَی

الفطن: الفطن الغائصة فی بحار الفکر لدرک دقائق الأمور.

" لیس له وقت معدود و لا أجل ممدود" أی لیس له زمان متناه و لا غیر متناه لخروجه عن الزمان، أو لیس له زمان متناه و لا غایة لوجوده و إن امتد الزمان.

" و لا نعت محدود" أی بالحدود الجسمانیة أو العقلانیة بأن یحاط بنعته" و لا آخر یفنی" أی بعده" هو کما وصف نفسه" أی فی کتبه و علی ألسنة رسله و حججه و بقلم صنعه علی دفاتر الآفاق و الأنفس،" حد الأشیاء کلها" أی جعل للأشیاء حدودا و نهایات أو أجزاء و ذاتیات لیعلم بها أنها من صفات المخلوقین، و الخالق منزه عن صفاتهم، أو خلق الممکنات التی من شأنها المحدودیة لیعلم بذلک أنه لیس کذلک، کما قال تعالی: فخلقت الخلق لأعرف، أو خلقها محدودة لأنها لم یکن یمکن أن تکون غیر محدودة لامتناع مشابهة الممکن الواجب فی تلک الصفات التی هی من لوازم وجوب الوجود، و لعل الأوسط أظهر" و لم یخل منها" أی بالخلو الذی هو بمعنی عدم الملکة، بقرینة التفریع، أی الخلو المحل عن الحال و المکان عن المتمکن" فیقال له أین" أی یسأل أین هو، و یمکن أن یقرأ أین بالتنوین، أی یقال إنه أین و مکان للأشیاء، ثم بین علیه السلام نسبته سبحانه إلی الأشیاء و کیفیة قربه منها، بقوله" لکنه سبحانه" إلخ، أی قربه قرب العلیة و إحاطته الإحاطة العلمیة،" لم یعزب" أی لم یغب، و الدجی: جمع دجیة بالضم و هی الظلمة.

الْأَرَضِينَ السُّفْلَى لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا حَافِظٌ وَ رَقِيبٌ وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ مُحِيطٌ وَ الْمُحِيطُ بِمَا أَحَاطَ مِنْهَا الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِی لَا يُغَيِّرُهُ صُرُوفُ الْأَزْمَانِ وَ لَا يَتَكَأَّدُهُ صُنْعُ شَيْءٍ كَانَ إِنَّمَا قَالَ لِمَا شَاءَ كُنْ* فَكَانَ ابْتَدَعَ مَا خَلَقَ بِلَا مِثَالٍ سَبَقَ وَ لَا تَعَبٍ وَ لَا نَصَبٍ وَ كُلُّ صَانِعِ شَيْءٍ فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ وَ اللَّهُ لَا مِنْ شَيْءٍ صَنَعَ مَا خَلَقَ وَ كُلُّ عَالِمٍ فَمِنْ بَعْدِ جَهْلٍ تَعَلَّمَ وَ اللَّهُ لَمْ يَجْهَلْ وَ لَمْ يَتَعَلَّمْ أَحَاطَ بِالْأَشْيَاءِ عِلْماً قَبْلَ كَوْنِهَا فَلَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهَا عِلْماً عِلْمُهُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُكَوِّنَهَا كَعِلْمِهِ بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَ لَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَ لَا نُقْصَانٍ وَ لَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى ضِدٍّ مُنَاوٍ وَ لَا نِدٍّ مُكَاثِرٍ وَ لَا شَرِيكٍ مُكَابِرٍ لَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ

" لكل شىء منها حافظ و رقيب" الظرف خبر لقوله: حافظ و رقيب، أو متعلق بكل منهما و المبتدأ محذوف أى هو لكل شىء منها حافظ و رقيب، و الأول أظهر فيكون إشارة إلى الملائكة الموكلين بالعرش و الكرسى و السماوات و الأرضين و البحار و الجبال و سائر الخلق.
قوله عليه السلام: و كل شىء منها، أى من السماوات و الأرض و ما بينهما محيط بشىء منها إحاطة علم و تدبير فيكون تأكدا للسابق على أحد الوجهين أو إحاطة جسمية، و المحيط بكل من تلك المحيطات علما و قدرة و تدبيرا هو الله الواحد بلا تعدد الأحد بلا مشارک له فى الحقيقة" الصمد" المستجمع لجميع كمالاته اللائقة بذاته الأحدية" الذى لا يغيره صروف الأزمان" أى تغيراتها" و لا يتكأده" أى لا يشق عليه" صنع شىء" من الأشياء" كان" و حصل بتكوينه" ابتدع" و خلق لا من مادة" ما خلق" مخترعا" بلا مثال سبق" و قوله: و لا تعب و لا نصب إما عطف على قوله: مثال، و لا لتأكيد النفى أو مستأنف و لا لنفى الجنس، و التعب ضد الاستراحة، و النصب: الإعياء" على ضد مناف" و فى بعض النسخ" مناو" أى معاد" و لا ند" أى مثل" مكاثر" أى يغالبه بالكثرة" و لا شريک مكابر" أى يعارضه بالكبر أو الإنكار للحق،

فَسُبْحَانَ الَّذِی لَا یَئُودُهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ وَ لَا تَدْبِیرُ مَا بَرَأَ وَ لَا مِنْ عَجْزٍ وَ لَا مِنْ فَتْرَةٍ بِمَا خَلَقَ اکْتَفَی عَلِمَ مَا خَلَقَ وَ خَلَقَ مَا عَلِمَ- لَا بِالتَّفْکِیرِ فِی عِلْمٍ حَادِثٍ أَصَابَ مَا خَلَقَ وَ لَا شُبْهَةٍ دَخَلَتْ عَلَیْهِ فِیمَا لَمْ یَخْلُقْ لَکِنْ قَضَاءٌ مُبْرَمٌ وَ عِلْمٌ مُحْکَمٌ وَ أَمْرٌ مُتْقَنٌ تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِیَّةِ وَ خَصَّ نَفْسَهُ بِالْوَحْدَانِیَّةِ وَ اسْتَخْلَصَ بِالْمَجْدِ وَ الثَّنَاءِ وَ تَفَرَّدَ بِالتَّوْحِیدِ وَ الْمَجْدِ وَ السَّنَاءِ وَ تَوَحَّدَ بِالتَّحْمِیدِ وَ تَمَجَّدَ بِالتَّمْجِیدِ وَ عَلَا عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَ تَطَهَّرَ وَ تَقَدَّسَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ وَ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْ مُجَاوَرَةِ الشُّرَکَاءِ فَلَیْسَ لَهُ فِیمَا خَلَقَ ضِدٌّ وَ لَا لَهُ فِیمَا مَلَکَ نِدٌّ وَ لَمْ یَشْرَکْهُ فِی مُلْکِهِ أَحَدٌ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الْمُبِیدُ لِلْأَبَدِ وَ الْوَارِثُ لِلْأَمَدِ الَّذِی لَمْ یَزَلْ وَ لَا یَزَالُ وَحْدَانِیّاً أَزَلِیّاً قَبْلَ بَدْءِ الدُّهُورِ وَ بَعْدَ صُرُوفِ الْأُمُورِ الَّذِی لَا یَبِیدُ وَ لَا یَنْفَدُ بِذَلِکَ أَصِفُ رَبِّی فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ عَظِیمٍ مَا أَعْظَمَهُ وَ مِنْ جَلِیلٍ مَا أَجَلَّهُ وَ مِنْ عَزِیزٍ مَا أَعَزَّهُ وَ تَعَالَی عَمَّا یَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً کَبِیراً

و الدخور الصغار و الذل" لا یؤوده" أی لا یثقل علیه" و لا من عجز" أی لم یکتف بخلق ما خلق لعجز و لا فتور، بل لعدم کون الحکمة فی أزید من ذلک.

ثم أکد علیه السلام ذلک بقوله:" علم ما خلق، و خلق ما علم" أی ما علمه أن الصلاح فی خلقه" و لا شبهة دخلت علیه فیما لم یخلق" بل لم یخلق لعدم الداعی إلی خلقه و إیجاده" لکن" الإیجاد" باقتضاء تام و قضاء مبرم و علم محکم" و إحاطة بالخیر و الأصلح" و أمر متقن" أی نظام کامل" استخلص بالمجد و الثناء" أی جعلهما مخصوصین بذاته الأحدیة.

" و توحد بالتحمید" أی باستحقاق الحمد من العباد، أو بتحمید نفسه، و فی التوحید فتحمد بالتحمید، یقال: هو یتحمد علی أی یمنن، أی أنعم علینا و استحق منا الحمد و الثناء بأن رخص لنا فی تحمیدة، أو بأن حمد نفسه و لم یکل حمده إلینا و التمجد إظهار المجد و العظمة، و التمجید یحتمل الوجهین أیضا" المبید للأبد" أی المهلک المفنی للدهر و الزمان و الزمانیات" و الوارث للأمد" أی الباقی بعد فناء

وَ هَذِهِ الْخُطْبَةُ مِنْ مَشْهُورَاتِ خُطَبِهِ ع حَتَّى لَقَدِ ابْتَذَلَهَا الْعَامَّةُ وَ هِيَ كَافِيَةٌ لِمَنْ طَلَبَ عِلْمَ التَّوْحِيدِ إِذَا تَدَبَّرَهَا وَ فَهِمَ مَا فِيهَا فَلَوِ اجْتَمَعَ أَلْسِنَةُ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَيْسَ فِيهَا لِسَانُ نَبِيٍّ عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوا التَّوْحِيدَ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ بِأَبِي وَ أُمِّي مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَ لَوْ لَا إِبَانَتُهُ ع مَا عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ يَسْلُكُونَ سَبِيلَ التَّوْحِيدِ أَ لَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِهِ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ وَ لَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ فَنَفَى بِقَوْلِهِ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ مَعْنَى الْحُدُوثِ وَ كَيْفَ أَوْقَعَ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ صِفَةَ الْخَلْقِ وَ الِاخْتِرَاعِ بِلَا أَصْلٍ وَ لَا مِثَالٍ نَفْياً لِقَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مُحْدَثَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ إِبْطَالًا لِقَوْلِ الثَّنَوِيَّةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يُحْدِثُ شَيْئاً إِلَّا مِنْ أَصْلٍ وَ لَا يُدَبِّرُ إِلَّا بِاحْتِذَاءِ مِثَالٍ فَدَفَعَ ع بِقَوْلِهِ لَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ جَمِيعَ حُجَجِ الثَّنَوِيَّةِ وَ شُبَهِهِمْ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَعْتَمِدُ الثَّنَوِيَّةُ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ أَنْ يَقُولُوا لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ شَيْءٍ أَوْ مِنْ لَا شَيْءٍ فَقَوْلُهُمْ مِنْ شَيْءٍ خَطَأٌ وَ قَوْلُهُمْ مِنْ لَا شَيْءٍ مُنَاقَضَةٌ وَ إِحَالَةٌ لِأَنَّ مِنْ تُوجِبُ شَيْئاً وَ لَا شَيْءٍ تَنْفِيهِ فَأَخْرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع هَذِهِ اللَّفْظَةَ عَلَى أَبْلَغِ الْأَلْفَاظِ وَ أَصَحِّهَا فَقَالَ لَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ فَنَفَى مِنْ إِذْ كَانَتْ تُوجِبُ شَيْئاً وَ نَفَى الشَّيْءَ إِذْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مَخْلُوقاً مُحْدَثاً لَا مِنْ أَصْلٍ أَحْدَثَهُ الْخَالِقُ كَمَا قَالَتِ الثَّنَوِيَّةُ إِنَّهُ خَلَقَ مِنْ أَصْلٍ قَدِيمٍ فَلَا يَكُونُ تَدْبِيرٌ إِلَّا بِاحْتِذَاءِ مِثَالٍ ثُمَّ قَوْلُهُ ع-لَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ تُنَالُ وَ لَا حَدٌّ تُضْرَبُ لَهُ فِيهِ الْأَمْثَالُ كَلَّ دُونَ صِفَاتِهِ تَحْبِيرُ اللُّغَاتِ فَنَفَى ع أَقَاوِيلَ الْمُشَبِّهَةِ حِينَ شَبَّهُوهُ بِالسَّبِيكَةِ وَ الْبِلَّوْرَةِ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ مِنَ الطُّولِ وَ الِاسْتِوَاءِ وَ قَوْلُهُمْ مَتَى مَا لَمْ تَعْقِدِ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَ لَمْ تَرْجِعْ إِلَى إِثْبَاتِ هَيْئَةٍ لَمْ تَعْقِلْ شَيْئاً فَلَمْ تُثْبِتْ صَانِعاً فَفَسَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنَّهُ وَاحِدٌ بِلَا كَيْفِيَّةٍ وَ أَنَّ الْقُلُوبَ تَعْرِفُهُ بِلَا تَصْوِيرٍ وَ لَا إِحَاطَةٍ

الأمد أى الغاية و النهاية، أو امتداد الزمان" و بعد صروف الأمور" أى تغيرها و فناؤها و هذا ناظر إلى قوله: لا يزال، كما أن ما قبله ناظر إلى قوله لم يزل.

قوله: لقد ابتذلها، أى اشتهرت بينهم، فكأنها صارت مبتذلة، و لو لا إبانته،

ثُمَّ قَوْلُهُ ع الَّذِی لَا یَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَ لَا یَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ وَ تَعَالَی الَّذِی لَیْسَ لَهُ وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ وَ لَا نَعْتٌ مَحْدُودٌ ثُمَّ قَوْلُهُ ع لَمْ یَحْلُلْ فِی الْأَشْیَاءِ فَیُقَالَ هُوَ فِیهَا کَائِنٌ وَ لَمْ یَنْأَ عَنْهَا فَیُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ فَنَفَی ع بِهَاتَیْنِ الْکَلِمَتَیْنِ صِفَةَ الْأَعْرَاضِ وَ الْأَجْسَامِ لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الْأَجْسَامِ التَّبَاعُدَ وَ الْمُبَایَنَةَ وَ مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ الْکَوْنَ فِی الْأَجْسَامِ بِالْحُلُولِ عَلَی غَیْرِ مُمَاسَّةٍ وَ مُبَایَنَةُ الْأَجْسَامِ عَلَی تَرَاخِی الْمَسَافَةِ ثُمَّ قَالَ ع لَکِنْ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ وَ أَتْقَنَهَا صُنْعُهُ أَیْ هُوَ فِی الْأَشْیَاءِ بِالْإِحَاطَةِ وَ التَّدْبِیرِ وَ عَلَی غَیْرِ مُلَامَسَةٍ
2 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِی حَمَّادٍ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ یَزِیدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیِّ بْنِ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ اسْمُهُ

أی تمییزه الحق عن الباطل" نفیا لقول من قال" أی من الحکماء و الدهریة و الملاحدة حیث یقولون بقدم الأنواع، و أن کل حادث مسبوق بآخر لا إلی نهایة" لأن أکثر ما یعتمده الثنویة" لعل المراد بالثنویة غیر المصطلح من القائلین بالنور و الظلمة، بل القائلین بالقدم و أنه لا یوجد شیء إلا عن مادة، لأن قولهم بمادة قدیمة إثبات لإله آخر، إذ لا یعقل التأثیر فی القدیم، فقال علیه السلام: لا من شیء خلق، فإنه رد علیهم بأن ترددهم غیر حاصر، إذ نقیض من شیء لا من شیء لا من لا شیء" فنفی" أی نفی لفظة من بإدخال لا علیها، إذ کانت نفی من توجب شیئا، فلو دخلت علی حرف النفی کما قالوا لزم التناقض" ثم قوله" بالجر عطف علی قوله فی قوله: أ لا ترون إلی قوله. و قوله: و مباینة الأجسام عطف علی مماسته أو علی الکون، أو مبتدأ و علی تراخی المسافة خبره، لیکون مؤیدا للجملة السابقة فتأمل.

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام: إن الله تبارک و تعالى اسمه، أى اسمه ذو بركة عظيمة أو ثابت غير متغير، أو برىء عن العيوب و النقائص، و الجملة الفعلية فى محل الرفع خبر إن،

وَ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ وَ تَقَدَّسَ وَ تَفَرَّدَ وَ تَوَحَّدَ وَ لَمْ يَزَلْ وَ لَا يَزَالُ وَ هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ فَلَا أَوَّلَ لِأَوَّلِيَّتِهِ رَفِيعاً فِي أَعْلَى عُلُوِّهِ شَامِخُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ عَظِيمُ السُّلْطَانِ مُنِيفُ الْآلَاءِ سَنِيُّ الْعَلْيَاءِ الَّذِي عَجَزَ الْوَاصِفُونَ عَنْ كُنْهِ صِفَتِهِ وَ لَا يُطِيقُونَ حَمْلَ مَعْرِفَةِ إِلَهِيَّتِهِ وَ لَا يَحُدُّونَ حُدُودَهُ لِأَنَّهُ

" و تعالى ذكره" عن الوصف بما يليق بالإمكان، و جل ثناؤه سبحانه عن إحصار الألسن و إحاطة الأذهان، و تقدس عن الاتصاف بما فى بقعة الإمكان، و تفرد بقدرته عن مشاركة الأعوان، و توحد بعز جلاله عن مجاورة الأمثال، و اتخاذ الأزواج و الولدان و هو بذاته لم يزل و لا يزال لا بإحاطة الدهور و الأزمان، و هو الأول الذى يبتدأ منه وجود كل موجود و الآخر الذى ينتهى إليه أمد كل معدود، و هو باق بعد فناء كل موجود، و الظاهر الغالب على الأشياء و المحيط بها بقدرته و علمه الشامل، و الباطن الذى لا يصل إليه و لا يحيط به إدراک الأوهام و العقول الكاملة، فلا أول لأوليته أى لأزليته و قوله: رفيعا، منصوب على الحالية أو على المدح.
" فى أعلى علوه" أى فى علوه الأعلى من الوصف و البيان، أو الأعلى من كل علو يصل إليه و يدركه الأوهام، و الأذهان أو يعبر عنه بالعبارة و اللسان.
" شامخ الأركان" أى أركان خلقه أو مخلوقاته العظيمة أو صفاته التى هى بمنزلة الأركان، أو استعارة تمثيلية بتشبيه المعقول بالمحسوس، إيضاحا لعلوه و رفعته و كذا قوله عليه السلام: رفيع البيان يحتمل الوجوه و الأول فيه أظهر.
" منيف الآلاء" أى مشرفها على الخلق بالفيضان من بحر جوده أو زائدها من أناف عليه أى زاد" سنى العليا" رفيعة و العليا السماء و رأس الجبل و المكان المرتفع و كل ما علا من شىء، و لعل المراد هنا كل مرتفع يليق بأن ينسب إليه، لا يحدون حدوده أى حدود الرب سبحانه، أى لا يقدرون على تحديده لأنهم إنما يقدرون على التحديد بالكيفيات و أشباهها و هو سبحانه متعال عن الكيفيات و الصفات الزائدة و قال السيد الداماد (ره): الضمير فى حدوده يعود إلى الحمل، يعنى: لا يحدون

بِالْكَيْفِيَّةِ لَا يُتَنَاهَى إِلَيْهِ
3 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ جَمِيعاً عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ ضَمَّنِي وَ أَبَا الْحَسَنِ ع الطَّرِيقُ فِي مُنْصَرَفِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى خُرَاسَانَ وَ هُوَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ يُتَّقَى وَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ يُطَاعُ فَتَلَطَّفْتُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَوَصَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ يَا فَتْحُ مَنْ أَرْضَى الْخَالِقَ لَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِ وَ مَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَقَمَنٌ أَنْ يُسَلِّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَخَطَ الْمَخْلُوقِ وَ إِنَّ الْخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَ أَنَّى يُوصَفُ الَّذِي تَعْجِزُ الْحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ وَ الْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ وَ الْخَطَرَاتُ أَنْ تَحُدَّهُ وَ الْأَبْصَارُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ وَ تَعَالَى عَمَّا يَنْعَتُهُ النَّاعِتُونَ نَأَى فِي قُرْبِهِ وَ قَرُبَ فِي نَأْيِهِ فَهُوَ فِي نَأْيِهِ قَرِيبٌ وَ فِي قُرْبِهِ بَعِيدٌ كَيَّفَ الْكَيْفَ فَلَا يُقَالُ كَيْفَ وَ أَيَّنَ الْأَيْنَ فَلَا يُقَالُ أَيْنَ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعُ

حدود حمل معرفته إذ بالوصف لا يدرک إلى مداه، و بالصفة لا يدرک منتهاه، و بالكيفية لا يتناهى إلى حده و لا يخفى بعده.

الحديث الثالث

: مجهول و أبو الحسن الثانى كما يظهر من العيون أو الثالث كما يظهر من كشف الغمة و غيره،" يتقى" أى يخافه كل شىء" يطاع": أى يجعل الله الخلق مطيعا له.
قوله عليه السلام: فلطفت، أى وصلت إليه بلطف و رفق، أو بحيل لطيفة، و قال فى المغرب هو قمن بكذا و قمين به أى خليق، و الجمع قمنون و قمناء، و أما قمن بالفتح فيستوى فيه المذكر و المؤنث و الاثنان و الجمع.
قوله عليه السلام: إذ هو منقطع الكيفوفية، أى عنده تعالى ينقطع الكيف و الأين، و قيل: يحتمل أن يكون من قبيل الوصف بحال المتعلق، و على صيغة اسم الفاعل أى الكيفوفية و الأينونية منقطعة عنه، و يحتمل أن يكون على صيغة اسم المفعول أى هو منقطع فيه و عنده الكيفوفية و الأينونية، أو اسم مكان أى مرتبته مرتبة انقطع

الْكَيْفُوفِيَّةِ وَ الْأَيْنُونِيَّةِ
4 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ بَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع يَخْطُبُ عَلَی مِنْبَرِ الْكُوفَةِ إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ- ذِعْلِبٌ ذُو لِسَانٍ بَلِيغٍ فِی الْخُطَبِ شُجَاعُ الْقَلْبِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ رَأَيْتَهُ قَالَ وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَ لَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ إِنَّ رَبِّی لَطِيفُ اللَّطَافَةِ- لَا يُوصَفُ بِاللُّطْفِ عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالْعِظَمِ كَبِيرُ الْكِبْرِيَاءِ لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ جَلِيلُ الْجَلَالَةِ لَا يُوصَفُ بِالْغِلَظِ قَبْلَ كُلِّ شَیْءٍ لَا يُقَالُ شَیْءٌ قَبْلَهُ وَ بَعْدَ كُلِّ شَیْءٍ لَا يُقَالُ لَهُ بَعْدٌ شَاءَ الْأَشْيَاءَ لَا بِهِمَّةٍ- دَرَّاكٌ لَا بِخَدِيعَةٍ فِی

فيها الكيفوفية و الأينونية.

الحديث الرابع

: مرفوع، و ذعلب اليمانى ضبطه الشهيد فى قواعده بكسر الذال المعجمة و سكون العين المهملة و كسر اللام.
قوله: بحقائق الإيمان، أى بحقائق هى الإيمان أو بمحققاته أو بالتصديقات التى هى أركان الإيمان، أو بالأنوار التى حصلت فى القلب من الإيمان، أو بالإذعانات الحقة الثابتة، أو بما هو حق الإيمان به" لطيف اللطافة" أى لطافته تعالى خفية لا تصل إليها العقول، و لا يوصف باللطف الجسمانى" لا يوصف بالعظم" أى لا يمكن وصف عظمته أو لا يوصف بعظمته الجسم" لا يوصف بالغلظ" أى ليس جلالته تعالى بمعنى الغلظ فى الجثة، أو ليس جلالته مقرونة بالغلظ فى الخلق كما فى المخلوقين،" قبل كل شىء أى" بالعلية و سائر أنواع التقدم" لا يقال شىء قبله" بنحو من أنحاء القبلية و أقسامها الأزلية" و بعد كل شىء" فينتهى وجود كل شىء إليه، و هو الباقى بعده" لا يقال له بعد" ينتهى وجوده سبحانه إليه، و قيل: أى لا يقال له بعد على الإطلاق و منفردا عن ذكر القبل كما يقال: هو الأول و الآخر، و لا يقال له الآخر منفردا عن ذكر الأول" شاء" اسم فاعل أو فعل ماض.
" لا بهمة" أى إرادة و خطور بال،" لا بخديعة" أى لا بحيلة فى إدراكها فى

الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا غَيْرُ مُتَمَازِجٍ بِهَا وَ لَا بَائِنٌ مِنْهَا ظَاهِرٌ لَا بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ مُتَجَلٍّ لَا بِاسْتِهْلَالِ رُؤْيَةٍ نَاءٍ لَا بِمَسَافَةٍ قَرِيبٌ لَا بِمُدَانَاةٍ لَطِيفٌ لَا بِتَجَسُّمٍ مَوْجُودٌ لَا بَعْدَ عَدَمٍ فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَارٍ مُقَدِّرٌ لَا بِحَرَكَةٍ مُرِيدٌ لَا بِهَمَامَةٍ سَمِيعٌ لَا بِآلَةٍ بَصِيرٌ لَا بِأَدَاةٍ لَا تَحْوِيهِ الْأَمَاكِنُ وَ لَا تَضْمَنُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لَا تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ وَ لَا تَأْخُذُهُ السِّنَاتُ

الأشياء كلها بعلمه بها و تدبيره لها" غير متمازج بها" بالمجاورة و الخلط" و لا بائن منها" مفارقا عنها بالبعد، فإن القرب و البعد المكانيين و ما بحكمهما لا يليقان به سبحانه" ظاهر" أى غالب، أو بين، و ليس غلبته بكونه سبحانه راكبا فوقها، أو ليس تبينه بأن يكون ملموسا أو مدركا بحس" متجل" أى ظاهر غير خفى على عباده بالآيات و الأدلة، لا بظهور و انكشاف من رؤية.
و قال فى المغرب أهل الهلال و استهل مبنيا للمفعول فيهما إذا أبصر ناء من الأشياء بعيد عنها لعجزها عن الوصول إلى معرفة ذاته و حقيقته، لا ببعد مسافة، قريب من الأشياء لعلمه بجميعها لا بمداناة و مقارنة" لطيف" أى يدق عن إدراک المدارک، لا بدقة جسمانية" لا باضطرار" أى بكونه مجبورا على ما يفعله، بل إنما يفعل بعلمه و مشيته" مقدر" للأشياء محدد و مصور لها" لا بحركة" أى حركته أو حركة جوارحه أو بحركة ذهنية كما فى المخلوقين" لا بهمامة" أى لا بقصد و خطور بال" و لا تحده الصفات" أى توصيفات الناس أو صفات المخلوقين، و السنة مبدء النوم" سبق الأوقات" بالنصب" كونه" بالرفع، إذ هو علة لها أو المعنى لم تصل الأزمان إليه بأن تتقدر بها" و العدم وجوده" قيل: المراد أنه علة لإعدام الممكنات كما أنه تعالى علة لوجوداتها لأن عدم العالم قبل وجوده كان مستندا إلى عدم الداعى إلى إيجاده المستند إلى وجوده فوجوده سبق عدم الممكنات أيضا، أو المراد أزليته أى كل عدم ممكن تفرض أى عدمه السابق المقارن للوجود فهو مقدم عليه، أو المراد سبق وجوده على عدمه تعالى، لأن وجوده لما كان واجبا كان عدمه ممتنعا، فكان وجوده سابقا على عدمه، و غالبا عليه

سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ وَ الْعَدَمَ وُجُودُهُ وَ الِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ- بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ

و قيل: الأعدام تابعة للملكات، و الملكات مصنوعة له، فالأعدام كذلک.
" و الابتداء أزله" أى أزليته أزلية لا تجتمع مع الابتداء و تنافيه، فكلما جعلت له ابتداء فهو موجود لأزليته قبله، أو أن أزليته سبقت بالعلية كل ابتداء و مبتدإ،" بتشعيره المشاعر" أى بإيجادها و إفاضة وجوداتها و كونها ممكنة موجودة بالإيجاد عرف أنها مخلوقة له فلا يستكمل بها، و لا يكون مناط علمه الذاتى، فلا يكون مشاعر له أو لأنا بعد إفاضة المشاعر علمنا احتياجنا فى الإدراک إليها، فحكمنا بتنزهه سبحانه عنها لاستحالة احتياجه تعالى فى كماله إلى شىء، أو لما يحكم به العقل من المباينة بين الخالق و المخلوق فى الصفات.
و قال ابن ميثم رحمه الله فى شرح النهج: لأنه لو كان له مشاعر لكان وجودها له إما من غيره و هو محال، و إما منه و هو أيضا محال، لأنها إن كانت من كمالات ألوهيته كان موجدا لها من حيث هو فاقد كما لا، فكان ناقصا بذاته و هذا محال و إن لم تكن كمالا كان إثباتها له نقصا، لأن الزيادة على الكمال نقصان، فكان إيجاده لها مستلزما لنقصانه و هو محال.
و اعترض عليه بعض الأفاضل بوجوه: أحدها بالنقض لأنه لو تم ما ذكره يلزم أن لا تثبت له تعالى صفة كمالية كالعلم و القدرة و نحوهما، و ثانيها: بالحل باختيار شق آخر، و هو أن يكون ذلک المشعر عين ذاته سبحانه كالعلم و القدرة، و ثالثها:
أن هذا الكلام على تقدير تمامه استدلال برأسه لم يظهر فيه مدخلية قوله عليه السلام بتشعيره المشاعر فى نفى المشعر عنه تعالى، و أن ما استعمله لم تثبت به و قد ثبتت بغيره ثم قال: فالأولى أن يقال قد تقرر أن الطبيعة الواحدة لا يمكن أن يكون بعض أفرادها علة لبعض آخر لذاته، لأنه لو فرض كون نار مثلا علة لنار فعلية هذه و معلوليته تلک إما لنفس كونهما نارا فلا رجحان لأحدهما فى العلية، و للأخرى فى المعلولية، بل يلزم أن يكون كل نار علة للأخرى، بل علة لذاتها و معلولا لذاتها،

لَهُ وَ بِتَجْهِيرِهِ الْجَوَاهِرَ عُرِفَ أَنْ لَا جَوْهَرَ لَهُ وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ

و هو محال و إن كانت العلية لانضمام شىء آخر فلم يكن ما فرضناه علة علة بل العلة حينئذ ذلک الشىء فقط، لعدم الرجحان فى أحدهما للشرطية و الجزئية أيضا، لاتحادهما من جهة المعنى المشترک، و كذلک لو فرض المعلولية لأجل ضميمة.
فقد تبين أن جاعل الشىء يستحيل أن يكون مشاركا لمجعوله، و به يعرف أن كل كمال و كل أمر وجودى يتحقق فى الموجودات الإمكانية فنوعه و جنسه مسلوب عنه تعالى، و لكن يوجد له ما هو أعلى و أشرف منه، أما الأول فلتعاليه عن النقص و كل مجعول ناقص و إلا لم يكن مفتقرا إلى جاعل، و كذا ما يساويه فى المرتبة كآحاد نوعه و أفراد جنسه، و أما الثانى فلان معطى كل كمال ليس بفاقد له، بل هو منبعه و معدنه و ما فى المجعول رشحه و ظله" انتهى".
و قيل: المراد مشاعر العبادة" و بتجهيره الجواهر" أى بتحقيق حقائقها عرف أنها ممكنة، و كل ممكن محتاج إلى مبدء، فمبدأ المبادئ لا يكون حقيقة من هذه الحقائق" و بمضادته بين الأشياء" المتضادة من الحقائق النوعية الصورية الجوهرية أو العرضية و جعلها حقائق متضادة لتحددها بتحديدات من جاعلها لها، لا يجامع بعضها بعضا لتخالف حقائقها المتحددة بالحدود المتباينة المتنافية، و كل حقائق مخلوقة بالحدود متحددة، و الإحدى المقدس عن التحددات لا يضاده المحدود المتنزل عن مرتبته، و كيف يضاد المخلوق خالقه و الفائض مفيضه كذا قيل.
و أقول: المراد بالضد إما المعنى المصطلح أى موجودان متعاقبان على موضوع أو محل واحد، أو المعنى العرفى الذى هو المساوى للشىء فى القوة، فعلى الأول نقول:
لما خلق الأضداد فى محالها، و وجدناها محتاجة إليها، علمنا عدم كونه ضد الشىء، للزوم الحاجة إلى المحل المنافية لوجوب الوجود، أو لأنا لما وجدنا كلا من الضدين يمنع وجود الآخر و يدفعه و ينفيه، فعلمنا أنه تعالى منزه من ذلک، و أما الثانى فلان المساوى فى القوة للواجب يجب أن يكون واجبا، فيلزم تعدد الواجب و قد مر بطلانه

وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ وَ الْيُبْسَ بِالْبَلَلِ وَ الْخَشِنَ بِاللَّيِّنِ وَ الصَّرْدَ بِالْحَرُورِ مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا وَ مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا دَالَّةً بِتَفْرِيقِهَا عَلَى مُفَرِّقِهَا وَ بِتَأْلِيفِهَا عَلَى مُؤَلِّفِهَا وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى- وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا

" و بمقارنته بين الأشياء" أى بجعل بعضها مقارنا لبعض كالأعراض و محالها، و الممكنات و أمكنتها، و الملزومات و لوازمها" عرف أن لا قرين له" مثلها، لدلالة كل نوع منها على أنواع النقص و العجز و الافتقار.
و قيل: أى بجعلها متحددة بتحددات متناسبة موجبة للمقارنة، عرف أن لا قرين له، و كيف يناسب المتحدد بتحدد خاص دون المتحدد بتحدد آخر من لا تحدد له، فإن نسبة اللاتحدد إلى التحددات كلها سواء" ضاد النور بالظلمة" بناء على كون الظلمة أمرا وجوديا، و على تقدير كونها عدم ملكة ففى تسميتها بالضد تجوز و لعل المراد بالضد غير ما هو المصطلح.
و الصرد بفتح الراء و سكونها: البرد" فارسى معرب" و الحرور بالفتح: الريح الحارة" مؤلف بين متعادياتها" كما ألف بين العناصر المختلفة الكيفيات، و بين الروح و البدن، و بين القلوب المتشتتة الأهواء و غير ذلک" مفرق بين متدانياتها" كما يفرق بين أجزاء العناصر و كلياتها للتركيب، و كما يفرق بين الروح و البدن، و بين أجزاء المركبات عند انحلالها، و الأبدان بعد موتها، و بين القلوب المتناسبة [المتلاصقة] لحكم لا تحصى، فدل التأليف و التفريق المذكوران الواقعان على خلاف مقتضى الطبائع على قاسر يقسرها عليهما، و كونهما على غاية الحكمة و نهاية الإتقان على علم القاسر و قدرته و حكمته و كماله.
قوله عليه السلام:" و ذلک قوله" يحتمل أن يكون ذكر الآية استشهادا بكون المضادة و المقارنة دليلين على عدم اتصافه بهما، كما فسر بعض المفسرين الآية بأن الله تعالى خلق من كل جنس من أجناس الموجودات نوعين متقابلين، و هما زوجان لأن كل واحد منهما مزدوج بالآخر كالذكر و الأنثى، و السواد و البياض، و السماء و الأرض،

زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفَرَّقَ بَيْنَ قَبْلٍ وَ بَعْدٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ وَ لَا بَعْدَ لَهُ شَاهِدَةً

و النور و الظلمة، و الليل و النهار، و الحار و البارد، و الرطب و اليابس، و الشمس و القمر، و الثوابت و السيارات، و السهل و الجبل، و البحر و البر، و الصيف و الشتاء، و الجن و الإنس، و العلم و الجهل، و الشجاعة و الجبن، و الجود و البخل، و الإيمان و الكفر، و السعادة و الشقاوة، و الحلاوة و المرارة، و الصحة و السقم، و الغناء و الفقر، و الضحک و البکاء، و الفرح و الحزن، و الحياة و الموت إلى غير ذلک مما لا يحصى، خلقهم كذلک ليعلم أن لهم موجدا ليس هو كذلک.

و يحتمل أن يكون استشهادا لكون التأليف و التفريق دالين على الصانع، لدلالة خلق الزوجين على المفرق و المؤلف لهما لأنه خلق الزوجين من واحد بالنوع فيحتاج إلى مفرق بجعلهما متفرقين، و جعلهما مزاوجين مؤتلفين ألفه لخصوصهما، فيحتاج إلى مؤلف بجعلهما مؤتلفين.

و قيل: كل موجود دون الله فيه زوجان اثنان كالمهية و الوجود، و الوجوب و الإمكان، و المادة و الصورة، و الجنس و الفصل، و أيضا كل ما عداه يوصف بالمتضايفين كالعلية و المعلولية، و القرب و البعد، و المقارنة و المباينة، و التآلف و التفرق و المعاداة و الموافقة، و غيرها من الأمور الإضافية.

و قال بعض المفسرين: المراد بالشىء الجنس، و أقل ما يكون تحت الجنس نوعان، فمن كل جنس نوعان كالجوهر منه المادى و المجرد، و من المادى الجماد و النامى، و من النامى النبات و المدرک، و من المدرک الصامت و الناطق، و كل ذلک يدل على أنه واحد لا كثرة فيه، فقوله:" لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" أى تعرفون من اتصاف كل مخلوق بصفة التركيب و التضايف و الزوجية، أن خالقهما واحد أحد لا يوصف بصفاتها.

قوله عليه السلام: ليعلم أن لا قبل له، ظاهره نفى كونه سبحانه زمانيا و يحتمل أن يكون المعنى عرفهم معنى القبلية و البعدية، ليحكموا بأن ليس شىء قبله و لا

ص: 100
بِغَرَائِزِهَا أَنْ لَا غَرِيزَةَ لِمُغْرِزِهَا مُخْبِرَةً بِتَوْقِيتِهَا أَنْ لَا وَقْتَ لِمُوَقِّتِهَا حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ كَانَ رَبّاً إِذْ لَا مَرْبُوبَ وَ إِلَهاً إِذْ لَا مَأْلُوهَ وَ عَالِماً إِذْ لَا مَعْلُومَ وَ سَمِيعاً إِذْ لَا مَسْمُوعَ
5 عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ شَبَابِ الصَّيْرَفِيِّ وَ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ قَالَ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ قُتَيْبَةَ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَ عِيسَى شَلَقَانُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فَابْتَدَأَنَا فَقَالَ عَجَباً لِأَقْوَامٍ يَدَّعُونَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع النَّاسَ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُلْهِمِ عِبَادَهُ حَمْدَهُ وَ فَاطِرِهِمْ عَلَى مَعْرِفَةِ رُبُوبِيَّتِهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ

بعده، و الغرائز: الطبائع و مغرزها موجد غرائزها و مفيضها عليها، و يمكن حملها و أمثالها على الجعل البسيط إن كان حقا.
و قيل: إنما تشهد لتعاليه عن التحدد الذى إنما يكون بها الطبيعة و الغريزة لأنه تحدد يلحقه الوجود، و المتحددة به خالية فى ذاتها عن الوجود، أو لتعاليه عن التحدد مطلقا، و ربما تحمل الغرائز على الملكات و الصفات النفسانية كالشجاعة و السخاوة و الشهامة و أمثالها، و توقيتها تخصيص حدوث كل منهما بوقت، و بقائها إلى وقت، و" حجب بعضها عن بعض" أى بالحجب الجسمانية، أو الأعم ليعلم أن ذلک نقص و عجز و هو منزه عن ذلک، بل ليس لهم عن الرب حجاب إلا أنفسهم، لإمكانهم و نقصهم" كان ربا" أى قادرا على التربية، إذ هو الكمال، و فعليتها منوطة بالمصلحة،" و إلها إذ لا مألوه" أى من له الآلة، أى كان مستحقا للمعبودية إذ لا عابد.

الحديث الخامس

: ضعيف.
قوله عليه السلام: ما لم يتكلم، من تشبيه الله تعالى و ادعاء ألوهيته و أمثال ذلک.
قوله عليه السلام: الملهم عباده، أی خواصهم" حمده" أی حمدا يليق به أو الأعم على حسب قابليتهم و استعدادهم" و فاطرهم على معرفة ربوبيته" بإقدارهم على المعرفة و اطلاعهم عليها بالعلم بالمقدمات الدالة عليه بالفعل أو بالقوة القريبة منه، أو بما ألقى عليهم من الإقرار به فی الميثاق، كما يظهر من الأخبار الدال على وجوده بخلقه

وَ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِهِ وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ الْمُسْتَشْهِدِ بِآيَاتِهِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْمُمْتَنِعَةِ مِنَ الصِّفَاتِ ذَاتُهُ وَ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ وَ مِنَ الْأَوْهَامِ الْإِحَاطَةُ بِهِ لَا أَمَدَ لِكَوْنِهِ وَ لَا غَايَةَ لِبَقَائِهِ لَا تَشْمُلُهُ الْمَشَاعِرُ وَ لَا تَحْجُبُهُ الْحُجُبُ وَ الْحِجَابُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ خَلْقُهُ إِيَّاهُمْ لِامْتِنَاعِهِ مِمَّا يُمْكِنُ فِي ذَوَاتِهِمْ وَ لِإِمْكَانِ مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنْهُ وَ لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ مِنَ الْمَصْنُوعِ وَ الْحَادِّ مِنَ الْمَحْدُودِ وَ الرَّبِّ مِنَ الْمَرْبُوبِ الْوَاحِدُ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ وَ الْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَ الْبَصِيرُ لَا بِأَدَاةٍ وَ السَّمِيعُ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ وَ الشَّاهِدُ لَا بِمُمَاسَّةٍ

لإمكانهم و احتياجهم إلى المؤثر" و بحدوث خلقه على أزله" و فى التوحيد أزليته يدل على أن الحدوث علة الحاجة إلى العلة، و على حدوث ما سواه" و باشتباههم" إذ تلك المشابهات فى الأمور الممكنة و لوازم الإمكان، و قيل: المراد اشتراكهم فى المهيات و لوازمها، إذ الاشتراك يدل على التركيب، و قيل: المراد اشتباههم فى الحاجة إلى المؤثر و المدبر.

" لا أمد" فى الأزل" و لا غاية" أى فى الأبد" و الحجاب بينه و بين خلقه" أى إنما الحجاب بينه و بين خلقه كونه خالقا بريئا عن الإمكان، و كونهم مخلوقة ممكنة قاصرة عن نيل البرىء بذاته و صفاته عن الإمكان، فالحجاب بينه و بين خلقه قصورهم و كماله، و هذا هو المراد بقوله: لامتناعه مما يمكن فى ذواتهم.

" و لا مكان" بالتنوين عوض المحذوف أى لا مكان ذواتهم أو ما فى ذواتهم مما يمتنع منه ذاته تعالى، و قيل: أى يمكن له بالإمكان العام ما يمتنع منه ذواتهم كالوجوب و الأزلية، و لا يخفى ما فيه.

" بلا تأويل عدد" بأن يكون له تعالى ثان من نوعه أو يكون مركبا فيطلق عليه الواحد بتأويل أنه واحد من نوع مثلا" لا بمعنى حركة" أى جسمانية أو نفسانية.

" لا بتفريق آلة" أى لا بآلة مغايرة لذاته أو بإدخال شىء فيها، فإنه يتضمن التفريق، و فى التوحيد: السميع لا بأداة البصر، لا بتفريق آلة، أى بفتح العين

وَ الْبَاطِنُ لَا بِاجْتِنَانٍ وَ الظَّاهِرُ الْبَائِنُ لَا بِتَرَاخِی مَسَافَةٍ أَزَلُهُ نُهْيَةٌ لِمَجَاوِلِ الْأَفْكَارِ وَ دَوَامُهُ رَدْعٌ لِطَامِحَاتِ الْعُقُولِ قَدْ حَسَرَ كُنْهُهُ نَوَافِذَ الْأَبْصَارِ وَ قَمَعَ وُجُودُهُ جَوَائِلَ الْأَوْهَامِ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ وَ مَنْ قَالَ

أو بعث الأشعة و توزيعها على المبصرات، على القول بالشعاع، أو تقليب الحدقة و توجيهها مرة إلى هذا المبصر، و مرة إلى ذلک كما يقال فلان مفرق الهمة و الخاطر إذا وزع فكره على حفظ أشياء متباينة و مراعاتها" لا باجتنان" الاجتنان: الاستتار، أى أنه باطن بمعنى أن العقول و الأفهام لا تصل إلى كنهه لا باستتاره بستر و حجاب، أو علم البواطن لا بالدخول فيها و الاستتار بها.
و النهية بضم النون و سكون الهاء و فتح الياء اسم من نهاه ضد أمره، و المجاول بالجيم جمع مجول بفتح الميم، و هو مكان الجولان و زمانه، أو مصدر، و الردع: المنع و الكف، و الحسر: الإعياء يتعدى و لا يتعدى، و المراد هنا المتعدى، و القمع: القلع و الجوائل جمع جائل أو جائلة من الجولان.
قوله عليه السلام: فمن وصف الله، بالصورة و الكيف فقد جعله جسما ذا حدود و من جعله ذا حدود فقد جعله ذا أجزاء، و كل ذى أجزاء محتاج حادث، أو من وصف الله و حاول تحديد كنهه فقد جعله ذا حد مركب من جنس و فصل، فقد صار حقيقته مركبة محتاجة إلى الأجزاء حادثة، أو من وصف الله بالصفات الزائدة فقد جعل ذاته محدودة بها، و من حده كذلک فقد جعله ذا عدد، إذ اختلاف الصفات إنما تكون بتعدد أجزاء الذات، أو قال: بتعدد الآلهة، إذ يكون كل صفة لقدمها إلها غير محتاج إلى علة، و من كان مشاركا فى الإلهية لا يكون قديما فيحتاج إلى علة أو جعله مع صفاته ذا عدد، و عروض الصفات المغايرة الموجودة ينافى الأزلية، لأن الاتصاف نوع علاقة توجب احتياج كل منهما إلى الآخر، و هو ينافى وجوب الوجود و الأزلية، أو المعنى أنه على تقدير زيادة الصفات يلزم تركب الصانع إذ ظاهر أن الذات بدون ملاحظة الصفات ليست بصانع للعالم، فالصانع المجموع، فيلزم تركبه

أَيْنَ فَقَدْ غَيَّاهُ وَ مَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ
6 وَ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ صَالِحِ بْنِ حَمْزَةَ عَنْ فَتْحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ قَالَ كَتَبْتُ إِلَى أَبِي إِبْرَاهِيمَ ع أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ فَكَتَبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُلْهِمِ عِبَادَهُ حَمْدَهُ
وَ ذَكَرَ مِثْلَ مَا رَوَاهُ- سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ إِلَى قَوْلِهِ وَ قَمَعَ وُجُودُهُ جَوَائِلَ الْأَوْهَامِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ أَوَّلُ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَ شَهَادَةِ الْمَوْصُوفِ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ وَ شَهَادَتِهِمَا جَمِيعاً بِالثَّنِيَةِ الْمُمْتَنِعِ مِنْهُ الْأَزَلُ فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ

المستلزم للحاجة و الإمكان.
و قيل: المعنى فقد عده من المخلوقين" و من قال: أين فقد غياه" أى جعل له نهاية ينتهى لها إلى أينه أو جعله جسما ذا غايات و نهايات" و من قال على م؟" أى على ما و على أى شىء هو" فقد أخلى منه" غير ما جعله سبحانه عليه" و من قال: فيم؟" أى فيما هو" فقد ضمنه" أى حكم بكونه فى شىء محيطة به.

الحديث السادس

"دين دار گشتن" : مجهول و الديانة مصدر دان يدين، و فى المصادر الديانة
و يعدى بالباء، و المعنى أول التدين بدين الله معرفته، أى العلم بوجوده و كماله و التقدس عما لا يليق به و أوليتها ظاهرة لكونها أشرف المعارف، و توقف سائر المعارف و صحة جميع الأعمال عليه" و كمال معرفته توحيده" أى اعتقاد كونه متوحدا غير مشارک لغيره فى إلهيته و فى صفاته الذاتية فضلا عن المشاركة فى الذاتى و كمال توحيده نفى الصفات الزائدة عنه، لشهادة كل من الصفة و الموصوف بمغايرته للآخر، و فيه رد على الأشاعرة القائلين إن صفاته سبحانه لا عينه و لا غيره.
و المغايرة موجب لأحد أمور: إما كونهما قديمين فيلزم تعدد الواجب، و احتياج كل من الواجبين إلى الآخر كما مر، أو حدوث الصفة، فيلزم كونه تعالى محلا للحوادث، و كونه ناقصا فى ذاته و هو أيضا ينافى الأزلية، و لو قيل:
الصانع هو المجموع فيلزم تركبه و افتقاره مع لزوم تعدد الواجب أيضا، فمن قال

فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ إِسْتَوْصَفَهُ وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَ مَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ جَهِلَهُ وَ مَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ وَ مَنْ قَالَ مَا هُوَ فَقَدْ نَعَتَهُ وَ مَنْ قَالَ إِلَامَ فَقَدْ غَايَاهُ- عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ وَ خَالِقٌ إِذْ لَا مَخْلُوقَ وَ رَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ وَ كَذَلِكَ يُوصَفُ رَبُّنَا وَ فَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ

7 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ وَ غَيْرِهِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع خُطْبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ حُسْنِ صِفَتِهِ وَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فَقُلْتُ لِلْحَارِثِ أَ وَ مَا حَفِظْتَهَا قَالَ قَدْ كَتَبْتُهَا فَأَمْلَاهَا عَلَيْنَا مِنْ كِتَابِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ لِأَنَّهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ مِنْ إِحْدَاثِ بَدِيعٍ لَمْ يَكُنِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ

كيف؟ فقد طلب وصفه بصفات المخلوقين، و قد نفيناه عنه" و من قال على م؟ فقد حمله" أي جعله محمولا و محتاجا إلى ما يحمله" و من قال أين؟ فقد أخلى منه" أي جعله مخصوصا بأين خاص، و أخلى منه سائر الأيون، و الحال أن نسبته إلى الأيون على السواء" فقد نعته" أي بما يقع في جواب ما هو من مهية و حقيقة كلية أو بصفات المخلوقين، فلذا سأل عن كنهه" و من قال إلى م؟" أي إلى أي زمان يكون موجودا،" فقد غاياه" أي جعل لوجوده غاية و لا غاية له أزلا و أبدا.

الحديث السابع

: مرسل.
قوله عليه السلام: و لا تنقضى عجائبه، أى كلما تأمل الإنسان يجد من آثار قدرته و عجائب صنعته ما لم يكن وجده قبل ذلک و لا ينتهى إلى حد، أو أنه كل يوم يظهر من آثار صنعه خلق عجيب و طور غريب يحار فيه العقول و الأفهام، و الثانى بالتعليل أنسب، و فيه رد على اليهود حيث قالوا: يد الله مغلولة" فيكون فى العز مشاركا" لمشاركة أنسب، و فيه رد على اليهود حيث قالوا: يد الله مغلولة" فيكون فى العز مشاركا" لمشاركة الولد لوالده فى العز و استحقاق التعظيم، أو المعنى أنه ولد فيشاركه فى الحقيقة

فِی الْعِزِّ مُشَارَکاً وَ لَمْ یُولَدْ فَیَکُونَ مَوْرُوثاً هَالِکاً وَ لَمْ تَقَعْ عَلَیْهِ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ شَبَحاً مَاثِلًا وَ لَمْ تُدْرِکْهُ الْأَبْصَارُ فَیَکُونَ بَعْدَ انْتِقَالِهَا حَائِلًا الَّذِی لَیْسَتْ فِی أَوَّلِیَّتِهِ نِهَایَةٌ وَ لَا

الأحدیة صارت سببا لعزته لأن التوالد عبارة عن کون الشیء مبدء لما هو مثله فی نوعه و جنسه، فیلزم مشارکته معه فی الحقیقة، فیلزمترکبه سبحانه و کونه ممکنا محتاجا، فینافی عزته و وجوب وجوده" فیکون موروثا" أی یرثه ولده بعد موته کما هو شأن کل والد.
و الحاصل أن کل مولود معلول حادث، و کل حادث بمعرض الهلاک و الفناء.
و أیضا السبب الحقیقی للتوالد و التناسل حفظ بقاء النوع الذی لا یمکن له البقاء و أیضا السبب الحقیقی للتوالد و التناسل حفظ بقاء النوع الذی لا یمکن له البقاء الشخصی، فکل مولود لا بد أن یکون کوالده موروثا حادثا هالکا فی وقت و إن کان وارثا موجودا فی وقت آخر.
" فتقدره شبحا ماثلا" أی قائما أو مماثلا و مشابها للممکنات، إذ الوهم رئیس القوی الحسیة و الخیالیة، فکل ما یدرکه من الذوات یصوره بقوته الخیالیة شخصا متقدرا کأنه یشاهده شبحا حاضرا عنده، ماثلا بین یدیه فإن کان تصوره للرب سبحانه علی هذا الوجه مطابقا للواقع یلزم کونه تعالی جسما مقداریا محدودا و هو محال، و إن کان کاذبا فلم یکن أدرکه بل أدرک أمرا آخر، فهو تعالی منزه من أن یقع علیه وهم.
" فیکون بعد انتقالها حائلا" أی متغیرا، من حال الشیء یحول إذا تغیر أی لا تدرکه الأبصار، و إلا لکان بعد انتقالها عنه متغیرا و منقلبا عن الحالة التی کانت له عند الإبصار من المقابلة و المحاذاة و الوضع الخاص و غیر ذلک، أو عن حلوله فی الباصرة بزوال صورته الموافقة له فی الحقیقة عنها، و قیل: المراد بانتقالها عنه مرور الأزمنة علیه سبحانه، و فناء الرائین و حدوث جماعة أخری متغیرا من حال إلی حال کما هو شأن المبصرات.
و بعض الأفاضل قرأ بعد مضمومة الباء مرفوعة الإعراب، علی أن یکون اسم کان، و الحائل بمعنی الحاجز أی کان بعد انتقال الأبصار إلیه حائلا من رؤیته، و منهم

لِآخِرِيَّتِهِ حَدٌّ وَ لَا غَايَةٌ الَّذِی لَمْ يَسْبِقْهُ وَقْتٌ وَ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ زَمَانٌ وَ لَا يَتَعَاوَرُهُ زِيَادَةٌ وَ لَا نُقْصَانٌ وَ لَا يُوصَفُ بِأَيْنٍ وَ لَا بِمَ وَ لَا مَكَانٍ الَّذِی بَطَنَ مِنْ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ وَ ظَهَرَ فِی الْعُقُولِ بِمَا يُرَی فِی خَلْقِهِ مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الَّذِی سُئِلَتِ الْأَنْبِيَاءُ عَنْهُ فَلَمْ تَصِفْهُ بِحَدٍّ وَ لَا بِبَعْضٍ بَلْ وَصَفَتْهُ بِفِعَالِهِ وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ بِآيَاتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ عُقُولُ الْمُتَفَكِّرِينَ جَحْدَهُ لِأَنَّ مَنْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ فِطْرَتَهُ وَ مَا فِيهِنَّ وَ مَا بَيْنَهُنَّ وَ هُوَ الصَّانِعُ لَهُنَّ فَلَا مَدْفَعَ لِقُدْرَتِهِ الَّذِی نَأَی مِنَ الْخَلْقِ فَلَا شَیْءَ كَمِثْلِهِ الَّذِی خَلَقَ خَلْقَهُ لِعِبَادَتِهِ وَ أَقْدَرَهُمْ عَلَی طَاعَتِهِ بِمَا جَعَلَ فِيهِمْ وَ قَطَعَ عُذْرَهُمْ بِالْحُجَجِ فَعَنْ بَيِّنَةٍ هَلَکَ

من قرأ خائلا بالخاء المعجمة أی ذا خيال و صورة متمثلة فی المدرک، و التعاور: الورود علی التناوب" لم يوصف بأين" أی بمكان فيكون نفی المكان تأكيدا أو بجهة مجازا" و لا بما؟" إذ ليست له مهية يمكن أن تعرف حتی يسأل عنها بما هو.

قوله عليه السلام: بطن من خفيات الأمور، أی أدرک الباطن من خفيات الأمور و نفذ علمه فی بواطنها، أو المراد أن كنهه تعالی أبطن و أخفی من خفيات الأمور مع أن وجوده أجلی من كل شیء فی العقول" بما يری فی خلقه" من آثار تدبيره بحد" و لا ببعض" أی بكونه محدودا بحدود جسمانية أو عقلانية أو بأجزاء و أبعاض خارجية أو عقلية و قيل: أی لم يحسبوا بحد و لا ببعض حد و هو الحد الناقص كالجواب بالفصل القريب دون الجنس القريب، بل عدلوا عن الوصف بالحد تاما أو ناقصا إلی الرسوم الناقصة و هو الوصف له تعالی بفعاله كما قال الكليم عليه السلام فی جواب وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ؟ " رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا" الآيات.

قوله عليه السلام: بما جعل فيهم، أی من الأعضاء و الجوارح و القوة و الاستطاعة" بالحجج" أی الباطنة و هی العقول، و الظاهرة و هی الأنبياء و الأوصياء" فعن بينة" أی بسبب بينة واضحة أو معرضا و مجاوزا عنها، أو عن بمعنی بعد أی بعد وضوح بينة

مَنْ هَلَکَ وَ بِمَنِّهِ نَجَا مَنْ نَجَا وَ لِلَّهِ الْفَضْلُ مُبْدِئاً وَ مُعِیداً ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ وَ لَهُ الْحَمْدُ افْتَتَحَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَ خَتَمَ أَمْرَ الدُّنْیَا وَ مَحَلَّ الْآخِرَةِ بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ فَقَالَ وَ قَضَی بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِیلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّابِسِ الْکِبْرِیَاءِ بِلَا تَجْسِیدٍ وَ الْمُرْتَدِی بِالْجَلَالِ بِلَا تَمْثِیلٍ وَ الْمُسْتَوِی

" و بمنه نجا من نجا" أی بلطفه و توفیقه و إعداد الآلات و هدایته فی الدنیا و بعفوه و رحمته و تفضله فی الثواب بلا استحقاق فی الآخرة نجا الناجون، فقوله: و لله الفضل و فی التوحید و عن بینة نجا من نجا فالثانی لا یجری فیه" مبدء و معیدا" مترتب علی ذلک أی حال التکلیف فی الدنیا و حال الجزاء فی الآخرة، و یحتمل أن یکون المراد حال إبداء الخلق و إیجادهم فی الدنیا و حال إرجاعهم و إعادتهم بعد الفناء أو مبدءا حیث بدء العباد مفطورین علی معرفته قادرین علی طاعته و معیدا حیث لطف بهم و من علیهم بالرسل و الأئمة الهداة.

" و له الحمد" الجملة اعتراضیة" افتتح الحمد لنفسه" أی فی التنزیل الکریم أو فی بدو الإیجاد بإیجاد الحمد، أو ما یستحق الحمد علیه، و فی التوحید: افتتح الکتاب بالحمد، و هو یؤید الأول" و محل الآخرة" أی حلولها و ربما یقرأ بسکون الحاء و هو الجدب و انقطاع المطر و المجادلة و الکید، أو بالجیم و هو أن یجتمع بین الجلد و اللحم ماء من کثرة العمل و شدته، و علی التقدیرین کنایة عن الشدة و المصیبة أی ختم أمر الدنیا و شدائد الآخرة و أهوالها بالحمد لنفسه علی القضاء بالحق فعلم أن الافتتاح و الاختتام بحمده من محاسن الآداب.

و فی التوحید: و مجیء الآخرة، أی ختم أول أحوال الآخرة و هو الحشر و الحساب و یمکن أن یقدر فعل آخر یناسبه، أی بدء مجیء الآخرة" و قضی بینهم" أی بإدخال بعضهم الجنة و بعضهم النار، و یظهر من الخبر أن القائل هو الله، و یحتمل أن یکون الملائکة بأمره تعالی.

" بلا تمثیل" أی بمثال جسمانی، و هذا و ما تقدمه دفع لما یتوهم من أن

عَلَى الْعَرْشِ بِغَيْرِ زَوَالٍ وَ الْمُتَعَالِی عَلَی الْخَلْقِ بِلَا تَبَاعُدٍ مِنْهُمْ وَ لَا مُلَامَسَةٍ مِنْهُ لَهُمْ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ يُنْتَهَى إِلَى حَدِّهِ وَ لَا لَهُ مِثْلٌ فَيُعْرَفَ بِمِثْلِهِ ذَلَّ مَنْ تَجَبَّرَ غَيْرَهُ وَ صَغُرَ مَنْ

الكبر و العظم و الجلالة و نحوها لا تكون إلا فی الأجساد و الأشباح ذوات المقادير و الأوضاع، و لا شک أنه سبحانه منزه عن الجسمانيات و صفاتها، فنبه علی أن كبريائه و جلاله علی وجه أعلی و أشرف مما يوجد فی المحسوسات و المتمثلات.

قوله: بلا زوال أی بغير استواء جسمانی يلزمه إمكان الزوال أو لا يزول اقتداره و استيلاؤه أبدا" المتعالی عن الخلق" بالشرف و العلية و التنزه عن صفاتهم، لا بما يتوهم من تراخی مسافة بينهما كالفلک بالنسبة إلی الأرض أو بمماسة كالماء و الهواء بالنسبة إليهما أو قوله ع: و لا ملامسة نفی لما يتوهم من نفی التباعد من تحقق الملامسة و نحوها، قضية للتقابل بينهما قياسا علی الجسمانيات، فإن المتقابلين كليهما منفيان عنه و إنما يتصف بأحدهما ما يكون قابلا للاتصاف بهما، كما يقال: الفلک ليس بحار و لا بارد، و الجدار ليس بأعمی و لا بصير" ليس له حد ينتهی إلی حده" أی الحدود الجسمانية فينتهی هو إلی حده علی بناء الفاعل أو الحد المنطقی فينتهی علی بناء المفعول إلی تحديده به أو لأحد لتوصيفه و نعته، بل كلما بالغت فيه فأنت مقصر.

" ذل من تجبر غيره" قوله: غيره، حال عن فاعل تجبر و كذا قوله: دونه، حال عن فاعل تكبر و الضميران راجعان إليه سبحانه، أی ذل له كل من تجبر غيره، فإن كل ما يغايره ممكن مخلوق ذليل للخالق الجليل.

" و صغر" كل" من تكبر دونه" فإن جميع ما سواه موصوف بالصغار أو الصغر لدی خالقه الكبير المتعال، أو المعنی أن عز المخلوق و رفعته إنما يكون بالتذلل و الخضوع اللائقين به، و بهما يكتسب إفاضة الكمال من خالقه فإذا تجبر و تكبر استحق الحرمان و الخذلان فيزداد صغرا إلی صغره، و ذلا إلی ذلة، فلا يرتفع من درجة

تَكَبَّرَ دُونَهُ وَ تَوَاضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لِعَظَمَتِهِ وَ انْقَادَتْ لِسُلْطَانِهِ وَ عِزَّتِهِ وَ كَلَّتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ طُرُوفُ الْعُيُونِ وَ قَصُرَتْ دُونَ بُلُوغِ صِفَتِهِ أَوْهَامُ الْخَلَائِقِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا قَبْلَ لَهُ وَ الْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا بَعْدَ لَهُ الظَّاهِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالْقَهْرِ لَهُ وَ الْمُشَاهِدِ لِجَمِيعِ الْأَمَاكِنِ بِلَا ارْتِقَالٍ إِلَيْهَا لَا تَلْمِسُهُ لَامِسَةٌ وَ لَا تُحِسُّهُ حَاسَّةٌ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ أَتْقَنَ مَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْأَشْيَاحِ كُلِّهَا لَا بِمِثَالٍ سَبَقَ إِلَيْهِ وَ لَا لُغُوبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِی خَلْقِ مَا خَلَقَ لَدَيْهِ ابْتَدَأَ مَا أَرَادَ ابْتِدَاءَهُ وَ أَنْشَأَ مَا أَرَادَ إِنْشَاءَهُ عَلَى مَا أَرَادَ مِنَ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ رُبُوبِيَّتَهُ وَ تَمَكَّنَ فِيهِمْ طَاعَتُهُ نَحْمَدُهُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا عَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِهِ كُلِّهَا وَ نَسْتَهْدِيهِ لِمَرَاشِدِ أُمُورِنَا

النقص إلى الكمال، و لا يزال فى الدارين هابطا فى دركات النقص و الوبال.

" لعظمته" أى عند عظمته أو عنده بسبب عظمته، و الاحتمالان جاريان فيما بعده" طروف العيون" جمع طرف و هو تحريک الجفن بالنظر أو جمع طارف بمعنى طامح، و فى الفائق: طرفت عينه أى طمحت" و الظاهر على كل شىء" أى الغالب عليه بالقهر له على الإيجاد و الإفناء، و إجراء كل ما أراد فيه.

" هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ" أى مستحق لأن تعبده و تخضع له السماوات و ما فيها و تتواضع لعظمته و تنقاد لسلطانه و عزته لربوبيته لها" وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ" أى مستحق لأن تخضع له و تعبده الأرض و ما فيها و ما عليها و تنقادَ لسلطانه و عزته" أتقن" أى أحكم ما أراد من خلقه متعلق بأراد أو بيان لما" من الأشباح" بيان لما على الأول و لخلقه على الثانى، و يحتمل أن تكون من الأولى تبعيضية، و الأشباح: الأشخاص المتغايرة و الصور المتباينة النوعية و الشخصية.

" لا بمثال" فى التوحيد بلا مثال، أى لا فى الخارج و لا فى الذهن" سبق" أى ذلک المثال" إليه" تعالى، أو سبق الله إلى ذلک المثال، و ربما يقرأ على بناء المفعول أى سبق غيره تعالى إلى خلق ذلک المثال،" و لا لغوب" أى تعب، و يمكن إرجاع ضمير

وَ نَعُوذُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَ نَسْتَغْفِرُهُ لِلذُّنُوبِ الَّتِی سَبَقَتْ مِنَّا وَ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِیّاً دَالًّا عَلَیْهِ وَ هَادِیاً إِلَیْهِ فَهَدَی بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَ اسْتَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ مَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِیماً وَ نَالَ ثَوَاباً جَزِیلًا وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِیناً وَ اسْتَحَقَّ عَذَاباً أَلِیماً فَأَنْجِعُوا بِمَا یَجِقُّ عَلَیْکُمْ مِنَ السَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ وَ إِخْلَاصِ النَّصِیحَةِ وَ حُسْنِ الْمُؤَازَرَةِ

لدیه إلیه تعالی و إلی الخلق، فالظرف علی الأول متعلق بخلق، و علی الثانی بدخل" و یمکن" علی التفعیل أی بإیجاد القوة و القدرة علیها و ترکیب العقول المیزة فیهم، و فی بعض النسخ بالتاء من باب التفعل بحذف إحدی التائین، و المحامد جمع محمدة و هی ما یحمد به من صفات الکمال، و قال الفیروزآبادی: المراشد مقاصد الطرق.
" دالا علیه" أی علی الله أو علی الحق الذی بعث به، و الأول أظهر.
" وَ مَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ*" وضع الظاهر موضع الضمیر لتعظیمها، و الالتذاذ بذکرهما أو لیعلم تقدیم الله علی الرسول، و لا یتوهم کونهما فی درجة واحدة.
و لعل أحد هذه الوجوه علة الذم فیما رواه مسلم عن عدی بن حاتم أن رجلا خطب عند النبی صلی الله علیه و آله فقال: من یطع الله و رسوله فقد رشد، و من یعصهما فقد غوی فقال رسول الله صلی الله علیه و آله: بئس الخطیب أنت، قل: و من یعص الله و رسوله فقد غوی فقال رسول ص: بئس الخطیب أنت، قل: و من یعص الله و رسوله فقد غوی مع أنه قد ورد فی کثیر من الخطب بالضمیر أیضا.
" فأنجعوا" فی بعض النسخ بالنون و الجیم من قولهم أنجع أی أفلح، أی أفلحوا بما یجب علیکم من الأخذ سمعا و طاعة، أو من النجعة بالضم و هی طلب الکلاء من موضعه، و فی بعضها بالباء الموحدة فالخاء المعجمة، قال الجزری: فیه: أتاکم أهل الیمن هم أرق قلوبا و أبخع طاعة، أی أبلغ و أنصح فی الطاعة من غیرهم کأنهم بالغوا فی بخع أنفسهم أی قهرها و إذلالها بالطاعة، و قال الزمخشری فی الفائق: أی أبلغ طاعة من بخع الذبیحة إذا بالغ فی ذبحها، و هو أن یقطع عظم رقبتها، هذا أصله ثم کثر حتی استعمل فی کل مبالغة، فقیل: بخعت له نصحی و جهدی و طاعتی.
" و إخلاص النصیحة" أی لله و لکتابة و لرسوله و للأئمة و لعامة المسلمین

وَ أَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِلُزُومِ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَ هَجْرِ الْأُمُورِ الْمَكْرُوهَةِ وَ تَعَاطَوُا الْحَقَّ بَيْنَكُمْ وَ تَعَاوَنُوا بِهِ دُونِی وَ خُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ السَّفِيهِ وَ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اعْرِفُوا لِذَوِی الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ عَصَمَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ بِالْهُدَى وَ ثَبَّتَنَا وَ إِيَّاكُمْ عَلَى التَّقْوَى وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِی وَ لَكُمْ

بَابُ النَّوَادِرِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِیِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ النَّصْرِیِّ قَالَ سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- كُلُّ شَیْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ فَقَالَ مَا يَقُولُونَ فِيهِ

و إخلاصها تصفيتها من الغش، و الموازرة المعاونة أی المعاونة الحسنة على الحق.

" و أعينوا على أنفسكم" أی على إصلاحها أو ذللوها و أقهروها فالمراد النفس الأمارة بالسوء، و فی التوحيد أعينوا أنفسكم أی على الشيطان.

" و تعاطوا الحق" أی تناولوه بأن يأخذه بعضكم من بعض ليظهر و لا يضيع" دونی" أی عندی و قريبا منی أو قبل الوصول إلی أو حالكون الحق عندی.

" و خذوا على يد الظالم" أی امنعوه عن الظلم و أقهروه على تركه، و السفيه من يتبع الشهوات النفسانية، و ذو الفضل: العترة الطاهرة، أو يشمل غيرهم من العلماء و الصلحاء و الذرية الطيبة و الوالدين و أرباب الإحسان على قدر مراتبهم، عصمنا الله و إياكم عن اتباع الباطل بالهدى إلى الحق.

باب النوادر

: مرسل.
قوله تعالى إِلَّا وَجْهَهُ، قيل فيه وجوه:
الأول: أن المعنى كل شىء فإن بائد إلا ذاته، و هذا كما يقال هذا وجه الرأى

قُلْتُ يَقُولُونَ يَهْلِکُ کُلُّ شَیْءٍ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ قَالُوا قَوْلًا عَظِیماً إِنَّمَا عَنَی بِذَلِکَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِی یُؤْتَی مِنْهُ

و وجه الطریق، قاله الطبرسی (ره)، و قال: فی هذا دلالة علی أن الأجسام تفنی ثم تعاد علی ما قاله الشیوخ فی الفناء و الإعادة.
الثانی: ما ذکره الطبرسی أیضا: أی کل شیء هالک إلا ما أرید به وجهه، فإنه یبقی ثوابه عن ابن عباس.
الثالث: أن کل شیء هالک فإن الممکن فی حد ذاته معدوم حقیقة إلا ذاته سبحانه، فإنه الموجود بالذات بالوجود الحقیقی.
الرابع: أن المعنی کل شیء هالک و إنما وجوده و بقائه و کماله بالجهة المنسوبة إلیه سبحانه، فإنه علة لوجود کل شیء و بقائه و کماله، و مع قطع النظر عن هذه الجهة فهی فانیة باطلة هالکة، و هذا وجه قریب خطر بالبال و إن قال قریبا منه بعض من یسلک مسالک الحکماء علی أذواقهم المخالفة للشریعة.
الخامس: أن المعنی کل شیء هالک أی باطل إلا دینه الذی به یتوجه إلیه سبحانه، و کل ما أمر به من طاعته، و قد وردت أخبار کثیرة علی هذا الوجه.
السادس: أن المراد بالوجه: الأنبیاء و الأوصیاء صلوات الله علیهم، لأن الوجه ما یواجه به، و الله سبحانه إنما یواجه عباده و یخاطبهم بهم علیهم السلام، و إذا أراد العباد التوجه إلیه تعالی یتوجهون إلیهم، و به أیضا وردت أخبار کثیرة منها هذا الخبر.
السابع: أن الضمیر راجع إلی الشیء أی کل شیء بجمیع جهاته باطل فإن إلا وجهه الذی به یتوجه إلی ربه و هو روحه و عقله و محل معرفة الله منه، التی تبقی بعد فناء جسمه و شخصه، و ربما ینسب هذا إلی الروایة عنهم علیهم السلام، و أما وصفه علیه السلام قولهم بالعظم، فالظاهر أنه لإثباتهم له سبحانه وجها کوجوه البشر، و من قال ذلک فقد کفر، و قیل: کان مرادهم فناء کل شیء غیر ذاته تعالی فاستعظمه و أنکره علیه السلام، إذ من المخلوقات ما لا یفنی، و لا یخفی بعده.

ص: 113

2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- كُلُّ شَیْ‌ءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ قَالَ مَنْ أَتَی اللَّهَ بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ مُحَمَّدٍ ص فَهُوَ الْوَجْهُ الَّذِی لَا یَهْلِكُ وَ كَذَلِكَ قَالَ مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ

3 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِی سَلَّامٍ النَّخَّاسِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ نَحْنُ الْمَثَانِی الَّذِی أَعْطَاهُ اللَّهُ

الحديث الثانى

: صحيح.
قوله: فهو الوجه، الضمير راجع إلى الموصول أى من أتى بجميع ما أمر الله به فهو وجه الله فى خلقه، و هم الأئمة عليهم السلام كما أن الرسول صلى الله عليه و آله كان فى زمانه وجه الله، ثم استشهد عليه السلام بقوله تعالى:" مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ" فهو وجه الله الذى من توجه إليه توجه إلى الله فيرجع إلى الوجه السادس، أو الضمير راجع إلى الإتيان أى الإتيان بما أمر الله هو الجهة التى يتوجه بها إلى الله، و الاستشهاد من جهة أن العمل بما أتى به الرسول طاعة الله و توجه إليه، مع أنه فى أكثر النسخ كذلک فلا يكون تعليلا بل بيانا لأن طاعة الرسول صلى الله عليه السلام أيضا توجه إلى الله، فلا تهلک و لا تضيع فيرجع إلى الخامس لكن الأول أظهر.

الحديث الثالث

: ضعيف.
قوله عليه السلام: نحن المثانى، إشارة إلى قوله عز و جل:" وَ لَقَدْ آتَيْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" و المشهور بين المفسرين أنها سورة الفاتحة، و قيل:
السبع الطوال، و قيل: مجموع القرآن لقسمته أسباعا، و قوله: من المثانى بيان للسبع و المثانى من التثنية أو الثناء، فإن كل ذلک مثنى تكرر قراءته و ألفاظه أو قصصه و مواعظه، أو مثنى بالبلاغة و الإعجاز، أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته العظمى

و أسمائه الحسنى، و يجوز أن يراد بالمثانى القرآن أو كتب الله كلها، فتكون من للتبعيض. و قوله" وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص، و إن أريد به الأسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر، هذا ما قيل فى تفسير ظهر الآية الكريمة، و يدل عليها بعض الأخبار أيضا و أما تأويله عليه السلام لبطن الآية فلعل كونهم عليهم السلام سبعا باعتبار أسمائهم فإنها سبعة، و إن تكرر بعضها، أو باعتبار أن انتشار أكثر العلوم كان من سبعة منهم إلى الكاظم عليه السلام، ثم بعد ذلک كانوا خائفين مستورين مغمورين لا يصل إليهم الناس غالبا إلا بالمكاتبة و المراسلة، فلذا خص هذا العدد منهم بالذكر. فعلى تلک التقادير يجوز أن تكون المثانى من الثناء لأنهم الذين يثنون عليه تعالى حق ثنائه بحسب الطاقة البشرية، و أن يكون من التثنية لتثنيتهم مع القرآن كما قال الصدوق (ره) حيث قال: معنى قوله: نحن المثانى أى نحن الذين قرننا النبى صلى الله عليه و آله إلى القرآن و أوصى بالتمسک بالقرآن، و بنا أخبر أمته أنا لا نفترق حتى نرد حوضه" انتهى" أو لتثنيتهم مع النبى صلى الله عليه و آله، أو لأنهم عليهم السلام ذو جهتين جهة تقدس و روحانية و ارتباط تام بجنابة تعالى، و جهة ارتباط بالخلق بسبب البشرية و يحتمل أن يكون السبع باعتبار أنه إذا ثنى يصير أربعة عشر موافقا لعددهم عليهم السلام إما باعتبار التغاير الاعتبارى بين المعطى و المعطى له إذ كونه معطى إنما يلاحظ مع جهة النبوة و الكمالات التى خصه الله بها و كونه معطى له، مع قطع النظر عنها، أو يكون الواو فى قوله: و القرآن، بمعنى مع فيكونون مع القرآن أربعة عشر، و فيه ما فيه. و يحتمل أن يكون المراد بالسبع فى ذلک التأويل أيضا السورة، و يكون المراد بتلک الأخبار أن الله تعالى إنما أمتن بهذه السورة على النبى صلى الله عليه و آله فى مقابلة القرآن العظيم لاشتمالها على وصف الأئمة عليه السلام و مدح طريقتهم و ذم أعدائهم فى قوله سبحانه

نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ص وَ نَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ نَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَ نَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَ يَدُهُ الْمَبْسُوطَةُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِهِ عَرَفَنَا مَنْ عَرَفَنَا وَ جَهِلَنَا مَنْ جَهِلَنَا وَ إِمَامَةَ الْمُتَّقِينَ

4 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى جَمِيعاً عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ سَعْدَانَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ-

---

" صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" إلى آخر السورة، فالمعنى نحن المقصودون بالمثانى.

و قال فى النهاية: فيه فأقاموا بين ظهرانيهم و بين أظهرهم، قد تكررت هذه اللفظة فى الحديث، و المراد بها أنهم أقاموا بينهم على سبيل الاستظهار و الاستناد إليهم، و زيدت فيه ألف و نون مفتوحة تأكيدا، و معناه أن ظهرا منهم قدامه و ظهرا وراءه فهو مكنوف من جانبيه و من جوانبه إذا قيل بين أظهرهم، ثم كثر حتى استعمل فى الإقامة بين القوم مطلقا.

" و هم عين الله" أى شاهده على عباده، فكما أن الرجل ينظر بعينه ليطلع على الأمور كذلک خلقهم الله ليكونوا شهداء منه عليهم، ناظرين فى أمورهم، و العين يطلق على الجاسوس و على خيار الشىء أيضا، قال فى النهاية فى حديث عمر: إن رجلا كان ينظر فى الطواف إلى حرم المسلمين فلطمه على عليه السلام فاستعدى عليه فقال:

ضربک بحق أصابته عين من عين الله، أراد خاصة من خواص الله عز و جل، و وليا من أوليائه" انتهى" و إطلاق اليد على النعمة و الرحمة و القدرة شائع، فهم نعم الله التامة و رحمته المبسوطة و مظاهر قدرته الكاملة.

قوله عليه السلام: و إمامة المتقين، بالنصب عطفا على ضمير المتكلم فى جهلنا ثانيا، أى جهلنا من جهل إمامة المتقين أو عرفنا و جهلنا أولا أى عرف إمامة المتقين من عرفنا، و جهلها من جهلنا، أو بالجر عطفا على الرحمة أى يده المبسوطة بإمامة المتقين و لعله من تصحيف النساخ، و الأظهر ما فى نسخ التوحيد: و من جهلنا فإمامة اليقين أى الموت على التهديد، أو المراد أنه يتيقن بعد الموت و رفع الشبهات.

الحديث الرابع

: مجهول و سموا بالاسم لأنهم يدلون على قدرة الله تعالى

وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها قَالَ نَحْنُ وَ اللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِی لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا

5 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ صَبَّاحٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وَ صَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا وَ جَعَلَنَا عَيْنَهُ فِی عِبَادِهِ وَ لِسَانَهُ النَّاطِقَ فِی خَلْقِهِ وَ يَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ وَ الرَّحْمَةِ وَ وَجْهَهُ

و علمه و سائر كمالاته، فهم بمنزلة الاسم فی الدلالة على المسمى أو يكون بمعناه اللغوى من الوسم بمعنى العلامة، أو لأنهم المظهرون لأسماء الله و الحافظون لها و المحيطون بمعرفتها، أو المظاهر لها و الله يعلم.

: ضعيف.
قوله عليه السلام: فأحسن خلقنا، حيث خلقهم من الطينة الطاهرة أو من حيث إكمالهم عليهم السلام و عصمتهم من الخطإ و الزلة، و يمكن أن يقرأ خلقنا بالضم" فأحسن صورنا" أى جعلنا ذوى صورة حسنة و أخلاق جميلة، و حلانا بالكمالات النفسانية،" و لسانه الناطق فى خلقه" لما كان اللسان يعبر عما فى الضمير و يبين ما أراد الإنسان إظهاره أطلق عليهم عليهم السلام لسان الله لأنهم المعبرون عن الله يبينون حلاله و حرامه و معارفه و سائر ما يريد بيانه للخلق" و بابه الذى يدل عليه" لما كان المريد للقاء السلطان لا بد له من إتيان بابه و لقاء بوابه ليوصلوه إليه فسموا أبواب الله، لأنه لا بد لمن يريد معرفته سبحانه و طاعته من أن يأتيهم ليدلوه عليه و على رضاه، فلذا شبهوا بالباب و سموا الأبواب و لذا قال النبى صلى الله عليه و آله: أنا مدينة العلم- أو مدينة الحكمة و على بابها.
و روى عن الباقر عليه السلام فى معنى كونهم باب الله: معناه أن الله احتجب عن خلقه بنبيه و الأوصياء من بعده، و فوض إليهم من العلم ما علم احتياج الخلق إليه، و لما

الَّذِی یُؤْتَی مِنْهُ وَ بَابَهُ الَّذِی یَدُلُّ عَلَیْهِ وَ خُزَّانَهُ فِی سَمَائِهِ وَ أَرْضِهِ بِنَا أَثْمَرَتِ الْأَشْجَارُ وَ أَیْنَعَتِ الثِّمَارُ وَ جَرَتِ الْأَنْهَارُ وَ بِنَا یَنْزِلُ غَیْثُ السَّمَاءِ وَ یَنْبُتُ عُشْبُ الْأَرْضِ

استوفی النبی صلی الله علیه و آله علی علیه السلام العلوم و الحکمة قال: أنا مدینة العلم و علی بابها، و قد أوجب الله علی الخلق الاستکانة لعلی علیه السلام بقوله:" ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَکُمْ خَطایاکُمْ وَ سَنَزِیدُ الْمُحْسِنِینَ" أی الذی لا یرتابون فی فضل الباب و علو قدره.
و قال فی موضع آخر:" وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها" یعنی الأئمة علیهم السلام الذین هم بیوت العلم و معادنه و هم أبواب الله و وسیلته و الدعاة إلی الجنة و الأدلاء علیها إلی یوم القیامة، رواه الکفعمی عنه علیه السلام.
" و خزانة فی سمائه و أرضه" أی خزان علمه من بین أهل السماء و الأرض فنعطی علمه من نشاء و نمنعه من نشاء.
و یحتمل الأعم إذ جمیع الخیرات یصل إلی الخلق بتوسطهم، و قیل: أی عندهم مفاتیح الخیر من العلوم و الأسماء التی تفتح أبواب الجود علی العالمین.
" بنا أثمرت الأشجار" إذ الغایة فی خلق العالم المعرفة و العبادة کما دلت علیه الآیات و الأخبار، و لا یتأتی الکامل منهما إلا منهم، و لا یتأتیان من سائر الخلق إلا بهم، فهم سبب نظام العالم، و لذا یختل عند فقد الإمام لانتفاء الغایة و قد قال سبحانه: لولاک لما خلقت الأفلاک، قیل: و یحتمل أن یکون أثمار الأشجار و إیناع الأثمار و جری الأنهار" إه" کنایة عن ظهور الکمالات النفسانیة و الجسمانیة، و وصولها إلی غایتها المطلوبة، و ظهور العلم و أمثاله، و قال فی النهایة أینع الثمر یونع و ینع ییننع فهو مونع و یانع إذا أدرک و نضج و أینع أکثر استعمالا، و العشب بالضم الکلاء الرطب.

وَ بِعِبَادَتِنَا عُبِدَ اللَّهُ وَ لَوْ لَا نَحْنُ مَا عُبِدَ اللَّهُ
6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ عَمِّهِ حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَأْسَفُ كَأَسَفِنَا وَ لَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسَفُونَ وَ يَرْضَوْنَ وَ هُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِهِ وَ سَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ جَعَلَهُمُ الدُّعَاةَ إِلَيْهِ وَ الْأَدِلَّاءَ عَلَيْهِ فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ وَ لَيْسَ أَنَّ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلْقِهِ لَكِنْ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ وَ قَدْ قَالَ مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ وَ دَعَانِي إِلَيْهَا وَ قَالَ- مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ قَالَ إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَكُلُّ هَذَا

" و بعبادتنا عبد الله و لو لا نحن ما عبد الله" أى بمعرفتنا و عبادتنا التى بها نعرفه و نعبده و نهدى عباده إليها و نعلمها إياهم، عبد الله لا بغيرها مما تسميه العامة عبادة و معرفة، أو أنه لو لا عبادتنا لم يوجد أحد، لأن الله خلق العالم لعبادتنا فلم يوجد الدنيا فلم يعبد الله أحد، أو المراد أن العبادة الخالصة مع الشرائط لا تصدر إلا منا، فلولانا ما عبد الله إذ المعنى أن ولايتنا شرط لقبول العبادة فلولانا نحن ما عبد سبحانه عبادة مقبولة.

: حسن، و قال فى القاموس: الأسف محركة شدة الحزن، أسف كفرح و عليه غضب" انتهى" و قد مر مرارا أنه سبحانه لا يتصف بصفات المخلوقين، و هو متعال عن أن تكون له كيفية، فإطلاق الأسف فيه سبحانه إما تجوز باستعماله فى صدور الفعل الذى يترتب فينا مثله على الأسف، و إما مجاز فى الإسناد أو من مجاز الحذف أى أسفوا أولياءنا، و الخبر محمول على الأخيرين.

وَ شِبْهُهُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَکَ وَ هَکَذَا الرِّضَا وَ الْغَضَبُ وَ غَيْرُهُمَا مِنَ الْأَشْيَاءِ مِمَّا يُشَاكِلُ ذَلِکَ وَ لَوْ كَانَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ الْأَسَفُ وَ الضَّجَرُ وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَ أَنْشَأَهُمَا لَجَازَ لِقَائِلِ هَذَا أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْخَالِقَ يَبِيدُ يَوْماً مَا لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَهُ الْغَضَبُ وَ الضَّجَرُ دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ وَ إِذَا دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ الْإِبَادَةُ ثُمَّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُكَوِّنُ مِنَ الْمُكَوَّنِ وَ لَا الْقَادِرُ مِنَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَ لَا الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ عُلُوّاً كَبِيراً بَلْ هُوَ الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ لَا لِحَاجَةٍ فَإِذَا كَانَ لَا لِحَاجَةٍ اسْتَحَالَ الْحَدُّ وَ الْكَيْفُ فِيهِ فَافْهَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

و استشهد عليه السلام بأمثاله فى كلامه سبحانه، ثم استدل على استحالة الحزن و الضجر عليه كسائر الكيفيات بأن الاتصاف بالممكن المخلوق مستلزم للإمكان و كل ما هو ممكن فى عرضة الهلاک، و لا يؤمن عليه الانقطاع و الزوال ثم إذا جوز عليه الزوال لم يعرف المكون المبدأ على الإطلاق من المكون المخلوق، و لا القادر على الإطلاق السرمدى من المقدور عليه المحدث، و لا الخالق من المخلوق، لأن مناط هذا التميز و المعرفة الوجوب و القدم الدالان على المبدئية و القدرة و الخالقية و الإمكان و العدم الدالان على المكونية و المقدورية و المخلوقية، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة منه إلى خلقه فى وجوده أو كمالاته، لكونه المبدأ الأول الأزلى الإحدى المتقدس عن التكثر بجهة من الجهات كالفعلية و القوة و غيرها، فإذا كان كذلک استحال عليه الحد الموقوف على المهية الإمكانية و الكيف كذا قيل.

أو أنه إذا كان خالقا لجميع ما سواه غير محتاج إليها لا يمكن أن يكون متصفا بالحد و الكيف، إذ الحد و الكيف إن كانا منه سبحانه فهو محتاج إليهما، فتكون خالقيته للحاجة، و إن كانا من غيره فالغير مخلوق له، و هو محتاج إليه فى الاتصاف بهما.

ص: 120

7 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ أَسْوَدَ بْنِ سَعِیدٍ قَالَ کُنْتُ عِنْدَ أَبِی جَعْفَرٍ ع فَأَنْشَأَ یَقُولُ ابْتِدَاءً مِنْهُ مِنْ غَیْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ وَ نَحْنُ بَابُ اللَّهِ وَ نَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ وَ نَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ وَ نَحْنُ عَیْنُ اللَّهِ فِی خَلْقِهِ وَ نَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِی عِبَادِهِ

8 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَیْنِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ حَسَّانَ الْجَمَّالِ قَالَ حَدَّثَنِی هَاشِمُ بْنُ أَبِی عُمَارَةَ الْجَنْبِیُّ قَالَ سَمِعْتُ أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ ع یَقُولُ أَنَا عَیْنُ اللَّهِ وَ أَنَا یَدُ اللَّهِ وَ أَنَا جَنْبُ اللَّهِ- وَ أَنَا بَابُ اللَّهِ

الحديث السابع

: مجهول.

الحديث الثامن

: مجهول بهاشم بن أبى عمار الحيتى و فى بعض النسخ الجنبى و الجنب حى من اليمن.
قوله عليه السلام: و أنا جنب الله، لعل المراد بالجنب الجانب و الناحية و هو عليه السلام التى أمر الله الخلق بالتوجه إليه، و الجنب يجىء بمعنى الأمير، و هو أمير الله على الخلق أو هو كناية عن أن قرب الله تعالى لا يحصل إلا بالتقرب بهم، كما أن من أراد أن يقرب من الملک يجلس بجنبه، و قد ورد المعنى الأخير عن الباقر عليه السلام.
قال الكفعمى: قوله: جنب الله، قال الباقر عليه السلام: معناه أنه ليس شىء أقرب إلى الله تعالى من رسوله، و لا أقرب إلى رسوله من وصيه، فهو فى القرب كالجنب، و قد بين الله تعالى ذلک فى كتابه فى قوله:" أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللَّهِ" يعنى فى ولاية أوليائه.
و قال الطبرسى فى مجمعه: الجنب القرب، أى يا حسرتى على ما فرطت فى قرب الله و جواره، و منه قوله تعالى:" وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ" و هو الرفيق فى السفر، و هو الذى يصحب الإنسان بأن يحصل بجنبه لكونه رفيقه قريبا منه ملاصقا له، و عن الباقر عليه السلام: نحن جنب الله" انتهى".

ص: 121

9 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ عَمِّهِ حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ قَالَ جَنْبُ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ كَذَلِكَ مَا كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ بِالْمَكَانِ الرَّفِيعِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى آخِرِهِمْ

10 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الصَّلْتِ عَنِ الْحَكَمِ وَ إِسْمَاعِيلَ ابْنَيْ حَبِيبٍ عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ بِنَا عُبِدَ اللَّهُ وَ بِنَا عُرِفَ اللَّهُ وَ بِنَا وُحِّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى وَ مُحَمَّدٌ حِجَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى

الحديث التاسع

: حسن.
قوله عليه السلام: جنب الله أمير المؤمنين، أى جنب الله فى هذه الأمة أمير المؤمنين صلوات الله عليه و كذا الأوصياء بعده، و الحاصل أن المراد بجنب الله الحجج فى كل أمة" بالمكان" خبر كان أو حال.

: ضعيف.
قوله عليه السلام: و محمد حجاب الله، أى واسطة بين الله و بين خلقه، كما أنه لا يمكن الوصول إلى المحجوب إلا بالوصول إلى الحجاب، فكذلک هو بالنسبة إلى جميع خلقه لا يمكنهم الوصول إلى الله سبحانه و إلى رحمته إلا بالتوصل به، و قيل: المراد أنه صلى الله عليه و آله النور المشرق منه سبحانه، و أقرب شىء منه، كما قال صلى الله عليه و آله: أول ما خلق الله نورى و منه الحجاب لنور الشمس، أو المراد أنه النور المشرق منه سبحانه و لتوسطه بينه و بين النفوس النورية يكون حجابا له سبحانه، لأنه بالوصول إليه و غلبة نوره على أنوارهم يعجز كل منها عن إدراک ما فوقه" انتهى" أو يعلم بالاطلاع على هذا النور و عجزه عن إدراكه أنه لا يمكنه الوصول إلى نور الأنوار، فهو بهذا المعنى حجاب عنه سبحانه.

ص: 122

11 بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ بِشْرٍ عَنْ مُوسَى بْنِ قَادِمٍ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَ أَعَزُّ وَ أَجَلُّ وَ أَمْنَعُ مِنْ أَنْ يُظْلَمَ وَ لَكِنَّهُ خَلَطَنَا بِنَفْسِهِ فَجَعَلَ ظُلْمَنَا ظُلْمَهُ وَ وَلَايَتَنَا وَلَايَتَهُ حَيْثُ يَقُولُ- إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِی الْأَئِمَّةَ مِنَّا ثُمَّ قَالَ فِی مَوْضِعٍ آخَرَ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ

الحديث الحادى عشر

: مجهول مرسل.
قوله عليه السلام: من أن يظلم، أى من أن يتوهم جواز مظلوميته سبحانه و إمكانه حتى يحتاج إلى نفيه، فهذه المظلومية مظلومية المنتجبين من عباده" خلطهم بنفسه" أى ذكرهم مع ذكره، و جعل ظلمهم ظلمه و ولايتهم ولايته حيث يقول" إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا" يعنى الأئمة عليهم السلام فجعل الولاية و أولوية التصرف فى الأمور للرسول و الأئمة من بعده، و أسند هذه الولاية التى أثبتها لهم إلى نفسه ابتداء شرفا و تعظيما لهم، ثم أسند مظلوميتهم و إزالتهم عن مكانتهم هذه إلى نفسه فى موضع آخر، فقال:" وَ ما ظَلَمُونا*" الآية ثم ذكر سبحانه مثله فى كتابه من إسناد ما لهم من الرضا و الغضب و الأسف و أمثالها إلى نفسه فى مواضع كثيرة، و يحتمل أن يكون المعنى أنه ذكر إسناد الظلم إلى نفسه فى موضع آخر أيضا، إذ هذه الآية متكررة فى القرآن، و قيل:" ثم قال" كلام زرارة، و القائل هو عليه السلام، أى قال: و قرأ هذه الآية فى مجلس آخر و ذكر بعدها ما ذكر سابقا و لا يخفى بعده.

بَابُ الْبَدَاءِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَجَّالِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ثَعْلَبَةَ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَحَدِهِمَا ع قَالَ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ

باب البداء

الحديث الأول

: صحيح.
قوله: ما عبد الله بشىء مثل البداء، أى الإيمان بالبداء من أعظم العبادات أو أنه ادعى إلى العبادة من كل شىء، و اعلم أن البداء مما ظن أن الإمامية قد تفردت به و قد شنع عليهم بذلک كثير من المخالفين، و الأخبار فى ثبوتها كثيرة مستفيضة من الجانبين و لنشر إلى بعض ما قيل فى تحقيق ذلک ثم إلى ما ظهر لى من الأخبار مما هو الحق فى المقام:
اعلم أنه لما كان البداء ممدودا فى اللغة بمعنى ظهور رأى لم يكن، يقال: بدا الأمر بدوا: ظهر، و بدا له فى هذا الأمر بداء أى نشأ له فيه رأى كما ذكره الجوهرى و غيره، فلذلک يشكل القول بذلک فى جناب الحق تعالى لاستلزامه حدوث علمه تعالى بشىء بعد جهله، و هذا محال، و لذا شنع كثير من المخالفين على الإمامية فى ذلک نظرا إلى ظاهر اللفظ من غير تحقيق لمرامهم، حتى أن الناصبى المتعصب الفخر الرازى ذكر فى خاتمة كتاب المحصل حاكيا عن سليمان بن جرير إن أئمة الرافضة وصفوا القول بالبداء لشيعتهم، فإذا قالوا إنه سيكون لهم أمر و شوكة ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا: بد الله تعالى فيه.
و أعجب منه أنه أجاب المحقق الطوسى (ره) فى نقد المحصل عن ذلک لعدم

إحاطته قدس سره كثيرا بالأخبار بأنهم لا يقولون بالبداء، و إنما القول به ما كان إلا فى رواية رووها عن جعفر الصادق عليه السلام أنه جعل إسماعيل القائم مقام بعده فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه، فجعل القائم مقامه موسى عليه السلام، فسئل عن ذلک فقال:
بدا لله فى إسماعيل، و هذه رواية، و عندهم أن خبر الواحد لا يوجب علما و لا عملا" انتهى".
فانظر إلى هذا المعاند كيف أعمت العصبية عينه حيث نسب إلى أئمة الدين الذين لم يختلف مخالف و لا مؤالف فى فضلهم و علمهم و ورعهم و كونهم أتقى الناس و أعلاهم شأنا و رفعة، الكذب و الحيلة و الخديعة، و لم يعلم أن مثل هذه الألفاظ المجازية الموهمة لبعض المعانى الباطلة قد وردت فى القرآن الكريم و أخبار الطرفين، كقوله تعالى:" اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ"" و مَكَرَ اللَّهُ*"" و لِيَبْلُوَكُمْ*"" و لِنَعْلَمَ*"" و يُرِيدُ اللَّهُ*"" و وَجْهُ اللَّهِ*"" و جَنْبِ اللَّهِ" إلى غير ذلک مما لا يحصى، و قد ورد فى أخبارهم ما يدل على البداء بالمعنى الذى قالت به الشيعة أكثر مما ورد فى أخبارنا، كخبر دعاء النبى صلى الله عليه و آله على اليهودى، و إخبار عيسى عليه السلام و أن الصدقة و الدعاء يغيران القضاء و غير ذلک.
و قال ابن الأثير فى النهاية فى حديث الأقرع و الأبرص و الأعمى: بدا لله عز و جل أن يبتليهم، أى قضى بذلک، و هو معنى البداء ههنا، لأن القضاء سابق، و البداء

استصواب شىء علم بعد أن لم يعلم، و ذلك على الله غير جائز" انتهى".
و قد قال سبحانه:" هُوَ الَّذِى. قَضى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ" و قال المحقق الطوسى (ره) فى التجريد: أجل الحيوان الوقت الذى علم الله بطلان حياته فيه، و المقتول يجوز فيه الأمران لولاه، و يجوز أن يكون الأجل لطفا للغير لا للمكلف، و قال العلامة (ره) فى شرحه: اختلف الناس فى المقتول لو لم يقتل، فقالت المجبرة: إنه كان يموت قطعا و هو قول العلاف، و قال بعض البغداديين:
إنه كان يعيش قطعا، و قال أكثر المحققين: إنه كان يجوز أن يعيش و يجوز أن يموت ثم اختلفوا فقال قوم منهم: لو كان المعلوم منه البقاء لو لم يقتل له أجلان، و قال الجبائيان و أصحابهما و أبو الحسين: إن أجله هو الوقت الذى قتل فيه ليس له أجل آخر لو لم يقتل، فما كان يعيش إليه ليس بأجل له الآن حقيقى بل تقديرى" انتهى و قال تعالى:" يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ".
و قال الناصبى الرازى فى تفسيره فى هذه الآية قولان:
الأول: أنها عامة فى كل شىء كما يقتضيه ظاهر اللفظ، قالوا: إن الله يمحو من الرزق و يزيد فيه، و كذا القول فى الأجل و السعادة و الشقاوة و الإيمان و الكفر، و هو مذهب عمرو بن مسعود، و رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه و آله.
و الثانى: أنها خاصة فى بعض الأشياء دون البعض، ففيها وجوه:
" الأول": أن المراد من المحو و الإثبات نسخ الحكم المتقدم و إثبات حكم آخر بدلا عن الأول" الثانى" أنه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة و لا سيئة، لأنهم مأمورون بكتبة كل قول و فعل و يثبت غيره" الثالث" أنه تعالى

أراد بالمحو أن من أذنب أثبت ذلک الذنب فی دیوانه، فإذا تاب عنه محی عن دیوانه" الرابع" یمحو الله ما یشاء، و هو من جاء أجله و یدع من لم یجیء أجله و یثبته" الخامس" أنه تعالی یثبت فی أول السنة، فإذا مضت السنة محیت و أثبت کتاب آخر للمستقبل" السادس" یمحو نور القمر و یثبت نور الشمس" السابع" یمحو الدنیا و یثبت الآخرة" الثامن" أنه فی الأرزاق و المحن و المصائب یثبتها فی الکتاب ثم یزیلها بالدعاء و الصدقة، و فیه حث علی الانقطاع إلی الله تعالی" التاسع" تغیر أحوال العبد فما مضی منها فهو المحو، و ما حصل و حضر فهو الإثبات" العاشر" یزیل ما یشاء من حکمه، لا یطلع علی غیبة أحد، فهو المتفرد بالحکم کما یشاء، و هو المستقبل بالإیجاد و الإعدام و الإحیاء و الإماتة و الإغناء و الإفقار، بحیث لا یطلع علی تلک الغیوب أحد من خلقه، و اعلم أن هذا الباب فیه مجال عظیم.

فإن قال قائل: أ لستم تزعمون أن المقادیر سابقه قد جفت بها القلم، فکیف یستقیم مع هذا المعنی المحو و الإثبات؟

قلنا: ذلک المحو و الإثبات أیضا مما قد جفت به القلم، فلا یمحو إلا ما قد سبق فی علمه و قضائه محوه، ثم قال: قالت الرافضة: البداء جائز علی الله تعالی، و هو أن یعتقد شیئا ثم یظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده، و تمسکوا فیه بقوله" یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ" انتهی کلامه لعنه الله.

و لا أدری من أین أخذ هذا القول الذی افتری به علیهم، مع أن الکتب الإمامیة المتقدمین علیه کالصدوق و المفید و الشیخ و المرتضی و غیرهم رضوان الله علیهم مشحونة بالتبری عن ذلک، و لا یقولون إلا ببعض ما ذکره سابقا أو بما هو أصوب منها کما ستعرف، و العجب أنهم فی أکثر الموارد ینسبون إلی الرب تعالی ما لا یلیق به، و الإمامیة قدس الله أسرارهم یبالغون فی تنزیهه تعالی و یفحمونهم بالحجج البالغة، و لما لم یظفروا فی عقائدهم بما یوجب نقصا یباهتونهم و یفترون علیهم بأمثال تلک

الأقاويل الفاسدة، و هل البهتان و الافتراء إلا دأب العاجزين، و لو فرض أن بعضا من الجهلة المنتحلين للتشيع قال بذلک، فالإمامية يتبرءون منه و من قوله كما يتبرءون من هذا الناصبى و أمثاله و أقاويلهم الفاسدة.

فأما ما قيل فى توجيه البداء فقال الصدوق (ره) فى كتاب التوحيد: ليس البداء كما تقوله جهال الناس بأنه بداء ندامة، تعالى الله عن ذلک علوا كبيرا، و لكن يجب علينا أن نقر لله عز و جل بأن له البداء، معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شىء، ثم يعدم ذلک الشىء و يبدأ بخلق غيره، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شىء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، و ذلک مثل نسخ الشرائع و تحويل القبلة و عدة المتوفى عنها زوجها، و لا يأمر الله عباده بأمر فى وقت ما إلا و يعلم أن الصلاح لهم فى ذلک الوقت فى أن يأمرهم بذلک، و يعلم أن فى وقت آخر الصلاح لهم فى أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به، فإذا كان ذلک الوقت أمرهم بما يصلحهم، فمن أقر لله عز و جل بأن له أن يفعل ما يشاء و يؤخر ما يشاء، و يخلق مكانه ما يشاء، و يقدر ما يشاء، و يؤخر ما يشاء، و يأمر بما يشاء كيف يشاء، فقد أقر بالبداء، و ما عظم الله بشىء أفضل من الإقرار بأن له الخلق و الأمر و التقديم و التأخير و إثبات ما لم يكن و محو ما قد كان، و البداء هو رد على اليهود لأنهم قالوا إن الله قد فرغ من الأمر، فقلنا إن الله كل يوم فى شأن يحيى و يميت و يرزق و يفعل ما يشاء، و البداء ليس من ندامة، و إنما هو ظهور أمر، تقول العرب: بدا لى شخص فى طريقى أى ظهر، و قال الله عز و جل:" وَ بَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ" أى ظهر لهم و متى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد فى عمره، و متى ظهر له قطيعة رحم نقص من عمره، و متى ظهر له من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه و عمره، و متى ظهر له التعفف عن الزنا زاد فى رزقه و عمره.

و من ذلک قول الصادق علیه السلام: ما بدا لله کما بدا له فی إسماعیل ابنی، یقول:
ما ظهر له أمر کما ظهر له فی إسماعیل إذ اخترمه قبلی، لیعلم بذلک أنه لیس بإمام بعدی.
و قال شیخ الطائفة عظم الله أجره فی کتاب الغیبة بعد إیراد الأخبار المشتملة علی البداء فی قیام القائم علیه السلام: الوجه فی هذه الأخبار- إن صحت- أنه لا یمتنع أن یکون الله تعالی قد وقت هذا الأمر فی الأوقات التی ذکرت، فلما تجدد ما تجدد تغیرت المصلحة و اقتضت تأخیره إلی وقت آخر، و کذلک فیما بعد، و یکون الوقت الأول و کل وقت یجوز أن یؤخر مشروطا بأن لا یتجدد ما تقتضی المصلحة تأخیره إلی أن یجیء الوقت الذی لا یغیره شیء، فیکون محتوما.
و علی هذا یتأول ما روی فی تأخیر الأعمار عن أوقاتها و الزیادة فیها عند الدعاء و صلة الأرحام، و ما روی فی تنقیص الأعمار عن أوقاتها إلی ما قبله عند فعل الظلم و قطع الرحم و غیر ذلک، و هو تعالی و إن کان عالما بالأمرین فلا یمتنع أن یکون أحدهما معلوما بشرط، و الآخر بلا شرط، و هذه الجملة لا خلاف فیها بین أهل العدل، و علی هذا یتأول أیضا ما روی من أخبارنا المتضمنة للفظ البداء، و یبین أن معناها النسخ علی ما یریده جمیع أهل العدل، فیما یجوز فیه النسخ، أو تغیر شروطها إن کان طریقها الخبر عن الکائنات، لأن البداء فی اللغة هو الظهور، فلا یمتنع أن یظهر لنا من أفعال الله تعالی ما کنا نظن خلافه أو نعلم و لا نعلم شرطه.
فمن ذلک ما رواه سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن أحمد بن محمد ابن أبی نصر، عن أبی الحسن الرضا علیه السلام قال: علی بن الحسین و علی بن أبی طالب قبله، و محمد بن علی، و جعفر بن محمد علیهم السلام: کیف لنا بالحدیث مع هذه الآیة:" یَمْحُوا اللّٰهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ" فأما من قال بأن الله تعالی لا یعلم الشیء إلا بعد کونه فقد کفر" انتهی".

و قد قيل فيه وجوه أخر:
الأول: ما ذكره السيد الداماد قدس الله روحه فى نبراس الضياء حيث قال: البداء منزلته فى التكوين منزلة النسخ فى التشريع، فما فى الأمر التشريعى و الأحكام التكليفية نسخ فهو فى الأمر التكوينى و المكونات الزمانية بداء، فالنسخ كأنه بداء تشريعى، و البداء كأنه نسخ تكوينى، و لا بداء فى القضاء، و لا بالنسبة إلى جناب القدس الحق و المفارقات المحضة من ملائكته القدسية، و فى متن الدهر الذى هو ظرف مطلق الحصول القار و الثبات البات و وعاء عالم الوجود كله، و إنما البداء فى القدر و فى امتداد الزمان الذى هو أفق التقضى و التجدد، و ظرف التدريج و التعاقب، و بالنسبة إلى الكائنات الزمانية، و من فى عالم الزمان و المكان و إقليم المادة و الطبيعة و كما أن حقيقة النسخ عند التحقيق انتهاء الحكم التشريعى و انقطاع استمراره لا رفعه و ارتفاعه عن وعاء الواقع، فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ انبتات استمرار الأمر التكوينى و انتهاء اتصال الإفاضة، و مرجعه إلى تحديد زمان الكون و تخصيص وقت الإفاضة، لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه و بطلانه فى حد حصوله" انتهى".
الثانى: ما ذكره بعض الأفاضل فى شرحه على الكافى و تبعه غيره من معاصرينا:
و هو أن القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة، لعدم تناهى تلك الأمور، بل إنما ينتقش فيها الحوادث شيئا فشيئا و جملة فجملة مع أسبابها و عللها على نهج مستمر و نظام مستقر، فإن ما يحدث فى عالم الكون و الفساد فإنما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخرة لله تعالى، و نتائج بركاتها فهى تعلم أنه كلما كان كذا كان كذا، فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ما فى هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم، و ربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقية الأسباب لو لا ذلك السبب، و لم يحصل لها

العلم بتصدقه الذى سيأتى به قبل ذلک الوقت، لعدم اطلاعها على سبب ذلک السبب، ثم لما جاء أو أنه و اطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول فيمحى عنها نقش الحكم السابق، و يثبت الحكم الآخر، مثلا لما حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا فى ليلة كذا، الأسباب تقتضى ذلک و لم يحصل لها العلم بتصدقه الذى سيأتى به قبل ذلک الوقت، لعدم اطلاعها على أسباب التصدق بعد، ثم علمت به و كان موته بتلک الأسباب مشروطا بأن لا يتصدق، فتحكم أولا بالموت و ثانيا بالبرء، و إذا كانت الأسباب لوقوع أمر و لا وقوعه متكافئة، و لم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد، لعدم مجىء أوان سبب ذلک الرجحان بعد، كان لها التردد فى وقوع ذلک الأمر و لا وقوعه فينتقش فيها الوقوع تارة و اللاوقوع أخرى، فهذا هو السبب فى البداء و المحو و الإثبات و التردد و أمثال ذلک فى أمور العالم، فإذا اتصلت بتلک القوى نفس النبى أو الإمام عليهم السلام و قرأ فيها بعض تلک الأمور فله أن يخبر بما رآه بعين قلبه، أو شاهده بنور بصيرته، أو سمع بإذن قلبه، و أما نسبة ذلک كله إلى الله تعالى فلان كلما يجرى فى العالم الملكوتى إنما يجرى بإرادة الله تعالى بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه، حيث إنهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، إذ لا داعى لهم على الفعل إلا إرادة الله جل و عز لاستهلاک إرادتهم فى إرادته تعالى، و مثلهم كمثل الحواس للإنسان، كلما هم بأمر محسوس امتثلت الحواس لما هم به، فكل كتابة تكون فى هذه الألواح و الصحف فهو أيضا مكتوب لله عز و جل بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأول، فيصح أن يوصف الله عز و جل نفسه بأمثال ذلک بهذا الاعتبار، و إن كان مثل هذه الأمور يشعر بالتغير و النسوخ، و هو سبحانه منزه عنه، فإن كلما وجد أو سيوجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيته.

الثالث: ما ذكره بعض المحققين حيث قال: تحقيق القول فى البداء أن الأمور كلها عامها و خاصها و مطلقها و مقيدها و منسوخها و ناسخها و مفرداتها و مركباتها

و إخباراتها و إنشاءاتها، بحيث لا يشذ عنها شىء منتقشة فى اللوح، و الفائض منه على الملائكة و النفوس العلوية و النفوس السفلية قد يكون الأمر العام المطلق أو المنسوخ حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان فى ذلک الوقت، و يتأخر المبين إلى وقت تقتضى الحكمة فيضانه فيه، و هذه النفوس العلوية و ما يشبهها يعبر عنها بكتاب المحو و الإثبات، و البداء عبارة عن هذا التغيير فى ذلک الكتاب.

الرابع: ما ذكره السيد المرتضى رضى الله عنه فى جواب مسائل أهل الرى، و هو أنه قال: المراد بالبداء النسخ، و ادعى أنه ليس بخارج عن معناه اللغوى.

أقول: هذا ما قيل فى هذا الباب، و قد قيل فيه وجوه أخر لا طائل فى إيرادها و الوجوه التى أوردناها بعضها بمعزل عن معنى البداء، و بينهما كما بين الأرض و السماء و بعضها مبتنية على مقدمات لم تثبت فى الدين، بل ادعى على خلافها إجماع المسلمين و كلها يشتمل على تأويل نصوص كثيرة بلا ضرورة تدعو إليه، و تفصيل القول فى كل منها يفضى إلى الإطناب، و لنذكر ما ظهر لنا من الآيات و الأخبار بحيث تدل عليه النصوص الصريحة، و لا تأبى عنه العقول الصحيحة.

فنقول و بالله التوفيق: إنهم عليهم السلام إنما بالغوا فى البداء ردا على اليهود الذين يقولون إن الله قد فرغ من الأمر، و على النظام، و بعض المعتزلة الذين يقولون إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هى عليه الآن، معادن و نباتا و حيوانا و إنسانا و لم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده، و التقدم إنما يقع فى ظهورها لا فى حدوثها و وجودها، و إنما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الكمون و الظهور من الفلاسفة، و على بعض الفلاسفة القائلين بالعقول و النفوس الفلكية، و بأن الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلا فى العقل الأول، فهم يعزلونه تعالى عن ملكه، و ينسبون الحوادث إلى هؤلاء، و على آخرين منهم قالوا: إن الله سبحانه أوجد جميع مخلوقاته دفعة واحدة دهرية لا ترتب فيها باعتبار الصدور، بل إنما ترتبها فى الزمان فقط، كما أنه لا تترتب

الأجسام المجتمعة زمانا و إنما ترتبها فى المكان فقط، فنفوا عليهم السلام كل ذلک و أثبتوا أنه تعالى كل يوم فى شأن من إعدام شىء و إحداث آخر و إماتة شخص و إحياء آخر إلى غير ذلک لئلا يترک العباد التضرع إلى الله و مسألته و طاعته و التقرب إليه بما يصلح أمور دنياهم و عقباهم، و ليرجوا عند التصدق على الفقراء و صلة الأرحام و بر الوالدين و المعروف و الإحسان ما وعدوا عليها من طول العمر و زيادة الرزق و غير ذلک.

ثم اعلم أن الآيات و الأخبار تدل على أن الله تعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات: أحدهما اللوح المحفوظ الذى لا تغير فيه أصلا، و هو مطابق لعلمه تعالى، و الآخر لوح المحو و الإثبات فيثبت فيه شيئا ثم يمحوه لحكم كثيرة لا تخفى على أولى الألباب، مثلا يكتب فيه أن عمر زيد خمسون سنة و معناه أن مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضى طوله أو قصره، فإذا وصل الرحم مثلا يمحى الخمسون و يكتب مكانه ستون، و إذا قطعها يكتب مكانه أربعون، و فى اللوح المحفوظ أنه يصل و عمره ستون، كما أن الطبيب الحاذق إذا اطلع على مزاج شخص يحكم بأن عمره بحسب هذا المزاج يكون ستين سنة، فإذا شرب سما و مات أو قتله إنسان فنقص من ذلک، أو استعمل دواء قوى مزاجه به فزاد عليه لم يخالف قول الطبيب، و التغيير الواقع فى هذا اللوح مسمى بالبداء، إما لأنه مشبه به كما فى سائر ما يطلق عليه تعالى من الابتلاء و الاستهزاء و السخرية و أمثالها، أو لأنه يظهر للملائكة أو للخلق إذا أخبروا بالأول خلاف ما علموا أولا.

و أى استبعاد فى تحقق هذين اللوحين؟ و أية استحالة فى هذا المحو و الإثبات حتى يحتاج إلى التأويل و التكلف. و إن لم تظهر الحكمة فيه لنا لعجز عقولنا عن الإحاطة بها، مع أن الحكم فيه ظاهرة.

منها: أن يظهر للملائكة الكاتبين فى اللوح و المطلعين عليه لطفه تعالى بعباده و إيصالهم فى الدنيا إلى ما يستحقونه فيزدادوا به معرفة.

و منها: أن يعلم العباد بأخبار الرسل و الحج عليهم السلام أن لأعمالهم الحسنة مثل هذه التأثيرات فى صلاح أمورهم، و لأعمالهم السيئة تأثيرا فى فسادها فيكون داعيا لهم إلى الخيرات، صارفا لهم عن السيئات، فظهر أن لهذا اللوح تقدما على اللوح المحفوظ من جهة، لصيرورته سببا لحصول بعض الأعمال، فبذلک انتقش فى اللوح المحفوظ حصوله، فلا يتوهم أنه بعد ما كتب فى هذا اللوح حصوله لا فائدة فى المحو و الإثبات.

و منها: أنه إذا أخبر الأنبياء و الأوصياء أحيانا من كتاب المحو و الإثبات ثم أخبروا بخلافه يلزمهم الإذعان به، و يكون فى ذلک تشديد للتكليف عليهم، و تسبيبا لمزيد الأجر لهم، كما فى سائر ما يبتلى الله عباده به من التكاليف الشاقة، و إيراد الأمور التى تعجز أكثر العقول عن الإحاطة بها، و بها يمتاز المسلمون الذين فازوا بدرجات اليقين عن الضعفاء الذين ليس لهم قدم راسخ فى الدين.

و منها: أن تكون هذه الأخبار تسلية لقوم من المؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله و غلبة الحق و أهله، كما روى فى قصة نوح عليه السلام حين أخبروا بهلاک القوم ثم أخر ذلک مرارا.

و كما روى فى فرج أهل البيت عليهم السلام و غلبتهم عليهم السلام، لأنهم عليهم السلام لو كانوا أخبروا الشيعة فى أول ابتلائهم باستيلاء المخالفين و شدة محنتهم أنه ليس فرجهم إلا بعد ألف سنة أو ألفى سنة ليئسوا و رجعوا عن الدين، و لكنهم أخبروا شيعتهم بتعجيل الفرج، و ربما أخبروهم بأنه يمكن أن يحصل الفرج فى بعض الأزمنة القريبة ليثبتوا على الدين و يثابوا بانتظار الفرج كما سيأتى فى باب كراهية التوقيت من كتاب الحجة عن على بن يقطين، قال: قال لى أبو الحسن عليه السلام: الشيعة تربى بالأمانى منذ مائتى سنة، قال: و قال يقطين لابنه على بن يقطين: ما بالنا قيل لنا فكان، و قيل لكم فلم يكن؟ قال: فقال له على: إن الذى قيل لنا و لكم كان من مخرج واحد غير

أن أمركم حضر فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم، و إن أمرنا لم يحضر فعللنا بالأمانى، فلو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتى سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب و لرجع عامة الناس عن الإسلام و لكن قالوا ما أسرعه و ما أقربه تألفا لقلوب الناس و تقريبا للفرج.

و قد ذكرنا كثيرا من الأخبار فى ذلک فى كتاب بحار الأنوار فى كتاب النبوة، لا سيما فى أبواب قصص نوح و موسى و شعياء عليهم السلام، و فى كتاب الغيبة.

فأخبارهم عليهم السلام بما يظهر خلافه ظاهرا من قبيل المجملات و المتشابهات التى تصدر عنهم بمقتضى الحكم، ثم يصدر عنهم بعد ذلک تفسيرها و بيانها، و قولهم يقع الأمر الفلانى فى وقت كذا معناه إن كان كذا، و إن لم يقع الأمر الفلانى الذى ينافيه و لم يذكروا الشرط كما قالوا فى النسخ قبل الفعل، و قد أوضحناه فى باب ذبح إسماعيل عليه السلام من الكتاب المذكور.

فمعنى قولهم عليهم السلام: ما عبد الله بمثل البداء، أن الإيمان بالبداء من أعظم العبادات القلبية لصعوبته و معارضته الوساوس الشيطانية فيه، و لكونه إقرارا بأن له الخلق و الأمر، و هذا كمال التوحيد، أو المعنى أنه من أعظم الأسباب و الدواعى لعبادة الرب تعالى كما عرفت، و كذا قولهم ما عظم الله بمثل البداء يحتمل الوجهين و إن كان الأول فيه أظهر.

و أما قول الصادق عليه السلام: لو علم الناس ما فى القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه، فلما مر أيضا من أن أكثر مصالح العباد موقوفة على القول بالبداء إذ لو اعتقدوا أن كل ما قدر فى الأزل فلا بد من وقوعه حتما لما دعوا الله فى شىء من مطالبهم، و ما تضرعوا إليه و ما استكانوا لديه، و لا خافوا منه، و لا رجوا إليه إلى غير ذلک مما قد أومأنا إليه، و أما إن هذه الأمور من جملة الأسباب المقدرة فى الأزل أن يقع الأمر بها لا بدونها فمما لا يصل إليه عقول أكثر الخلق، فظهر أن

هذا اللوح و علمهم بما يقع فيه من المحو و الإثبات أصلح لهم من كل شىء.
بقى هيهنا إشكال آخر: و هو أنه يظهر من كثير من الأخبار أن البداء لا يقع فيما يصل علمه إلى الأنبياء و الأئمة عليهم السلام، و يظهر من كثير منها وقوع البداء فيما وصل إليهم أيضا و يمكن الجمع بينها بوجوه:
الأول: أن يكون المراد بالأخبار الأولة عدم وقوع البداء فيما وصل إليهم على سبيل التبليغ، بأن يؤمروا بتبليغه فيكون إخبارهم بها من قبل أنفسهم لا على وجه التبليغ.
الثانى: أن يكون المراد بالأولة الوحى و يكون ما يخبرون به من جهة الإلهام و اطلاع نفوسهم على الصحف السماوية و هذا قريب من الأول.
الثالث: أن تكون الأولة محمولة على الغالب فلا ينافى ما وقع على سبيل الندرة.
الرابع: ما أشار إليه الشيخ قدس الله روحه: من أن المراد بالأخبار الأولة عدم وصول الخبر إليهم و أخبارهم على سبيل الحتم، فيكون أخبارهم على قسمين:
" أحدهما" ما أوحى إليهم أنه من الأمور المحتومة، فهم يخبرون كذلک و لا بداء فيه.
" و ثانيهما" ما يوحى إليهم لا على هذا الوجه، فهم يخبرون كذلک، و ربما أشعروا أيضا باحتمال وقوع البداء فيه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد الإخبار بالسبعين" يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ" و هذا وجه قريب.
الخامس: أن يكون المراد بالأخبار الأولة أنهم لا يخبرون بشىء لا يظهر وجه الحكمة فيه على الخلق، لئلا يوجب تكذيبهم بل لو أخبروا بشىء من ذلک يظهر وجه الصدق فيما أخبروا به كخبر عيسى عليه السلام و النبى صلى الله عليه و آله حيث ظهرت الحية دالة على صدق مقالهما، و سيأتى بعض القول فى ذلک فى باب ليلة القدر إن شاء الله تعالى.

ص: 136
وَ فِی رِوَایَةِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع مَا عُظِّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ

الحديث الثانى

: مرسل.
قوله عليه السلام: ما عظم الله. لأنه إثبات لقدرته و تدبيره و حكمته، و إذعان فى أمر يأبى عنه العقول القاصرة و قد مر القول فيه.

ص: 137

2 عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ وَ غَيْرِهِمَا عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ فِی هَذِهِ الْآيَةِ- يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ قَالَ فَقَالَ وَ هَلْ يُمْحَی إِلَّا مَا كَانَ ثَابِتاً وَ هَلْ يُثْبَتُ إِلَّا مَا لَمْ يَكُنْ

3 عَلِيٌّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً حَتَّی يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ الْإِقْرَارَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَ خَلْعَ الْأَنْدَادِ وَ أَنَّ اللَّهَ يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ

الحديث الثالث

: حسن.
" و هل يمحى إلا ما كان ثابتا" استدل عليه السلام بهذه الآية على تحقق البداء بالمعنى المتقدم، بأن المحو يدل على أنه كان مثبتا فى اللوح فمحى و أثبت خلافه، و كذا العكس، و يدل على أن جميع ذلک بمشيته سبحانه، و أكثر الأخبار يشمل النسخ أيضا فلا تغفل.

الحديث الرابع

: حسن.
قوله عليه السلام: الإقرار له بالعبودية، أى بأن لا يدعو الربوبية كما يدعون لعيسى عليه السلام، و قيل: لا يخفى ما فيه من المبالغة فى إثبات البداء بجعله ثالث الإقرار بالألوهية و التوحيد، و لعل ذلک لأن إنكاره يؤدى إلى إنكاره سبحانه خصوصا بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام لأنه لقربهم من المبادئ كثيرا ما يفاض عليهم من كتاب المحو و الإثبات الثابت الذى سيمحى بعد، و عدم ثبوت ما سيثبت بعد، و الظاهر أن التقديم و التأخير بحسب الزمان فى الحوادث، و يحتمل ما بحسب الرتبة أيضا، أو يقدمه يعنى يوجده و يؤخره، أى يمحوه و لا يوجده.

ص: 138

4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ حُمْرَانَ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- قَضی أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ قَالَ هُمَا أَجَلَانِ أَجَلٌ مَحْتُومٌ وَ أَجَلٌ مَوْقُوفٌ

: حسن أو موثق.
قوله تعالى:" قَضى أَجَلًا".
قال الرازي فى تفسيره: اختلف المفسرون فى تفسير الأجلين على وجوه:
" الأول" أن المقضى آجال الماضين و المسمى عنده: آجال الباقين."
الثانى" أن الأول أجل الموت و الثانى أجل القيامة لأن مدة حياتهم فى الآخرة لا آخر لها.
" الثالث" أن الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، و الثاني ما بين الموت و البعث" الرابع" أن الأول النوم و الثانى الموت" الخامس" أن الأول مقدار ما انقضى من عمر كل أحد، و الثانى مقدار ما بقى من عمر كل أحد." السادس" و هو قول حكماء الإسلام: إن لكل إنسان أجلين أحدهما: الآجال الطبيعية، و الثانى الآجال الاخترامية، أما الآجال الطبيعية فهى التى لو بقى ذلک المزاج مصونا عن العوارض الخارجية لانتهت مدة بقائه إلى الوقت الفلانى، و أما الآجال الاخترامية فهى التى تحصل بالأسباب الخارجية كالغرق و الحرق و غيرهما من الأمور المنفصلة" انتهى".
و ما صدر من معدن الوحى و التنزيل مخالف لجميع ما ذكر، و موافق للحق، و الأجل المقضى هو المحتوم الموافق لعلمه سبحانه، و المسمى هو المكتوب فى لوح المحو و الإثبات و يظهر من بعض الروايات العكس.
قوله عليه السلام: هما أجلان أى متغايران أجل محتوم، أى مبرم محكم لا يتغير و أجل موقوف قبل التغير و البداء لتوقفه على حصول شرائط و ارتفاع موانع كما عرفت.

5 أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ مَالِكٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً قَالَ فَقَالَ لَا مُقَدَّراً وَ لَا مُكَوَّناً قَالَ وَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ- هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً فَقَالَ كَانَ مُقَدَّراً غَيْرَ مَذْكُورٍ
6 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ عِنْدَ اللَّهِ مَخْزُونٌ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ وَ عِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ فَمَا عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَا يُكَذِّبُ نَفْسَهُ وَ لَا مَلَائِكَتَهُ وَ لَا رُسُلَهُ وَ عِلْمٌ

الحديث السادس

: ضعيف و المراد بالخلق فى الآية الأولى، إما التقدير أو الإيجاد و الأحداث العينى، و على الأول معناه قدرنا الإنسان أو وجوده، و لم يكن تقدير نوع الإنسان مسبوقا بكونه مقدرا أو مكونا فى فرد، و على الثانى أوجدناه و لم يكن إيجاده مسبوقا بتقدير سابق أزلى، بل بتقدير كائن و لا مسبوقا بتكوين سابق، و قوله: كان مقدرا غير مذكور أى غير مذكور و مثبت فى الكتاب الذى يقال له كتاب المحو و الإثبات، أو غير مذكور لما تحت اللوح المحفوظ، أو المراد غير موجود إذ الموجود مذكور عند الخلق، و الحاصل أنه يمكن أن يكون هذا إشارة إلى مرتبة متوسطة بين التقدير و الإيجاد، أو إلى الإيجاد، و لما كان هذا الخبر يدل على أصل التقدير فى الألواح و مراتبه التى يقع فيها البداء، ذكره المصنف فى هذا الباب.

الحديث السابع

: مجهول كالصحيح.
" فما علمه ملائكته" أى على سبيل الوحى أو الحتم أو التبليغ أو غالبا كما مر

عِنْدَهُ مَخْزُونٌ يُقَدِّمُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ مَا يَشَاءُ
7 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ مِنَ الْأُمُورِ أُمُورٌ مَوْقُوفَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يُقَدِّمُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ
8 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ وَ وُهَيْبِ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ لِلَّهِ عِلْمَيْنِ عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ- وَ عِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَ رُسُلَهُ وَ أَنْبِيَاءَهُ فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ
9 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَا بَدَا لِلَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا كَانَ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ
10 عَنْهُ عَنْ أَحْمَدَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْدُ لَهُ مِنْ جَهْلٍ

تفصيله" يقدم منه ما يشاء" أى من العلم المخزون و بسببه يقدم و يؤخر ما يشاء فى كتاب المحو و الإثبات، إذ هذا التغيير مسبوق بعلمه ذلک، و إثباته فى اللوح المحفوظ

الحديث الثامن

: مجهول كالصحيح.
" أمور موقوفة عند الله" أى مكتوبة فى لوح المحو و الإثبات موقوفة على شرائط يحتمل تغييرها.

الحديث التاسع

: مجهول.
" من ذلک يكون البداء" أى بسبب ذلک العلم يحصل البداء فى كتاب المحو.

الحديث العاشر

: صحيح.

الحديث الحادى عشر

: مجهول.

11 عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع هَلْ يَكُونُ الْيَوْمَ شَيْ‌ءٌ لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ قَالَ لَا مَنْ قَالَ هَذَا فَأَخْزَاهُ اللَّهُ قُلْتُ أَ رَأَيْتَ مَا كَانَ وَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَ لَيْسَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَالَ بَلَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ
12 عَلِيٌّ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ مَالِكٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ مِنَ الْأَجْرِ مَا فَتَرُوا عَنِ الْكَلَامِ فِيهِ
13 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الْكُوفِيِّ أَخِي يَحْيَى عَنْ مُرَازِمِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ مَا تَنَبَّأَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُقِرَّ لِلَّهِ بِخَمْسِ خِصَالٍ بِالْبَدَاءِ وَ الْمَشِيئَةِ وَ السُّجُودِ وَ الْعُبُودِيَّةِ وَ الطَّاعَةِ

الحديث الثانى عشر

: صحيح" فأخزاه الله" ظاهره الدعاء، و يحتمل الإخبار أى أخزاه الله و منع لطفه منه بسوء اختياره حتى قال بهذا القول، و يدل الخبر على حدوث العالم.

الحديث الثالث عشر

: مجهول" ما فى القول بالبداء" أى الاعتقاد به و إظهاره و إنشاؤه من الأجر و الفوائد" ما فتروا" و لم يمسكوا عن الكلام فيه، لأنه مناط الخوف و الرجاء، و الباعث على التضرع و الدعاء و السعى فى أمور المعاش و المعاد و العلم بتصرف رب العباد و تدبيره فى عالم الكون و الفساد.

الحديث الرابع عشر

: مرسل" ما تنبأ نبى" أى لم يصر نبيا" و المشية" أى أن الأشياء تحصل بمشيته" و السجود" أى استحقاقه للعبادة، و اختصاصه بها، أو أنه يسجد له ما فى السماوات و الأرض و ينقاد له، و قدرته نافذة فى الجميع" و العبودية" أى بأن لا يدعى ما ينافى العبودية، أو باختصاص العبودية و العبادة له، فيكون تعميما بعد التخصيص، أو التوحيد و نفى الشريک" و الطاعة" أى فى جميع الأوامر و النواهى و هو ناظر إلى العصمة.

14 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ جَهْمِ بْنِ أَبِي جَهْمَةَ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَخْبَرَ مُحَمَّداً ص بِمَا كَانَ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا وَ بِمَا يَكُونُ إِلَى انْقِضَاءِ الدُّنْيَا وَ أَخْبَرَهُ بِالْمَحْتُومِ مِنْ ذَلِكَ وَ اسْتَثْنَى عَلَيْهِ فِيمَا سِوَاهُ
15 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ سَمِعْتُ الرِّضَا ع يَقُولُ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَ أَنْ يُقِرَّ لِلَّهِ بِالْبَدَاءِ
16 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سُئِلَ الْعَالِمُ ع كَيْفَ عِلْمُ اللَّهِ قَالَ عَلِمَ وَ شَاءَ وَ أَرَادَ وَ قَدَّرَ وَ قَضَى وَ أَمْضَى فَأَمْضَى مَا قَضَى وَ قَضَى مَا قَدَّرَ وَ قَدَّرَ مَا أَرَادَ فَبِعِلْمِهِ كَانَتِ الْمَشِيئَةُ وَ بِمَشِيئَتِهِ كَانَتِ الْإِرَادَةُ وَ بِإِرَادَتِهِ كَانَ التَّقْدِيرُ وَ بِتَقْدِيرِهِ كَانَ الْقَضَاءُ وَ بِقَضَائِهِ كَانَ الْإِمْضَاءُ وَ الْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ وَ الْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ وَ الْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ وَ التَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى الْبَدَاءُ فِيمَا عَلِمَ مَتَى شَاءَ وَ فِيمَا أَرَادَ لِتَقْدِيرِ الْأَشْيَاءِ فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ فَلَا بَدَاءَ فَالْعِلْمُ فِي الْمَعْلُومِ قَبْلَ كَوْنِهِ وَ الْمَشِيئَةُ فِي الْمُنْشَإِ قَبْلَ عَيْنِهِ

: مرسل" و استثنى عليه" أى بأن قال إلا بأن أريد غيره أو أمحوه، و الحاصل أنه ميز له المحتوم و غيره، و هذا يؤيد أحد الوجوه المتقدمة فى الجمع بين الأخبار.

الحديث السادس عشر

: حسن، و يدل على تحريم الخمر فى جميع الشرائع و لا ينافى كونها فى أول بعض الشرائع حلالا، ثم نزل تحريمها كما يدل عليه بعض الأخبار.

الحديث السابع عشر

: ضعيف، و هو من غوامض الأخبار و متشابهاتها و لعله إشارة إلى اختلاف مراتب تقدير الأشياء فى الألواح السماوية أو اختلاف مراتب تسبب أسبابها إلى وقت حصولها.

وَ الْإِرَادَةُ فِي الْمُرَادِ قَبْلَ قِيَامِهِ وَ التَّقْدِيرُ لِهَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ قَبْلَ تَفْصِيلِهَا وَ تَوْصِيلِهَا عِيَاناً وَ وَقْتاً وَ الْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ هُوَ الْمُبْرَمُ مِنَ الْمَفْعُولَاتِ ذَوَاتِ الْأَجْسَامِ الْمُدْرَكَاتِ بِالْحَوَاسِّ مِنْ ذَوِی لَوْنٍ وَ رِيحٍ وَ وَزْنٍ وَ كَيْلٍ وَ مَا دَبَّ وَ دَرَجَ مِنْ إِنْسٍ وَ جِنٍّ وَ طَيْرٍ وَ سِبَاعٍ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فِيهِ الْبَدَاءُ مِمَّا لَا عَيْنَ لَهُ فَإِذَا وَقَعَ الْعَيْنُ الْمَفْهُومُ الْمُدْرَكُ فَلَا بَدَاءَ وَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ* فَبِالْعِلْمِ عَلِمَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَ بِالْمَشِيئَةِ عَرَّفَ صِفَاتِهَا وَ حُدُودَهَا وَ أَنْشَأَهَا قَبْلَ إِظْهَارِهَا وَ بِالْإِرَادَةِ مَيَّزَ أَنْفُسَهَا فِي أَلْوَانِهَا وَ صِفَاتِهَا وَ بِالتَّقْدِيرِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَ عَرَّفَ أَوَّلَهَا وَ آخِرَهَا وَ بِالْقَضَاءِ أَبَانَ لِلنَّاسِ أَمَاكِنَهَا وَ دَلَّهُمْ عَلَيْهَا وَ بِالْإِمْضَاءِ شَرَحَ عِلَلَهَا وَ أَبَانَ أَمْرَهَا وَ ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ*

قوله عليه السلام: قبل تفصيلها و توصيلها، أی من لوح المحو و الإثبات أو فی الخارج.

قوله عليه السلام: فإذا وقع العين المفهوم المدرک، أی فصل و ميز فی اللوح أو أوجد فی الخارج، و لعل تلک الأمور عبارة عن اختلاف مراتب تقديرها فی لوح المحو و الإثبات، و قد جعلها الله من أسباب وجود الشیء و شرائطه لمصالح، كما قد مر بيانها، فالمشية كتابة وجود زيد و بعض صفاته مثلا مجملا، و الإرادة كتابة العزم عليه بتة مع كتابة بعض صفاته أيضا، و التقدير تفصيل بعض صفاته و أحواله، لكن مع نوع من الإجمال أيضا، و القضاء تفصيل جميع الأحوال و هو مقارن للإمضاء، أی الفعل و الإيجاد و العلم بجميع تلک الأمور أزلی قديم، فقوله" بالمشية عرف" علی صيغة التفعيل، و شرح العلل كناية عن الإيجاد.

و قال بعض الأفاضل: الظاهر من السؤال أنه كيف علم الله، أ بعلم مستند إلی الحضور العينی و الشهود فی وقته لموجود عينی أو فی موجود عينی كما فی علومنا، أو بعلم مستند إلی الذات، سابق علی خلق الأشياء، فأجاب عليه السلام بأن العلم سابق علی وجود المخلوق بمراتب، فقال: علم و شاء و أراد و قدر و قضاء، و أمضی، فالعلم ما به ينكشف الشیء و المشية ملاحظته بأحوال مرغوب فيها يوجب فينا ميلا دون المشية

له سبحانه لتعاليه عن التغير و الاتصاف بالصفة الزائدة، و الإرادة تحريک الأسباب نحوه، و بحرکة نفسانية فينا بخلاف الإرادة فيه سبحانه، و القدر: التحديد و تعيين الحدود و الأوقات، و القضاء: هو الإيجاب، و الإمضاء هو الإيجاد، فوجود الخلق بعد علمه سبحانه بهذه المراتب و قوله: فأمضى ما قضى، أى فأوجد ما أوجب و أوجب ما قدر، و قدر ما أراد، ثم استأنف البيان على وجه أوضح فقال: بعلمه كانت المشية و هى مسبوقة بالعلم، و بمشيته كانت الإرادة و هى مسبوقة بالمشية، و بإرادته كان التقدير و التقدير مسبوق بالإرادة، و بتقديره كان القضاء و الإيجاب و هو مسبوق بالتقدير، إذ لا إيجاب إلا للمحدد و الموقوت بقضائه و إيجابه كان الإمضاء و الإيجاد، و لله تعالى البداء فيما علم متى شاء، فإن الدخول فى العلم أول مراتب السلوک إلى الوجود العينى، و له البداء فيما علم متى شاء أن يبدو، و فيما أراد و حرک الأسباب نحو تحريكه متى شاء قبل القضاء و الإيجاب، فإذا وقع القضاء و الإيجاب متلبسا بالإمضاء و الإيجاد فلا بداء فعلم أن فى العلوم العلم قبل كون المعلوم و حصوله فى الأذهان و الأعيان، و فى المشاء المشية قبل عينه و وجوده العينى.
و فى أكثر النسخ المنشأ و لعل المراد الإنشاء قبل الإظهار كما فى آخر الحديث و فى المراد الإرادة قبل قيامه، و التقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها و حضورها العينى فى أوقاتها و القضاء بالإمضاء هو المبرم الذى يلزمه وجود المقتضى.
و قوله: من المعقولات، يحتمل تعلقه بالمبرم و يكون قوله ذوات الأجسام ابتداء الكلام، و يحتمل كونه من الكلام المستأنف و تعلقه بما بعده، و المعنى أن هذه الأشياء المحدثة لله فيه البداء قبل وقوع أعيانها، فإذا وقع العينى فلا بداء فبالعلم علم الأشياء قبل كونها و حصولها، و أصل العلم غير مرتبط بنحو من الحصول للمعلوم و لو فى غيره بصورته المتجددة، و لا يوجب نفس العلم و الانكشاف بما هو علم، و انكشاف الأشياء إنشاؤها و بالمشية و معرفتها بصفاتها و حدودها إنشائها إنشاء قبل الإظهار، و الإدخال

فى الوجود العينى و بالإرادة و تحريک الأسباب نحو وجودها العينى ميز بعضها عن بعض بتخصيص تحريک الأسباب نحو وجود بعض دون بعض، و بالتقدير قدرها و عين و حدد أقواتها و أوقاتها و آجالها، و بالقضاء و إيجابها بموجباتها أظهر للناس أماكنها و دلهم عليها بدلائلها، فاهتدوا إلى العلم بوجودها حسب ما يوجبه الموجب بعد العلم بالموجب، و بالإمضاء و الإيجاد أوضح تفصيل عللها و أبان أمرها بأعيانها، و ذلک تقدير العزيز العليم، فبالعليم أشار إلى مرتبة أصل العلم، و بالعزيز إلى مرتبة المشية و الإرادة و بإضافة التقدير إلى العزيز العليم إلى تأخره عن العز بالمشية و الإرادة اللتين يغلب بهما على جميع الأشياء، و لا يغلبه فيهما أحد مما سواه و بتوسيط العزيز بين التقدير و العلم إلى تأخره عن مرتبة العلم، و تقدم مرتبة العلم عليه، كتقدمه على التقدير.

و قال بعضهم: أشار عليه السلام بقوله إلى ستة مراتب بعضها مترتب على بعض:

أولها: العلم لأنه المبدأ الأول لجميع الأفعال الاختيارية، فإن الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلا بعد القصد و الإرادة، و لا يصدر عنه القصد و الإرادة إلا بعد تصور ما يدعوه إلى ذلک الميل و تلک الإرادة و التصديق به تصديقا جازما أو ظنا راجحا، فالعلم مبدء مبادئ الأفعال الاختيارية، و المراد به هنا هو العلم الأزلى الذاتى الإلهى أو القضائى المحفوظ عن التغير فينبعث منه ما بعده، و أشار إليه بقوله: علم، أى دائما من غير تبدل.

و ثانيها: المشية، و المراد بها مطلق الإرادة، سواء بلغت حد العزم و الإجماع أم لا، و قد تنفک المشية فينا عن الإرادة الحادثة.

و ثالثها: الإرادة و هى العزم على الفعل أو الترک بعد تصوره و تصور الغاية المترتبة عليه من خير أو نفع أو لذة، لكن الله برىء عن أن يفعل لأجل غرض يعود إلى ذاته.

و رابعها: التقدير فإن الفاعل لفعل جزئى من أفراد طبيعة واحدة مشتركة، إذا عزم على تكوينه فى الخارج كما إذا عزم الإنسان على بناء بيت، فلا بد قبل الشروع

أن يعين مكانه الذي يبنى عليه، و زمانه الذى يشرع فيه، و مقداره الذى يكونه عليه من كبر أو صغر أو طول أو عرض، و شكله و وضعه و لونه و غير ذلک من صفاته و أحواله و هذه كلها داخلة فى التقدير.

و خامسها: القضاء و المراد منه هنا إيجاب الفعل و اقتضاء الفعل من القوة الفاعلة المباشرة، فإن الشىء ما لم يجب لم يوجد، و هذه القوة الموجبة لوقوع الفعل منا هى القوة التى تقوم في العضلة و العصب من العضو الذى توقع القوة الفاعلة فيها قبضا و تشنيجا، أو بسطا و إرخاء أو لا، فيتبعه حركة العضو فتتبعه صورة الفعل فى الخارج من كتابة أو بناء أو غيرهما، و الفرق بين هذا الإيجاب و بين وجود الفعل فى العين كالفرق بين الميل الذى فى المتحرک و بين حركته، و قد ينفک الميل عن الحركة كما تحس يدک من الحجر المسكن باليد فى الهواء، و معنى هذا الإيجاب و الميل من القوة المحركة أنه لو لا هناک اتفاق مانع أو دافع من خارج، لوقعت الحركة ضرورة، إذ لم يبق من جانب الفاعل شىء منتظر، فقوله: و قضى، إشارة إلى هذا الاقتضاء و الإيجاب الذى ذكرنا أنه لا بد من تحققه قبل الفعل قبلية بالذات لا بالزمان، إلا أن يدفعه دافع من خارج، و ليس المراد منه القضاء الأزلى لأنه نفس العلم، و مرتبة العلم قبل المشية و الإرادة و التقدير.

و سادسها: نفس الإيجاد و هو أيضا متقدم على وجود الشىء المقدر فى الخارج و لهذا يعده أهل العلم و التحقيق من المراتب السابقة على وجود الممكن فى الخارج فيقال: أوجب فوجب، فأوجد فوجد، ثم أراد عليه السلام الإشارة إلى الترتيب الذاتى بين هذه الأمور، لأن العطف بالواو سابقا لم يفد الترتيب فقال: فأمضى ما قضى، و لما لم يكن أيضا صريحا فى الترتيب صرح بإيراد باء السببية فقال: فبعلمه كانت المشية" إلخ" ثم لما كانت الباء أيضا محتملة للتلبس و المصاحبة و غيرهما، زاد فى

التصريح فقال: و العلم متقدم المشية أى عليها.
و قوله: و التقدير واقع على القضاء بالإمضاء، أراد به أن التقدير واقع على القضاء الجزئى بإمضائه و إيقاع مقتضاه فى الخارج، ثم بين عليه السلام أن البداء لا يقع فى العلم الأزلى و لا فى المشية و الإرادة الأزليتين و لا بعد تحقق الفعل بالإمضاء، بل لله البداء فى عالم التقدير الجزئى و فى لوح المحو و الإثبات، ثم أراد أن يبين أن لهذه الموجودات الواقعة فى الأكوان المادية لها ضرب من الوجود و التحقق فى عالم القضاء الإلهى قبل عالم التقدير التفصيلى، فقال: فالعلم فى المعلوم لأن العلم و هو صورة الشىء مجردة عن المادة، نسبته إلى المعلوم به نسبة الوجود إلى المهية الموجودة فكل علم فى معلومه بل العلم و المعلوم متحدان بالذات، متغايران بالاعتبار، و كذلک حكم قوله: و المشية فى المشاء، و الإرادة فى المراد قبل قيامه، أى قبل قيام المراد قياما خارجيا و قوله: و التقدير لهذه المعلومات، يعنى أن هذه الأنواع الطبيعية و الطبائع الجسمانية التى بينا موجودة فى علم الله الأزلى، و مشيته و إرادته السابقتين على تقديرها و إثباتها فى الألواح القدرية و الكتب السماوية، فإن وجودها القدرى أيضا قبل وجودها الكونى. فى موادها السفلية عند تمام استعداداتها و حصول شرائطها و معداتها و إنما يمكن ذلک بتعاقب أفراد و تكثر أشخاص فيما لا يمكن استبقاؤه إلا بالنوع دون العدد، و لا يتصور ذلک إلا فيما يقبل التفصيل و التركيب و التفريق و التمزيج فأشار بتفصيلها إلى كثرة أفرادها الشخصية و بتوصيلها إلى تركبها من العناصر المختلفة و أراد بقوله: عيانا و وقتا، وجودها الخارجى الكونى الذى يدركه الحس الظاهرى فيه عيانا.
و قوله: و القضاء بالإمضاء، يعنى أن الذى وقع فيه إيجاب ما سبق فى عالم التقدير جزئيا أو فى عالم العلم الأزلى كليا بإمضائه هو الشىء المبرم الشديد من جملة المفعولات

كالجواهر العلوية و الأشخاص الكريمة و غير ذلک من الأمور الكونية التى يعتنى لوجودها من قبل المبادئ العلوية، ثم شرح المفعولات التى تقع فى عالم الكون التى منها المبرم و منها غير المبرم، القابل للبداء قبل التحقق و للنسخ بعده و بين أحوالها و أوصافها، فقال: ذوات الأجسام، يعنى أن صورها الكونية ذوات أجسام و مقادير طويلة عريضة عميقة، لا كما كانت فى العالم العقلى صورا مفارقة عن المواد و الأبعاد، ثم لم يكتف بكونها ذوات أجسام لأن الصورة التى فى عالم التقدير العلمى أيضا ذوات أبعاد مجردة عن المواد بل قيدها بالمدركات بالحواس من ذوى لون و ريح و هما من الكيفيات المحسوسة.

و بقوله: ما دب و درج، أى قبل الحركة، و هى نفس الانفعالات المادية لتخرج بهذه القيود الصور المفارقة سواء كانت عقلية كلية أو إدراكية جزئية.

ثم أورد لتوضيح ما أفاده من صفة الصور الكونية التى فى هذا العالم الأسفل أمثلة جزئية بقوله: من إنس و جن و طير و سباع و غير ذلک مما يدرک بالحواس، ثم كر راجعا إلى ما ذكره سابقا من أن البداء لا يكون إلا قبل الوقوع فى الكون الخارجى بل إنما يقع فى عالم التقدير تأكيدا بقوله: فلله تبارک و تعالى فيه البداء، أى فيما من شأنه أن يدرک بالحواس و لكن عند ما لم يوجد عينه الكونى فأما إذا وقع فلا بداء.

و قوله: و الله يفعل ما يشاء، أى يفعل فى عالم التكوين ما يشاء فى عالم التصوير و التقدير، ثم استأنف كلاما فى توضيح تلک المراتب بقوله: فبالعلم علم الأشياء، أى علما عاما أزليا ذاتيا إليها أو عقليا قضائيا قبل كونها فى عالمى التقدير و التكوين و بالمشية عرف صفاتها الكلية و حدودها الذاتية و صورها العقلية، فإن المشية متضمنة للعلم بالمشىء قبل وجوده فى الخارج، بل المشية إنشاء للشىء إنشاء علميا كما أن الفعل إنشاء له إنشاء كونيا، و لذا قال: و إنشاؤها قبل إظهارها أى فى الخارج على المدارک الحسية، و بالإرادة ميز أنفسها، لأن الإرادة كما مر هى العزم التام على

بَابٌ فِی أَنَّهُ لَا یَکُونُ شَیْءٌ فِی السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ
1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِیهِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی

الفعل بواسطة صفة مرجحة ترجح أصل وجوده أو نحوا من أنحاء وجوده فیها یتمیز الشیء فی نفسه فضل تمیز لم یکن قبل الإرادة" و بالتقدیر قدر أقواتها" لأنه قد مر أن التقدیر عبارة عن تصویر الأشیاء المعلومة أولا علی الوجه العقلی الکلی جزئیة مقدرة بإقدار معینة متشکلة بإشکال و هیئات شخصیة مقارنة لأوقات مخصوصة علی الوجه الذی یظهر فی الخارج قبل إظهارها و إیجادها.
قوله: و بالقضاء، و هو إیجابه تعالی لوجودها الکونی" أبان للناس أماکنها" و دلهم علیها لأن الأمکنة و الجهات و الأوضاع مما لا یمکن ظهورها علی الحواس البشریة إلا عند حصولها الخارجی فی موادها الکونیة الوضعیة، و ذلک لا یکون إلا بالإیجاب و الإیجاد الذین عبر عنهما بالقضاء و الإمضاء کما قال" و بالإمضاء" و هو إیجادها فی الخارج" شرح" أی فصل عللها الکونی" و أبان أمرها" أی أظهر وجودها علی الحواس الظاهرة" و ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ*" أی و ذلک الشرح و التفصیل و الإبانة و الإظهار صورة تقدیر اللّه العزیز الذی علم الأشیاء قبل تقدیرها فی لوح القدر، و قبل تکوینها فی مادة الکون.
هذا ما ذکره کل علی آرائهم و أصولهم و لعل رد علم هذه الأخبار علی تقدیر صحتها إلی من صدرت عنه أحوط و أولی، و قد سبق منا ما یوافق فهمنا، و اللّه الهادی إلی الحق المبین.

باب فى أنه لا يكون شىء فى السماء و الأرض إلا بسبعة

الحديث الأول

: مجهول بسنديه.

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ وَ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ جَمِيعاً عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ عَنْ حَرِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ جَمِيعاً عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ لَا يَكُونُ شَیْءٌ فِی الْأَرْضِ وَ لَا فِی السَّمَاءِ إِلَّا بِهَذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعِ بِمَشِيئَةٍ وَ إِرَادَةٍ وَ قَدَرٍ وَ قَضَاءٍ وَ إِذْنٍ وَ كِتَابٍ وَ أَجَلٍ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْضِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ

و يمكن حمل الخصال السبع على اختلاف مراتب التقدير فى الألواح السماوية أو اختلاف مراتب تسبب الأسباب السماوية و الأرضية أو يكون بعضها فى الأمور التكوينية و بعضها فى الأحكام التكليفية، أو كلها فى الأمور التكوينية، فالمشية و هى العزم و الإرادة و هى تأكدها فى الأمور التكوينية ظاهرتان، و أما فى التكليفية فلعل عدم تعلق الإرادة الحتمية بالترک عبر عنه بإرادة الفعل مجازا.

و الحاصل أن الإرادة متعلقة بالأشياء كلها لكن تعلقها بها على وجوه مختلفة، إذ تعلقها بأفعال نفسه سبحانه بمعنى إيجادها و الرضا بها، و بطاعات العباد بمعنى إرادة وجودها و الرضا بها، أو الأمر بها، و بالمباحات بمعنى الرخصة بها، و بالمعاصى إرادة أن لا يمنع منها بالجبر لتحقق الابتلاء و التكليف، كما قال تعالى:" وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا" أو يقال تعلقها بأفعال العباد على سبيل التجوز باعتبار إيجاد الآلة و القدرة عليها، و عدم المنع منها، فكأنه أرادها، و ربما تأول الإرادة بالعلم و هو بعيد، و بالقدر تقدير الموجودات طولا و عرضا وكيلا و وزنا و حدا و وصفا و كما و كيفا، و بالقضاء: الحكم عليها بالثواب و العقاب، أو تسبب أسبابه البعيدة كما مر.

و المراد بالإذن أما العلم أو الأمر فى الطاعات، أو رفع الموانع و بالكتاب الكتابة فى الألواح السماوية أو الفرض و الإيجاب كما قال تعالى:" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ"" و كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ" و بالأجل: الأمد المعين و الوقت المقدر عنده تعالى،

وَ رَوَاهُ عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ عَنْ حَرِیزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَ ابْنِ مُسْکَانَ مِثْلَهُ

2 وَ رَوَاهُ أَیْضاً عَنْ أَبِیهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ زَکَرِیَّا بْنِ عِمْرَانَ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ مُوسَی بْنِ جَعْفَرٍ ع قَالَ لَا یَکُونُ شَیْءٌ فِی السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِی الْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعٍ بِقَضَاءٍ وَ قَدَرٍ وَ إِرَادَةٍ وَ مَشِیئَةٍ وَ کِتَابٍ وَ أَجَلٍ وَ إِذْنٍ فَمَنْ زَعَمَ غَیْرَ هَذَا فَقَدْ کَذَبَ عَلَی اللَّهِ أَوْ رَدَّ عَلَی اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ

و قیل: المراد بالمشیة القدرة و هی کون الفاعل بحیث إن شاء فعل، و إن لم یشأ لم یفعل و بالقدر تعلق الإرادة و بالقضاء الإیجاد، و بالإذن دفع المانع، و بالکتاب العلم و بالأجل وقت حدوث الحوادث، و الترتیب غیر مقصود، إذ العلم مقدم علی الکل بل المقصود أن هذه الأمور مما یتوقف علیه الحوادث.

: مجهول.
قوله: أورد، الترديد من الراوى.
فائدة:
قال العلامة قدس الله روحه فى شرحه على التجريد: يطلق القضاء على الخلق و الإتمام قال الله تعالى:" فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِى يَوْمَيْنِ" أى خلقهن و أتمهن و على الحكم و الإيجاب كقوله تعالى:" وَ قَضى رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ" أى أوجب و ألزم، و على الإعلام و الأخبار كقوله تعالى" وَ قَضَيْنا إِلَى بَنِى إِسْرائِيلَ فِى الْكِتابِ" أى أعلمناهم و أخبرناهم، و يطلق القدر على الخلق كقوله تعالى:
" وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها" و الكتابة كقول الشاعر:
و اعلم بأن ذا الجلال قد قدر فى الصحف الأولى التى كان سطر

و البيان كقوله تعالى:" إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ" أى بينا و أخبرنا بذلک.
إذا ظهر هذا فنقول للأشعرى: ما تعنى بقولک أنه تعالى قضى أعمال العباد و قدرها؟ إن أردت به الخلق و الإيجاد فقد بينا بطلانه، و أن الأفعال مستندة إلينا و إن عنى به الإلزام لم يصح إلا فى الواجب خاصة، و إن عنى به أنه تعالى بينها و كتبها و علم أنهم سيفعلونها فهو صحيح لأنه تعالى قد كتب ذلک أجمع فى اللوح المحفوظ و بينه لملائكته، و هذا المعنى الأخير هو المتعين للإجماع على وجوب الرضا بقضاء الله تعالى و قدره، و لا يجوز الرضا بالكفر و غيره من القبائح و لا ينفعهم الاعتذار بوجوب الرضا به من حيث إنه فعله، و عدم الرضا به من حيث الكسب، لبطلان الكسب أولا، و ثانيا نقول: إن كان الكفر كسبا بقضائه تعالى و قدره وجب الرضا به من حيث هو كسب و هو خلاف قولكم، و إن لم يكن بقضاء و قدر بطل إسناد الكائنات بأجمعها إلى القضاء و القدر" انتهى".
و قال شارح المواقف: اعلم أن قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هى عليه فيما لا يزال، و قدره إيجاده إياها على وجه مخصوص و تقدير معين فى ذواتها و أحوالها، و أما عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغى أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام و أكمل الانتظام، و هو المسمى عندهم بالعناية التى هى مبدء لفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه و أكملها، و القدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العينى بأسبابها على الوجه الذى تقرر فى القضاء، و المعتزلة ينكرون القضاء و القدر فى الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد، و يثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال و لا يسندون وجودها إلى ذلک العلم بل إلى اختيار العباد و قدرتهم" انتهى".

و قال السيد المرتضى رضى الله عنه فى كتاب الغرر و الدرر: إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى:" وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ" فظاهر الكلام يدل على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه و أمره و ليس هذا مذهبكم فإن حمل الإذن ههنا على الإرادة اقتضى أن من لم يقع منه الإيمان لم يرده الله تعالى منه، و هذا أيضا بخلاف قولكم: ثم جعل الرجس الذى هو العذاب على الذين لا يعقلون، و من كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب و هذا بالضد من الخبر المروى عن النبى صلى الله عليه و آله: أنه قال: أكثر أهل الجنة البله.

يقال له: فى قوله: إلا بإذن الله وجوه:

" منها" أن يكون الإذن الأمر، و يكون معنى الكلام أن الإيمان لا يقع من أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه و يأمر به، و لا يكون معناه ما ظنه السائل من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه، و يجرى هذا مجرى قوله تعالى:" وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" و معلوم أن معنى قوله ليس لها فى هذه الآية هو ما ذكرناه و إن كان الأشبه فى الآية التى فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالإذن العلم.

و منها: أن يكون هو التوفيق و التيسير و التسهيل، و لا شبهة فى أن الله تعالى يوفق لفعل الإيمان و يلطف فيه و يسهل السبيل إليه.

و منها: أن يكون الإذن العلم من قولهم أذنت لكذا و كذا إذا سمعته و علمته، و آذنت فلانا بكذا و كذا إذا أعلمته، فتكون فائدة الآية الأخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات، و أنه ممن لا تخفى عليه الخفيات، و قد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الإذن بكسر الألف و تسكين الذال عبارة عن العلم، و زعم أن الذى هو العلم

الإذن بالتحريک، و استشهد بقول الشاعر:" إن همی فی سماع و أذن" و ليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم، لأن الإذن هو المصدر، و الإذن هو اسم الفعل، و يجرى مجرى الحذر فى أنه مصدر، و الحذر بالتسكين الاسم على أنه لو لم يكن مسموعا إلا الإذن بالتحريک لجاز التسكين، مثل مثل و مثل و شبه و شبه و نظائر ذلک كثيرة.

و منها: أن يكون الإذن العلم و معناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان و ما يدعو إلى فعله فيكون معنى الآية: و ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله تعالى لها ما يبعثها على الإيمان، و يدعوها إلى فعله، فأما ظن السائل دخول الإرادة فى محتمل اللفظ فباطل، لأن الإذن لا يحتمل الإرادة فى اللغة، و لو احتملها أيضا لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال أن الإيمان لم يقع إلا و أنا مريد له لم ينف أن يكون مريدا لما لم يقع و ليس فى صريح الكلام و لا فى دليله شىء من ذلک.

فأما قوله تعالى:" وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ" فلم يعن به الناقصى العقول، و إنما أراد تعالى الذين لم يعقلوا و يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى و الاعتراف بنبوة رسله عليهم السلام و الانقياد إلى طاعتهم و وصفهم بأنهم لا يعقلون تشبيها، كما قال تعالى:" صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ*" و كما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون و فقد العقل، فأما الحديث الذى أورده السائل شاهدا له فقد قيل فيه: إنه صلى الله عليه و آله لم يرد بالبله ذوى الغفلة و النقص و الجنون و إنما أراد البله عن الشر و القبيح، و سماهم بلهاء عن ذلک من حيث لا يستعملونه و لا يعتادونه لا من حيث فقد العلم به، و وجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر.

بَابُ الْمَشِيئَةِ وَ الْإِرَادَةِ
1 عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ ع يَقُولُ لَا يَكُونُ شَیْءٌ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ أَرَادَ وَ قَدَّرَ وَ قَضَى قُلْتُ مَا مَعْنَى شَاءَ قَالَ ابْتِدَاءُ الْفِعْلِ قُلْتُ مَا مَعْنَى قَدَّرَ قَالَ تَقْدِيرُ الشَّیْءِ مِنْ طُولِهِ وَ عَرْضِهِ قُلْتُ مَا مَعْنَى قَضَى قَالَ إِذَا قَضَى أَمْضَاهُ فَذَلِکَ الَّذِی لَا مَرَدَّ لَهُ
2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ

باب المشية و الإرادة

الحديث الأول

: ضعيف، و رواه البرقى فى المحاسن بسند صحيح هكذا: حدثنى أبى عن يونس عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: لا يكون إلا ما شاء الله و أراد و قضى فقال: لا يكون إلا ما شاء الله و أراد و قدر و قضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال:
ابتداء الفعل قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدر؟ إلى آخر الخبر و لعله سقط الإرادة من الكتاب.
و قوله عليه السلام: ابتداء الفعل، أى أول الكتابة فى اللوح، أو أول ما يحصل من جانب الفاعل و يصدر عنه مما يؤدى إلى وجود المعلول، و على ما فى المحاسن يدل على أن الإرادة تأكد المشية، و فى الله سبحانه يكون عبارة عن الكتابة فى الألواح و تسبيب أسباب وجوده، و قوله: تقدير الشىء، أى تعيين خصوصياته فى اللوح أو تسبيب بعض الأسباب المؤدية إلى تعيين المعلول و تحديده و خصوصياته" و إذا قضاه أمضاه" أى إذا أوجبه باستكمال شرائط وجوده و جميع ما يتوقف عليه المعلول أوجده" و ذلک الذى لا مرد له" لاستحالة تخلف المعلول عن الموجب التام كذا قيل.

الحديث الثانى

: موثق كالصحيح.

أَبَانٍ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع شَاءَ وَ أَرَادَ وَ قَدَّرَ وَ قَضَی قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَ أَحَبَّ قَالَ لَا قُلْتُ وَ کَیْفَ شَاءَ وَ أَرَادَ وَ قَدَّرَ وَ قَضَی وَ لَمْ یُحِبَّ قَالَ هَکَذَا خَرَجَ إِلَیْنَا

قوله علیه السلام: هکذا خرج إلینا، أی هکذا وصل إلینا من النبی و آبائنا الأئمة صلوات الله علیهم، و لما کان فهمه یحتاج إلی لطف قریحة، و کانت الحکمة تقتضی عدم بیانه للسائل اکتفی علیه السلام ببیان المأخذ النقلی عن التبیین العقلی.

و کلامه علیه السلام یحتمل وجوها:

الأول: أن یکون المراد بالقضاء و القدر و المشیة و الإرادة فیما یتعلق بأفعال العباد علمه سبحانه بوقوع الفعل و ثبته فی الألواح السماویة و شیء منها لا یصیر سببا للفعل و أما المحبة فهو أمره سبحانه بالشیء و إثابته علیه، فهو سبحانه لا یأمر بالمعاصی و لا یثیب علیها فصح إثبات القضاء و أخوانها مع نفی المحبة.

الثانی: أن یقال لما کانت المشیة و الإرادة و تعلقهما بإیقاع الفعل فی الإنسان مقارنا لمحبته و شوقه و میل قلبه إلی ذلک، توهم السائل أن له سبحانه صفة زائدة علی ما ذکره، و هی المحبة و الشوق و میل القلب، أجاب علیه السلام بأنه لیس له تعالی محبة بل إسنادها إلیه مجاز، و هی کنایة عن أمره أو عدم نهیه أو ثوابه و مدحه.

الثالث: ما قیل: أن عدم المنافاة بین تعلق الإرادة و المشیة بشیء و إن لا یحبه لأن تعلق المشیة و الإرادة بما لا یحبه بتعلقهما بوقوع ما یتعلق به إرادة العباد بإرادتهم و ترتبه علیها، فتعلقهما بالذات بکونهم قادرین مریدین لأفعالهم و ترتبها علی إرادتهم و تعلقها بما هو مرادهم بالتبع و لا حجر فی کون متعلقهما بالتبع شرا غیر محبوب له، فإن دخول الشر و ما لا یحبه فی متعلق إرادته بالعرض جائز فإن کل من تعلق مشیته و إرادته بخیر و علم لزوم شر له شریة لا تقاوم خیریته تعلقتا بذلک الشر بالعرض و بالتبع و ذلک التعلق بالتبع لا ینافی أن یکون المرید خیرا محضا، و لا یتصف بکونه شریرا و محبا للشر، و سیأتی مزید تحقیق لذلک فی شرح الأخبار الآتیة.

ص: 157

3 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ عَنْ وَاصِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ أَمَرَ اللَّهُ وَ لَمْ يَشَأْ وَ شَاءَ وَ لَمْ يَأْمُرْ أَمَرَ إِبْلِيسَ أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ وَ شَاءَ أَنْ لَا يَسْجُدَ وَ لَوْ شَاءَ لَسَجَدَ وَ نَهَى آدَمَ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ وَ شَاءَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا وَ لَوْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَأْكُلْ

: مجهول.
قوله عليه السلام: و شاء أن لا يسجد. أقول: توجيه تلک الأخبار على أصول العدلية لا يخلو من صعوبة و قد يوجه بوجوه:
الأول: حملها على التقية لكونها موافقة لأصول الجبرية و أكثر المخالفين منهم و يؤيده ما رواه الصدوق فى العيون و التوحيد بإسناده عن الحسين بن خالد قال:
قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه و الجبر لما روى من الأخبار فى ذلک من آبائک الأئمة عليهم السلام؟ فقال: يا بن خالد أخبرنى عن الأخبار التى رويت عن آبائى الأئمة عليهم السلام فى التشبيه أكثر أم الأخبار التى رويت عن النبى صلى الله عليه و آله فى ذلک؟ فقلت: بل ما روى عن النبى صلى الله عليه و آله فى ذلک أكثر، قال:
فليقولوا إن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يقول بالتشبيه و الجبر إذا؟ قلت له: إنهم يقولون إن رسول الله صلى الله عليه و آله لم يقل من ذلک شيئا، و إنما روى عليه، قال عليه السلام: فليقولوا فى آبائى عليهم السلام إنهم لم يقولوا من ذلک شيئا، و إنما روى عليهم، ثم قال عليه السلام:
من قال بالتشبيه و الجبر فهو كافر مشرک، و نحن منه براء فى الدنيا و الآخرة، يا بن خالد إنما وضع الأخبار عنا فى التشبيه و الجبر الغلاة الذين صغروا عظمة الله فمن أحبهم فقد أبغضنا و من أبغضهم فقد أحبنا" الخبر".
الثانى: أن يقال: المراد بالمشية العلم، و يؤيده ما فى كتاب فقه الرضا حيث قال عليه السلام: قد شاء الله من عباده المعصية و ما أراد، و شاء الطاعة و أراد منهم، لأن المشية مشية الأمر و مشية العلم، و إرادته إرادة الرضا و إرادة الأمر، أمر بالطاعة و رضى بها، و شاء المعصية يعنى علم من عباده المعصية و لم يأمرهم بها" الخبر".

الثالث: أن يقال: المراد بمشية الطاعة هداياته و ألطافه الخاصة التى ليست من ضروريات التكليف، و بمشية المعصية خذلانه و عدم فعل تلك الألطاف بالنسبة إليه و شىء منهما لا يوجب جبره على الفعل و الترک، و لا ينافى استحقاق الثواب و العقاب.
الرابع: ما قيل: إن المراد تهيئة أسباب فعل العبد بعد إرادة العبد ذلک الفعل.
الخامس: أن يقال: لما اقتضت المصلحة تكليف من علم الله منه المعصية و كلفه مع علمه بذلک و وكله إلى اختياره ففعل تلک المعصية فكأنه شاء صدوره منه، و كذا فى الطاعة إذا علم عدم صدوره منه، فسمى ذلک مشية مجازا، و هذا مجاز شائع كما إذا أمر المولى عبده بأوامر و خيره فى ذلک و مكنه على الفعل و الترک مع علمه بأنه لا يأتى بها، فيقال له: أنت فعلت ذلک إذ كنت تعلم أنه لا يفعل و مكنته و وكلته إلى نفسه.
السادس: أن يقال أن المراد بمشيته عدم جبره على فعل الطاعة أو ترک المعصية و بعبارة أخرى سمى عدم المشية مشية العدم كما سيأتى فى كلام الصدوق (ره) و هذا قريب من الوجه السابق بل يرجع إليه.
السابع: أنه إسناد للفعل إلى العلة البعيدة، فإن العبد و قدرته و أدواته لما كانت مخلوقة لله تعالى فهو جل و علا علة بعيدة لجميع أفعاله.
الثامن: ما أومأنا إليه فى الخبر السابق من المشية بالتبع، و ربما يحقق بوجه أوضح حيث حقق بعضهم الأمر بين الأمرين، أن فعل العبد واقع بمجموع القدرتين، قدرة الله و قدرة العبد، و العبد لا يستقل فى إيجاد فعله بحيث لا دخل لقدرة الله تعالى فيه، بمعنى أنه أقدر العبد على فعله بحيث يخرج عن يده أزمة الفعل المقدور للعبد مطلقا، كما ذهب إليه المفوضة أو لا تأثير لقدرته فيه، و إن كان

قادرا على طاعة العاصى جبرا لعدم تعلق إرادته بجبره فى أفعاله الاختيارية كما ذهب إليه المعتزلة و هذا أيضا نحو من التفويض و ليس قدرة العبد بحيث لا تأثير له فى فعله أصلا، سواء كانت كاسبة كما ذهب إليه الأشعرى، و يؤول مذهبه إلى الجبر، أم لا تكون كاسبة أيضا بمعنى أن لا تكون له قدرة و اختيار أصلا، بحيث لا يكون فرق بين مشى زيد و حركة المرتعش كما ذهب إليه الجبرية، و هم جهم بن صفوان و من تبعه.

فهذا معنى الأمر بين الأمرين، و لما كان مشية العبد و إرادته و تأثيره فى فعله جزءا أخيرا للعلة التامة، و إنما يكون تحقق الفعل و الترک مع وجود ذلک التأثير و عدمه فينتفى صدور القبيح عنه تعالى، بل إنما يتحقق بالمشية و الإرادة الحادثة، و بالتأثير من العبد الذى هو متمم للعلة التامة، و مع عدم تأثير العبد و الكف عنه بإرادته و اختياره لا يتحقق فعله بمجرد مشية الله سبحانه و إرادته و قدره إذ لم يتحقق مشية و إرادة و تعلق إرادة منه تعالى بذلک الفعل مجردا عن تأثير العبد فحينئذ الفعل لا سيما القبيح مستند إلى العبد، و لما كان مراده تعالى من أقداره العبد فى فعله و تمكينه له فيه صدور الأفعال عنه باختياره و إرادته إذا لم يكن مانع أى فعل أراد و اختار من الإيمان و الكفر و الطاعة و المعصية، و لم يرد منه خصوص شىء من الطاعة و المعصية، و لم يرد جبره فى أفعاله ليصح تكليفه لأجل المصلحة المقتضية له، و كلفه بعد ذلک الأقدار بإعلامه بمصالح أفعاله و مفاسده فى صورة الأمر و النهى، لأنهما منه تعالى من قبيل أمر الطبيب للمريض بشرب الدواء النافع و نهيه عن أكل الغذاء الضار، فمن صدور الكفر و العصيان عن العبد بإرادته المؤثرة و استحقاقه بذلک العقاب لا يلزم أن يكون العبد غالبا عليه تعالى، و لا يلزم عجزه تعالى كما لا يلزم غلبة المريض على الطبيب و لا عجز الطبيب إذا خالفه المريض و هلک، و لا يلزم أن يكون فى ملكه أمر لا يكون بمشية الله تعالى و إرادته، و لا يلزم الظلم فى عقابه، لأنه فعل

القبيح بإرادته المؤثرة و طبيعة ذلک الفعل توجب أن يستحق فاعله العقاب.
و لما كان مع ذلک الإعلام من الأمر و النهى بوساطة الحجج عليهم السلام اللطف و التوفيق فى الخيرات و الطاعات من الله جل ذكره فما فعل الإنسان من حسنة فالأولى أن يسند و ينسب إليه تعالى لأنه مع أقداره و تمكينه له و توفيقه للحسنات أعلمه بمصالح الإتيان بالحسنات و مضار تركها و الكف عنها بأوامره، و ما فعله من سيئة فمن نفسه لأنه مع ذلک أعلمه بمفاسد الإتيان بالسيئات و منافع الكف عنها بنواهيه و هذا من قبيل إطاعة الطبيب و مخالفته فإنه من أطاعه و برأ من المرض يقال: عالجه الطبيب، و من خالف و هلک يقال: أهلک نفسه بمخالفته للطبيب.
فمعنى قوله: أمر الله و لم يشأ، أنه أعلم العباد و أخبرهم بالأعمال النافعة لهم كالإيمان و الطاعة، و لم يشأ صدور خصوص تلک الأفعال عنهم، كيف و لو شاء و لم يصدر عن بعضهم لزم عجزه و مغلوبيته تعالى عن ذلک علوا كبيرا، بل إنما شاء صدور الأفعال عنهم بقدرتهم و اختيارهم أى فعل أرادوه، فما شاء الله كان.
و معنى قوله: شاء و لم يأمر، أنه شاء صدور الأفعال عن العباد باختيارهم أى فعل أرادوه، و لم يأمر بكل ما أرادوا بل نهاهم عن بعضه و أعلمهم بمضرته كالكفر و العصيان.
فقوله: أمر إبليس أن يسجد لآدم، أى أعلمه بأن سجدته لآدم نافع له، و كفه عنه ضار له، و شاء أن لا يسجد يعنى لم يشأ خصوص السجود عنه، و لو شاء خصوص السجود عنه لسجد، لاستحالة عجزه و غلبة إبليس عليه، بل إنما شاء صدور أيهما كان من السجود و تركه، أى كفه بإرادته و اختياره، و لما لم يسجد إبليس، أى كف عن السجود بإرادته، فهو تعالى لأجل ذلک شاء كفه، و لما كان الكف إنما يتحقق بمشية إبليس و إرادته المؤثرة و هى جزء أخير للعلة التامة فلذا يستحق إبليس الذم و العقاب، و القبيح صادر عنه لا عن الله تعالى، و كذا الكلام فى نهى آدم عن أكل الشجرة.

ص: 161
4 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيِّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ جَمِيعاً عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ ع قَالَ إِنَّ لِلَّهِ إِرَادَتَيْنِ وَ مَشِيئَتَيْنِ إِرَادَةَ حَتْمٍ وَ إِرَادَةَ عَزْمٍ يَنْهَى وَ هُوَ يَشَاءُ وَ يَأْمُرُ وَ هُوَ لَا يَشَاءُ أَ وَ مَا رَأَيْتَهُ أَنَّهُ نَهَى آدَمَ وَ زَوْجَتَهُ أَنْ يَأْكُلَا مِنَ الشَّجَرَةِ وَ شَاءَ ذَلِكَ وَ لَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَأْكُلَا لَمَا غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُمَا مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ

أقول: هذا ما حققه بعضهم و له وجهان:
" الأول": أن يكون المراد أنه تعالى يوجد الفعل بعد إرادة العبد لقولهم: لا مؤثر فى الوجود إلا الله، فإرادة العبد شرط لتأثيره تعالى، و هذا مخالف لقول الإمامية بل عندهم أن أعمال العباد مخلوقة لهم.
" و الثانى": أن يكون العباد موجدين لأعمالهم بشرط عدم حيلولته سبحانه بينهم و بين الفعل، و لتوفيقه و خذلانه سبحانه أيضا مدخل فى صدور الفعل، لكن لا ينتهى إلى حد الإلجاء و الاضطرار، و نسبة المشية إليه سبحانه لتمكينهم و أقدارهم و عدم منعهم عنه لمصلحة التكليف فيرجع إلى بعض الوجوه السابقة، و هو موافق لمذهب الإمامية، و الله تعالى يعلم حقائق الأمور.

: مجهول، و قال الصدوق نور الله ضريحه فى كتاب التوحيد بعد إيراد هذا الخبر: إن الله تعالى نهى آدم و زوجته عن أن يأكلا من الشجرة، و قد علم أنهما يأكلان منها لكنه عز و جل شاء أن لا يحول بينهما و بين الأكل منها بالجبر و القدرة، كما منعهما من الأكل منها بالنهى و الزجر، فهذا معنى مشيته فيهما و لو شاء عز و جل منعهما من الأكل بالجبر، ثم أكلا منها لكان مشيتهما قد غلبت مشية الله كما قال العالم: تعالى الله عن العجز علوا كبيرا" انتهى".

و الكلام فى هذا الخبر كالكلام فى سابقه و المراد بإرادة الحتم الإرادة المستجمعة لشرائط التأثير المنجزة إلى الإيجاب و الإيجاد، و كذا المشية، و المراد بإرادة العزم الإرادة المنتهية إلى طلب المراد و الأمر و النهى، و ينفک أحدهما عن الآخر كما

إِسْحَاقَ وَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَذْبَحَهُ وَ لَوْ شَاءَ لَمَا غَلَبَتْ مَشِيئَةُ إِبْرَاهِيمَ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى
5 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِی مَنْصُورٍ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ شَاءَ وَ أَرَادَ وَ لَمْ يُحِبَّ وَ لَمْ يَرْضَ- شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ شَیْءٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَ أَرَادَ مِثْلَ ذَلِکَ وَ لَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَ لَمْ يَرْضَ لِعِبادِهِ الْكُفْرَ
6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ قَالَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا ع قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيئَتِی كُنْتَ أَنْتَ الَّذِی تَشَاءُ لِنَفْسِکَ مَا تَشَاءُ

مر، و هذه الرواية تدل على أن الذبيح إسحاق، و قد اتفق عليه أهل الكتابين، و ذهب إليه بعض العامة و قليل من أصحابنا، و لعل الكلينى (ره) أيضا مال إليه، و المشهور أنه إسماعيل عليه السلام و عليه دلت الأخبار المستفيضة، و يمكن حمل هذا الخبر على التقية، و ربما يأول بأنه عليه السلام أمر أولا بذبح إسحاق ثم نسخ و أمر بذبح إسماعيل، و الإقدام على الذبح و فعل مقدماته إنما وقع فيه.
و روى الصدوق (قدس سره) هذا الخبر فى التوحيد، و فيه هكذا: و أمر إبراهيم بذبح ابنه و شاء أن لا يذبحه و ليس فيه ذكر واحد منهما.

الحديث الخامس

: ضعيف.
قوله عليه السلام: أن لا يكون شىء إلا بعلمه، قيل: أى شاء بالمشية الحتمية أن لا يكون شىء إلا بعلمه، و على طباق ما فى علمه بالنظام الأعلى و ما هو الخير و الأصلح و لوازمها، و أراد الإرادة الحتمية مثل ذلک و لم يحب الشرور اللازمة التابعة للخير و الأصلح، كان يقال: ثالث ثلاثة، و أن يكفر به و لم يرض بهما و قيل: لم يحب و لم يرض أى لم يأمر بهما بل جعلهما منهيا عنهما، و لم يجعلهما بحيث يترتب عليهما النفع، بل بحيث يترتب عليهما الضرر، و تمام الكلام فى ذلک قد مر فى شرح الأخبار السابقة.

الحديث السادس

: صحيح.
قوله سبحانه: بمشيتى، أى بالمشية التى خلقتها فيک و جعلتک مريدا شائيا،

وَ بِقُوَّتِی أَدَّیْتَ فَرَائِضِی وَ بِنِعْمَتِی قَوِیتَ عَلَی مَعْصِیَتِی جَعَلْتُکَ سَمِیعاً بَصِیراً قَوِیّاً ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَیِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ وَ ذَاکَ أَنِّی أَوْلَی بِحَسَنَاتِکَ مِنْکَ وَ أَنْتَ أَوْلَی بِسَیِّئَاتِکَ مِنِّی وَ ذَاکَ أَنَّنِی لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ

أو بما شئت أن أجعلک مختارا مریدا و بقوتی التی خلقتها فیک أدیت فرائضی، و قیل لعل المراد بها القوة العقلانیة" و بنعمتی" التی أنعمتها علیک من قدرتک علی ما تشاء، و القوی الشهوانیة و الغضبیة التی بها حفظ الأبدان و الأنواع و صلاحها" قویت علی معصیتی" و قوله" جعلتک سمیعا بصیرا" ناظر إلی الفقرة الثانیة، و قوله: قویا إلی الثالثة.

و قوله:" ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ" لأنه من آثار ما أفیض علیه من جانب الله" وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَیِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ" لأنه من طغیانها بهواه.

و قوله: و ذاک أنی أولی بحسناتک منک" إلخ" بیان للفرق، مع أن الکل مستند إلیه و منتهی به بالأخرة، و للعبد فی الکل مدخل بالترتب علی مشیته و قواه العقلانیة و النفسانیة، بأن ما یؤدی إلی الحسنات منها أولی به سبحانه، لأنه من مقتضیات خیریته سبحانه و آثاره الفائضة من ذلک الجناب بلا مدخلیة للنفوس إلا القابلیة لها، و ما یؤدی إلی السیئات منها أولی بالأنفس لأنها مناقص من آثار نقصها لا تستند إلی ما فیه منقصة.

و قوله:" و ذاک أنی لا أسأل عما أفعل وَ هُمْ یُسْئَلُونَ" بیان لکونه أولی بالحسنات بأن ما یصدر و یفاض من الخیر المحض من الجهة الفائضة منه لا یسأل عنه، و لا یؤاخذ به فإنه لا مؤاخذة بالخیر الصرف، و ما ینسب إلی غیر الخیر المحض و من فیه شریة ینبعث منه الشر یؤاخذ بالشر، فالشرور و إن کانت من حیث وجودها منتسبة إلی خالقها، فمن حیث شریتها منتسبة إلی منشإها و أسبابها القریبة المادیة، هذا ما ذکره بعض الأفاضل فی هذا المقام.

و یمکن أن یقال: کونه تعالی أولی بحسناته لأنها بألطافه و توفیقاته و تأییداته

بَابُ الِابْتِلَاءِ وَ الِاخْتِبَارِ
1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّیَّارِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَا مِنْ قَبْضٍ وَ لَا بَسْطٍ إِلَّا وَ لِلَّهِ

و یمکن أن یکون قوله علیه السلام: بقوتی إشارة إلی ذلک أیضا، و للعبد مدخلیة ضعیفة فیها بإرادته و اختیاره بخلاف المعاصی، فإنها و إن کانت بالقدرة و الآلات و الأدوات التی خلقها الله فیه و له، لکنه سبحانه لم یخلقها للمعصیة بل خلقها للطاعة، و صرفها فی المعصیة موجب لمزید الحجة علیه، و أما خذلانه و منع التوفیق فلیس فعلا منه تعالی بل ترک فعل لعدم استحقاقه لذلک و اختیار المعصیة بإرادته و سوء اختیاره، فظهر أن العبد أولی بسیئاته منه سبحانه.
و قوله:" و ذاک أنی" یمکن أن یکون تفریعا لا تعلیلا، أی لأجل ما ذکر لا یسأل سبحانه عن معاصی العباد و لا یعترض علیه و هم یسألون، و لو کان تعلیلا یحتمل أن یکون المراد أنه لوضوح کمال علمه و حکمته و لطفه و رحمته لیس لأحد أن یسأله عن سبب فعله و حکمة التکالیف، و العباد لنقصهم و عجزهم و تقصیرهم یسألون، و لیس علی ما زعمه الأشاعرة من أن المراد أنه لا اعتراض لأحد علی المالک فیما یفعله فی ملکه، و العالم ملکه تعالی و ملکه فله أن یفعل فیه کل ما یریده سواء کان خیرا أو شرا أو عبثا، و هم لا یقولون بالمخصص و المرجح فی اختیاره تعالی لشیء، قائلین إن الإرادة یخصص أحد الطرفین من غیر حاجة إلی المخصص و المرجح لأنه لا یسأل عن اللمیة، تعالی الله عما یقولون علوا کبیرا.

باب الابتلاء و الاختبار

الحديث الأول

: حسن.
و القبض فى اللغة: الإمساک و الأخذ، و البسط: نشر الشىء و يطلق القبض على المنع و البسط على العطاء، و من أسمائه تعالى القابض و الباسط، لأنه يقبض الرزق

فِيهِ مَشِيئَةٌ وَ قَضَاءٌ وَ ابْتِلَاءٌ
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَیْءٌ فِيهِ قَبْضٌ أَوْ بَسْطٌ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَهَی عَنْهُ إِلَّا وَ فِيهِ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ابْتِلَاءٌ وَ قَضَاءٌ
بَابُ السَّعَادَةِ وَ الشَّقَاءِ
1 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَی عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّعَادَةَ وَ الشَّقَاءَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ

عمن يشاء و يبسطه لمن يشاء و يقبض الأرواح عند الممات و يبسطها عند الحياة.
و هنا يحتمل أن يكون المراد بهما ما هو من فعله تعالى كالقبض و البسط فی الأرزاق بالتوسيع و التقتير، و فی النفوس بالسرور و الأحزان أو بإفاضة المعارف عليها و عدمها، و فی الأبدان بالصحة و الألم، و فی الأعمال بتوفيق الإقبال إليها و عدمه، و فی الدعاء بالإجابة له و عدمها، و فی الأحكام بالرخصة فی بعضها و النهی عن بعضها، أو ما هو من فعل العباد كقبض اليد و بسطها، و البخل و الجود و أمثالها، فالمراد بالمشية و القضاء أحد المعانی المذكورة فی الباب السابق، و الابتلاء و الامتحان و الاختبار فی حقه تعالى مجاز، أی يعاملهم معاملة المختبر مع صاحبه لا ليعلم مال حالهم و عاقبة أمرهم، لأنه علام الغيوب، بل ليظهر منهم ما يستحقون به الثواب و العقاب.

الحديث الثانى

: حسن.

باب السعادة و الشقاء

الحديث الأول

: مجهول كالصحيح.
قوله: خلق السعادة، السعادة: ما يوجب دخول الجنة و الراحة الأبدية و اللذات الدائمة، و الشقاوة ما يوجب دخول النار و العقوبات الأبدية و الآلام الدائمة، و قد تطلق السعادة على كون خاتمة الأعمال بالخير، و الشقاوة على كون

خَلْقَهُ فَمَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ سَعِيداً لَمْ يُبْغِضْهُ أَبَداً وَ إِنْ عَمِلَ شَرّاً أَبْغَضَ عَمَلَهُ وَ لَمْ يُبْغِضْهُ وَ إِنْ كَانَ شَقِيّاً لَمْ يُحِبَّهُ أَبَداً وَ إِنْ عَمِلَ صَالِحاً أَحَبَّ عَمَلَهُ وَ أَبْغَضَهُ لِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ شَيْئاً لَمْ يُبْغِضْهُ أَبَداً وَ إِذَا أَبْغَضَ شَيْئاً لَمْ يُحِبَّهُ أَبَداً

2 عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ عَنْ شُعَيْبٍ الْعَقَرْقُوفِيِّ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ قَالَ كُنْتُ بَيْنَ

الخاتمة بالشر، و المراد بخلق السعادة و الشقاوة تقديرهما بتقدير التكاليف الموجبة لهما، أو أن يكتب فی الألواح السماوية كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار، موافقا لعلمه سبحانه، التابع لما يختارونه بعد وجودهم و تكليفهم بإرادتهم و اختيارهم و المراد بالخلق ثانيا الإيجاد فی الخارج.

" فمن خلقه الله سعيدا" أی علمه و قدره سعيدا، و خلقه عالما بأنه سيكون سعيدا.

" لم يبغضه أبدا" أی لا يعاقبه، و لا يحكم بكونه معاقبا.

" و إن عمل شرا أبغض عمله" أی يذم عمله، و يحكم بأن هذا الفعل مما يستحق به العقاب" و لم يبغضه" بأن يحكم بأن هذا الشخص مستحق للعقاب لعلمه سبحانه بأنه سيتوب، و يصير من السعداء.

" و إن كان شقيا" فی علمه تعالی بأن يعلم أنه يموت علی الكفر و الضلال" لم يحبه أبدا" أی لا يحكم بأنه من أهل الجنة و لا يثنی عليه، و إن عمل الأعمال الصالحة لما يعلم من عاقبته و لكن يحكم بأن عمله حسن عند ما يعمل صالحا، و أن هذا العمل مما يستحق عامله الثواب إن لم يعمل ما يحبطه" و أبغضه" أی يحكم بأنه من أهل النار لما يعلم من عاقبة أمره، فإذا أحب الله شيئا سواء كان من الأشخاص أو الأعمال" لم يبغضه أبدا" و كذا العكس بالمعنی الذی ذكرنا للحب و البغض.

الحديث الثانى

: مرفوع و هو فى غاية الصعوبة و الإشكال، و تطبيقه على مذهب العدلية يحتاج إلى تكلفات كثيرة.
و العجب أن الصدوق قدس سره رواه فى التوحيد ناقلا عن الكلينى بهذا

يَدَىْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع جَالِساً وَ قَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ فَقَالَ جُعِلْتُ فِدَاکَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ لَحِقَ الشَّقَاءُ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ حَتَّى حَكَمَ اللَّهُ لَهُمْ فِی عِلْمِهِ بِالْعَذَابِ عَلَى عَمَلِهِمْ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع أَيُّهَا السَّائِلُ حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ

السند بعينه هكذا: عن أبی بصير قال: كنت بين يدی أبی عبد الله عليه السلام جالسا و قد سأله سائل فقال: جعلت فداک يا بن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله لهم فی علمه بالعذاب على عملهم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيها السائل علم الله عز و جل لا يقوم أحد من خلقه بحقه، فلما علم بذلک وهب لأهل محبته القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم، و لم يمنعهم أطاقه القبول منه، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق، فوافقوا ما سبق لهم فی علمه، و إن قدروا أن يأتوا خلالا ينجيهم عن معصيته، و هو معنى شاء ما شاء و هو سر، و لا أدری أن نسخته كانت هكذا أو غيره ليوافق قواعد العدل، و يشكل احتمال هذا الظن فی مثله.
و بالجملة على ما فی الكتاب لعل حمله على التقية أو تحريف الرواة أولى و لنتكلم على الخبر ظاهرا و تأويلا، ثم نكل علمه إلى من صدر عنه و نسب إليه صلوات الله عليه.
فنقول: السؤال يحتمل وجوها:
" الأول": أنه سئل عن سبب أصل السعادة و الشقاوة و صيرورة بعض الخلق كفارا و بعضهم مؤمنين و فرقة فساقا و أخرى صالحين.
" الثانی" أن يكون الشبهة الواردة عليه من جهة أن العلم لما كان تابعا للمعلوم فتوهم أنه يجب تأخره عن المعلوم فكيف تقدم عليه.
" الثالث": أن يكون الشبهة عليه من جهة أن العلم إما حصولی أو حضوری و حصول الصورة لا يتصور فی حقه تعالى، و الحضور إنما يكون بعد وجود المعلوم.
و حاصل الجواب على الأول أن حكم الله بالسعادة و الشقاوة و أسبابهما من غوامض مسائل القضاء و القدر، و عقول أكثر الخلق عاجزة عن الإحاطة بها، فلا يجوز

بِحَقِّهِ فَلَمَّا حَكَمَ بِذَلِکَ وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَ وَضَعَ عَنْهُمْ ثِقْلَ

الخوض فيها كما قال الصدوق (ره) فى رسالة العقائد: الكلام فى القدر منهى عنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل قد سأله عن القدر؟ فقال: بحر عميق فلا تلجه، ثم سأله ثانية فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، ثم سأله ثالثة فقال: سر الله فلا تتكلفه و قال عليه السلام فى القدر: ألا إن القدر سر من سر الله، و حرز من حرز الله، مرفوع فى حجاب الله، مطوى عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق فى علم الله، وضع الله عن العباد علمه، و رفعه فوق شهاداتهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية، و لا بقدرة الصمدانية، و لا بعظمة النورانية، و لا بعزة الوحدانية، لأنه بحر زاخر مواج خالص لله عز و جل، عمقه ما بين السماء و الأرض، عرضه ما بين المشرق و المغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات و الحيتان، يعلو مرة و يسفل أخرى، فى قعره شمس تضىء لا ينبغى أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد، فمن تطلع عليها فقد ضاد الله فى حكمه و نازعه فى سلطانه و كشف عن سره و ستره، و باء بغضب من الله و مأواه جهنم و بئس المصير.

و أما على الثانى فالجواب عنه و إن كان ظاهرا إذ تابعية العلم لا تستدعى تأخره عن المعلوم زمانا، فلعله لم يجب عنه لقصور فهم السائل.

و أما الثالث فغموض المسألة و عجز أكثر الخلق عن الوصول إلى كنه علمه سبحانه ظاهر، و قد تحير فيه الحكماء و المتكلمون، و لم يأتوا فيه بشىء يسمن و يغنى من جوع، و سبيل أهل الديانة فيه و فى أمثاله الإقرار به جملة، و عدم الخوض فى كيفيته و ترک التفكر فى حقيقته فإنه كما لا يمكن إدراک حقيقة ذاته تعالى، فكذا لا تصل عقول الخلق إلى كنه صفاته التى هى عين ذاته سبحانه.

و يحتمل أن يكون المراد أن تكاليفه تعالى شاقة لا يتيسر إلا بهدايته و توفيقه سبحانه" وهب لأهل محبته" الإضافة إلى الضمير إضافة إلى الفاعل أو إلى المفعول، أى الذين أحبهم لعلمه بأنهم يطيعونه، أو الذين يحبونه و وضع عنهم ثقل العمل

الْعَمَلِ بِحَقِيقَةِ مَا هُمْ أَهْلُهُ وَ وَهَبَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ لِسَبْقِ عِلْمِهِ فِيهِمْ وَ مَنَعَهُمْ إِطَاقَةَ الْقَبُولِ مِنْهُ فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ وَ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَأْتُوا حَالًا تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ وَ هُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ وَ هُوَ سِرُّهُ

بالتوفيقات و الهدايات و الألطاف الخاصة بحقيقة ما هم أهله، أى بحسب ما يرجع إليهم من النيات الصحيحة و الأعمال الصالحة و الطينات الطيبة" و وهب لأهل المعصية" الهبة هنا على سبيل التحكم أو يقال إعطاء أصل القوة لطف و رحمة، و باستعمال العبد إياها فى المعصية تصير شرا، أو أنهم لما كانوا طالبين للمعصية راغبين فيها، فكأنهم سألوا ذلک و وهبهم و الأوسط أظهر.

" القوة على معصيتهم" أى المعصية التى يفعلونها بإرادتهم و اختيارهم لسبق علمه فيهم، إذ علم أن التكليف لا يتم إلا بإعطاء الآلة و القوة، و إلا لكانوا مجبورين على الترک.

" و منعهم أطاقه القبول منه" قيل: هو مصدر مضاف إلى الفاعل عطفا على ضمير فيهم، أى لعلمه بأنهم يمنعون أنفسهم أطاقه القبول، و لا يخفى ما فيه لفظا و معنى.

أقول: و يحتمل أن يكون عطفا على السبق و يكون اللام فيهما لام العاقبة كما فى قوله تعالى:" لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا" أى وهب لهم القوة مع أنه كان يعلم عدم إطاعتهم و تصييرهم أنفسهم بحيث كأنهم لا يطيقون القبول منه، أو منعهم بصيغة الماضى و يكون المراد ترک الألطاف الخاصة، فلما لم يلطف لهم فكأنه منعهم القبول كما فى قوله تعالى:" خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ" و كذا قوله: و لم يقدروا، أى قدرة تامة لسهولة كما كانت للفريق الأول عند الألطاف الخاصة، لأن علمه أولى بحقيقة

ص: 170

3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ الْحَلَبِيِّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَنْظَلَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ يُسْلَكُ بِالسَّعِيدِ فِي طَرِيقِ الْأَشْقِيَاءِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَا أَشْبَهَهُ بِهِمْ بَلْ هُوَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتَدَارَكُهُ السَّعَادَةُ وَ قَدْ يُسْلَكُ بِالشَّقِيِّ فِي طَرِيقِ السُّعَدَاءِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَا أَشْبَهَهُ بِهِمْ بَلْ هُوَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتَدَارَكُهُ الشَّقَاءُ إِنَّ مَنْ كَتَبَهُ اللَّهُ سَعِيداً

التصديق، أى إنما صاروا كذلک لأن علمه تعالى لا يتخلف، لا لأن العلم علة، بل لأن علمه سبحانه لا محالة يكون موافقا للمعلوم، فمعنى مشية الله تعالى و سرها هو هذا المعنى، أى علمه مع التوفيق لقوم و الخذلان لآخرين على وجه لا يصير شىء منهما سببا للإجبار على الطاعة أو المعصية.

هذا غاية ما يمكن من القول فى تأويل هذا الخبر و إن كان ظاهره أن الله لما علم من قوم أنهم يطيعونه سهل عليهم الطاعة، و لما علم من قوم المعصية إن وكلوا إلى اختيارهم جعلهم بحيث لم يمكن أن يتأتى منهم الطاعة، و القول بظاهره لا يوافق العدل، و للسالكين مسالک الحكماء و الصوفية هيهنا تحقيقات طويلة الذيل، دقيقة المسالک لم نذكرها لئلا تتعلق بقلوب نواقص العقول و الأفكار و الله يعلم حقائق الأسرار

: مجهول.
قوله عليه السلام: يسلک بالسعيد، على بناء المفعول و الباء للتعدية، و الفاعل هو الله بالخذلان أو الشيطان" ما أشبهه بهم" تعجبا من كمال مشابهتهم بهم فى الأعمال ثم يحكمون بعد تكرر مشاهدة ذلک أنه منهم" إن من كتبه الله" أى علم الله منه السعادة و كتب له ذلک فى اللوح المحفوظ، لا لوح المحو و الإثبات، فلا ينافى ما ورد فى الأدعية الكثيرة" إن كنت كتبتنى شقيا فامح من أم الكتاب شقائى" فإن المراد به لوح المحو و الإثبات، و الفواق بالضم و قد يفتح الفاء: ما بين الحلبتين من الوقت، لأن الناقة تحلب ثم تترک سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب، أو ما بين فتح يدک و قبضها على الضرع.

ص: 171
وَ إِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا فُوَاقُ نَاقَةٍ خَتَمَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ
بَابُ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ
1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ وَ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ إِنَّ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى ع وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّوْرَاةِ أَنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ

و الحاصل أن السعادة و الشقاوة الأخرويتين إنما تكون بحسن العاقبة و سوءها و المدار عليهما، فينبغي للإنسان أن يطلب حسن العاقبة و يسعى فيه، و يتضرع إليه تعالى فى أن يرزقه ذلک، رزقنا الله و سائر المؤمنين حسن عاقبة المتقين.

باب الخير و الشر

الحديث الأول

: صحيح.
و الخير و الشر يطلقان على الطاعة و المعصية و على أسبابهما و دواعيهما، و على المخلوقات النافعة كالحبوب و الثمار و الحيوانات المأكولة و الضارة كالسموم و الحيات و العقارب، و على النعم و البلايا، و ذهبت الأشاعرة إلى أن جميع ذلک من فعله تعالى، و المعتزلة و الإمامية خالفوهم فى أفعال العباد، و أولوا ما ورد فى أنه تعالى خالق الخير و الشر بالمعنيين الأخيرين.
قال المحقق الطوسى قدس سره: ما ورد أنه تعالى خالق الخير و الشر، أريد بالشر ما لا يلائم الطباع و إن كان مشتملا على مصلحة، و تحقيق ما ذكره أن للشر معنيين: أحدهما: ما لا يكون ملائما للطبائع كخلق الحيوانات المؤذية، و الثانى ما يكون مستلزما للفساد، و لا يكون فيه مصلحة، و المنفى عنه تعالى هو الشر بالمعنى الثانى لا الشر بالمعنى الأول، و قال الحكماء: ما يمكن صدوره من الحكيم إما أن يكون كله خيرا، أو كله شرا، أو بعضه خيرا و بعضه شرا، فإن كان كله خيرا وجب عليه تعالى خلقه، و إن كان كله شرا لم يجز خلقه، و إن كان بعضه خيرا و بعضه

ص: 172
وَ خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُحِبُّ فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ وَ أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَ خَلَقْتُ الشَّرَّ وَ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُرِيدُهُ فَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ إِنَّ فِي بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِ أَنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَ خَلَقْتُ الشَّرَّ فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الْخَيْرَ وَ وَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الشَّرَّ وَ وَيْلٌ لِمَنْ يَقُولُ كَيْفَ ذَا وَ كَيْفَ ذَا
3 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ بَكَّارِ بْنِ كَرْدَمٍ عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ وَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَ

شرا فإما أن يكون خيره أكثر من شره، أو شره أكثر من خيره، أو تساويا، فإن كان خيره أكثر من شره وجب على الله خلقه، و إن كان شره أكثر من خيره أو كانا متساويين لم يجز خلقه، و ما نرى من المؤذيات فى العالم فخيرها أكثر من شرها.
ثم اعلم أن المراد بخلق الخير و الشر فى هذه الأخبار إما تقديرهما أو خلق الآلات و الأسباب التى بها يتيسر فعل الخير و فعل الشر، كما أنه سبحانه خلق الخمر و خلق فى الناس القدرة على شربها، أو كناية عن أنهما يحصلان بتوفيقه و خذلانه، فكأنه خلقهما أو المراد بالخير و الشر النعم و البلايا، أو المراد بخلقهما خلق من يعلم أنه يكون باختياره مختارا للخير أو الشر، و لا يخفى بعد ما سوى المعنى الثانى و الثالث، و أما الحكماء فأكثرهم يقولون لا مؤثر فى الوجود إلا الله، و إرادة العبد معدة لإيجاده تعالى الفعل على يده، فهى موافقة لمذاهبهم و مذاهب الأشاعرة و يمكن حملها على التقية.

الحديث الثانى

: حسن على الظاهر.

الحديث الثالث

: مجهول، و يدل كالسابق على النهى عن الخوض فى هذه المسائل و الاعتراض عليها.

أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا خَالِقُ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الْخَيْرَ وَ وَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الشَّرَّ وَ وَيْلٌ لِمَنْ يَقُولُ كَيْفَ ذَا وَ كَيْفَ هَذَا قَالَ يُونُسُ يَعْنِى مَنْ يُنْكِرُ هَذَا الْأَمْرَ يَتَفَقَّهُ فِيهِ

بَابُ الْجَبْرِ وَ الْقَدَرِ وَ الْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ

1 عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَ غَيْرِهِمَا رَفَعُوهُ قَالَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع جَالِساً بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ فَجَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ- ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَ قَدَرٍ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع أَجَلْ يَا شَيْخُ مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَ لَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا

و قوله: قال يونس، كلام محمد بن عيسى و هو تفسير لقوله عليه السلام: من يقول كيف ذا و كيف ذا، أي كيف أجرى على يد هذا الخير و أجرى على يد هذا الشر؟ و غرض يونس أن الويل لمن أنكر كون خالق الخير و الشر هو الله تعالى بتفقهه و علمه اتكالا على عقله، و أما من سأل عن عالم ليتضح له الأمر، أو يخطر بباله من غير حدوث شک له أو يؤمن به مجملا و هو متحير فى معناه، معترف بجهل معناه لقصور عقله عن فهمه فلا ويل له.

باب الجبر و القدر و الأمر بين الأمرين

الحديث الأول

: مرفوع لكن رواه الصدوق (ره) فى العيون بأسانيد عنه عليه السلام، و مذكور فى رسالة أبى الحسن الثالث عليه السلام إلى أهل الأهواز، و سائر الكتب الحديثية و الكلامية، و أشار المحقق الطوسى (ره) فى التجريد إليه، و رواه العلامة (قدس سره) فى شرحه عن الأصبغ بن نباتة بأدنى تغيير.
و صفين كسجين اسم موضع قرب الرقة شاطئ الفرات، بها الواقعة العظمى

بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَ قَدَرٍ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِی يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ مَهْ يَا شَيْخُ فَوَ اللَّهِ لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ الْأَجْرَ فِی مَسِيرِكُمْ وَ أَنْتُمْ سَائِرُونَ وَ فِی مَقَامِكُمْ وَ أَنْتُمْ مُقِيمُونَ وَ فِی مُنْصَرَفِكُمْ وَ أَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ وَ لَمْ تَكُونُوا فِی شَيْءٍ مِنْ حَالاتِكُمْ- مُكْرَهِينَ وَ لَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ وَ كَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِی شَیْءٍ مِنْ حَالاتِنَا مُكْرَهِينَ وَ لَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ وَ كَانَ بِالْقَضَاءِ وَ الْقَدَرِ مَسِيرُنَا وَ مُنْقَلَبُنَا وَ مُنْصَرَفُنَا فَقَالَ لَهُ وَ تَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ قَضَاءً حَتْماً وَ قَدَراً لَازِماً إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ وَ الْأَمْرُ وَ النَّهْیُ وَ الزَّجْرُ مِنَ

بين أمير المؤمنين عليه السلام و معاوية لعنه الله، و جثا كرمى أى جلس على ركبتيه، و قال الفيروزآبادى: التلعة، ما ارتفع من الأرض، و مسيل الماء" انتهى" و بطن الوادى أسفله، و المطمئن منه.
قوله: عند الله أحتسب عنائى، العناء بالفتح و المد: التعب و النصب، و يمكن أن يكون استفهاما إنكاريا، أى كيف أحتسب أجر مشقتى عند الله و قد كنت مجبورا فى فعلى؟ أو المعنى فلا نستحق شيئا، و لعل الله يعطينا بفضله من غير استحقاق للتفضل أيضا، و فى رواية الأصبغ بعده: ما أرى لى من الأجر شيئا فيؤيد الثانى" فقال له:
مه" أى اسكت و المسير مصدر ميمى بمعنى السير" و أنتم سائرون" أى بقدرتكم و إرادتكم المؤثرة" و فى مقامكم" أى بإزاء العدو بصفين" و لم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين" كما زعمته الجبرية الصرفة" و لا إليه مضطرين" كما ذهب إليه الأشاعرة كما سيأتى تحقيقهما، و لما توهم الشيخ من الجوابين التدافع و التنافى قال: فكيف لم نكن" إلى آخره" فأجاب عليه السلام بقوله: فتظن أنه كان قضاء حتما لا مدخل لاختيار العبد و إرادته فيه كما يقضى و يوجد الأشياء، ليس كذلك بل قضاءان يخير العبد و يكله إلى إرادته، و أيده بما يستحقه من الألطاف الخاصة حتى أتى بالفعل و قد مر أنه قد يحمل القضاء على العلم أو الثبت فى الألواح السماوية، و شىء منها لا يصير سببا للجبر و القدر، اللازم هو تعلق إرادته بفعله الذى لا مدخل لإرادة الغير

اللّٰهِ وَ سَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَ الْوَعِيدِ فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ وَ لَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ وَ لَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ وَ لَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ

فيه، و هنا ليس كذلک، ثم أبطل مذهب الجبرية و الأشاعرة بقوله: إنه لو كان كذلک لبطل الثواب و العقاب، لأن الثواب نفع مقارن للتعظيم و المحمدة، و العقاب ضرر مقارن للإهانة و اللوم، و لا يتصوران مع الجبر بمعنييه، و إلا كان سفها، ثم بقوله: و الأمر و النهى، لأنهما عبارتان عن إعلام الناس بمصالح بعض الأعمال و منافعها و بمفاسد بعضها و مضارها، ليختار العبد ما فيه المصلحة و المنفعة، و يترک ما فيه المفسدة و المضرة، و ظاهر أن ذلک الإعلام فى صورة الجبر و عدم تأثير الاختيار و الإرادة سفه و عبث، تعالى عن ذلک.

ثم بقوله: و الزجر من الله، و زواجر الله: بلاياه النازلة على العصاة بإزاء عصيانهم، و أحكامه فى القصاص و الحدود و نحو ذلک و التقريب ظاهر مما مر.

ثم بقوله: و سقط الوعد و الوعيد، أى المقصود منهما من إتيان الحسنات و ترک السيئات، لأن ذلک لا يعقل من المجبور فى أفعاله، فالوعد و الوعيد سفه و عبث، تعالى الله عن ذلک علوا كبيرا.

ثم بقوله عليه السلام: فلم تكن لأئمة للمذنب و لا محمدة للمحسن، لأن المحمدة هو الثناء على الجميل الاختيارى، و اللائمة ما يقابله من الذم على القبيح الاختيارى و معلوم بديهة أنه لا يستحقهما المجبور.

و أما قوله عليه السلام: و لكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، و لكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، فيحتمل وجوها:" الأول" أن يكون هذا متفرعا على الوجوه السابقة، أى إذا بطل الثواب و العقاب و الأمر و النهى و الزجر و الوعد و الوعيد لكان المحسن أولى" إلخ" و وجه الأولوية أنه لم يبق حينئذ إلا الإحسان و العقوبة الدنيوية، و المذنب كالسلطان القاهر الصحيح الذى يكون فى غاية التنعم يأتى

بكل ما يشتهيه من الشرب و الزنا و القتل و القذف و أخذ أموال الناس و غير ذلک و ليس له مشقة التكاليف الشرعية و المحسن كالفقير المريض الذي يكون دائما فى التعب و النصب، من التكاليف الشرعية من الإتيان بالمأمورات و الانتهاء عن المنهيات و من قلة المؤنة و تحصيل المعيشة من الحلال فى غاية المشقة فحينئذ الإحسان الواقع للمذنب أكثر مما وقع للمحسن، فهو أولى بالإحسان من المحسن، و العقوبة الواقعة على المحسن أكثر مما وقع على المذنب فهو أولى بالعقوبة من المذنب.

الثانى: أن يكون المعنى أنه لو فرض جريان المدح و الذم و استحقاقهما و استحقاق الإحسان و الإثابة و العقوبة و ترتبها على الأفعال الاضطرارية الخارجة عن القدرة و الاختيار، لكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن و بالعكس، لأن فى عقوبة المسىء على ذلک التقدير جمع بين إلزامه بالسيئة القبيحة عقلا، و جعله موردا لملامة العقلاء و عقوبة عليها و كل منهما إضرار و إزراء به و فى أثابه المحسن جمع بين إلزامه بالحسنة الممدوحة عقلا و يصير بذلک ممدوحا عند العقلاء، و إثابته عليها و كل منهما نفع و إحسان إليه، و فى خلاف ذلک يكون لكل منهما نفع و ضرر، و هذا بالعدل أقرب و ذاک بخلافه أشبه.

الثالث: ما قيل إنه إنما كان المذنب أولى بالإحسان لأنه لا يرضى بالذنب كما يدل عليه جبره عليه، و المحسن أولى بالعقوبة لأنه لا يرضى بالإحسان لدلالة الجبر عليه، و من لا يرضى بالإحسان أولى بالعقوبة من الذى يرضى به و لا يخفى ما فيه.

الرابع: أنه لما اقتضى ذات المذنب أن يحسن إليه فى الدنيا بإحداث اللذات فيه، فينبغى أن يكون فى الآخرة أيضا كذلک لعدم تغير الذوات فى النشأتين، و إذا اقتضى ذات المحسن المشقة فى الدنيا و إيلامه بالتكاليف الشاقة ففى الآخرة أيضا

تِلْکَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَ خُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ وَ حِزْبِ الشَّيْطَانِ

ينبغى أن يكون كذلک.
الخامس: ما قيل لعل وجه ذلک أن المذنب بصدور القبائح و السيئات منه متألم منكسر البال لظنه أنها وقعت منه باختياره، و قد كانت بجبر جابر و قهر قاهر فيستحق الإحسان، و أن المحسن لفرحانه بصدور الحسنات عنه و زعمه أنه قد فعلها بالاختيار أولى بالعقوبة من المذنب، و فى حديث الأصبغ هكذا: و لم تأت لأئمة من الله لمذنب و لا محمدة لمحسن، و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسىء، و لا المسىء أولى بالذم من المحسن، تلک مقالة عبدة الأوثان و جنود الشيطان و شهود الزور و أهل العمى عن الصواب و هم قدرية هذه الأمة و مجوسها.
" تلک مقالة إخوان عبدة الأوثان" أى أشباههم، لأن عبدة الأوثان الذين كانوا فى عصر النبى ص كانوا جبرية لقوله تعالى:" وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها" أى جعلنا الله مجبورا عليها و قوله:" وَ قالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ" و أمثال ذلک فى القرآن كثيرة.
و قيل: إنما كانوا إخوانهم لأن القول بما يستلزم بطلان الثواب و العقاب فى حكم القول بلازمه، و القول ببطلان الثواب و العقاب قول عبدة الأوثان، و أما كونهم خصماء الرحمن لأنهم نسبوا إليه سبحانه ما لا يليق بجنابة من الظلم و الجور و العبث و أية خصومة و عداوة تكون أشد من ذلک. و قيل: إنكار الأمر و النهى إنكار للتكليف و المنكرون للتكاليف خصماء المكلف الآمر و الناهى.
و قيل: لما نسب الله سبحانه فى آيات كثيرة أفعال العباد إليهم، و صرح فى كثير منها ببراءته من القبائح و الظلم، و هؤلاء يقولون نحن برآء من القبائح و أنت تفعلها فلا مخاصمة أعظم من ذلک" و حزب الشيطان" لأنه لعنه الله قال:" رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِى"

وَ قَدَرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ مَجُوسِهَا

و أيضا أنه لعنه الله يبعثهم على تلک العقائد الفاسدة، أو لما لزمهم بطلان الأمر و النهى و التكليف فيجوز له متابعة الشيطان فى كل ما يدعوهم إليه، و قوله: و قدرية هذه الأمة، يدل على أن المجبرة هم القدرية، و لا خلاف بين الأمة فى أن النبى صلى الله عليه و آله ذم القدرية، لكن كل من الجبرية و التفويضية يسمون خصومهم بها، و فى أخبارنا أطلقت عليهما، و إن كان على التفويضية أكثر، قال فى المقاصد: لا خلاف فى ذم القدرية و قال شارحه: قد ورد فى صحاح الأحاديث لعنة القدرية على لسان سبعين نبيا، و المراد بهم القائلون بنفى كون الخير و الشر كله بتقدير الله و مشيته، سموا بذلک، لمبالغتهم فى نفيه و كثرة مدافعتهم إياه، و قيل: لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد و ليس بشىء، لأن المناسب حينئذ القدرى بضم القاف، و قالت المعتزلة: القدرية هم القائلون بأن الشر و الخير كله من الله تعالى و بتقديره و مشيته، لأن الشائع نسبة الشخص إلى ما يثبته و يقول به كالجبرية و الحنفية و الشافعية لا إلى ما ينفيه.

و رد بأنه صح عن النبى صلى الله عليه و آله قوله: القدرية مجوس هذه الأمة، و قوله:

إذا قامت القيامة نادى مناد أهل الجمع: أين خصماء الله، فتقوم القدرية، و لا خفاء فى أن المجوس هم الذين ينسبون الخير إلى الله و الشر إلى الشيطان، و يسمونهما:

يزدان، و أهريمن، و أن من لا يفوض الأمور كلها إلى الله، و معترض لبعضها فينسبه إلى نفسه، يكون هو المخاصم لله تعالى، و أيضا من يضيف القدر إلى نفسه و يدعى كونه الفاعل و المقدر أولى باسم القدرى ممن يضيفه إلى ربه.

فإن قيل: روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال لرجل قدم عليه من فارس: أخبرنى بأعجب شىء رأيت؟ فقال: رأيت أقواما ينكحون أمهاتهم و بناتهم و أخواتهم، فإذا قيل لهم: لم تفعلون ذلک؟ قالوا قضاء الله علينا و قدره؟ فقال صلى الله عليه و آله: ستكون فى آخر أمتى أقوام يقولون بمثل مقالتهم، أولئک مجوس أمتى، و روى الأصبغ بن نباتة:

أن شيخا قام إلى على بن أبى طالب عليه السلام بعد انصرافه من صفين ثم ذكر نحو هذا

الخبر- إلى قوله-" ذلِکَ ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا فَوَیْلٌ لِلَّذِینَ کَفَرُوا مِنَ النَّارِ" فقال الشیخ: و ما القضاء و القدر اللذان ما سرنا إلا بهما؟ قال: هو الأمر من الله و الحکم ثم تلا قوله تعالی" وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ" و عن الحسن بعث الله محمدا صلی الله علیه و آله إلی العرب و هم قدریة یحملون ذنوبهم علی الله، و یصدقه قوله تعالی:
" وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَیْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها".
قلنا: ما ذکر لا یدل إلا علی أن القول بأن فعل العبد إذا کان بقضاء الله تعالی و قدره و خلقه و إرادته، یجوز للعبد الإقدام علیه، و یبطل اختیاره فیه و استحقاقه للثواب و العقاب و المدح و الذم علیه قول المجوس، فلینظر أن هذا قول المعتزلة أم المجبرة، و لکن من لم یجعل الله له نورا فما له من نور، و من وقاحتهم أنهم یروجون باطلهم بنسبته إلی أمیر المؤمنین علی علیه السلام و أولاده رضی الله عنهم، و قد صح عنه أنه خطب الناس علی منبر الکوفة فقال: لیس منا من لم یؤمن بالقدر خیره و شره، و أنه قال لمن قال: إنی أملک الخیر و الشر و الطاعة و المعصیة؟ تملکها مع الله أو تملکها بدون الله؟ فإن قلت: أملکها مع الله فقد ادعیت أنک شریک الله، و إن قلت أملکها بدون الله فقد ادعیت أنک أنت الله؟ فتاب الرجل علی یده.
و أن جعفر الصادق علیه السلام قال لقدری: أقرء الفاتحة، فقرأ فلما بلغ قوله:
" إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ" قال له جعفر: علی ما ذا تستعین بالله و عندک أن الفعل منک، و جمیع ما یتعلق بالأقدار و التمکین و الألطاف قد حصلت و تمت؟ فانقطع القدری و الحمد لله رب العالمین" انتهی".
و قال العلامة (قدس سره) فی شرح التجرید بعد إیراد خبر الأصبغ: قال أبو الحسن البصری و محمود الخوارزمی: فوجه تشبیهه علیه السلام المجبرة بالمجوس من وجوه:
أحدها: أن المجوس اختصوا بمقالات سخیفة و اعتقادات واهیة، معلومة البطلان

و كذا المجبرة.
و ثانيها: مذهب المجوس أن الله تعالى يخلق فعله ثم يتبرأ منه، كما خلق إبليس و انتفى منه، و كذا المجبرة قالوا: إن الله تعالى يفعل القبيح ثم يتبرأ منها.
و ثالثها: أن المجوس قالوا: إن نكاح الأمهات و الأخوات بقضاء الله و قدره و إرادته و وافقهم المجبرة، حيث قالوا: إن نكاح المجوس لأمهاتهم و أخواتهم بقضاء الله و قدره و إرادته.
و رابعها: أن المجوس قالوا: إن القادر على الخير لا يقدر على الشر و بالعكس و المجبرة قالوا: إن القدرة الموجبة للفعل غير متقدمة عليه، فالإنسان القادر على الخير لا يقدر على ضده و بالعكس" انتهى".
أقول: و قد يعطف خصماء الرحمن على عبدة الأوثان فالمراد بهم المعتزلة المفوضة أى الأشاعرة الجبرية إخوان المفوضة، الذين هم خصماء الرحمن، لأنهم يدعون استقلال قدرتهم فى مقابلة قدرة الرحمن، و أنهم يفعلون ما يريدون بلا مشاركة الله فى أعمالهم بالتوفيق و الخذلان، و الأخوة بينهما باعتبار أن كلا منهما على طرف خارج عن الحق الذى هو بينهما، و هو الأمر بين الأمرين، فهما يشتركان فى البطلان، كما أن المؤمنين إخوة لاشتراكهم فى الحق.
و قيل فى وجه الأخوة: إنه يقال للمتقابلين إنهما متشابهان كما قيل، إن قصة سورة براءة تشابه قصة سورة الأنفال و تناسبها، لأن فى الأنفال ذكر العهود و فى البراءة نبذها، فضمت إليها" انتهى" و على هذا يكون قوله: و حزب الشيطان، و قوله:
قدرية هذه الأمة، و قوله: مجوسها، كلها معطوفات على العبدة لا الإخوان، و أوصافا للمفوضة لا الجبرية، على الوجوه المتقدمة، و يكون الحديث مشتملا على نفى طرفى الإفراط و التفريط معا، و هذا الوجه و إن كان بعيدا لكنه يكون أتم فائدة.
و يؤيده أيضا ما رواه الصدوق (ره) فى التوحيد بإسناده عن على بن سالم عن

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی کَلَّفَ تَخْیِیراً- وَ نَهَی تَحْذِیراً وَ أَعْطَی عَلَی الْقَلِیلِ کَثِیراً وَ لَمْ یُعْصَ مَغْلُوباً وَ لَمْ یُطَعْ مُکْرِهاً- وَ لَمْ یُمَلِّکْ مُفَوِّضاً وَ لَمْ یَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما

أبی عبد الله علیه السلام قال: سألته عن الرقی أ تدفع من القدر شیئا؟ فقال: هی من القدر، و قال علیه السلام: إن القدریة مجوس هذه الأمة، و هم الذین أرادوا أن یصفوا الله بعدله فأخرجوه من سلطانه، و فیهم نزلت هذه الآیة:" یَوْمَ یُسْحَبُونَ فِی النَّارِ عَلی وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ" و یعضده أیضا أن قدماء المحدثین إنما یطلقون القدریة علی المفوضة کالمصنف، حیث قابل فی عنوان الباب بین الجبر و القدر، و قد عد أصحاب الرجال من کتب هشام بن الحکم کتاب الجبر و القدر، و کتاب الرد علی المعتزلة" إن الله کلف تخییرا" أی أمره جاعلا له مخیرا بین الفعل و الترک بإعطاء القدرة له علی الإتیان بما شاء منهما، من غیر إکراه و إجبار" و نهی تحذیرا" أی طلبا للاحتراز عن فعل المنهی عنه، لا بالإکراه علی الترک" و أعطی علی القلیل کثیرا" ترغیبا إلی الطاعة و ترک المعصیة" و لم یعص مغلوبا" علی بناء المفعول:
أی لم یقع العصیان عن طاعته بمغلوبیته عن العبد بل بما فیه الحکمة من عدم إکراهه و إجباره، أو لا یقع العصیان بمغلوبیة العاصی، فإنه لا عصیان مع عدم الاختیار،" و لم یطع مکرها" علی صیغة اسم الفاعل، أی لم تقع طاعته بإکراهه المطیع علی الطاعة و ربما یقرأ علی صیغة المفعول، فیکون ردا علی المفوضة أیضا، لأنه إذا استقل العبد و لم یکن لتوفیقه تعالی مدخل فی ذلک فکأنه سبحانه مکره فیه.
و یمکن أن یقرأ الفعلان علی بناء الفاعل و یکون الفاعل المطیع و العاصی، و هما بعیدان" و لم یملک" علی بناء التفعیل و المفعول القدرة و الإرادة و الاختیار، أو علی بناء الأفعال بمعنی إعطاء السلطنة" مفوضا" بحیث لم یحصرهم بالأمر و النهی أو لم یکن له مدخل فی أفعالهم بالتوفیق و الخذلان" و لم یخلق السماوات، إلخ" إشارة إلی قوله سبحانه:" وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما باطِلًا ذلِکَ ظَنُّ الَّذِینَ

بِاطِلًا- وَ لَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ عَبَثاً ذلِکَ ظَنُّ الَّذِينَ کَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ کَفَرُوا مِنَ النَّارِ فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ

کَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ کَفَرُوا مِنَ النَّارِ، أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ کَالْمُفْسِدِينَ فِی الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ کَالْفُجَّارِ" و هذا إما رد علی عبدة الأوثان المذکورين سابقا بتقريب ذکر إخوانهم، أو المجبرة إذ الجبر يستلزم بطلان الثواب و العقاب و التکليف المستلزم لکون خلق السماوات و الأرض عبثا و باطلا، أو المفوضة أيضا لأن التفويض علی أکثر الوجوه الآتية ينافی غرض الإيجاد، و کون بعثة الأنبياء و الرسل مع الجبر باطلا ظاهر، بل مع التفويض علی بعض الوجوه.

أقول: و روی الصدوق فی التوحيد و العيون هذه الرواية عن أبی الحسن الثالث عن آبائه عليه السلام، و عن الصادق عن آبائه عليهم السلام بسندين آخرين و عن ابن عباس بسند آخر، و زاد فی الرواية بالسند الأخير، فقال الشيخ: فما القضاء و القدر اللذان ساقانا و ما هبطنا واديا و لا علونا تلعة إلا بهما؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الأمر من الله و الحکم، ثم تلا هذه الآية" وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً" أی أمر ربک.

و قال الشيخ أحمد بن أبی طالب الطبرسی فی کتاب الاحتجاج بعد إيراد هذه الرواية: و روی أن الرجل قال: فما القضاء و القدر الذی ذکرته يا أمير المؤمنين؟

قال: الأمر بالطاعة، و النهی عن المعصية و التمکين من فعل الحسنة و ترک المعصية، و المعونة علی القربة إليه و الخذلان لمن عصاه، و الوعد و الوعيد و الترغيب و الترهيب، کل ذلک قضاء الله فی أفعالنا و قدره لأعمالنا، أما غير ذلک فلا تظنه فإن الظن له محيط للأعمال، فقال الرجل: فرجت عنی بذلک يا أمير المؤمنين فرج الله عنک، و فی رواية ابن نباتة الذی أورده العلامة و غيره: فقال الشيخ: و ما القضاء و القدر اللذان

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِی نَرْجُو بِطَاعَتِهِ- یَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَاناً-
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا کَانَ مُلْتَبِساً- جَزَاکَ رَبُّکَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً
2 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِیٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ- فَقَدْ

ما سرنا إلا بهما؟ فقال: هو الأمر من الله تعالی و الحکم، و تلا قوله تعالی:" وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ" فنهض الشیخ مسرورا و هو یقول. و ذکر البیتین.

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام: من زعم، أى ادعى، و قال: و أكثر استعماله فى الباطل" إن الله يأمر بالفحشاء" اقتباس من قوله تعالى:" وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ".
قال بعض المفسرين: الفاحشة: الفعلة المتناهية فى القبح كعبادة الصنم و كشف العورة فى الطواف حيث كان المشركون يطوفون عراة، و يقولون: لا نطوف فى الثياب التى قارفنا فيها الذنوب، فكانوا إذا نهوا عنها اعتذروا و احتجوا بأمرين: تقليد الآباء، و الافتراء على الله، فأعرض عن الأول لظهور فساده، و رد الثانى بقوله:
" قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ" أى بأمر يجد العقل السليم قبحه، بل لا يأمر إلا بمحاسن الأعمال و العقائد، فالأمر بمعناه، و قال الطبرسى (ره): قال الحسن: إنهم كانوا أهل إجبار فقالوا: لو كره الله ما نحن عليه الطبرسى (ره): قال الحسن: إنهم كانوا أهل إجبار فقالوا: لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه، فلهذا قالوا: و الله أمرنا بها فأقول: الأمر فى الخبر أيضا يحتمل الوجهين، فعلى الأول إشارة إلى فساد قول الأشاعرة من نفى الحسن و القبح العقليين، و تجويز أن يأمر بما نهى عنه مما يحكم العقل بقبحه، و أن يأمر بالسوء و الفحشاء، فإن إبطال حكم العقل فيما يحكم به بديهة أو بالبرهان باطل، و الأمر بالقبيح قبيح، و من جوز القبيح على الله فقد كذب عليه، و على الثانى رد على الأشاعرة أيضا من حيث قولهم بالجبر.

كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَ الشَّرَّ إِلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ
3 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا ع قَالَ سَأَلْتُهُ فَقُلْتُ اللَّهُ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى الْعِبَادِ قَالَ اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ قُلْتُ فَجَبَرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي قَالَ اللَّهُ أَعْدَلُ وَ أَحْكَمُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ ثُمَّ قَالَ قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ وَ أَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي- عَمِلْتَ الْمَعَاصِيَ بِقُوَّتِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِيكَ
4 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَرَّارٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا ع يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ لَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ وَ لَا بِقَوْلِ إِبْلِيسَ- فَإِنَّ أَهْلَ

و قوله: و من زعم أن الخير و الشر إليه، الظاهر إرجاع الضمير إلى الموصول، فيكون ردا على المفوضة و المعتزلة القائلين باستقلال العبد فى أفعاله، و عدم مدخلية الرب سبحانه فيها، و هذا أيضا كذب على الله تعالى لمخالفته للآيات الكثيرة الدالة على هدايته و توفيقه و خذلانه و مشيته و تقديره، و يحتمل إرجاع الضمير إلى الله فيكون ردا على المجبرة فينبغى حمل الفقرة الأولى حينئذ على المعنى الأول.

الحديث الثالث

: ضعيف على المشهور.
قوله: الله أعز من ذلک أی أغلب و أقدر من أن یکون غیره فاعلا مستقلا فی ملکه، بغیر مدخلیة له سبحانه فی ذلک الفعل.
قوله: و أحکم، أی الجبر مناف للحکمة.

: مجهول.
و المراد بالقدرية هنا من يقول بأن أفعال العباد و وجودها ليست بقدر الله و قضائه بل باستقلال إرادة العبد به و استواء نسبته إلى الإرادتين و صدور أحدهما عنه لا بموجب غير الإرادة كما ذهب إليه بعض المعتزلة، فإنهم لم يقولوا بقول أهل الجنة من إسناد هدايتهم إليه سبحانه، و لا بقول أهل النار من إسناد ضلالهم إلى شقوتهم، و ظاهره

الْجَنَّةِ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا وَ ما کُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ وَ قَالَ أَهْلُ النَّارِ رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَیْنا شِقْوَتُنا وَ کُنَّا قَوْماً ضالِّینَ وَ قَالَ إِبْلِیسُ رَبِّ بِما أَغْوَیْتَنِی فَقُلْتُ وَ اللَّهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ وَ لَکِنِّی أَقُولُ لَا یَکُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ وَ أَرَادَ وَ قَدَّرَ وَ قَضَی فَقَالَ یَا یُونُسُ لَیْسَ هَکَذَا لَا یَکُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ أَرَادَ وَ قَدَّرَ وَ قَضَی یَا یُونُسُ تَعْلَمُ

هنا أن المراد بالشقوة ما یصیر مرجحا للأعمال السیئة من خبث الطینة و قلة العقل، و سوء الفهم، مما یرجع إلی العبد، أو هذا أیضا یرجع إلی الله بناء علی أن الله تعالی خالق السعادة و الشقاوة و مقدرهما، و یحتمل أن یکون المراد بالشقوة استحقاق العذاب بسبب الأعمال السیئة فإن. ذلک یصیر سببا لمنع اللطف و الهدایة الخاصة، و لا بقول إبلیس من إسناد الإغواء إلیه سبحانه، و هذا الخبر یدل علی أن غرضه من الإغواء کان هو الخذلان و منع اللطف، إذ ظاهر الخبر أنه علیه السلام استشهد بقوله و قول أهل النار لتقریره سبحانه إیاهما، و یحتمل أن یکون غرضه علیه السلام أنهم اخترعوا قولا لیس قول أهل الخیر و لا قول أهل الشر.

قوله: و لکنی أقول لا یکون إلا بما شاء الله، أقول: فی أکثر النسخ الباء موجودة فی کلام یونس دون کلامه علیه السلام، فالفرق بینهما بالباء إذ کلام یونس یدل علی العلیة و السببیة و استقلال إرادة الله سبحانه و مشیته فی فعل العبد، فیوهم الجبر فلذا أسقط علیه السلام الباء، و قیل: کان غرض یونس من إدخال الباء بیان أن الله تعالی أعطی العبد القدرة و الاختیار، ثم هو فعل الفعل بما أعطاه الله و هو مستقل فی الفعل، فأراد علیه السلام نفی التفویض فأسقط الباء، و فی بعض النسخ بدون الباء فلا یعقل فرق إلا بنحو التقریر، لکن فی تفسیر علی بن إبراهیم: و لکنی أقول لا یکون إلا ما شاء الله و قضی و قدر، فقال: لیس هکذا یا یونس، و لکن لا یکون إلا ما شاء الله و قدر و قضاء فیکون الاختلاف بینهما فی الترتیب، فإن القدر مقدم علی القضاء کما فی الأخبار، فلذا غیر علیه السلام الترتیب لیکون الترتیب الذکری موافقا للترتیب الواقعی، و لعل التوافق صدر من النساخ ثم ألحقوا الباء لحصول الاختلاف.

مَا الْمَشِيئَةُ قُلْتُ لَا قَالَ هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ فَتَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ قُلْتُ لَا قَالَ هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ فَتَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ قُلْتُ لَا قَالَ هِيَ الْهَنْدَسَةُ وَ وَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَ الْفَنَاءِ قَالَ ثُمَّ قَالَ وَ الْقَضَاءُ هُوَ الْإِبْرَامُ وَ إِقَامَةُ الْعَيْنِ قَالَ فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أُقَبِّلَ رَأْسَهُ وَ قُلْتُ فَتَحْتَ لِي شَيْئاً كُنْتُ عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ

5 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ- فَعَلِمَ مَا هُمْ صَائِرُونَ

قوله عليه السلام: هى الذكر الأول، أى الإثبات مجملا فى لوح المحو و الإثبات، و قيل العلم القديم.

قوله: هى العزيمة، العزيمة: تأكد الإرادة، و لعل المراد بها هنا الإثبات ثانيا مع بعض الخصوصيات أو الأخذ فى خلق أسباب وجوده البعيدة، و قيل: المعنى أن المشية فينا هى توجه النفس إلى المعلوم بملاحظة صفاته و أحواله المرغوبة، الموجبة لحركة النفس إلى تحصيله، و هذه الحركة النفسانية فينا و انبعاثها لتحصيله هى العزم و الإرادة و فى الواجب تعالى ما يترتب عليه أثر هذا التوجه، و يكون بمنزلته.

قوله عليه السلام: هى الهندسة، الهندسة: على وزن دحرجة مأخوذ من الهنداز (معرب انداز) فأبدلت الزاى سينا لأنه ليس فى كلام العرب دال بعدها زاى، فالهندسة (معرب اندازه) أى المقدار، و المهندس مقدر مجارى القناة حيث تحفر، ثم عمم فى تحديد مجارى الأمور كلها، فالقدر إثبات خصوصيات ما أراد إيجاده فى اللوح من أزمنة بقائه و وقت فنائه و أشباه ذلك، أو ترتيب أسباب وجوده إلى حيث ينتهى إلى علله الخاصة المعينة لخصوصياته، أو فينا عبارة عن تعيين حدود ما يريده من عرضه و طوله و سمكه و إحكامه على وجه يبقى زمانا طويلا أو قصيرا، و فيه تعالى ما يناسبه من ترتيب الأسباب، و القضاء هو الإبرام أى إحكام المراد، و إقامة عينه أى إيجاده، و فى أفعال العباد إقدار العبد و تمكينه و رفع الموانع عنه.

الحديث الخامس

: مجهول كالصحيح.

إِلَيْهِ- وَ أَمَرَهُمْ وَ نَهَاهُمْ فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ وَ لَا يَكُونُونَ

قوله عليه السلام: فقد جعل لهم السبيل، قال بعض المحققين: أى كل ما تعلق به الأمر جعل للمأمور سبيل إلى تركه بإعطاء القدرة له، و إمكان المأمور به.

فإن قيل: المأمور به واجب ضرورى الوجود عند اجتماع أسباب وجوده و ممتنع ضرورى العدم عند عدم اجتماع أسباب الوجود، فلا إمكان له؟

قيل: المقصود الإمكان قبل الإرادة الحتمية، و هى من أسباب الوجود، فلا وجوب قبلها، و لزوم وقوع العدم عند عدم استجماع الشرائط لا ينافى الإمكان، فإن الممكن الذى لا يلحقه وجوب لعلته الموجبة، لا إيجاب لعدمه من عدم علته، كما لا تأثير من عدم علته فى عدمه، فالممكن مع إمكان وجوده بوجود علته يكون معدوما لعدم علته فوجوب عدمه عبارة عن ضرورة عدم انفكاک العدم عن العدم، لا ضرورة عدم حاصل فيه بإيجاب من موجب، و بخلاف وجوب وجوده فوجوب الوجود من الفاعل لا يجامع الإمكان بمعنى عدم ضرورة نسبة الوجود و مقابله إلى الماهية و لو بإيجاب من الموجب، و لزوم العدم يجامع الإمكان بمعنى عدم ضرورة أحدهما للماهية و لو بإيجاب موجب، و مرجع هذا اللزوم إلى ما هو بمنزلة الوجوب اللاحق، فالممكن بإمكانه مجردا من إيجاب موجب إنما يكون معدوما و هذا الإمكان مصحح الطلب.

و الحاصل أن مناط الوجود للممكن، الوجوب الحاصل لوجوده من علته الموجبة أى إيجابها إياه، و مناط العدم للممكن عدم إيجاب موجب إياه لا إيجاب موجب لعدمه، و إذا كان المعدوم يمكن وجوده بموجبه صح طلب إيجاده بإيجابه بموجبه، و طلب الكف عن إيجاده بعدم إيجابه بموجبه، و كذا لزوم عدم إرادة الفاعل لعدم أسبابها لا ينافى الأمر بإرادته" انتهى".

و لعل المراد بالإذن رفع الموانع التى من جملتها تعلق الإرادة الحتمية من الله تعالى بضده.

آخِذِينَ وَ لَا تَارِكِينَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

و الحق أن تأثير جميع المؤثرات مشروطة بذلک کإحراق النار فإنه مشروط بعدم تعلق إرادته سبحانه بعدمه، فإذا تعلقت لم تؤثر کما لم تحرق إبراهيم عليه السلام، و تأثير السيف فی قطع اللحم و شبهه مشروط بذلک، فکما أن الإحراق و القطع مشروطان بشرائط کثيرة من قابلية المادة و مجاورة المؤثر و غيرهما فکذا مشروطان بعدم تعلق الإرادة الحتمية من ذی القدرة القاهرة و القوة الغالبة بخلافهما، و لا يتأتی التصديق بمعجزات الأنبياء و الأوصياء صلوات الله عليهم إلا بذلک، و به يستقيم مدخلية إرادة الله سبحانه فی أعمال العباد مع اختيارهم، و هو المراد بالتخلية.

أقول: و روی الشيخ أحمد الطبرسی فی کتاب الاحتجاج عن علی بن محمد العسکری عليه السلام أن أبا الحسن موسی عليه السلام قال: إن الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، فأمرهم و نهاهم، فما أمرهم به من شیء فقد جعل لهم السبيل إلی الأخذ به، و ما نهاهم عنه من شیء فقد جعل لهم السبيل إلی ترکه، و لا يکونون آخذين و لا تارکين إلا بإذنه، و ما جبر الله أحدا علی معصيته، بل اختبرهم کما قال:" لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا*".

قوله عليه السلام: و لا يکونون آخذين و لا تارکين إلا بإذنه، أی بتخليته و علمه" انتهی" و الظاهر أن التفسير من المؤلف (ره).

أقول: و يومی إلی ما ذکرنا ما ذکره الشيخ السعيد المفيد فی کتاب المقالات حيث قال: إن الإرادة التی هی قصد الإيجاد أحد الضدين الخاطرين ببال المريد موجبة لمرادها، و أنه محال وجودها و ارتفاع المراد بعدها بلا فصل، إلا أن يمنع من ذلک من فعل غير المريد، و هذا مذهب جعفر بن حرب و جماعة من متکلمی البغداديين و هو مذهب البلخی، و علی خلافه مذهب الجبائی و ابنه و البصريين من المعتزلة و الحشوية و أهل الأخبار.

6 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ قُرْطٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ یَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشَاءِ فَقَدْ کَذَبَ عَلَی اللَّهِ- وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَیْرَ وَ الشَّرَّ بِغَیْرِ مَشِیئَةِ اللَّهِ فَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهَ مِنْ سُلْطَانِهِ وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِیَ بِغَیْرِ قُوَّةِ اللَّهِ فَقَدْ کَذَبَ عَلَی اللَّهِ وَ مَنْ کَذَبَ عَلَی اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ
7 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِیسَی عَنْ

و قال الشیخ أبو علی الطبرسی رحمه الله: فی قوله تعالی:" وَ ما کانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" اختلفوا فی تفسیر الإذن علی أقوال:" الأول" أن یکون الإذن هو الأمر أی یأمر ملک الموت بقبض الأرواح فلا تموت أحد إلا بهذا الأمر" الثانی" أن المراد به الأمر التکوینی کقوله:" أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ" و لا یقدر علی الحیاة و الموت أحد إلا الله" الثالث" أن یکون الإذن هو التخلیة و الإطلاق، و ترک المنع بالقهر و الإجبار، و به فسر قوله تعالی:" وَ ما هُمْ بِضارِّینَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" أی بتخلیته، فإنه تعالی قادر علی المنع من ذلک بالقهر" الرابع" أن یکون الإذن بمعنی العلم و معناه إن نفسا لا تموت إلا فی الوقت الذی علم الله موتها فیه.
" الخامس" قال ابن عباس: الإذن هو قضاء الله و قدره، فإنه لا یحدث شیء إلا بمشیة الله و إرادته.

الحديث السادس

: مجهول.
قوله: بغير مشية الله، أى التخلية و عدم تعلق الإرادة الحتمية بخلافه، فإن من زعم استقلال الخلق و عدم قدرته تعالى على صرفهم عن أفعالهم، و عدم مدخليته سبحانه فى أعمالهم بوجه فقد أخرج الله من سلطانه، و عزله عن التصرف فى ملكه.

الحديث السابع

: مرسل.

ص: 190
إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ كَانَ فِی مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ فِی الْقَدَرِ وَ النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ قَالَ فَقُلْتُ يَا هَذَا أَسْأَلُكَ قَالَ سَلْ قُلْتُ يَكُونُ فِی مُلْكِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَی مَا لَا يُرِيدُ قَالَ فَأَطْرَقَ طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَیَّ فَقَالَ لِی يَا هَذَا لَئِنْ قُلْتُ إِنَّهُ يَكُونُ فِی مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ إِنَّهُ لَمَقْهُورٌ وَ لَئِنْ قُلْتُ لَا يَكُونُ فِی مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ أَقْرَرْتُ لَكَ بِالْمَعَاصِی قَالَ فَقُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع سَأَلْتُ هَذَا الْقَدَرِیَّ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ كَذَا وَ كَذَا فَقَالَ لِنَفْسِهِ نَظَرَ أَمَا لَوْ قَالَ غَيْرَ مَا قَالَ لَهَلَكَ

8 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ زَعْلَانَ عَنْ أَبِی طَالِبٍ الْقُمِّیِّ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَی الْمَعَاصِی قَالَ لَا قُلْتُ فَفَوَّضَ إِلَيْهِمُ الْأَمْرَ قَالَ قَالَ لَا قَالَ قُلْتُ فَمَا ذَا قَالَ لُطْفٌ مِنْ رَبِّكَ بَيْنَ ذَلِكَ

قوله: أقررت لک بالمعاصی، أی جوزت لک فعل المعاصی، إذ ليس لک فيها اختيار و هی بإرادته سبحانه، أو أقررت لک بأن المعاصی بإرادته تعالی.

قوله عليه السلام: لنفسه نظر، أی تأمل و احتاط لنفسه، حيث لم يحكم بما يوجب هلاكه من القول بالقدر الذی هو مذهبه، أو نفی مذهبه، و مذهب الجبرية أيضا و إن لم يفهم الواسطة، و يمكن أن يكون تفطن بالواسطة عند الإلزام عليه.

الحديث الثامن

: مرسل.
قوله: أجبر الله، الهمزة للاستفهام.
قوله عليه السلام: لطف من ربک، أی رحمة و توفيق، و قيل: أمر دقيق لا تصل إليه العقول، و هو الأمر بين الأمرين، و الظاهر أنه غير اللطف الذی هو مصطلح المتكلمين بل ما قررنا سابقا و سيأتی مزيد توضيح له، و اللطف على اصطلاح المتكلمين هو ما يقرب العبد إلى الطاعة و يبعده عن المعصية، و لا حظ له فی التمكين، و لا يبلغ الإلجاء و متكلمو الإمامية و المعتزلة اتفقوا على وجوبه على الله عقلا و خالفهم فی ذلک الأشاعرة و قالوا بعدم وجوبه.

و استدل المثبتون عليه بأن اللطف مما يتوقف عليه غرض المكلف من المكلف و كل ما يتوقف عليه الغرض يكون واجبا، أما الأولى فظاهر، لأن غرض المكلف من المكلف إيقاعه ما كلف به، و هو يتوقف على كل ما يقر به إلى فعله و يبعده عن تركه، و أما الثانية فلأن المريد من غيره فعلا من الأفعال إذا علم المريد أن المراد منه لا يفعل الفعل المطلوب إلا بفعل يفعله المريد مع المراد منه من نوع ملاطفة أو مكاتبة أو سعى إليه أو إرسال من غير مشقة عليه فى ذلک لو لم يفعل ما يتوقف عليه إيقاع ذلک الفعل منه، مع تصميم إرادته إيقاعه منه، لكان هذا المريد ناقضا لغرضه عند العقلاء، و نقض الغرض قبيح لذم العقلاء على ذلک، و إذا أردنا تمشية هذا التقرير فى حقه سبحانه، قلنا: إنه كلف العباد بالأوامر و النواهى فكان غرضه من التكليف المذكور إيقاع الطاعة و ارتفاع المعصية من المكلفين، فإذا علم أنهم لا يفعلون ذلک إلا بفعل يفعله بهم بحيث يحصل به تقريبهم إلى إيقاع ذلک منهم، لو لم يفعل ذلک مع توقف غرضه عليه كان ناقضا لغرضه، تعالى الله عن ذلک علوا كبيرا، فوجب فى حكمته تعالى و عنايته فعل الألطاف المقربة للمكلفين إلى فعل الطاعات المبعدة لهم عن المعاصى و هو المطلوب.

ثم إن هذه الألطاف تكون من فعله تعالى خاصة كإرسال الرسل و نصب الأئمة و إظهار المعجزات على أيدى الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، فيجب عليه فعل ذلک، و قد يكون من فعل المكلفين كأتباعهم الرسل و طاعتهم الأئمة و امتثالهم لأوامرهم، و الانتهاء عند نواهيهم فيجب عليه إعلامهم بذلک و إيجابه عليهم ليتم الامتثال و يحصل القول، و يستكمل الألطاف، و قد يكون من فعل غيرهما كقبول الرسل للرسالة، و تحمل الإمام للإمامة، و قيامهما بأعبائهما، فيجب عليه فى ذلک الإيجاب على ذلک الغير و إثابته عليه، لأن تكليف شخص لنفع غيره من غير نفع له قبيح عقلا.

أقول: هذا هو اللطف الذى أوجبه أصحابنا، و يشكل الجزم بوجوب كل لطف

9 عَلِیٌّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ غَیْرِ وَاحِدٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ وَ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالا إِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ یُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَی الذُّنُوبِ ثُمَّ یُعَذِّبَهُمْ عَلَیْهَا وَ اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ یُرِیدَ أَمْراً فَلَا یَکُونَ قَالَ فَسُئِلَا ع هَلْ بَیْنَ الْجَبْرِ وَ الْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ قَالا نَعَمْ أَوْسَعُ مِمَّا بَیْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ

10 عَلِیٌّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سُئِلَ عَنِ الْجَبْرِ وَ الْقَدَرِ

بالنسبة إلی کل مکلف، نعم لا بد من الألطاف التی لا یصح التکلیف عقلا بدونها کالإعلام و الأقدار و التمکین و رفع الموانع التی لیس رفعها فی وسع المکلف، و أما وجوب کل ما یقرب إلی الطاعة و یبعد عن المعصیة فیشکل القول بوجوبها، بل الظاهر عدم تحقق کثیر من الألطاف الغیر المفضیة إلی حد الإلجاء کابتلاء أکثر المرتکبین للمعاصی مقارنا لفعلهم ببلاء، و إیصال نفع عاجل بأکثر المطیعین، و تواتر الأنبیاء و المرسلین و الحجج فی کل أرض و صقع، و أیضا فحینئذ لا معنی للخذلان الذی یدل علیه کثیر من الأخبار، إذ مع علمه تعالی بعدم نفع اللطف لا تأثیر للخذلان فی الفعل و الترک، و مع النفع یفوت اللطف، و نقض الغرض إنما یتحقق إذا کان الغرض فعل المکلف به، و لعل الغرض تعریضهم للثواب و العقاب، و لیس هذا مقام بسط الکلام فی تلک المسائل، و إنما نشیر إلی ما ظهر لنا من الأخبار فی کل منها.

: مرسل كالصحيح.
قوله عليه السلام: و الله أعز، أى إنما قدروا على الفعل لأن الله سبحانه خلى بينهم و بين إرادتهم، و لو أراد غيره حتما لصرفهم إذ هو سبحانه أعز من أن يريد أمرا حتما ثم لا يكون ذلک الأمر، و هذا الخبر أيضا يدل على أن القدرية المفوضة.

الحديث العاشر

: ضعيف.

فَقَالَ لَا جَبْرَ وَ لَا قَدَرَ وَ لَكِنْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَهُمَا فِيهَا الْحَقُّ الَّتِی بَيْنَهُمَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُ أَوْ مَنْ عَلَّمَهَا إِيَّاهُ الْعَالِمُ

قوله: التى بينهما، مبتدأ" لا يعلمها" خبره، أشار عليه السلام إلى دقة المنزلة بين المنزلتين و غموضها، كما يظهر لمن تأمل فيها، فإنها أصعب المسائل الدينية، و قد تحير فيها العلماء من كل فرقة، قال إمامهم الرازى: حال هذه المسألة عجيبة فإن الناس كانوا فيها مختلفين أبدا بسبب أن ما يمكن الرجوع إليه فيها متعارضة متدافعة، فمعول الجبرية على أنه لا بد لترجيح الفعل على الترک من مرجح ليس من العبد، و معول القدرية على أن العبد لو لم يكن قادرا على فعله لما حسن المدح و الذم و الأمر و النهى، و هما مقدمتان بديهيتان.

ثم من الدلائل العقلية اعتماد الجبرية على أن تفاصيل أحوال الأفعال غير معلومة للعبد، و اعتماد القدرية على أن أفعال العباد واقعة على وفق قصودهم و دواعيهم و هما متعارضان، و من الإلزامات الخطابية أن القدرة على الإيجاد كما لا يليق بالعبد الذى هو منبع النقصان، فإن أفعال العباد يكون سفها و عبثا فلا يليق المتعالى عن النقصان، و أما الدلائل السمعية فالقرآن مملوء مما يوهم بالأمرين، و كذا الآثار و أن أمة من الأمم لم تكن خالية من الفرقتين، و كذا الأوضاع و الحكايات متدافعة من الجانبين، حتى قيل: إن وضع النرد على الجبر و وضع الشطرنج على القدر، إلا أن مذهبنا أقوى بسبب أن القدح فى قولنا لا يترجح الممكن إلا بمرجح [لا] يوجب انسداد باب إثبات الصانع.

و نحن نقول: الحق ما قال بعض أئمة الدين: أنه لا جبر و لا تفويض و لكن أمر بين أمرين، و ذلک لأن مبنى المبادئ القريبة لأفعال العبد على قدرته و اختياره، و المبادئ البعيدة على عجزه و اضطراره، فإن الإنسان مضطر فى صورة مختار، كالقلم فى يد الكاتب، و الوتد فى شق الحائط، و فى كلام بعض العقلاء: قال الحائط للوتد:

لم تشقنى؟ قال: سل من يدقنى" انتهى" و إنما أوردت كلامه لبيان حيرتهم و اعترافه بالأمر بين الأمرين، و إن لم يبين معناه على وجه يرفع الإشكال من البين.

11 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ یُونُسَ عَنْ عِدَّةٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ جُعِلْتُ فِدَاکَ أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَی الْمَعَاصِی فَقَالَ اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ یُجْبِرَهُمْ عَلَی الْمَعَاصِی ثُمَّ یُعَذِّبَهُمْ عَلَیْهَا فَقَالَ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ فَفَوَّضَ اللَّهُ إِلَی الْعِبَادِ- قَالَ فَقَالَ لَوْ فَوَّضَ إِلَیْهِمْ لَمْ یَحْصُرْهُمْ بِالْأَمْرِ وَ النَّهْیِ فَقَالَ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ فَبَیْنَهُمَا مَنْزِلَةٌ قَالَ فَقَالَ نَعَمْ أَوْسَعُ مَا بَیْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ

12 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ وَ غَیْرُهُ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا ع إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا یَقُولُ بِالْجَبْرِ وَ بَعْضَهُمْ یَقُولُ بِالاسْتِطَاعَةِ قَالَ فَقَالَ لِی اکْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* قَالَ عَلِیُّ بْنُ الْحُسَیْنِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ یَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِیئَتِی کُنْتَ أَنْتَ الَّذِی تَشَاءُ وَ بِقُوَّتِی أَدَّیْتَ إِلَیَ

: مرسل كالصحيح.
و يظهر منه أن التفويض هو إهمال العباد و عدم توجه الأمر و النهى إليهم، و لذا قال بعضهم: التفويض غير معنى القدر و الجبر المقابل لكل منهما معنى آخر، و أقول: يحتمل أن يكون المراد لو كان أهملهم بعد الأمر و النهى و لم يوجه إليهم الألطاف و التوفيقات، لكان إهمالهم مطلقا أولى، و الحاصل أن أمرهم و نهيهم و إرسال الرسل إليهم دليل على أنه سبحانه متوجه إلى إصلاحهم، معتن بشأنهم ليوصلهم إلى ما يستحقونه من الدرجات، و إهمالهم حينئذ ينافى ذلک الغرض، فيكون قريبا من دليل اللطف المتقدم، و قيل: أى لم يحصرهم بسلطنته و ملكه و يلزم خروجهم باعتبار التفويض من سلطان الله تعالى، و لما كانت السلطنة علة للأمر و النهى فعبر عنها بهما مجازا تسمية للسبب باسم المسبب، و لا يخفى بعده، و قيل: أى التفويض مستلزم للعجز، و العاجز غير قابل للربوبية و الأمر و النهى، و هو قريب من الأول مضمونا و بعدا.

الحديث الثانى عشر

: ضعيف على المشهور، و الاستطاعة تطلق على ثلاثة معان" الأول" القدرة الزائدة على ذات القادر" الثانى" آلة تحصل معها القدرة على الشىء

فَرَائِضِی وَ بِنِعْمَتِی قَوِیتَ عَلَی مَعْصِیَتِی جَعَلْتُکَ سَمِیعاً بَصِیراً ما أَصابَکَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَکَ مِنْ سَیِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِکَ وَ ذَلِکَ أَنِّی أَوْلَی بِحَسَنَاتِکَ مِنْکَ وَ أَنْتَ أَوْلَی بِسَیِّئَاتِکَ مِنِّی وَ ذَلِکَ أَنِّی لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ قَدْ نَظَمْتُ لَکَ کُلَّ شَیْءٍ تُرِیدُ

13 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ حُسَیْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ یَحْیَی عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ لَا جَبْرَ وَ لَا تَفْوِیضَ وَ لَکِنْ أَمْرٌ بَیْنَ أَمْرَیْنِ قَالَ قُلْتُ وَ مَا أَمْرٌ بَیْنَ أَمْرَیْنِ قَالَ مَثَلُ ذَلِکَ رَجُلٌ رَأَیْتَهُ عَلَی مَعْصِیَةٍ فَنَهَیْتَهُ فَلَمْ یَنْتَهِ فَتَرَکْتَهُ فَفَعَلَ تِلْکَ الْمَعْصِیَةَ- فَلَیْسَ حَیْثُ لَمْ یَقْبَلْ مِنْکَ فَتَرَکْتَهُ کُنْتَ أَنْتَ الَّذِی أَمَرْتَهُ بِالْمَعْصِیَةِ

14 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِیِّ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ اللَّهُ أَکْرَمُ مِنْ أَنْ یُکَلِّفَ النَّاسَ مَا لَا یُطِیقُونَ وَ اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ یَکُونَ فِی سُلْطَانِهِ مَا لَا یُرِیدُ

کالزاد و الراحلة و تخلیة السرب و صحة البدن فی الحج" الثالث" التفویض مقابل الجبر و هو المراد ههنا، و قوله: قد نظمت، کلام الرضا علیه السلام و یحتمل السجاد علیه السلام أیضا لکنه بعید، و قد مر الکلام فی الخبر فی باب المشیة و الإرادة.

الحديث الثالث عشر

: مرسل و يدل على أن الأمر بين الأمرين هو مدخليته سبحانه فى أعمال العباد بالتوفيق و الخذلان كما سيأتى.

الحديث الرابع عشر

: صحيح.
قوله عليه السلام: ما لا يطيقون، أى ما لا يكون الإتيان به مقدورا لهم، و يكونون مجبورين على خلافه كما تقوله الجبرية.
قوله: ما لا يريده، أي و لو بالعرض كما مر أو يريد خلافه.
فذلكة اعلم أن مسألة خلق الأعمال من أعظم المسائل الإسلامية و أصعبها و أهمها، و قد جرى بين الإمامية و المعتزلة و الأشاعرة فى ذلک مناقشات طويلة و مباحثات كثيرة،

و قد صنع أكثرهم فى ذلک رسائل مفردة، و الذى يتحصل من مذاهبهم أن أفعال العباد دائرة بحسب الاحتمال العقلى بين أمور:
الأول: أن يكون حصولها بقدرة الله و إرادته من غير مدخل لقدرة العبد فيه و إرادته.
الثانى: أن يكون بقدرة العبد و إرادته من غير مدخل لقدرة الله تعالى و إرادته فيه، أى بلا واسطة، إذ لا ينكر عاقل أن الأقدار و التمكين مستندان إليه تعالى، إما ابتداء أو بواسطة.
الثالث: أن يكون حصولها بمجموع القدرتين، و ذلک بأن يكون المؤثر قدرة الله بواسطة قدرة العبد أو بالعكس، أو يكون المؤثر مجموعها من غير تخصيص إحداهما بالمؤثرية، و الأخرى بالآلية، و ذهب إلى كل من تلک الاحتمالات ما خلا الاحتمال الثانى من محتملات الشق الثالث طائفة.
أما الأول ففيه قولان:" الأول" مذهب الجبرية البحتة و هم جهم بن صفوان و أتباعه، حيث ذهبوا إلى أن الفعل من الله سبحانه بلا تأثير لإرادة العبد و قدرته فيه و لا كسب، بل لا فرق عندهم بين مشى زيد و حركة المرتعش، و لا بين الصاعد إلى السطح و الساقط منه،" و الثانى" مذهب أبى الحسن الأشعرى و أتباعه فإنهم لما رأوا شناعة قول الجهمية فروا منه بما لا ينفعهم و قالوا: أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله وحده، و ليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه أجرى عادته بأنه يوجد فى العبد قدرة و اختيارا، فإذا لم يكن هناک مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنا لهما، فيكون فعل العبد مخلوقا لله إبداعا و إحداثا و مكسوبا للعبد، و المراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته و إرادته من غير أن يكون هناک منه تأثير أو مدخل فى وجوده سوى كونه محلا له، و قالوا: نسبة الفعل إلى العبد باعتبار قيامه به لا باعتبار إيجاده له،

فالقائم و الآكل و الشارب عندهم بمنزلة الأسود و الأبيض.
و الثانى و هو استقلال العبد فى الفعل مذهب أكثر الإمامية و المعتزلة، فإنهم ذهبوا إلى أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرتهم، لكن أكثر المعتزلة قائلون بوجوب الفعل بعد إرادة العبد، و بعضهم قالوا: بعدم وجوب الفعل بل يصير أولى، قال المحقق الطوسى (قدس سره): ذهب مشايخ المعتزلة و أبو الحسين البصرى و إمام الحرمين من أهل السنة إلى أن العبد له قدرة قبل الفعل و إرادة بها تتم مؤثريته، فيصدر عنه الفعل، فيكون العبد مختارا إذ كان فعله بقدرته الصالحة للفعل و الترک، و تبعا لداعيه الذى هو إرادته، و الفعل يكون بالقياس إلى القدرة وحدها ممكنا و بالقياس إليها مع الإرادة يصير واجبا، و قال المحمود الملاحمى و غيره من المعتزلة:
إن الفعل عند وجود القدرة و الإرادة يصير أولى بالوجود حذرا من أن يلزمهم القول بالجبر لو قالوا بالوجوب، و ليس ذلک بشىء لأن مع حصول الأولوية إن جاز له الطرف الآخر لما كانت الأولوية بأولوية، و إن لم يجز فهو الواجب و إنما غيروا اللفظ دون المعنى" انتهى".
و اختلف فى نسبة احتمالى الشق الثالث و تحقيقهما، ففى المواقف و شرحه: أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها، و قالت المعتزلة: بقدرة العبد وحدها على سبيل الاستقلال بلا إيجاب بل باختيار، و قالت طائفة بالقدرتين، ثم اختلفوا فقال الأستاد، يعنى أبا إسحاق الإسفرائينى: بمجموع القدرتين، على أن تتعلقا جميعا بالفعل نفسه و جوز اجتماع المؤثرين على أثر واحد، و قال القاضى، يعنى الباقلانى:
على أن تتعلق قدرة الله بأصل الفعل و قدرة العبد بصفته أعنى كونه طاعة و معصية، إلى غير ذلک من الأوصاف التى لا يوصف بها أفعاله تعالى كما فى لطم اليتيم تأديبا أو إيذاء فإن ذات اللطم واقعة بقدرة الله و تأثيره، و كونه طاعة على الأول و معصية على الثانى بقدرة العبد و تأثيره، و قالت الحكماء و إمام الحرمين: هى واقعة على سبيل

الوجوب و امتناع التخلف بقدرة يخلقها الله فى العبد إذا قارنت حصول الشرائط و ارتفاع الموانع، و الضابط فى هذا المقام أن المؤثر إما قدرة الله أو قدرة العبد على الانفراد كمذهبى الأشعرى و جمهور المعتزلة، أو هما معا و ذلک إما مع اتحاد المتعلقين كمذهب الأستاد منا و النجار من المعتزلة، أو دونه و حينئذ فإما مع كون إحداهما متعلقة للأخرى، و لا شبهة فى أنه ليس قدرة الله متعلقة لقدرة العبد، إذ يستحيل تأثير الحادث فى القديم، فتعين العكس و هو أن تكون قدرة العبد صادرة عن قدرة الله و موجبة للفعل، و هو قول الإمام و الفلاسفة، و إما بدون ذلک و هو مذهب القاضى لأن المفروض عدم اتحاد المتعلقين" انتهى". و اعترض عليه المولى جمال الدين محمود و غيره: بأن جعل المذهب المنسوب إلى الإمام و الفلاسفة كون المؤثر مجموع القدرتين دون مذهب المعتزلة تحكم بحت إذ لا فرق بين هذين المذهبين فى أن المؤثر الحقيقى فى الفعل هو قدرة العبد، و تلک القدرة الحادثة مخلوقة للقدرة القديمة الإلهية، ثم قال: الصواب فى الضبط أن يقال المؤثر إما قدرة الله تعالى وحدها و هو مذهب الشيخ الأشعرى، و إما قدرة العبد وحدها و هو مذهب جمهور المعتزلة و الإمام و الفلاسفة، و إما هما معا أما مع اتحاد المتعلقين و هو مذهب الأستاد، أو بدون ذلک بأن تتعلق القدرة القديمة بنفس الفعل و الحادثة بصفته، و هو مذهب القاضى" انتهى".

ثم اعلم أن هذا المذهب الذى نسبوا إلى الحكماء من أن العلة القريبة للفعل الاختيارى إنما هو العبد و قدرته، لكن قدرته مخلوقة لله و إرادته حاصلة بالعلل المترتبة منه تعالى قول بعضهم، و قال جم غفير منهم: لا مؤثر فى الوجود إلا الله، و موجد أفعال العباد هو الله سبحانه، و قالوا: إن الفعل كما يسند إلى الفاعل كإسناد البناء إلى البناء قد يسند إلى الشرط كإسناد الإضاءة إلى الشمس و السراج مثلا فبعض الأفعال الصادرة عن الطبائع النوعية كالحركات الطبيعية و القسرية و الأفعال

الاختيارية للإنسان و غيره بل الأفعال الصادرة عن النفوس الفلكية و العقول المجردة بناء على القول بوجودهما، فكل من هذه الأمور لا سيما إرادة النفوس الحيوانية و الإنسانية و الفلكية بل العقول مع عدم المانع شرط و واسطة لصدور تلك الأفعال من مفيض الوجود، و إسنادها إلى تلك المبادئ من قبيل إسناد الفعل إلى الشرائط و الوسائط، لا إلى الفاعل و الموجد، و هذا قريب من مذهب الأشاعرة.

إذا عرفت هذه المذاهب فاعلم أن تأثير قدرة العبد و إرادته فى الأفعال الاختيارية من أجلى البديهيات و سخافة مذاهب الأشاعرة و من يحذو حذوهم لا يحتاج إلى بيان و بطون الأوراق و الصحف و الزبر من علمائنا و المخالفين مشحونة بذلک.

قال العلامة الحلى قدس الله روحه: الإمامية قسموا الأفعال إلى ما يتعلق بقصودنا و دواعينا و إرادتنا و اختيارنا بحركتنا الاختيارية الصادرة عنا، كالحركة يمنة و يسرة، و إلى ما لا يتعلق بقصودنا و دواعينا و إرادتنا و اختيارنا كالآثار التى فعلها الله تعالى من الألوان و حركة النمو و التغذية و النبض و غير ذلک، و هو مذهب الحكماء، و الحق أنا نعلم بالضرورة أنا فاعلون، يدل عليه العقل و النقل، أما العقل فإنا نعلم بالضرورة الفرق بين حركتنا الاختيارية و الاضطرارية و حركة الجماد و نعلم بالضرورة قدرتنا على الحركة الأولى كحركتنا يمنة و يسرة، و عجزنا عن الثانية كحركتنا إلى السماء و حركة الواقع من شاهق، و انتفاء قدرة الجماد، و من أسند الأفعال إلى الله تعالى ينفى الفرق بينهما، و يحكم بنفى ما قضت الضرورة بثبوته، و قال أبو الهزيل العلاف:- و نعم ما قال- حمار بشر أعقل من بشر، فإن حمار بشر لو أتيت به إلى جدول صغير و ضربته للعبور فإنه يظفر، و لو أتيت به إلى جدول كبير و ضربته فإنه لا يظفر و يروع عنه، لأنه فرق بين ما يقدر عليه و بين ما لا يقدر عليه و بشر لا يفرق بين المقدور له و غير المقدور له" انتهى".

و إذا كان الحكم بذلک ضروريا فالشبه الموردة فى مقابلة ذلک لا يصغى إليها

و إن كانت قوية، و كثير من أحوال الإنسان و أموره إذا أمعن النظر فيها يصل إلى حد يتحير العقل فيها، كحقيقة النفس و كيفية الإبصار مع كونهما أقرب الأشياء إليه، لا يمكنه الوصول إلى حقيقة ذلک، و ينتهى التفكر فيها إلى حد التحير و ليس ذلک سببا لأن ينفى وجودهما و تحققهما فيه، و لا نطيل الكلام بإيراد الدلائل و دفع الشبهات، فإن هذا الكتاب ليس محل إيرادها، و إنما نومئ إلى بعض مسائل الكلامية إجمالا لتوقف فهم الأخبار التى نحن بصدد شرحها عليه.

ثم اعلم أن الحق أن المعتزلة أيضا خرجوا من الحق للإفراط من الجانب الآخر، فإنهم يذهبون إلى أنه تعالى لا مدخلية له فى أعمال العباد أصلا، سوى خلق الآلات و التمكين و الأقدار حتى أن بعض المعتزلة قالوا: إن الله لا يقدر على عين مقدور العبد، و بعضهم قالوا: لا يقدر على مثله أيضا، فهم عزلوا الله عن سلطانه، و كأنهم أخرجوا الله من ملكه و أشركوا من حيث لا يعلمون، و الأخبار الواردة ينفى مذهب هؤلاء و ذمهم أكثر من الأخبار الدالة على ذم الجبرية و نفى مذهبهم، و فى أكثر الأخبار أطلقت القدرية عليهم كما عرفت، و أطلقوا عليهم المفوضة، فهم عليه السلام نفوا و أبطلوا الجبر و التفويض معا، و أثبتوا الأمر بين الأمرين و هو أمر غامض دقيق و للناس فى تحقيق ذلک مسالک:

الأول: ما ذكره الشيخ الأجل المفيد طيب الله رمسه حيث قال فى تحقيق الأمر بين الأمرين: الجبر هو الحمل على الفعل و الاضطرار إليه بالقسر و الغلبة، و حقيقة ذلک إيجاد الفعل فى الخلق من غير أن تكون له قدرة على دفعه، و الامتناع من وجوده فيه، و قد يعبر عما يفعله الإنسان بالقدرة التى معه على وجه الإكراه له على التخويف و الإلجاء أنه جبر، و الأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسبما قدمناه، و إذا تحقق القول فى الجبر على ما وصفناه، كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه لأنهم يزعمون الله تعالى خلق فى العبد الطاعة من غير أن يكون

للعبد قدرة على ضدها، و الامتناع منها، و خلق فيه المعصية كذلک، فهم المجبرة حقا و الجبر مذهبهم على التحقيق، و التفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق فى الأفعال و الإباحة لهم مع ما شاءوا من الأعمال، و هذا قول الزنادقة و أصحاب الإباحات و الواسطة بين القولين أن الله أقدر الخلق على أفعالهم و مكنهم من أعمالهم و حد لهم الحدود فى ذلک و رسم لهم الرسوم، و نهاهم عن القبائح بالزجر و التخويف، و الوعد و الوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبرا لهم عليها، و لم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها، و وضع الحدود لهم فيها و أمرهم بحسنها و نهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر و التفويض" انتهى" و أقول هذا معنى حق لكن تنزيل الأخبار عليه لا يخلو من بعد.

الثانى: ما ذكره بعض السالكين مسلک الفلاسفة حيث قال: فعل العبد واقع بمجموع القدرتين و الإرادتين، و التأثيرين من العبد و من الرب سبحانه، و العبد لا يستقل فى إيجاد فعله بحيث لا مدخل لقدرة الله فيه أصلا، بمعنى أنه أقدر العبد على فعله بحيث يخرج عن يده أزمة الفعل المقدور للعبد مطلقا، كما ذهب إليه المفوضة أو لا تأثير لقدرته فيه و إن كان قادرا على طاعة العاصى جبرا، لعدم تعلق إرادته بجبره فى أفعاله الاختيارية كما ذهب إليه المعتزلة، و هذا أيضا نحو من التفويض، و قول بالقدر و بطلانه ظاهر، كيف و لقدرة خالق العبد و موجده تأثير فى فعل العبد بلا شبهة كما يحكم به الحدس الصائب، و ليس قدرة العبد بحيث لا تأثير له فى فعله أصلا سواء كانت كاسبة كما ذهب إليه الأشعرى، و يؤول مذهبه إلى الجبر كما يظهر بأدنى تأمل أم لا تكون كاسبة أيضا بمعنى أن لا تكون له قدرة و اختيار أصلا بحيث لا فرق بين مشى زيد و حركة المرتعش كما ذهب إليه الجبرية و هم الجهمية، و قال: هذا معنى الأمر بين الأمرين، و معنى قول الحكماء الإلهيين: لا مؤثر فى الوجود إلا الله، فمعناه أنه لا يوجد شىء إلا بإيجاده تعالى و تأثيره فى وجوده، بأن يكون فاعلا قريبا له،

سواء كان بلا مشاركة تأثير غيره فيه كما فى أفعاله سبحانه كخلق زيد مثلا، أو بمشاركة تأثير غيره فيه كخلقه فعل زيد مثلا، فجميع الكائنات حتى أفعال العباد بمشيته تعالى و إرادته و قدره، أى تعلق إرادته و قضاؤه، أى إيجاده و تأثيره فى وجوده، و لما كانت مشية العبد و إرادته و تأثيره فى فعله بل تأثير كل واحد من الأمور المذكورة آنفا فى أفعاله جزءا أخيرا للعلة التامة لأفعاله، و إنما يكون تحقق الفعل و الترک مع وجود ذلک التأثير و عدمه فينتفى صدور القبيح عن الله تعالى، بل إنما يتحقق بالمشية و الإرادة الحادثة، و بالتأثير من العبد الذى هو متمم للعلة التامة، و مع عدم تأثير العبد و الكف عنه بإرادته و اختياره لا يتحقق فعله بمجرد مشية الله تعالى و إرادته و قدره، بل لا يتحقق مشية و إرادة و تعلق إرادة منه تعالى بذلک الفعل، و لا يتعلق جعله و تأثيره فى وجود ذلک الفعل مجردا عن تأثير العبد فحينئذ الفعل لا سيما القبيح مستند إلى العبد، و لما كان مراده تعالى من إقدار العبد فى فعله و تمكينه له فيه صدور الأفعال عنه باختياره و إرادته، إذا لم يكن مانع أى فعل أراد و اختار من الإيمان و الكفر و الطاعة و المعصية، و لم يرد منه خصوص شىء من الطاعة و المعصية، و لم يرد جبره فى أفعاله ليصح تكليفه لأجل المصلحة المقتضية له، و لا يعلم تلک المصلحة إلا الله تعالى و كلفه بعد ذلک الأقدار بإعلامه بمصالح أفعاله و مفاسده فى صورة الأمر و النهى، لأنهما من الله تعالى من قبيل أمر الطبيب للمريض بشرب الدواء النافع، و نهيه عن أكل غذاء الضار، و ذلک ليس بأمر و نهى حقيقة، بل إعلام بما هو نافع و ضار له، فمن صدور الكفر و العصيان عن العبد بإرادته المؤثرة و استحقاقه بذلک العقاب، لا يلزم أن يكون العبد غالبا عليه تعالى، و لا يلزم عجزه تعالى، كما لا يلزم غلبة المريض على الطبيب، و لا عجز الطبيب إذا خالفه المريض و هلک، و لا يلزم أن يكون فى ملكه أمر لا يكون بمشيته تعالى و إرادته، و لا يلزم الظلم فى عقابه، لأنه فعل القبيح بإرادته المؤثرة، و طبيعة ذلک الفعل توجب أن يستحق فاعله العقاب،

و لما كان مع ذلک الإعلام من الأمر و النهی بوساطة الحجج البینة اللطف و التوفیق فی الخیرات و الطاعات من الله جل ذکره، فما فعل الإنسان من حسنة فالأولی أن یسند و ینسب إلیه تعالی، لأن مع أقداره و تمکینه له و توفیقه للحسنات أعلمه بمصالح الإتیان بالحسنات، و مضار ترکها و الکف عنها بأوامره، و ما فعله من سیئة فمن نفسه، لأنه مع ذلک أعلمه بمفاسد الإتیان بالسیئات و منافع الکف عنها بنواهیه و هذا من قبیل إطاعة الطبیب و مخالفته، فإنه من أطاعه و برىء من المرض یقال له:
عالجه الطبیب و صیره صحیحا، و من خالفه و هلک یقال له: أهلک نفسه بمخالفته للطبیب، فظهر إسناد الحسنات إلی الله تعالی و إسناد السیئات إلی العبد، فهذا معنی الأمر بین الأمرین و ینطبق علیه الآیات و الأخبار من غیر تکلف" انتهی" و هذا المحقق و إن بالغ فی التدقیق و التوفیق بین الأدلة لکن یشکل القول بتأثیره سبحانه فی القبائح و المعاصی مع مفاسد أخر ترد علیه، ذکرها یفضی إلی الإطناب.
الثالث: ما ذکره أیضا أکثر السالکین مسلک الفلاسفة و نسب إلی المحقق الطوسی أیضا حیث قالوا: قد ثبت أن ما یوجد فی هذا العالم فقد قدر بهیئته و زمانه فی عالم آخر فوق هذا العالم قبل وجوده، و قد ثبت أن الله تعالی قادر علی جمیع الممکنات و لم یخرج شیء من الأشیاء عن مصلحته و علمه و قدرته و إیجاده بواسطة أو بغیر واسطة و إلا لم یصلح لمبدئیة الکل، فالهدایة و الضلال و الإیمان و الکفر و الخیر و الشر و النفع و الضرر و سائر المتقابلات کلها منتهیة إلی قدرته و تأثیره و علمه و إرادته و مشیته بالذات أو بالعرض، و أفعالنا کسائر الموجودات و أفاعیلها بقضائه و قدره و هی واجبة الصدور بذلک منا، و لکن بتوسط أسباب و علل من إدراکنا و إرادتنا و حرکاتنا و سکناتنا و غیر ذلک من الأسباب العالیة الغائبة عن علمنا، و تدبیرنا الخارجة عن قدرتنا و تأثیرنا، فاجتماع تلک الأمور التی هی الأسباب و الشرائط مع ارتفاع الموانع علة تامة یجب عندها وجود ذلک الأمر المدبر و المقضی المقدر، و عند تخلف شیء

منها أو حصول مانع بقى وجوده فى حيز الامتناع، و يكون ممكنا وقوعيا بالقياس إلى كل واحد من الأسباب الكونية.
و لما كان من جملة الأسباب و خصوصا القريبة منها إرادتنا و تفكرنا و تخيلنا و بالجملة ما نختار به أحد طرفى الفعل و الترک فالفعل اختيارى لنا فإن الله أعطانا القوة و القدرة و الاستطاعة ليبلونا أينا أحسن عملا، مع إحاطة علمه، فوجوبه لا ينافى إمكانه و اضطراريته لا تدافع كونه اختياريا كيف و أنه ما وجب إلا باختياره و لا شک أن القدرة و الاختيار كسائر الأسباب من الإدراک و العلم و الإرادة و التفكر و التخيل و قواها و آلاتها كلها بفعل الله تعالى لا بفعلنا و اختيارنا، و إلا لتسلسلت القدر و الإرادات إلى غير النهاية، و ذلک لأنا و إن كنا بحيث إن شئنا فعلنا، و إن لم نشأ لم نفعل، لكنا لسنا بحيث إن شئنا شئنا، و إن لم نشأ لم نشأ، بل إذا شئنا فلم تتعلق مشيتنا بمشيتنا بل بغير مشيتنا فليست المشية إلينا، إذ لو كانت إلينا أ إلى مشية أخرى سابقه، و تسلسل الأمر إلى غير النهاية، و مع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول: مشياتنا الغير المتناهية بحيث لا تشذ عنها مشية لا يخلو إما أن يكون وقوعها بسبب أمر خارج عن مشيتنا أو بسبب مشيتنا، و الثانى باطل لعدم إمكان مشية أخرى خارجة عن تلک الجملة، و الأول هو المطلوب، فقد ظهر أن مشيتنا ليست تحت قدرتنا كما قال الله عز و جل:" وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ*" فإذا نحن فى مشيتنا مضطرون و إنما تحدث المشية عقيب الداعى، و هو تصور الشىء الملائم تصورا ظنيا أو تخيليا أو علميا، فإذا أدركنا شيئا فإن وجدنا ملائمته أو منافرته لنا دفعة بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منا شوق إلى جذبه أو دفعه، و تأكد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمى بالإرادة، و إذا انضمت إلى القدرة التى هى هيئة للقوة الفاعلة انبعثت تلک القوة لتحريک الأعضاء الأدوية من العضلات و غيرها،

فيحصل الفعل فإذا تحقق الداعى للفعل الذى تنبعث منه المشية تحققت المشية، و إذا تحققت المشية التى تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة، و لم يكن لها سبيل إلى المخالفة، فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة، و القدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية و المشية تحدث ضرورة فى القلب عقيب الداعى، فهذه ضروريات يترتب بعضها على بعض، و ليس لنا أن ندفع وجود شىء منها عند تحقق سابقه، فليس يمكن لنا أن ندفع المشية عند تحقق الداعى للفعل، و لا انصراف القدرة عن المقدور بعدها، و فنحن مضطرون فى الجميع، و نحن فى عين الاختيار مجبورون على الاختيار" انتهى".

و الظاهر أن هذا عين الجبر، و ليس من الأمر بين الأمرين فى شىء، و احتياج الإرادة إلى إرادة أخرى ممنوع، و تفصيل الكلام فى ذلک يحتاج إلى تمهيد مقدمات و إيراد إشكالات و أجوبة تفضى إلى التطويل، مع أن أمثال هذه شبه فى مقابلة البديهة و لا وقع بمثلها.

و مثل هذا التوجيه ما قيل: أنه لا دخل لإرادة العبد فى الإيجاب، بل هى من الشروط التى بها يصير المبدأ بإرادته موجبا تاما مستجمعا لشرائط التأثير، و هذا القدر كاف لوقوع فعل العبد بإرادته، و كونه مستندا إليها و عملا له.

و ما قيل: أن لإرادة العبد مدخلية فى الإيجاب لا بالمشاركة فيه، بل بأنه أراد وقوع مراد العبد و أوجبه على أنه مراده، فلها مدخلية فى الإيجاب لا بالمشاركة فيه، و بهذه المدخلية ينسب الفعل إلى العبد و يكون عملا له، فهذان الوجهان و أضرابها مما تركنا ذكرها حذرا من الإطالة مشتركة فى عدم رفع المفاسد، و عدم إيصال طالب الحق إلى المقاصد.

الرابع: ما ذكره الفاضل الأسترآبادى رحمه الله تعالى حيث قال: معنى الأمر بين الأمرين أنهم ليسوا بحيث ما شاءوا صنعوا بل فعلهم معلق على إرادة حادثة متعلقة

بالتخلية أو بالصرف، و فى كثير من الأحاديث أن تأثير السحر موقوف على أذنه تعالى و كان السر فى ذلک أنه لا يكون شىء من طاعة أو معصية أو غيرهما كالأفعال الطبيعية إلا بإذن جديد منه تعالى، فتوقف حينئذ كل حادث على الإذن توقف المعلول على شروطه، لا توقفه على سببه.
أقول: و هذا معنى يشبه الحق و سنشير إليه.
الخامس: أن يكون الجبر المنفى ما ذهب إليه الأشعرى و الجهمية، و التفويض المنفى هو كون العبد مستقلا فى الفعل، بحيث لا يقدر الرب تعالى على صرفه عنه كما ينسب إلى بعض المعتزلة، و الأمر بينهما هو أنه جعلهم مختارين فى الفعل و الترک مع قدرته على صرفهم عما يختارون.
السادس: أن يقال: الأمر بين الأمرين هو أن الأسباب القريبة للفعل بقدرة العبد، و الأسباب البعيدة كالآلات و الأدوات و الجوارح و الأعضاء و القوى بقدرة الله سبحانه، فقد حصل الفعل بمجموع القدرتين.
و فيه: أن التفويض بهذا المعنى لم يقل به أحد حتى يحتاج إلى نفيه.
السابع: أن المراد بالأمر بين الأمرين كون بعض الأشياء باختيار العبد و هى الأفعال التكليفية، و بعضها بغير اختياره كالصحة و المرض و النوم و اليقظة و أشباهها.
و يرد عليه ما أوردنا على الوجه السابق.
الثامن: أن التفويض المنفى هو تفويض الخلق و الرزق و تدبير العالم إلى العباد كقول الغلاة فى الأئمة عليه السلام، و يؤيده ما رواه الصدوق فى العيون بإسناده عن يزيد بن عمير قال: دخلت على على بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقلت: يا بن رسول الله روى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: لا جبر و لا تفويض، أمر بين أمرين فما معناه؟ فقال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، و من

زعم أن الله عز و جل فوض أمر الخلق و الرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر، و القائل بالتفويض مشرک، فقلت له: يا بن رسول الله، فما أمر بين أمرين؟ فقال: وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به، و ترک ما نهوا عنه، فقلت له: فهل لله عز و جل مشية و إرادة فى ذلک؟ فقال: أما الطاعات فإرادة الله و مشيته فيها الأمر بها و الرضا لها، و المعاونة عليها، و إرادته و مشيته فى المعاصى النهى عنها و السخط لها و الخذلان عليها، قلت: فلله عز و جل فيها القضاء؟ قال: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير و شر إلا و لله فيه قضاء، قلت: فما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب و العقاب فى الدنيا و الآخرة.

التاسع: ما ظهر لنا من الأخبار المعتبرة المأثورة عن الصادقين عليهم السلام، و هو أن الجبر المنفى قول الأشاعرة و الجبرية كما عرفت، و التفويض المنفى هو قول المعتزلة إنه تعالى أوجد العباد و أقدرهم على أعمالهم و فوض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيتهم و قدرتهم، و ليس لله سبحانه فى أعمالهم صنع.

و أما الأمر بين الأمرين فهو أن لهداياته و توفيقاته تعالى مدخلا فى أفعالهم بحيث لا يصل إلى حد الإلجاء و الاضطرار، كما أن لخذلانه سبحانه مدخلا فى فعل المعاصى و ترک الطاعات، لكن لا بحيث ينتهى إلى حد لا يقدر معه على الفعل أو الترک، و هذا أمر يجده الإنسان من نفسه فى أحواله المختلفة، و هو مثل أن يأمر السيد عبده بشىء يقدر على فعله و فهمه ذلک، و وعده على فعله شيئا من الثواب و على تركه قدرا من العقاب، فلو اكتفى من تكليف عبده بذلک و لم يزد عليه مع علمه بأنه لا يفعل الفعل بمحض ذلک، لم يكن لوما عند العقلاء لو عاقبه على تركه، و لا ينسب عندهم إلى الظلم، و لا يقول عاقل أنه أجبره على ترک الفعل، و لو لم يكتف السيد بذلک و زاد فى ألطافه و الوعد بإكرامه و الوعيد على تركه، و أكد ذلک ببعث من يحثه على الفعل و يرغبه فيه و يحذره على الترک، ثم فعل ذلک الفعل بقدرته و اختياره فلا

يقول عاقل أنه جبره على الفعل، و أما فعل ذلک بالنسبة إلى قوم و تركه بالنسبة إلى آخرين فيرجع إلى حسن اختيارهم و صفاء طويتهم أو سوء اختيارهم و قبح سريرتهم أو إلى شىء لا يصل إليه علمنا، فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه سبحانه، بأن يقال: جبرهم على المعاصى ثم عذبهم عليها، كما يلزم الأولين، و لا عزله تعالى من ملكه و استقلال العباد، بحيث لا مدخل لله فى أفعالهم، فيكونون شركاء لله فى تدبير عالم الوجود كما يلزم الآخرين.

و يدل على هذا الوجه أخبار كثيرة كالخبر الأول لا سيما مع التتمة التى فى الاحتجاج، و الخبر الثامن و الثالث عشر من هذا الباب، بل أكثر أبواب هذا الباب، و الأبواب السابقة و اللاحقة، و به يمكن رفع التنافى بينها كما أومأنا إليه فى بعضها، و قد روى فى الاحتجاج و تحف العقول فيما أجاب به أبو الحسن العسكرى عليه السلام فى رسالته إلى أهل الأهواز حيث قال عليه السلام: قال الصادق عليه السلام: لا جبر و لا تفويض، أمر بين أمرين، قيل: فما ذا يا بن رسول الله؟ قال: صحة العقل و تخلية السرب، و المهلة فى الوقت، و الزاد قبل الراحلة، و السبب المهيج للفاعل على فعله، فهذه خمسة أشياء، فإذا نقض العبد منها خلة كان العمل عنه مطرحا بحسبه و أنا أضرب لكل باب من هذه الأبواب الثلاثة و هى الجبر و التفويض و المنزلة بين المنزلتين مثلا يقرب المعنى للطالب و يسهل له البحث من شرحه، و يشهد به القرآن بمحكم آياته و تحقيق تصديقه عند ذوى الألباب و بالله العصمة و التوفيق.

ثم قال عليه السلام: فأما الجبر فهو قول من زعم أن الله عز و جل جبر العباد على المعاصى و عاقبهم عليها، و من قال بهذا القول فقد ظلم الله و كذبه و رد عليه قوله:

" وَ لا يَظْلِمُ رَبُّکَ أَحَداً" و قوله جل ذكره:" ذلِکَ بِما قَدَّمَتْ يَداکَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" مع آى كثيرة فى مثل هذا، فمن زعم أنه مجبور على المعاصى فقد

أحال بذنبه على الله عز و جل و ظلمه فى عقوبته له، و من ظلم ربه فقد كذب كتابه، و من كذب كتابه لزمه الكفر بإجماع الأمة.
و المثل المضروب فى ذلک مثل رجل ملک عبدا مملوکا لا يملک إلا نفسه، و لا يملک عرضا من عروض الدنيا، و يعلم مولاه ذلک منه، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها، و لا يملکه ثمن ما يأتيه به، و علم المالک أن على الحاجة رقيبا لا يطمع أحد فى أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن، و قد وصف مالک هذا العبد نفسه بالعدل و النصفة و إظهار الحکمة و نفى الجور، فأوعد عبده إن لم يأته بالحاجة أن يعاقبه، فلما صار العبد إلى السوق و حاول أخذ الحاجة التى بعثه المولى للإتيان بها وجد عليها مانعا يمنعه منها إلا بالثمن، و لا يملک العبد ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائبا بغير قضاء حاجته، فاغتاظ مولاه لذلک و عاقبه على ذلک، فإنه کان ظالما متعديا مبطلا لما وصف من عدله و حکمته و نصفته، و إن لم يعاقبه کذب نفسه، أ ليس يجب أن لا يعاقبه و الکذب و الظلم ينفيان العدل و الحکمة تعالى الله عما يقول المجبرة علوا کبيرا.
ثم قال عليه السلام بعد کلام طويل: فأما التفويض الذى أبطله الصادق عليه السلام و خطىء من دان به فهو قول القائل: إن الله فوض إلى العباد اختيار أمره و نهيه و أهملهم، و فى هذا کلام دقيق لم يذهب إلى غوره و دقته إلا الأئمة المهدية عليهم السلام من عترة آل الرسول صلى الله عليه و آله فإنهم قالوا: لو فوض الله إليهم على جهة الإهمال لکان لازما له رضا ما اختاروه و استوجبوا به من الثواب، و لم يکن عليهم فيما اجترموا العقاب، إذ کان الإهمال واقعا، فتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يکون العباد تظاهروا عليه فألزموه قبول اختيارهم بآرائهم ضرورة، کره ذلک أم أحبه فقد لزم الوهن، أو يکون جل و تقدس عجز عن تعبدهم بالأمر و النهى ففوض أمره و نهيه إليهم و أجراهما على محبتهم، إذ عجز عن تعبدهم بالأمر و النهى على إرادته، فجعل الاختيار إليهم فى

الكفر و الإيمان، و مثل ذلک مثل رجل ملک عبدا ابتاعه ليخدمه و يعرف له فضل ولايته و يقف عند أمره، و نهيه، و ادعى مالک العبد أنه قادر قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده و نهاه و وعده على اتباع أو أمره عظيم الثواب، و أوعده على معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكه و لم يقف عند أمره و نهيه، فأى أمر أمره به أو نهى نهاه عنه لم يأتمر على إرادة المولى، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه، و بعثه فى بعض حوائجه، و فيها الحاجة له، فصدر العبد بغير تلک الحاجة خلافا على مولاه، و قصد إرادة نفسه و اتبع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه فإذا هو خلاف ما أمره به، فقال العبد:

اتكلت على تفويضک الأمر إلى فاتبعت هواى و إرادتى، لأن المفوض إليه غير محصور عليه، لاستحالة اجتماع التفويض و التحصير.

ثم قال عليه السلام: من زعم أن الله فوض قبول أمره و نهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، و أوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير أو شر و أبطل أمر الله تعالى و نهيه، ثم قال: إن الله خلق الخلق بقدرته، و ملكهم استطاعة ما تعبدهم به من الأمر و النهى و قبل منهم اتباع أمره و رضى بذلک منهم، و نهاهم عن معصيته و ذم من عصاه و عاقبه عليها، و لله الخيرة فى الأمر و النهى، يختار ما يريد و يأمر به، و ينهى عما يكره، و يثيب و يعاقب بالاستطاعة التى ملكها عباده لاتباع أمره و اجتناب معاصيه، لأنه العدل و منه النصفة و الحكومة، بالغ الحجة بالأعذار و الإنذار، و إليه الصفوة يصطفى من يشاء من عباده، اصطفى محمدا صلى الله عليه و آله و بعثه بالرسالة إلى خلقه، و لو فوض اختيار أموره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن الصلت و أبى مسعود الثقفى، إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلى الله عليه و آله لما قالوا: لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" يعنونهما بذلک.

فهذا هو القول بين القولين ليس بجبر و لا تفويض، بذلک أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عباية بن ربعى الأسدى عن الاستطاعة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام

تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية، فقال له: قل يا عباية! قال: و ما أقول؟
قال: إن قلت تملكها مع الله قتلتک، و إن قلت تملكها من دون الله قتلتک، قال:
و ما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقول تملكها بالله الذى يملكها من دونک، فإن ملكها كان ذلک من عطائه، و إن سلبكها كان ذلک من بلائه، و هو المالک لما ملکک، و المالک لما عليه أقدرک، أ ما سمعت الناس يسألون الحول و القوة حيث يقولون: لا حول و لا قوة إلا بالله؟ فقال الرجل: و ما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا حول بنا عن معاصى الله إلا بعصمة الله، و لا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله، قال: فوثب الرجل و قبل يديه و رجليه، إلى آخر الخبر بطوله.
و أقول أكثر أجزاء هذا الخبر يدل على ما ذكرنا فى الوجه التاسع، و أما ما ذكر فى معنى التفويض، فيحتمل أن يكون راجعا إلى الوجه الأول، لكن الظاهر أن غرضه عليه السلام من نفى التفويض نفى ما ذكره المخالفون من تفويض اختيار الإمام عليه السلام و نصبه إلى الأمة و تفويض الأحكام إليهم بأن يحكموا فيها بآرائهم، و قياساتهم و استحساناتهم، و لهذا أجمل عليه السلام فى الكلام، و قال فى هذا كلام دقيق، و بين ذلک أخيرا بذكر قريش و اصطفائهم فلا تغفل.
فيمكن أن يعد هذا وجها عاشرا لنفى الجبر و التفويض، و إثبات الواسطة.
و يؤيد ما ذكرنا أيضا ما رواه الشيخ أبو الفتح الكراجكى فى كتاب كنز الفوائد إن الحسن البصرى كتب إلى الإمام الحسن بن على عليهما السلام: من الحسن البصرى إلى الحسن بن رسول الله أما بعد فإنكم معاشر بنى هاشم الفلک الجارية فى اللجج الغامرة، مصابيح الدجى و أعلام الهدى، و الأئمة القادة، الذين من تبعهم نجا و السفينة التى يؤول إليها المؤمنون، و ينجو فيها المتمسكون، قد كثر يا بن رسول الله عندنا الكلام فى القدر، و اختلافنا فى الاستطاعة، فعلمنا ما الذى عليه رأيک و رأى آبائک فإنكم ذرية بعضها من بعض، من علم الله علمتم، و هو الشاهد عليكم، و أنتم الشهداء

على الناس و السلام؟ فأجابه صلوات الله عليه من الحسن بن على إلى الحسن البصرى:
أما بعد فقد انتهى إلى كتابک عند حيرتک و حيرة من زعمت من أمتنا و كيف ترجعون إلينا و أنتم معنا بالقول دون العمل، و اعلم أنه لو لا ما تناهى إلى من حيرتک و حيرة الأمة من قبلک لأمسكت عن الجواب، و لكنى الناصح ابن الناصح الأمين، و الذى أنا عليه أنه من لم يؤمن بالقدر خيره و شره فقد كفر، و من حمل المعاصى على الله فقد فجر، إن الله سبحانه لا يطاع بإكراه، و لا يعص بغلبة، و لا أهمل العباد من الملكة و لكنه عز و جل المالک لما ملكهم و القادر على ما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله عز و جل لهم صادا، و لا عنها مانعا، و إن ائتمروا بالمعصية فشاء سبحانه أن يمن عليهم فيحول بينهم و بينها فعل، و إن لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجبارا و لا ألزمهم بها إكراها، بل احتجاجه عز ذكره عليهم أن عرفهم و جعل لهم السبيل إلى فعل ما دعاهم إليه، و ترک ما نهاهم عنه، و لله الحجة البالغة و السلام.
و فى تحف العقول هكذا: أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره و شره أن الله يعلمه فقد كفر، إلى قوله عليه السلام: و إن لم يفعل فليس هو الذى حملهم عليها جبرا و لا ألزموها كرها، بل من عليهم بأن بصرهم و عرفهم و حذرهم و أمرهم و نهاهم لا جبلا لهم على ما أمرهم به، فيكونوا كالملائكة، و لا جبرا لهم على ما نهاهم، و لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين و السلام على من اتبع الهدى.
و أقول: قال السيد بن طاوس قدس سره فى كتاب الطرائف: روى جماعة من علماء الإسلام عن نبيهم صلى الله عليه و آله أنه قال: لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا، قيل: و من القدرية يا رسول الله؟ قال: قوم يزعمون أن الله قدر عليهم المعاصى و عذبهم عليها.
و روى صاحب الفائق و غيره من علماء الإسلام عن محمد بن على المكى بإسناده قال: إن رجلا قدم على النبى صلى الله عليه و آله فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله: أخبرنى بأعجب شىء رأيت؟ قال: رأيت قوما ينكحون أمهاتهم و بناتهم و أخواتهم، فإذا قيل لهم: لم

بَابُ الِاسْتِطَاعَةِ
1 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ فَقَالَ يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ بَعْدَ أَرْبَعِ خِصَالٍ أَنْ يَكُونَ مُخَلَّى السَّرْبِ صَحِيحَ الْجِسْمِ سَلِيمَ الْجَوَارِحِ- لَهُ سَبَبٌ وَارِدٌ مِنَ اللَّهِ- قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ فَسِّرْ لِی هَذَا قَالَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُخَلَّى السَّرْبِ صَحِيحَ الْجِسْمِ سَلِيمَ الْجَوَارِحِ- يُرِيدُ أَنْ يَزْنِیَ فَلَا يَجِدُ امْرَأَةً ثُمَّ يَجِدُهَا

تفعلون؟ قالوا: قضاء الله علينا و قدره، فقال النبى صلى الله عليه و آله: ستكون من أمتى أقوام يقولون مثل مقالتهم، أولئک مجوس أمتى.
و روى صاحب الفائق و غيره عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: يكون فى آخر الزمان قوم يعملون المعاصى و يقولون إن الله قد قدرها عليهم، الراد عليهم كشاهر سيفه فى سبيل الله.
أقول: الأخبار الواردة فى ذلک أوردناها فى كتابنا الكبير، و إنما أوردنا هنا بعضها تأييدا لما ذكرنا فى شرح الأخبار، إذ المصنف (ره) إنما اقتصر على الأخبار الموهمة للجبر، و لم يذكر مما يعارضها إلا قليلا و الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

باب الاستطاعة

الحديث الأول

: ضعيف.
قوله عليه السلام: أن يكون مخلى السرب، و السرب بالفتح و الكسر: الطريق و الوجهة، و بالكسر البال و القلب و النفس، أى مخلى الطريق مفتوحة، و هو كناية عن رفع الموانع و الزواجر كزجر السلطان و أمثاله" صحيح الجسم" أى من الأمراض المانعة عن الفعل" سليم الجوارح" التى هى آلات الفعل" له سبب وارد من الله" من عصمته أو التخلية بينه و بين إرادته" فسر لى هذا" أى السبب الوارد ففسره عليه السلام

فَإِمَّا أَنْ يَعْصِمَ نَفْسَهُ فَيَمْتَنِعَ كَمَا امْتَنَعَ يُوسُفُ ع أَوْ يُخَلِّىَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ إِرَادَتِهِ فَيَزْنِىَ فَيُسَمَّى زَانِياً وَ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ بِإِكْرَاهٍ وَ لَمْ يَعْصِهِ بِغَلَبَةٍ

بالعصمة و التخلية، فيكون ذكر وجدان المرأة استطرادا" و لم يطع الله بإكراه" بل بإرادته و عصمة الله من أسباب إرادته" و لم يعصه بغلبة" منه، بل بإرادته مع تخلية الله بينه و بين إرادته، فلو لم يخل الله بينه و بين اختياره، و أراد منعه لم يمكنه الفعل فلم يكن الله فى ذلک مغلوبا منه.

و يحتمل أن يكون المراد بتخلية السرب أن يكون مخلى بالطبع، فارغ البال غير مشغول الخاطر بما يصرفه عن الفعل، و بصحة الجسم أن لا يكون له مرض لا يقدر معه على الفعل، و بسلامة الجوارح أن لا يكون فى الجارحة التى يحتاج إليها فى الفعل آفة، كقطع الذكر فى مثل الزنا، و بالسبب إذنه تعالى أى رفع الموانع، فقوله: فلا يجد امرأة، مثال لتخلف السبب عن الثلاث و قوله: ثم يجدها، بيان لوجوده، فقوله إما أن يعصم نفسه، أى يعصم المكلف نفسه لكن فى المقابلة بينه و بين أن يخلى تكلف.

و فيما أجاب به أبو الحسن الثالث عليه السلام قال الصادق عليه السلام: لا جبر و لا تفويض و لكن منزلة بين المنزلتين، و هى صحة الخلقة و تخلية السرب و المهلة فى الوقت و الزاد مثل الراحلة و السبب المهيج للفاعل على فعله، ثم فسر عليه السلام صحة الخلقة بكمال الخلق للإنسان بكمال الحواس و ثبات العقل و التميز و إطلاق اللسان بالنطق قال: و أما تخلية السرب فهو الذى ليس عليه رقيب يحظر عليه، و يمنعه العمل مما أمر الله به، و أما المهلة فى الوقت و هو العمر الذى يمتع به الإنسان من حد ما يجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، و ذلک من وقت تميزه و بلوغ الحلم، إلى أن يأتيه أجله، فمن مات على طلب الحق فلم يدرک كماله فهو على خير، و أما الزاد فمعناه البلغة و الجدة التى يستعين بها العبد على ما أمره الله به، و الراحلة للحج و الجهاد و أشباه ذلک، و السبب المهيج هو النية التى هى داعية الإنسان إلى جميع الأفعال

ص: 215

2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعاً عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ جَمِيعاً عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ

و حاستها القلب، فمن فعل فعلا و كان بدين لم يعقد قلبه على ذلک لم يقبل الله منه عملا إلا بصدق النية، إلى آخر الخبر الطويل الذى أوردته فى الكتاب الكبير و فيه فوائد جمة.

: مرسل.
و اعلم أن المتكلمين اختلفوا فى أن الاستطاعة و القدرة هل هما فى العبد قبل الفعل أو معه؟ فذهبت الإمامية و المعتزلة إلى الأول و الأشاعرة إلى الثانى، و استدل كل من الفريقين على مذهبهم بدلائل ليس هذا موضع ذكرها، و الحق أن ما ذهب إليه الإمامية ضرورية إذ القطع حاصل بقدرة القاعد فى وقت قعوده على القيام، و القائم فى حال قيامه على القعود بالوجدان، و يدل عليه أخبار كثيرة:
منها ما رواه الصدوق عن عوف بن عبد الله عن عمه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة؟ فقال: و قد فعلوا، فقلت: نعم زعموا أنها لا تكون إلا عند الفعل، واردة فى حال الفعل لا قبله، فقال: أشرک القوم.
و فى الصحيح عن ابن أبى عمير عن بعض أصحابنا عن أبى عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: لا يكون العبد فاعلا إلا و هو مستطيع، و قد يكون مستطيعا غير فاعل، و لا يكون فاعلا أبدا حتى يكون معه الاستطاعة.
و فى الصحيح عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما كلف الله العباد كلفة فعل، و لا نهاهم عن شىء حتى جعل لهم الاستطاعة، ثم أمرهم و نهاهم فلا يكون العبد آخذا و لا تاركا إلا باستطاعة متقدمة قبل الأمر و النهى، و قبل الأخذ و الترک و قبل القبض و البسط.
و فى الصحيح أيضا عن هشام عنه عليه السلام قال: لا يكون من العبد قبض و لا بسط إلا باستطاعة متقدمة للقبض و البسط.

و فى الصحيح أيضا عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول و عنده قوم يتناظرون فى الأفاعيل و الحركات، فقال: الاستطاعة قبل الفعل، لم يأمر الله عز و جل بقبض و لا بسط إلا و العبد لذلک مستطيع، و الأخبار فى ذلک كثيرة.
و الأشاعرة إنما قالوا بعدم القدرة قبل الفعل و كونها مع الفعل لأنهم يقولون بعدم تأثير قدرة العبد و إرادته فى الفعل أصلا.
إذا عرفت هذا فاعلم أن هذا الخبر ظاهرا موافق لمذهب الأشاعرة، و مخالف لمذهب الإمامية، و الأخبار الصحيحة السالفة تنفيه، و يمكن تأويله بوجوه:
الأول: حمله على التقية إذ أكثر المخالفين يرون رأى الأشعرى و يتبعونه فى أصول مذهبهم، و يؤيده أن ما ذكر فيه من الدليل على نفى الاستطاعة من عمدة دلائل الأشاعرة على نفى اختيار العبد حيث قالوا: القدرة على الأثر بمعنى التمكن على فعله و تركه، إما حال وجود الأثر و حينئذ يجب وجوده، فلا يتمكن من الترک و إما حال عدمه فيجب عدمه فلا يتمكن من الفعل، و أجيب بأنا نختار أنها حال عدم الأثر لكنها عبارة عن التمكن من الفعل فى ثانى الحال، فلا ينافيه العدم فى الحال، بل يجتمع معه.
الثانى: أن يقال المراد بالاستطاعة فى الخبر الاستعداد التام الذى لا يكون إلا مع الأثر و المراد بآلة الاستطاعة جميع ما يتوقف عليه الأثر فعلا كان أو تركا، فاستطاعة الفعل لا يكون إلا مع الفعل، و استطاعة الترک لا يكون إلا مع الترک، و بعبارة أخرى: المراد بالاستطاعة الاستقلال بالفعل، بحيث لا يمكن أن يمنعه مانع عنه، و لا يكون هذا إلا فى حال الفعل إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله تعالى عن الفعل بصرفه عنه، أو إعدامه أو إعدام الآلة، و الحاصل أن استطاعة الشىء التمكن منه و انقياد حصول ذلک الشىء له، و استطاعة أحد الطرفين لا يستلزم استطاعة الآخر بخلاف القدرة، فإن القدرة على أحد الطرفين تلزمه القدرة على الآخر، و القدرة

ص: 217
الِاسْتِطَاعَةِ فَقَالَ أَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ مَا لَمْ يُكَوَّنْ قَالَ لَا قَالَ فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَهِيَ عَمَّا قَدْ كُوِّنَ قَالَ لَا قَالَ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع فَمَتَى أَنْتَ مُسْتَطِيعٌ قَالَ لَا أَدْرِي قَالَ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقاً فَجَعَلَ فِيهِمْ آلَةَ الِاسْتِطَاعَةِ

على الفعل تسبقه بمراتب بخلاف الاستطاعة، قال إمامهم الرازى فى الجمع بين رأيى الأشاعرة و المعتزلة فى تلك المسألة: القدرة قد تطلق على القوة العضلية التى هى مبدء الآثار المختلفة فى الحيوان بحيث متى انضم إليها إرادة كل واحد من الضدين حصل دون الآخر، و لا شک فى أن نسبتها إلى الضدين على السواء، و قد تطلق على القوة المستجمعة لشرائط التأثير، و لا شک فى امتناع تعلقها بالضدين و إلا اجتمعا فى الوجود، بل هى بالنسبة إلى كل مقدور غيرها بالنسبة إلى مقدور آخر لاختلاف الشرائط بحسب مقدور مقدور، فلعل الأشعرى أراد بالقدرة المعنى الثانى، فحكم بأنها لا تتعلق بالضدين، و لا هى قبل الفعل، و المعتزلة أرادوا بها المعنى الأول فذهبوا إلى أنها تتعلق بالضدين و أنها قبل الفعل" انتهى" و هذا الكلام متين لكنه لا يصلح جامعا بين القولين، لأن الأشعرى لا يقول بتأثير قدرة العبد و إرادته، و لذا قال بمقارنتها للفعل.
الثالث: أن يكون المعنى أن فى حال الفعل تظهر الاستطاعة، و يعلم أنه كان مستطيعا قبله، بأن أذن الله له فى الفعل، كما ورد أن بعد القضاء لا بداء.
قوله عليه السلام: أن تعمل ما لم يكون، أى بعد حصول الترک فى زمان الترک لا تستطيع الفعل، بل تستطيع الترک، و تمت علته و حصل، فلا تستطيع الفعل حينئذ، إذ لم يحصل منک و لا من الله ما يتوقف عليه حصول الفعل قبله، فصار الترک حينئذ واجبا بعلله التى منها إرادة العبد الترک.
قوله عليه السلام: أن تنتهى عما قد كون، أى بعد وجود الفعل و وجوبه بعلله التى منها إرادته كيف يستطيع الترک، فالقدرة على الفعل و الترک قبلهما و استطاعتهما أى وجوبهما و لزومهما فى وقتهما كما مر فى الوجه الثانى" فجعل فيهم آلة الاستطاعة"

ثُمَّ لَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ مُسْتَطِيعُونَ لِلْفِعْلِ وَقْتَ الْفِعْلِ مَعَ الْفِعْلِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ الْفِعْلَ فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوهُ فِي مُلْكِهِ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَطِيعِينَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلًا لَمْ يَفْعَلُوهُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُضَادَّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ قَالَ الْبَصْرِيُّ فَالنَّاسُ مَجْبُورُونَ قَالَ لَوْ كَانُوا مَجْبُورِينَ كَانُوا مَعْذُورِينَ قَالَ فَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ قَالَ لَا قَالَ فَمَا هُمْ قَالَ عَلِمَ مِنْهُمْ فِعْلًا فَجَعَلَ فِيهِمْ آلَةَ الْفِعْلِ فَإِذَا فَعَلُوهُ كَانُوا مَعَ الْفِعْلِ مُسْتَطِيعِينَ- قَالَ الْبَصْرِيُّ أَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَقُّ وَ أَنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَ الرِّسَالَةِ

3 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِيعاً عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ صَالِحٍ النِّيلِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع هَلْ لِلْعِبَادِ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ شَيْءٌ قَالَ فَقَالَ لِي إِذَا فَعَلُوا الْفِعْلَ كَانُوا مُسْتَطِيعِينَ بِالاسْتِطَاعَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِيهِمْ قَالَ قُلْتُ وَ مَا هِيَ قَالَ

أى ما يتوقف عليه حصولها من تخلية السرب و صحة الجسم و سلامة الجوارح و نحو ذلک على حسب الأعمال المستطاع لها" ثم لم يفوض إليهم" بحيث يكونون مستقلين لا يمكنه صرفهم عنه، أو بحيث لا يكون له مدخل فى أفعالهم بالتوفيق و الخذلان، أو المراد بالتفويض عدم الحصر بالأمر و النهى" لم يكونوا مستطيعين" أى بالاستقلال بحيث لا مدخل لتوفيق الله و خذلانه فيه، أو لم يحصل لهم العلة التامة للفعل و إن كان باختيارهم، و يمكن حمله على ما إذا كان الترک لعدم الآلات و للموانع الصارفة من قبل الله تعالى، و على هذا ينطبق التعليل غاية الانطباق، إذ استقلال العبد على هذا الوجه بحيث لا يتوقف فعله على شىء من قبل الله تعالى، و عدم قدرته سبحانه على صرفه عنه، قول بوجود أضداد له تعالى فى ملكه، و على الأول أيضا ظاهر، و على الثانى يحتاج إلى تكلف، و ربما يقال: التعليل لعدم التفويض، و لا يخفى بعده" فجعل فيهم آلة الفعل" أى قدرتهم و إرادتهم و قواهم و جوارحهم التى هى من أسباب وجود ذلک الفعل.

الحديث الثالث

: ضعيف، و الكلام فى صدر الخبر ما مر فى الخبر السابق.

الْآلَةُ مِثْلُ الزَّانِی إِذَا زَنَی کَانَ مُسْتَطِیعاً لِلزِّنَا حِینَ زَنَی وَ لَوْ أَنَّهُ تَرَکَ الزِّنَا وَ لَمْ یَزْنِ کَانَ مُسْتَطِیعاً لِتَرْکِهِ إِذَا تَرَکَ قَالَ ثُمَّ قَالَ لَیْسَ لَهُ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ قَبْلَ الْفِعْلِ قَلِیلٌ وَ لَا کَثِیرٌ وَ لَکِنْ مَعَ الْفِعْلِ وَ التَّرْکِ کَانَ مُسْتَطِیعاً قُلْتُ فَعَلَی مَا ذَا یُعَذِّبُهُ قَالَ بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَ الْآلَةِ الَّتِی رَکَّبَ فِیهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَمْ یُجْبِرْ أَحَداً عَلَی مَعْصِیَتِهِ وَ لَا أَرَادَ إِرَادَةَ حَتْمٍ الْکُفْرَ مِنْ أَحَدٍ وَ لَکِنْ حِینَ کَفَرَ کَانَ فِی إِرَادَةِ اللَّهِ أَنْ یَکْفُرَ وَ هُمْ فِی إِرَادَةِ اللَّهِ وَ فِی عِلْمِهِ أَنْ لَا یَصِیرُوا إِلَی شَیْءٍ مِنَ الْخَیْرِ قُلْتُ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ یَکْفُرُوا قَالَ لَیْسَ هَکَذَا أَقُولُ وَ لَکِنِّی أَقُولُ عَلِمَ أَنَّهُمْ سَیَکْفُرُونَ فَأَرَادَ الْکُفْرَ لِعِلْمِهِ فِیهِمْ وَ لَیْسَتْ هِیَ إِرَادَةَ حَتْمٍ إِنَّمَا هِیَ إِرَادَةُ اخْتِیَارٍ

قوله علیه السلام: مثل الزنا، هذا مثال لقوله: إذا فعلوا الفعل، و لیس مثالا لتفسیر الاستطاعة، و لما توهم السائل من قوله علیه السلام: کانوا مستطیعین بالاستطاعة التی جعلها الله فیهم، و من أن الاستطاعة مع الفعل لا قبله الجبر قال: فعلی ما یعذبه؟ أی الزانی و المراد بالحجة البالغة أوامر الله تعالی و نواهیه و إرسال الرسل و إنزال الکتب و نصب الأنبیاء و الأوصیاء علیهم السلام لإعلام الناس بالأفعال النافعة و الضارة، و المراد بالآلة التی رکب فیهم القدرة و الإرادة المؤثرتین اللتین خلقهما الله تعالی فی العباد.

قوله: کان فی إرادة الله أن یکفر، أی إرادة بالعرض لأنه لما أراد أن یعطی العبد إرادة و اختیارا و یخلیه و اختیاره و هو أراد المعصیة فهو سبحانه أراد ما صار سببا لکفره إرادة بالعرض أو یقال إرادته سبحانه علة بعیدة للکفر، أو یقال: لما خیره و خلاه مع علمه بأنه یکفر بإرادته فکأنه أراد کفره مجازا کما مر تفصیله.

قوله علیه السلام: أن لا یصیروا إلی شیء من الخیر، أی باختیارهم و إرادتهم المؤثرة و لما توهم السائل من قوله علیه السلام: إنه تعالی شاء منهم أن یکفروا، أی جبرهم علیه أو ذلک مقصوده منهم، أجاب علیه السلام بأن لیس مرادی ذلک، بل مرادی أن الله أراد بحسب مصلحة التکلیف أن یکلهم إلی اختیارهم و إرادتهم، و علم أن إرادتهم یتعلق

4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ حَدَّثَنِی حَمْزَةُ بْنُ حُمْرَانَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ فَلَمْ يُجِبْنِی فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ دَخْلَةً أُخْرَى فَقُلْتُ أَصْلَحَکَ اللَّهُ إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِی قَلْبِی مِنْهَا شَیْءٌ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا شَیْءٌ أَسْمَعُهُ مِنْکَ قَالَ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّکَ مَا كَانَ فِی قَلْبِکَ قُلْتُ أَصْلَحَکَ اللَّهُ إِنِّی أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى لَمْ يُكَلِّفِ الْعِبَادَ مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ وَ لَمْ يُكَلِّفْهُمْ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ وَ أَنَّهُمْ لَا يَصْنَعُونَ شَيْئاً مِنْ ذَلِکَ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَ مَشِيئَتِهِ وَ قَضَائِهِ وَ قَدَرِهِ قَالَ فَقَالَ هَذَا دِينُ اللَّهِ الَّذِی أَنَا عَلَيْهِ وَ آبَائِی أَوْ كَمَا قَالَ

بالكفر فتعلق إرادته بكفرهم من حيث تعلق إرادته بما يصير سببا لإرادتهم الكفر مع علمه بذلک، و هذا لا يستلزم كون الكفر مقصوده و مطلوبه منهم، فإن دخوله فی القصد بالعرض لا بالذات، و تعلق الإرادة بالكفر بالعرض ليست موجبة للفعل إيجابا يخرجه عن الاختيار، لأن هذا التعلق من جهة إرادتهم و اختيارهم و ما يتعلق بشیء من جهة الإرادة و الاختيار لا يخرجه عن الاختيار، و قيل: الفرق بين كلام الإمام و كلام السائل أن فی كلامه عليه السلام عديت الإرادة بفی و فی كلام السائل بمن، و التعدية بفی تفيد التمكين مع القدرة على المنع، و التعدية بمن، تفيد الطلب إما تكليفا و إما تكوينا، فالظرفان متعلقان بالإرادة كالظرف فی قوله لعلمه.

الحديث الرابع

: مرسل.
قوله: فإنه لا يضرک، هذا إما لأنه عليه السلام كان مطلعا على ما فى قلبه و أنه حق، أو المراد أنه إذا كان فى قلبک شىء ثم رجعت عنه إلى قولنا لم يضرک، و قوله أو كما قال، ترديد من السائل بين العبارة المنقولة و ما فى حكمها من العبارات الدالة على تصديق معتقده بوجه من الوجوه.

بَابُ الْبَيَانِ وَ التَّعْرِيفِ وَ لُزُومِ الْحُجَّةِ
1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَ غَيْرُهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ عَنِ ابْنِ الطَّيَّارِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ احْتَجَّ عَلَى النَّاسِ بِمَا آتَاهُمْ وَ عَرَّفَهُمْ
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ مِثْلَهُ
2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَ غَيْرُهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع الْمَعْرِفَةُ مِنْ صُنْعِ مَنْ هِيَ قَالَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ

باب البيان و التعريف و لزوم الحجة

الحديث الأول

: حسن بسنده الأول، مجهول كالصحيح بسنده الثانى.
قوله عليه السلام: بما آتاهم، أى من العقول و الآلات و الأدوات و الجوارح و القوى و عرفهم من أصول الدين و فروعه كما قال تعالى:" أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ".

: مجهول.
و المراد بالمعرفة أما العلم بوجوده سبحانه فإنه مما فطر الله العباد عليه إذا خلوا أنفسهم عن المعصية، و الأغراض الدنية كما قال تعالى:" وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ*" و به فسر قوله صلى الله عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، أى من وصل إلى حد يعرف نفسه فيوقن بأن له خالقا ليس مثله، و يحتمل أن يكون المراد كمال المعرفة فإنه من قبل الله تعالى بسبب كثرة الطاعات و العبادات و الرياضات، أو المراد معرفة غير ما يتوقف عليه العلم بصدق الرسل فإن ما سوى ذلک

إنما نعرفه بما عرفنا الله على لسان أنبيائه و حججه صلوات الله عليهم، أو يقال:
المراد بها معرفة الأحكام الفرعية لعدم استقلال العقل فيها، أو المعنى أنها إنما تحصل بتوفيقه تعالى للاكتساب، و ذهب الحكماء إلى أن العلة الفاعلية للمعرفة تصوريا كان أو تصديقيا، بديهيا كان أو نظريا، شرعيا كان أو نظريا، شرعيا كان أو غيره، إنما يفيض من الله تعالى فى الذهن بعد حصول استعداد له بسبب الإحساس أو التجربة أو النظر و الفكر و الاستماع من المعلم أو غير ذلک، فهذه الأمور معدات و العبد كاسب للمعرفة لا موجد لها، و الظاهر من أكثر الأخبار أن العباد إنما كلفوا بالانقياد للحق و ترک الاستكبار عن قبوله، فأما المعارف فإنها بأسرها مما يلقيه الله سبحانه فى قلوب عباده بعد اختيارهم للحق، ثم يكمل ذلک يوما فيوما بقدر أعمالهم و طاعاتهم حتى يوصلهم إلى درجة اليقين، و حسبک فى ذلک ما وصل إليک من سيرة النبيين و أئمة الدين فى تكميل أممهم و أصحابهم فإنهم لم يحيلوهم على الاكتساب و النظر، و تتبع كتب الفلاسفة و غيرهم، بل إنما دعوهم أولا إلى الإقرار بالتوحيد و سائر العقائد، ثم إلى تكميل النفس بالطاعات و الرياضات، حتى فازوا بما سعدوا به من أعالى درجات السعادات.
قال الفاضل المحدث أمين الدين الأسترآبادى فى الفوائد المدنية: قد تواترت الأخبار عن أهل بيت النبوة متصلة إلى النبى صلى الله عليه و آله بأن معرفة الله بعنوان أنه الخالق للعالم، و أن له رضا و سخطا، و أنه لا بد من معلم من جهته تعالى ليعلم الخلق ما يرضيه و ما يسخطه من الأمور الفطرية التى وقعت فى القلوب بإلهام فطرى إلهى، و ذلک كما قالت الحكماء: الطفل يتعلق بثدى أمه بإلهام فطرى الهى، و توضيح ذلک أنه تعالى ألهمهم بتلک القضايا، أى خلقها فى قلوبهم و ألهمهم بدلالات واضحة على تلک القضايا، ثم أرسل إليهم الرسول و أنزل عليهم الكتاب، فأمر فيه و نهى فيه، و بالجملة لم يتعلق وجوب و لا غيره من التكليفات إلا بعد بلوغ خطاب الشارع، و معرفة الله قد حصلت لهم قبل بلوغ الخطاب بطريق إلهام بمراتب، و كل من بلغته

دعوة النبی صلی الله علیه و آله یقع فی قلبه من الله یقین بصدقه، فإنه قد تواترت الأخبار عنهم علیهم السلام بأنه ما من أحد إلا و قد یرد علیه الحق حتی یصدع قلبه، قبله أو ترکه.
و قال فی موضع آخر: قد تواترت الأخبار أن معرفة خالق العالم و معرفة النبی و الأئمة علیهم السلام لیستا من أفعالنا الاختیاریة، و أن علی الله بیان هذه الأمور و إیقاعها فی القلوب بأسبابها، و أن علی الخلق بعد أن أوقع الله تلک المعارف الإقرار بها و العزم علی العمل بمقتضاها.
ثم قال فی موضع آخر: قد تواترت الأخبار عن الأئمة الأطهار علیهم السلام بأن طلب العلم فریضة علی کل مسلم کما تواترت بأن المعرفة موهبیة غیر کسبیة، و إنما علیهم اکتساب الأعمال فکیف یکون الجمع بینهما؟ أقول: الذی استفدته من کلامهم علیهم السلام فی الجمع بینهما: أن المراد بالمعرفة ما یتوقف علیه حجیة الأدلة السمعیة من معرفة صانع العالم، و أن له رضا و سخطا، و ینبغی أن ینصب معلما لیعلم الناس ما یصلحهم و ما یفسدهم، و من معرفة النبی صلی الله علیه و آله، و المراد بالعلم الأدلة السمعیة کما قال صلی الله علیه و آله: العلم أما آیة محکمة أو سنة متبعة أو فریضة عادلة، و فی قول الصادق علیه السلام: إن من قولنا أن الله احتج علی العباد بما آتاهم و عرفهم، ثم أرسل إلیهم الرسول و أنزل علیهم الکتاب و أمر فیه و نهی، و فی نظائره إشارة إلی ذلک، أ لا تری أنه علیه السلام قدم أشیاء علی الأمر و النهی، فتلک الأشیاء کلها معارف، و ما یستفاد من الأمر و النهی کله هو العلم، و یحتمل أیضا أن یراد بها معرفة الأحکام الشرعیة و هو الذی ذهب إلیه بعض أصحابنا حیث قال: المراد بهذه المعرفة التی یعذب و یثاب مخالفها و موافقها" انتهی".
لکن المشهور بین المتکلمین من أصحابنا و المعتزلة و الأشاعرة أن معرفته تعالی نظریة واجبة علی العباد، و أنه تعالی کلفهم بالنظر و الاستدلال فیها، إلا أن الأشاعرة قالوا: تجب معرفته تعالی نقلا بالنظر، و المعرفة بعده من صنع الله تعالی

ص: 224
3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّی يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ قَالَ حَتَّی

بطريق العادة، و سائرهم قالوا: تجب معرفته سبحانه عقلا بالنظر و المعرفة بعده من صنع العبد يولدها النظر، كما أن حركة اليد تولد حركة المفتاح، و هم قد اختلفوا فی أول واجب علی العباد، فقال أبو الحسن الأشعری: هو معرفته تعالی إذ هو أصل المعارف و العقائد الدينية، و عليه يتفرع كل واجب من الواجبات الشرعية، و قيل هو النظر فی معرفته تعالی لأن المعرفة تتوقف عليه، و هذا مذهب جمهور المعتزلة و قيل: هو أول جزء منه، لأن وجوب الكل يستلزم وجوب أجزائه، فأول جزء من النظر واجب و مقدم علی النظر المقدم علی المعرفة، و قيل: هو القصد إلی النظر، لأن النظر فعل اختيارى مسبوق بالقصد المقدم علی أول جزء من أجزاء النظر، و قال شارح المواقف: النزاع لفظی إذ لو أريد الواجب بالقصد الأول، أی أريد أول الواجبات المقصودة أولا و بالذات فهو المعرفة اتفاقا، و إن أريد أول الواجبات مطلقا فالقصد إلی النظر، لأنه مقدمة للنظر الواجب مطلقا فيكون واجبا أيضا.

الحديث الثالث

: حسن موثق.
قوله سبحانه:" وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً" أى يسميهم ضلالا أو يؤاخذهم مؤاخذتهم، أو يسمهم بسمة الضلالة يعرف بها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها أنهم من الضالين، أو يخذلهم بسلب اللطف و التوفيق منهم" بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ" قيل:
يحتمل أن تكون الهداية هيهنا بمعنى الإيصال إلى المطلوب، فمعناه أنه تعالى لا يخذل قوما أو لا يحتج على قوم و لا يحكم بضلالتهم بعد أن أوصلهم إلى المطلوب حتى يعرفهم ما يرضيه فيعملوا به، و ما يسخطه فيجتنبوا عنه، أى حتى يوفقهم لكل خير و يعصمهم

يُعَرِّفَهُمْ مَا يُرْضِيهِ وَ مَا يُسْخِطُهُ وَ قَالَ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها قَالَ بَيَّنَ لَهَا مَا تَأْتِی وَ مَا تَتْرُکُ وَ قَالَ إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً قَالَ عَرَّفْنَاهُ إِمَّا آخِذٌ وَ إِمَّا تَارِکٌ وَ عَنْ قَوْلِهِ وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی قَالَ عَرَّفْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَی عَلَی الْهُدَی وَ هُمْ يَعْرِفُونَ وَ فِی رِوَايَةٍ بَيَّنَّا لَهُمْ

من كل شر فما بعد" حتى" داخل فيما قبلها، و يحتمل أن يكون بمعنى إراءة الطريق فمعناه أنه تعالى لا يخذل قوما أو لا يحكم بضلالتهم بعد إذ هداهم إلى الإيمان إلا بعد أن يعلمهم ما يرضيه و ما يسخطه فما بعد" حتى" خارج عن حكم ما قبلها" انتهى".

و فيه دلالة على أن التعريف من الله فيما يرضيه و فيما يسخطه من الشرائع و الواجبات و السنن و الأحكام، لكن لا ينافى ما مر، و قوله: و قال فألهمها، من كلام ثعلبة و ضميره راجع إلى حمزة، أى و سأله عن قوله تعالى:" فَأَلْهَمَها" و الضمير راجع إلى النفس، و المراد: بفجورها و تقويها، ما فيه فجورها و ما فيه تقويها، و قوله عليه السلام:

بين لها ما تأتى و ما تترک، أى المراد بالإلهام هو بيان أن الله تعالى و إعلامه بما ينبغى للنفس أن تأتى به مما ينفع لها بالأمر، و بما ينبغى لها أن تتركه مما يضرها بالنهى فالنشر على خلاف ترتيب اللف، قال البيضاوى: إلهام الفجور و التقوى إفهامهما، و تعريف حالهما، و التمكين من الإتيان بهما" إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ" أى سبيل الخيرات و الطاعات" إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً".

قال البيضاوى: هما حالان من الهاء، و إما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه فى حالتيه جميعا أو مقسوما إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء و الأخذ فيه، و بعضهم كفور بالإعراض عنه، أو من السبيل و وصفه بالشكر و الكفر مجاز" قال: عرفناه" بالتشديد أى السبيل" إما آخذ" تفسير للشاكر" و إما تارک" تفسير للكفور، و هذا شامل لجميع الواجبات الأصولية و الفروعية، و كذا قوله:" وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ" شامل لهما، و الهداية هنا بمعنى إراءة الطريق، و فى رواية: بينا لهم، أى مكان عرفناهم.

4 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنِ ابْنِ بُکَیْرٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ هَدَیْنَاهُ النَّجْدَیْنِ قَالَ نَجْدَ الْخَیْرِ وَ الشَّرِّ
5 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ یُونُسَ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَی قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع أَصْلَحَکَ اللَّهُ هَلْ جُعِلَ فِی النَّاسِ أَدَاةٌ یَنَالُونَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ قَالَ فَقَالَ لَا قُلْتُ فَهَلْ کُلِّفُوا الْمَعْرِفَةَ قَالَ لَا عَلَی اللَّهِ الْبَیَانُ- لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَ لا یُکَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها قَالَ وَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّی یُبَیِّنَ لَهُمْ ما یَتَّقُونَ قَالَ حَتَّی یُعَرِّفَهُمْ مَا یُرْضِیهِ وَ مَا یُسْخِطُهُ

الحديث الرابع

: حسن موثق أيضا.
" نجد الخير" أى عرفناه سبيلهما، و النجد فى الأصل الطريق الواضح المرتفع، و فيه دلالة على أن الهداية تطلق على إراءة طريق الشر أيضا لأنها هداية إلى اجتنابه و تركه، أو هو على التغليب و قال السيد الداماد (ره) إذا أريد تخصيص الهداية بالخير قيل أى نجدى العقل النظرى و العقل العملى، و سبيلى كمال القوة النظرية و كمال القوة العملية، أو نجدى المعاش و المعاد، أو نجدى الدنيا و الآخرة، أو نجد الجنة و العقاب و الثواب و الفناء المطلق فى نور وجه الله البهجة الحقة للقاء بقائه.

الحديث الخامس

: مجهول.
قوله: هل جعل فى الناس أداة، أى آلة من العقل و الفهم ينالون بها بدون التعريف و التوقيف المعرفة بأحد المعانى المتقدمة،" فهل كلفوا المعرفة" أى بالنظر و الاستدلال" على الله البيان" أى و عليهم القبول كما روى فى التوحيد عن الصادق عليه السلام قال: ليس لله على الخلق أن يعرفوا قبل أن يعرفهم، و للخلق على الله أن يعرفهم، و لله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا، ثم أشار عليه السلام إلى أن تكليفهم بالمعرفة أو بكمالها تكليف بالمحال، بقوله:" لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها" و الوسع أوسع من الطاقة،" و لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا ما آتاها" أى ما آتاها علمه، و ظاهره أن المعارف توقيفية، و تكليفهم بتحصيلها تكليف بالمحال و قد سبق الكلام فيه.

6 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ يُونُسَ عَنْ سَعْدَانَ رَفَعَهُ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْعِمْ عَلَی عَبْدٍ نِعْمَةً إِلَّا وَ قَدْ أَلْزَمَهُ فِيهَا الْحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ قَوِيّاً فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِمَا كَلَّفَهُ وَ احْتِمَالُ مَنْ هُوَ دُونَهُ مِمَّنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ وَ مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ مُوَسَّعاً عَلَيْهِ- فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ مَالُهُ ثُمَّ تَعَاهُدُهُ الْفُقَرَاءَ بَعْدُ بِنَوَافِلِهِ- وَ مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ شَرِيفاً فِی بَيْتِهِ- جَمِيلًا فِی صُورَتِهِ فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَی عَلَی ذَلِکَ وَ أَنْ لَا يَتَطَاوَلَ عَلَی غَيْرِهِ فَيَمْنَعَ حُقُوقَ الضُّعَفَاءِ لِحَالِ شَرَفِهِ وَ جَمَالِهِ

بَابُ اخْتِلَافِ الْحُجَّةِ عَلَی عِبَادِهِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِی مَنْصُورٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سِتَّةُ أَشْيَاءَ لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ الْمَعْرِفَةُ وَ الْجَهْلُ وَ الرِّضَا وَ الْغَضَبُ وَ النَّوْمُ وَ الْيَقَظَةُ

الحديث السادس

: مرفوع.
قوله عليه السلام: فحجته عليه القيام بما كلفه، أى ما يحتج به عليه بعد التعريف قوة القيام بما كلف به، أو المحتج له القيام بالمكلف به، و هذا أظهر و أوفق بما بعده من جعل التعاهد للفقراء بنوافل ماله و الحمد على شرفه و جماله، و عدم التطاول على غيره، من الحجة و حينئذ ينبغى حمل قوله" فحجته عليه ماله" على أن المحتج له إصلاح ماله و صرفه فى مصارفه و حفظه عن التضييع و الإسراف فيه.

باب [اختلاف الحجة على عباده]

اشارة

ليس الباب فى بعض النسخ، و إنما لم يعنون لأنه من الباب الأول، و إنما أفرد لامتياز حديثه بخصوصية كما لا يخفى.

الحديث الأول

: ضعيف" المعرفة و الجهل" أقول: قد مر الكلام فيهما سابقا و نقل إجماع المتكلمين على وجوب

النظر فى معرفة الله تعالى، بل إجماع الأمة عليه، و إنما اختلفوا فى أن وجوبها عقلى أو شرعى و نسب إلى البراهمة أنها تحصل بالإلهام، و إلى الملاحدة أنها تحصل بالتعليم، و إلى المتصوفة أنها تحصل بتصفية الباطن و الرياضات، و ربما يقال: إن النظر فى معرفة الله تعالى و صفاته و أفعاله و العقائد الدينية على ما تفعله المتكلمون بدعة فى الدين، لم ينقل عن النبى صلى الله عليه و آله و الصحابة و الخلفاء الراشدين، و لو كانوا قد اشتغلوا بها لنقل إلينا لتوفر الدواعى على نقله كما نقل اشتغالهم بالمسائل الفقهية على اختلاف أصنافها، و أجيب بمنع عدم النقل بل تواتر أنهم كانوا يبحثون عن دلائل التوحيد و ما يتعلق به، و القرآن مملوء منه، و هل ما يذكر فى كتب الكلام إلا قطرة من بحر مما نطق به الكتاب الكريم؟ نعم أنهم لم يدونوها و لم يشتغلوا بتقرير المذاهب و تحرير الاصطلاحات، و لم يبالغوا فى تفصيل الأسئلة و تلخيص الجوابات لاختصاصهم بصفاء النفوس و قوة الأذهان، و مشاهدة الوحى المقتضية لفيضان أنوار العرفان، و التمكن من مراجعة من يفيدهم و يدفع عنهم ما عسى أن يعرض لهم من الشكوك و الشبهات فى كل حين، مع قلة عناد المعاندين و ندرة تشكيك المشككين، بخلاف زمان من بعدهم إلى زماننا هذا، حيث كثرت المذاهب و المقالات، و شاعت المنازعات و المجادلات، فاجتمع بالتدريج لأهل الأعصار التالية جميع ما حدث فى الأزمان و القرون الخالية، فاحتيج إلى تدوين مسائل الكلام و تقرير كل ما أورد على كل حجة من النقض و الإبرام.

قالوا: فإن ادعى أن هذا التدوين بدعة فرب بدعة حسنة، و ذلک بعينه كالاشتغال بتدوين الفقه و أصوله، و ترتيب أبوابه و فصوله، فإنه حدث بعد ما لم يكن فكما ليس ذلک بقادح فى الفقه ليس هذا بضائر للكلام، و قد أمر الله سبحانه بالنظر فى آيات كثيرة كقوله تعالى:" قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ" و قوله تعالى:" فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها" فأمر بالنظر و هو

للوجوب، و لما نزل:" إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ لِأُولِی الْأَلْبابِ" قال النبی صلی الله علیه و آله: ویل لمن لاکها بین لحییه و لم یتفکر فیها، فقد أوعد بترک التفکر فی دلائل المعرفة، فیکون واجبا، إذ لا وعید علی ترک غیر الواجب أقول: قال الشیخ المفید قدس الله روحه فی کتاب المقالات: المعرفة بالله تعالی اکتساب و کذلک المعرفة بأنبیائه علیهم السلام و کل غائب، و إنه لا یجوز الاضطرار إلی معرفة شیء مما ذکرناه و هو مذهب کثیر من الإمامیة و البغدادیین من المعتزلة خاصة، و یخالف فیه البصریون من المعتزلة و المجبرة و الحشویة من أصحاب الحدیث، و قال فی موضع آخر منه: العلم بالله عز و جل و أنبیائه علیهم السلام و بصحة دینه الذی ارتضاه و کل شیء لا تدرک حقیقته بالحواس، و لا تکون المعرفة به قائمة فی البداهة و إنما یحصل بضرب من القیاس لا یصح أن یکون من جهة الاضطرار، و لا یحصل علی الأحوال کلها إلا من جهة الاکتساب، کما لا یصح وقوع العلم بما طریقه الحواس من جهة القیاس، و لا یحصل العلم فی حال من الأحوال بما فی البداهة.

ثم قال رحمه الله: العلم بصحة جمیع الأخبار طریقه الاستدلال و هو حاصل من جهة الاکتساب، و لا یصح وقوع شیء منه بالاضطرار، و القول فیه کالقول فی جملة الغائبات، و إلی هذا القول ذهب جمهور البغدادیین و یخالف فیه البصریون و المشبهة و أهل الأخبار، و أما العلم بالحواس فهو علی ثلاثة أضرب، فضرب هو من فعل الله تعالی، و ضرب من فعل الحاس، و ضرب من فعل غیره من العباد، فأما فعل الله تعالی فهو ما حصل للعالم به عن سبب من الله، کعلمه بصوت الرعد و لون البرق و وجود الحر و البرد و أصوات الریاح و ما أشبه ذلک مما یبده ذو الحاسة من غیر أن یتعمد لإحساسه، و یکون بسبب من الله سبحانه، لیس للعباد فیه اختیار، فأما فعل الحاس فهو ما حصل له عقیب فتح بصره أو الإصغاء بإذنه أو التعمد لإحساسه بشیء من حواسه

أو يفعله السبب الموجب لإحساس المحسوس، و حصول العلم به، و أما فعل غير الحاس من العباد فهو ما حصل للحاس بسبب من بعض العباد كالصائح بغيره و هو غير متعمد لسماعة أو المولم له فلا يمتنع من العلم بالألم عند إيلامه و ما أشبه ذلک، و هذا مذهب جمهور المتكلمين من أهل بغداد و مخالف فيه من سميناه" انتهى".

و أقول: الغرض من إيراد هذه الوجوه أن تطلع على مذاهب القوم فى ذلک، و إن كان للنظر فيها مجال واسع، و لنتكلم على الخبر فنقول: قد عرفت الوجوه التى يمكن حمل أمثال هذا الخبر عليه، و لنعد بعضها:

الأول: أنه يصح على القول بأن جميع العلوم و المعارف فائضة من قبل الله سبحانه بحسب استعدادات العباد و قابلياتهم إما بلا واسطة أو بتوسط الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، و إنما الواجب على الخلق أن يخلو أنفسهم عن الأغراض الدنية و الحمية و العصبية، و يصيروا طالبين للحق ثم بعد إفاضة الحق عليهم أن يقروا بها ظاهرا و لا ينكروا و لا يكونوا كالذين قال الله سبحانه فيهم:" جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ".

قال المحقق الطوسى روح الله روحه القدوسى: و لا بد فيه أى فى العلم من الاستعداد، أما الضرورى فبالحواس، و أما الكسبى فبالأول، و قال العلامة رفع الله مقامه فى شرحه: قد بينا أن العلم أما ضرورى و إما كسبى، و كلاهما حصل بعد عدمه، إذ الفطرة البشرية خلقت أولا عارية عن العلوم، ثم يحصل لها العلم بقسميه فلا بد من استعداد سابق مغاير للنفس، و فاعل للعلم، فالضرورى فاعله هو الله تعالى إذ القابل لا يخرج المقبول من القوة إلى الفعل بذاته، و إلا لم ينفک عنه، و للقبول درجات مختلفة فى القرب و البعد، و إنما يستعد النفس للقبول على التدريج فينتقل من أقصى مراتب البعد إلى أدناها قليلا قليلا لأجل المعدات التى هى الإحساس بالحواس على اختلافها، و التمرن عليها و تكرارها مرة بعد أخرى، فيتم الاستعداد

لإفاضة العلوم البديهية الكلية من التصورات و التصديقات بين كليات تلك المحسوسات و أما النظرية فإنها مستفادة من النفس أو من الله تعالى على اختلاف الآراء، لكن بواسطة الاستعداد بالعلوم البديهية، أما فى التصورات فبالحد و الرسم، و أما فى التصديقات فبالقياسات المستندة إلى المقدمات الضرورية" انتهى".

و ظاهر كلام المصنف أن الإفاضة من المبدأ الفياض، و ليس من فعل النفس بالتوليد كما ذهب إليه المعتزلة.

و قال صاحب الفوائد المدنية رحمه الله: هنا إشكال كان لا يزال يخطر ببالى من أوائل سنى، و هو أنه كيف تقول بأن التصديقات فائضة من الله تعالى على النفوس الناطقة، و منها كاذبة و منها كفرية، هذا إنما يتجه على رأى جمهور الأشاعرة القائلين بجواز العكس بأن يجعل الله كل ما حرمه واجبا و بالعكس، المنكرين للحسن و القبح الذاتيين، لا على رأى محققيهم، و لا على رأى المعتزلة، و لا على رأى أصحابنا؟

و الجواب أن التصديقات الصادقة فائضة على القلوب بلا واسطة أو بواسطة ملك، و هى تكون جزما أو ظنا، و التصديقات الكاذبة تقع فى القلوب بإلهام الشيطان، و هى لا تتعدى الظن و لا تبلغ إلى حد الجزم، و فى الأحاديث تصريحات بأن من جملة نعماء الله تعالى على بعض عبادة أنه يسلط ملكا يسدده و يلهمه الحق، و من جملة غضب الله على بعض أنه يخلى بينه و بين الشيطان ليضله عن الحق و يلهمه الباطل، و بأن الله تعالى يحول بين المرء و بين أن يجزم جزما باطلا" انتهى".

و على ما ذكره يكون المراد بالمعرفة العلم اليقينى المطابق، و الجهل يشمل البسيط و المركب، و نسبته إليه سبحانه من جهة التخلية، و لا يرد على شىء من تلك الوجوه عدم معاقبة الكفار و المخالفين على عقائدهم الباطلة، لأنهم إما موقنون فى أنفسهم منكرون ظاهرا فيعاقبون على الإنكار أو غير موقنين لتقصيرهم فى المبادئ، فلذا يعاقبون.

و يؤيده ما رواه الصدوق فى التوحيد عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدى عبد الملک بن أعين إلى أبى عبد الله عليه السلام اختلف الناس جعلت فداک بالعراق فى المعرفة و الجحود، فأخبرنى جعلت فداک أ هما مخلوقان؟ فكتب عليه السلام: اعلم رحمک الله أن المعرفة من صنع الله عز و جل فى القلب مخلوقة، و الجحود صنع الله فى القلب مخلوق، و ليس للعباد فيهما من صنع، فلهم فيهما الاختيار من الاكتساب، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة، فكانوا بذلک مؤمنين عارفين، و بشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلک كافرين جاحدين ضلالا، و ذلک بتوفيق الله لهم و خذلان من خذله الله، فبالاختيار و الاكتساب عاقبهم الله و أثابهم، إلى آخر الخبر.

إذ ظاهره أن المفيض للمعارف هو الرب تعالى، و للنظر و التفكر و الطلب مدخل فيها، و إنما يثابون و يعاقبون بفعل تلک المبادئ و تركها، و يحتمل أن يكون المعنى أن المعرفة ليست إلا من قبله تعالى، إما بإلقائها فى قلوبهم أو ببيان الأنبياء و الحجج عليهم السلام، و إنما كلف العباد بقبول ذلک و إقرارهم به ظاهرا و تخلية النفس قبل ذلک لطلب الحق عن العصبية و العناد، و عما يوجب الحرمان عن الحق من تقليد أهل الفساد، فهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب، ثم بين عليه السلام أن لتوفيق الله و خذلانه أيضا مدخلا فى ذلک الاكتساب أيضا كما مر تحقيقه.

الثانى: أن يخص بمعرفة الخالق و الإقرار بوجوده سبحانه، فإنها فطرية كما عرفت، و روى فى قرب الإسناد من معاوية بن حكيم عن البزنطى قال: قلت للرضا عليه السلام: للناس فى المعرفة صنع؟ قال: لا، قلت: لهم عليها ثواب؟ قال: يتطول عليهم بالثواب كما يتطول عليهم بالمعرفة، و روى فى المحاسن بسند صحيح عن صفوان قال: قلت للعبد الصالح: هل فى الناس استطاعة يتعاطون بها المعرفة؟ قال: لا، إنما هو تطول من الله، قلت: أ فلهم على المعرفة ثواب إذا كان ليس لهم فيها ما يتعاطونه بمنزلة الركوع و السجود الذى أمروا به ففعلوه؟ قال: لا إنما هو تطول من الله عليهم

و تطول بالثواب. و فى الصحيح أيضا عن زرارة عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عز و جل:
" وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ" قال:
كان ذلک معاينة فأنساهم المعاينة و أثبت الإقرار فى صدورهم، و لو لا ذلک ما عرف أحد خالقه و لا رازقه، و هو قول الله:" وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ".
الثالث: أن يعم بحيث يشمل جميع أصول الدين، و يكون المراد أن الهداية إنما هو من الله سبحانه كما قال:" إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ" لأن الله تعالى أعطى العقل و أقام الحجج على وجوده و علمه و قدرته و حكمته فى الآفاق و الأنفس، ثم بعث الأنبياء عليهم السلام ليبينوا للناس ما لا يفى به عقولهم، و أيدهم بالمعجزات الباهرات، ثم نصب لهم الأوصياء فترجع أسباب الهداية كلها إليه سبحانه، و ليس للعباد فيها مدخلية تامة، و يكون المراد بالجهل الجهل ببعض الأمور كمن لم تقم عليه حجة من المستضعفين فى الإمامة و غيرها، فيعذرهم أو بالجميع كالمجانين.
الرابع: أن يكون المراد سوى ما يتوقف عليه العلم بحقية الرسل عليهم السلام، فالمراد أن ما سوى ذلک توقيفية يعرفها الله بتوسطهم عليهم السلام و لم يكلفهم تحصيلها بالنظر كما قررنا سابقا.
الخامس: أن يكون المراد بالمعرفة كمالها، و بالجهل مقابله فإنهما بتوفيق الله سبحانه و خذلانه بأسباب راجعة إلى العبد كما دلت عليه الأخبار و شهدت به التجربة و الاعتبار.
السادس: أن تحمل على العلم بالأحكام الشرعية ردا على المخالفين القائلين بجواز استنباطها بقياس العقول و استحساناتها، كما روى البرقى فى المحاسن بإسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: ليس على الناس أن يعلموا حتى يكون الله هو المعلم لهم، فإذا علمهم فعليهم أن يعلموا، و قد مضت الأخبار الدالة على النهى عن

بَابُ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ
1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِى شُعَيْبٍ الْمَحَامِلِيِّ عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِى مَنْصُورٍ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِى عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ لَيْسَ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَعْرِفُوا وَ لِلْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ وَ لِلَّهِ عَلَى الْخَلْقِ إِذَا عَرَّفَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَجَّالِ عَنْ ثَعْلَبَةَ

اتباع الأهواء و العمل بالقياس فى الدين.
السابع: حمله على التقية لموافقته ظاهر المذاهب الأشاعرة و أشباههم، لكن لا ضرورة فيه، و حمله على بعض الوجوه السابقة أظهر.
و الرضا كيفية نفسانية تنفعل بها النفس و تتحرک نحو قبول شىء، سواء كان ذلک الشىء مرغوبا لها أو مكروها، و الغضب حالة نفسانية تنفعل بها النفس و تتحرک نحو الانتقام، و قد يطلقان على نفس الانفعالين، و النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث تقف الحواس عن أفعالها، لعدم انصباب الروح الحيوانى إليها، و اليقظة زوال تلک الحالة.
و أقول: لعل تخصيص تلک الستة من بين سائر الصفات النفسانية لأنها مما يتوهم فيها كونها بالاختيار، أو يقال: أنها أصول الكيفيات النفسانية فيظهر سائرها بالمقايسة، كاللذة و الألم، و الإرادة و الكراهة و الحياة و الموت، و الصحة و المرض، و الفرح و الغم، و الحزن و الهم، و البخل و الحقد و أشباهها، و الأول أظهر.

باب حجج الله على خلقه

الحديث الأول

: ضعيف.
و يعرف شرحه مما مر فى الأخبار السابقة، و هذه الأخبار و أمثالها مما يدل على الحسن و القبح العقليين.

الحديث الثانى

: مجهول.

ص: 235
بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع مَنْ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئاً- هَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَالَ لَا
3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَا حَجَبَ اللَّهُ عَنِ الْعِبَادِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ

قوله من لم يعرف، على بناء المعلوم من المجرد أو المجهول من باب التفعيل" شيئا" على العموم أى شيئا من الأشياء بإرسال الرسل أو الوحى أو الإلهام، هل يجب عليه شىء يؤاخذ بتركه و يعاقب عليه؟ أو المراد من لم يعرف شيئا خاصا بتعريفه سبحانه هل يجب ذلک الشىء عليه و يؤاخذ بتركه؟ و الجواب بنفى الوجوب أما على الأول فلقوله تعالى:" وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا" و لأن من لم يعرف شيئا حتى المعرفة بالله سبحانه التى من صنع الله كما مر على بعض الوجوه كيف يؤاخذ بعدم المعرفة به، و بما يترتب عليه كما قيل، و أما على الثانى فللآية و لأن مؤاخذة الغافل عن الشىء من غير أن ينبه عليه و عقابه على تركه قبيح عقلا، و قيل: إفاضة المعرفة من الله لا يعاقب على عدمها، و إنما يعاقب على ترک التحصيل كما مر فى بعض الوجوه، و يدل على أن الجاهل معذور، و على أن من لم تبلغه الدعوة و لم تتم عليه الحجة غير معاقب.

الحديث الثالث

: مجهول.
قوله: ما حجب الله عن العباد، و فى التوحيد" علمه" و ظاهره عدم تكليف العباد فى التفكر فى الأمور التى لم تبين لهم فى الكتاب و السنة، و ربما يحمل على ما ليس فى وسعهم العلم به كأسرار القضاء و القدر و أمثالها، و على التقادير يدل على أن الجاهل بالحكم مع عدم التقصير فى تحصيله معذور.

ص: 236

4 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ لِي اكْتُبْ فَأَمْلَى عَلَيَّ إِنَّ مِنْ قَوْلِنَا إِنَّ اللَّهَ يَحْتَجُّ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا آتَاهُمْ وَ عَرَّفَهُمْ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ فَأَمَرَ فِيهِ وَ نَهَى أَمَرَ فِيهِ بِالصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ

: حسن موثق.
قوله عليه السلام: اكتب، يدل على استحباب كتابة الحديث و لعل الأمر هنا للاعتناء بشأن ما يمليه لئلا ينسى شيئا منه، و الإملاء الإلقاء على الكاتب ليكتب، و أصله من المضاعف فأبدل الثانى ياء، كما قال تعالى على الأصل:" وَ لْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ"" بما آتاهم" أى من العقول" و عرفهم" و لعل المراد هنا معرفة الله سبحانه التى عرفها العباد بفطرهم عليها، أو بنصب الدلائل الواضحة فى الآفاق و الأنفس عليها، و يدل عليه قوله عليه السلام: ثم أرسل إليهم، فإن إرسال الرسول إنما يتأخر عن هذا التعريف" و أنزل عليهم" و فى التوحيد" عليه" بإرجاع الضمير إلى الرسول و خص الصلاة و الصيام بالذكر لأنهما من أعاظم أركان الإيمان و الإسلام، فنام رسول الله صلى الله عليه و آله هذا النوم رواه العامة و الخاصة أنه صلى الله عليه و آله نام فى المعرس حتى طلعت الشمس، و من أنكر سهو النبى لم ينكر هذا كما ذكره الشهيد (ره) لكنه ينافى ظاهرا ما عد من خصائصه صلى الله عليه و آله أنه كان ينام عينه و لا ينام قلبه، فيلزم ترک الصلاة متعمدا.
و أجيب عنه بوجوه:" الأول" أن المراد لا ينام قلبه فى الأكثر و هذه الإنامة كانت لمصلحة فكان كنوم الناس.
الثانى: ما ذكره بعض العامة أن المراد أنه لا يستغرقه النوم حتى يصدر منه الحدث.
الثالث: ما قال بعضهم أيضا إنه صلى الله عليه و آله أخبر أن عينيه تنامان و هما اللتان نامتا هيهنا، لأن طلوع الفجر يدرک بالعين لا بالقلب، و لا يخفى ما فيه إذ ظاهر

ص عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ أَنَا أُنِيمُکَ وَ أَنَا أُوقِظُکَ فَإِذَا قُمْتَ فَصَلِّ لِيَعْلَمُوا إِذَا أَصَابَهُمْ ذَلِکَ کَيْفَ يَصْنَعُونَ لَيْسَ کَمَا يَقُولُونَ إِذَا نَامَ عَنْهَا هَلَکَ وَ کَذَلِکَ الصِّيَامُ أَنَا أُمْرِضُکَ وَ أَنَا أُصِحُّکَ فَإِذَا شَفَيْتُکَ فَاقْضِهِ- ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع وَ کَذَلِکَ إِذَا نَظَرْتَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَمْ تَجِدْ أَحَداً فِي ضِيقٍ وَ لَمْ تَجِدْ أَحَداً إِلَّا وَ لِلَّهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَ لِلَّهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ وَ لَا أَقُولُ إِنَّهُمْ مَا شَاءُوا صَنَعُوا ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي وَ يُضِلُ

أن الغرض اطلاعه عليه السلام على ما يخفى على النائم، سواء كان مما يدرک بالعين أم لا كما يدل عليه قصة ابن أبى رافع و غيرها، و أوردناها فى الكتاب الكبير.
الرابع: ما يخطر بالبال و هو أنه صلى الله عليه و آله لم يكن مكلفا بالعمل بما يعلمه من غير الجهات التى يعلم بها سائر الخلق، لأنه صلى الله عليه و آله كان يعلم كفر المنافقين و لم يكن مأمورا بالعمل بما يقتضيه هذا العلم من قتلهم و الاجتناب عنهم و عدم مناكحتهم و غيرها من الأحكام، و كان الأئمة عليه السلام يعلمون كون السم فى الطعام أو الذهاب إلى العدو يوجب القتل أو هزيمة الأصحاب و لم يكونوا مكلفين بالعمل بهذا العلم، فلا يبعد أن يكون مع العلم بالفجر الصلاة ساقطة عنه أو مأمورا بتركها لتلک المصلحة، و يمكن أن يعد هذا الوجه الأخير جوابا خامسا و سيأتى بعض القول فيه فى كتاب الصلاة إن شاء الله تعالى.
قوله تعالى: أنا أنمتک، فى بعض النسخ أنيمک على صيغة المضارع كما فى التوحيد و هو أصوب، و هذا الكلام و ما بعده لبيان أن الله تعالى لم يضيق على العباد فى التكاليف بل وسع عليهم فيها، فكيف يتوهم أنه جبرهم على المعاصى أو كلفهم ما لا يعلمون أو لا يطيقون؟ و قوله عليه السلام: و لله عليه الحجة، كالدليل على ذلک، فإنه لا حجة على المجبور و لا على الجاهل لكونهما معذورين، و قوله: و لله فيه المشية، إشارة إلى نفى التفويض كما عرفت، كما صرح به بقوله: و لا أقول إنهم ما شاء و اصنعوا، بل لا بد من إذنه تعالى و توفيقه أو خذلانه و تخليته كما مر، أو المراد نفى التفويض بمعنى عدم الحصر بالأمر و النهى، و هو بعيد.
" إن الله يهدى و يضل" قيل: أى يثيب و يعاقب أو يرشد فى الآخرة إلى طريق

الجنة و النار للمطيع و العاصى كما قيل فى قوله تعالى:" سَيَهْدِيهِمْ وَ يُصْلِحُ بالَهُمْ" أو ينجى و يهلک كما فسر قوله تعالى:" لَوْ هَداناَ اللَّهُ لَهَدَيْناكُمْ" بالنجاة و فسرت الضلالة فى قوله تعالى:" فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ" و فى قوله:" أَ إِذا ضَلَلْنا" بالهلاک أو يكون نسبة الهداية و الإضلال إليه مجازا باعتبار أقداره على الخيرات و المعاصى، و الأظهر أن المراد بهما التوفيق للخيرات لمن يستحقه، و سلبه و خذلانه ممن لا يستحقه كما مر.

و قال المحقق الطوسى (ره) فى التجريد: الإضلال إشارة إلى خلاف الحق و فعل الضلالة، و الإهلاک و الهدى مقابل، و الأولان منفيان عنه تعالى، و قال العلامة قدس سره فى الشرح: يطلق الإضلال على الإشارة إلى خلاف الحق و البأس الحق بالباطل، كما تقول: أضلنى فلان عن الطريق إذا أشار إلى غيره، و أوهم أنه هو الطريق و يطلق على فعل الضلالة فى الإنسان كفعل الجهل فيه، حتى يكون معتقدا خلاف الحق، و يطلق على الإهلاک و البطلان كما قال الله تعالى:" فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ" بمعنى فلن يبطلها، و الهدى يقال لمعان ثلاثة مقابلة لهذه المعانى، فيقال بمعنى أعمالهم" بمعنى فلن يبطلها، و الهدى يقال لمعان ثلاثة مقابلة لهذه المعانى، فيقال بمعنى نصب الدلالة على الحق كما تقول: هدانى إلى الطريق، و بمعنى فعل الهدى فى الإنسان حتى الدلالة على الحق كما تقول: هدانى إلى الطريق، و بمعنى فعل الهدى فى الإنسان حتى يعتقد المشى على ما هو به، و بمعنى الإثابة كقوله تعالى:" سَيَهْدِيهِمْ" يعنى سيثيبهم و الأولان منفيان عنه تعالى بمعنى الإشارة إلى خلاف الحق و فعل الضلالة، لأنهما قبيحان و الله تعالى منزه عن فعل القبيح، و أما الهداية فإن الله نصب الدلالة على الحق و فعل الهداية الضرورية فى العقلاء و لم يفعل الإيمان فيهم لأنه كلفهم به و يثيب على الإيمان، فمعانى الهداية صادقة فى حقه تعالى إلا فعل ما كلف به، و إذا قيل: إن الله تعالى يهدى و يضل، فإن المراد به أنه يهدى المؤمنين بمعنى أنه يثيبهم، و يضل

العصاة بمعنى أنه يهلكهم و يعاقبهم، و قول موسى عليه السلام:" إِنْ هِیَ إِلَّا فِتْنَتُکَ" فالمراد بالفتنة الشدة و التكليف الصعب،" تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ" أی تهلک من تشاء و هم الكفار" انتهى".
و قال الفاضل المحدث الأسترآبادی (ره) فی حاشيته على هذا الحديث: يجیء فی باب ثبوت الإيمان أن الله خلق الناس كلهم على الفطرة التی فطرهم عليها لا يعرفون إيمانا بشريعة و كفرا بجحود، ثم بعث الله الرسل يدعو العباد إلى الإيمان به، فمنهم من هدى الله و منهم من لم يهد الله، و أقول: هذا إشارة إلى الحالة التی سمتها الحكماء العقل الهيولانی و معنى الضال هو الذی انحرف عن صوب الصواب و لما لم يكن قبل إرسال الرسل و إنزال الكتب صوب صواب امتنع حينئذ الانحراف عنه، و لما حصل أمكن ذلک، فيكون الله تعالى سببا بعيدا فی ضلالة الضال، و هذا هو المراد بقوله عليه السلام:" يضل".
و قال فی الفوائد المدنية: و أما أنه تعالى هو المضل فقد تواترت الأخبار عنهم عليهم السلام بأن الله يخرج العبد من الشقاوة إلى السعادة و لا يخرجه من السعادة إلى الشقاوة، فلا بد من الجمع بينهما، و وجه الجمع كما يستفاد من الأحاديث و إليه ذهب ابن بابويه: أن من جملة غضب الله تعالى على العباد أنه إذا وقع منهم عصيان ينكت نكتة سوداء فی قلبه، فإن تاب و أناب يزيل الله تعالى تلک النكتة، و إلا فتنتشر تلک النكتة حتى تستوعب قلبه كله، فحينئذ لا يرد قلبه إلى موضعه دليل.
لا يقال: من المعلوم أنه مكلف بعد ذلک، فإذا امتنع تأثر قلبه بكون تكليفه بالطاعة من قبيل التكليف بما لا يطاق؟.
لأنا نقول: من المعلوم أن انتشار النكتة لا ينتهى إلى حد تعذر التأثر، و مما يؤيد هذا المقام ما اشتمل عليه كثير من الأدعية المأثورة عن أهل بيت النبوة صلوات

الله عليهم من الاستعاذة بالله من ذنب لا يوفق صاحبه للتوبة بعده أبدا. ثم أقول:
هيهنا دقيقة أخرى و هى أنه يستفاد من قوله تعالى:" وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ" أى نجد الخير و نجد الشر، و من نظائره من الآيات و الروايات، و من قوله تعالى:" أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ" و من نظائره من الآيات و الروايات أن تصوير النجدين و تمييز نجد الخير من نجد الشر من جانبه تعالى، و أنه تعالى قد يحول بين المرء و بين أن يميل إلى الباطل، و قد لا يحول و يخلى بينه و بين الشيطان ليضله عن الحق و يلهمه الباطل، و ذلک نوع من غضبه، و يتضرع على اختيار العبد العمى بعد أن عرفه الله تعالى نجد الخير و نجد الشر، فهذا معنى كونه تعالى هاديا و مضلا، و بالجملة أن الله يقعد أولا فى أحد أذنى قلب الإنسان ملكا، و فى أحد أذنيه شيطانا ثم يلقى فى قلبه اليقين بالمعارف الضرورية، فإن عزم الإنسان على إظهار تلک المعارف و العمل بمقتضاها يزيد الله فى توفيقه، و إن عزم على إخفائها و إظهار خلافها يرفع الملک عن قلبه و يخلى بينه و بين الشيطان ليلقى فى قلبه الأباطيل الظنية، و هذا معنى كونه تعالى مضلا لبعض عباده" انتهى".
و قال بعض المحققين فى جواب استدلال الأشاعرة بقوله تعالى:" يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ*" على مذهبهم الفاسد: هذا مدفوع بما فصله الأصحاب فى تحقيق معنى الهداية و الضلالة، و حاصله أن الهدى يستعمل فى اللغة بمعنى الدلالة و الإرشاد نحو" إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى" و بمعنى التوفيق نحو" وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً" و بمعنى الثواب نحو" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ" و بمعنى الفوز و النجاة نحو" لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيْناكُمْ"

وَ قَالَ وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا بِدُونِ سَعَتِهِمْ وَ كُلُّ شَيْءٍ أُمِرَ النَّاسُ بِهِ فَهُمْ يَسَعُونَ لَهُ وَ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَسَعُونَ لَهُ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ وَ لَكِنَّ النَّاسَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ ثُمَّ تَلَا ع لَيْسَ

و بمعنى الحكم و التسمية نحو" أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ" يعنى أ تريدون أن تسموا مهتديا من سماه الله ضالا، و حكم بذلک عليه. و الإضلال يأتى على وجوه:" أحدهما" الجهل بالشىء يقال: أضل بعيره إذا جهل مكانه" و ثانيها" الإضاعة و الإبطال يقال: أضله أى إضاعة و أبطله، و منه قوله تعالى:" أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ*" أى أبطلها" و ثالثها" بمعنى الحكم و التسمية يقال أضل فلان فلانا أى حكم عليه بذلک، و سماه به" و رابعها" بمعنى الوجدان و المصادفة، يقال: أضللت فلانا أى وجدته ضالا، كما يقال: أبخلته أى وجدته بخيلا، و عليه حمل قوله تعالى:" وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ" أى وجده ضالا و حمل أيضا على معنى الحكم و التسمية و على معنى العذاب" و خامسها" أن يفعل ما عنده يضل و يضيفه مجازا لأجل ذلک كقوله تعالى:" يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً" أى يضل عنده كثير" و سادسها" أن يكون متعديا إلى مفعولين نحو" فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا"" لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ" و هذا هو الإضلال بمعنى الإغواء و هو محل الخطاب بيننا و بينهم، و ليس فى القرآن و لا فى السنة شىء يضاف إلى الله تعالى بهذا المعنى" انتهى".

" و ما أمروا إلا بدون سعتهم" أى أقل من طاقتهم، بل السعة أوسع من الطاقة و هو يتضمن السهولة، و يحتمل أن يكون- دون- بمعنى- عند-" و لكن الناس لا خير فيهم" إذ وسع عليهم هذه التوسعة، و مع ذلک لا يطيعونه، أو المراد أن ما لم يقع

عَلَى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ فَوُضِعَ عَنْهُمْ- ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ- وَ لا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قَالَ فَوُضِعَ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ

من المأمور به ليس لأنهم لا يسعون بل لأنه لا خير فيهم، و يحتمل أن يكون المراد بالناس العامة المجبرة حيث ينسبون ربهم إلى الجور و الظلم، مع هذه التوسعة التى جعلها الله فى التكاليف.

و قيل: المعنى المخالفون لا خير فيهم، حيث تمسكوا فى أصول الدين و فروعه بمفتريات أوهامهم، و تركوا اتباع من جعله الله مبينا و هاديا لهم" ثم تلا عليه السلام" استشهادا لقوله: لم تجد أحدا فى ضيق، و قوله: و ما أمروا إلا بدون سعتهم" لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ" لكمال فقرهم" ما يُنْفِقُونَ" فى سبيل الجهاد" حَرَجٌ" فوضع عنهم تكليف الخروج و الحرج و الإثم للقعود عن الجهاد و التأخر عن الخروج" ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ" و هم الضعفاء و المرضى" مِنْ سَبِيلٍ" إلى معاتبتهم و مؤاخذتهم و تكليفهم ما ليس فى وسعهم، و إنما وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن اتصافهم بصفة الإحسان و دخولهم فى المجاهدين بالقلب و اللسان، و إن تخلفوا عنهم بالأبدان صار منشأ لنفى الحرج عنهم كما قال سبحانه:" إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ. وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" يغفر لهم خطيئاتهم و لا يكلفهم بما لا يطيقون" وَ لا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ" من فقراء الصحابة" لِتَحْمِلَهُمْ" إلى الجهاد بتحصيل الراحلة و الزاد لينفروا معک" قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ" قال: فوضع عنهم الجهاد و الحرج لأنهم لا يجدون ما يركبون و ما ينفقون.

قيل: و المقصود من ذكر الآية أن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، فكيف يكلف الناس على اختلاف عقولهم و أهوائهم أن يكتسبوا المعارف و الأحكام بأوهامهم، و لا يبين لهم ذلک بهاد يهديهم و مرشد يرشدهم، و الله يعلم حقائق الأمور.

بَابُ الْهِدَايَةِ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ

1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجِ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع يَا ثَابِتُ مَا لَكُمْ وَ لِلنَّاسِ كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَ لَا تَدْعُوا أَحَداً إِلَى أَمْرِكُمْ فَوَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَ أَهْلَ الْأَرَضِينَ اجْتَمَعُوا

باب الهداية أنها من الله عز و جل

الحديث الأول

: مجهول.
قوله عليه السلام: ما لكم و للناس؟ الواو للعطف على الضمير المجرور بإعادة الجار، و العامل معنوى يشعر به كلمة الاستفهام و حروف الجر الطالبان للفعل، و المعنى:
ما تصنعون أنتم و الناس، ثم إن أخبار هذا الباب تشتمل على أمرين:
الأول: ترک المجادلة و المخاصمة و الاحتجاج فى مسائل الدين، و الآيات و الأخبار فى ذلک متعارضة ظاهرا إذ كثير منها دالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و فضل الهداية و التعليم، و دفع شبه المخالفين، و كثير منها تدل على رجحان الكف عن ذلک و عدم التعرض لهم و النهى عن المراء و المجادلة و المخاصمة.
و يمكن الجمع بينها بوجوه:" الأول" حمل أخبار النهى على التقية و الاتقاء على الشيعة فإنهم لحرصهم على هداية الخلق و دخولهم فى هذا الأمر كانوا يلقون أنفسهم فى المهالک، و يحتجون على المخالفين بما يعود به الضرر العظيم عليهم و على أنفسهم فى المهالک، و يحتجون على المخالفين بما يعود به الضرر العظيم عليهم و على أئمتهم عليهم السلام، كما كان من أمر هشام بن الحكم و أضرابه، فنهوهم عن ذلک و أزالوا التوهم الذى صار سببا لحرصهم فى ذلک من قدرتهم على هداية الخلق بالمبالغة و الاهتمام فى الاحتجاج فيها، بأن الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب من قبل الله تعالى، و لو علم الله المصلحة فى جبرهم على اختيار الحق لكان قادرا عليه و لفعل، فإذا لم يفعل الله ذلک لمنافاته للتكليف و غير ذلک من المصالح، فلم تتعرضون أنتم للمهالک، مع عدم

عَلَى أَنْ يَهْدُوا عَبْداً يُرِيدُ اللَّهُ ضَلَالَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوهُ وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَ أَهْلَ الْأَرَضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُضِلُّوا عَبْداً

قدرتكم عليه، و قد منع الله نبيه صلوات الله عليه من ذلک و قال:" إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ" و أما إظهار الحق فإنما يجب مع عدم التقية، مع أنه قد تبين الرشد من الغی و تمت الحجة عليهم بما رأوا من فضل الأئمة و علمهم و ورعهم و كمالهم، و فجور خلفائهم الجائرين و بغيهم، و انتشرت الأخبار الدالة على الحق بينهم، و يكفى ذلک لهدايتهم إن كانوا قابلين، و لإتمام الحجة عليهم إن كانوا متعنتين.

" الثانى" أن يكون الأمر بها عند عدم ظهور الحق و اشتباه الأمر على الناس و النهى عنها، أو تجويز تركها عند وضوح الحق و ظهور الأمر كما أشرنا إليه.

" الثالث" أن يحمل أخبار الأمر على ما إذا كان لظهور الحق و هداية الخلق، و أخبار النهى على ما إذا كان للمراء و المخاصمة، و إظهار الفضل و الكمال، و التعنت و الغلبة، و إن كان بالباطل، و هذا من أخس صفات الذميمة و أرذلها.

" الرابع" يمكن حمل بعض أخبار النهى على المسائل التى نهى عن الخوض فيها كمسألة القدر و كنه صفات البارى تعالى و أشباه ذلک.

" الخامس" أن يكون النهى محمولا على مجادلة من يعلم أنه لا يؤول إلى الحق لشدة رسوخه فى باطله.

" السادس" أن يكون بعضها محمولا على من لا تقدر على إلقاء الحجج و دفع الشبه فيكون مخاصمته سببا لقوة حجة الخصم و رسوخه فى ضلالته، و يدل عليه ما رواه الكشى عن عبد الأعلى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إن الناس يعيبون على بالكلام و أنا أكلم الناس؟ فقال: أما مثلک من يقع ثم يطير فنعم، و أما من يقع ثم لا يطير فلا، و عن الطيار قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: بلغنى أنک كرهت مناظرة الناس؟ فقال: أما كلام مثلک فلا يكره من إذا طار يحسن أن يقع، و إن وقع يحسن أن يطير، فمن كان هكذا لا نكرهه، و عن حماد قال: كان أبو الحسن عليه السلام يأمر محمد

ابن حكيم أن يجالس أهل المدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و أن يكلمهم و يخاصمهم حتى كلمهم فى صاحب القبر، و كان إذا انصرف إليه قال: ما قلت لهم؟ و ما قالوا لک؟

و يرضى بذلک منه، و عن هشام بن الحكم قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام: ما فعل ابن الطيار؟ قال: قلت: مات، قال: رحمه الله و لقاه نضرة و سرورا فقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت.

و يؤيد الوجه الثالث ما روى فى تفسير الإمام عليه السلام قال: ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال فى الدين، و أن رسول الله صلى الله عليه و آله و الأئمة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه؟ فقال الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقا، لكنه نهى عن الجدال بغير التى هى أحسن، أ ما تسمعون إليه يقول:" وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ" و قوله تعالى:

" ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ" فالجدال بالتى هى أحسن قد قرنه العلماء بالدين، و الجدال بغير التى هى أحسن محرم، و حرمه الله على شيعتنا، و كيف يحرم الله الجدال جملة و هو يقول:" وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى" قال الله تعالى:" تِلْکَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ" فجعل علم الصدق و الإيمان بالبرهان، و هل يؤتى بالبرهان إلا فى الجدال بالتى هى أحسن، قيل: يا بن رسول الله فما الجدال بالتى هى أحسن و التى ليست بأحسن؟ فقال: أما الجدال بغير التى هى أحسن أن تجادل مبطلا فيورد عليک باطلا فلا ترده بحجة قد نصبها الله تعالى، و لكن تجحد قوله أو تجحد حقا يريد ذلک المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلک الحق مخافة أن يكون له عليک فيه حجة لأنک لا تدرى كيف المخلص منه، فذلک حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم، و على المبطلين، أما المبطلون فيجعلون الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلة

و ضعف فی یده حجة له علی باطله، و أما الضعفاء منکم فتعمی قلوبهم لما یرون من ضعف المحق فی ید المبطل، ثم ذکر علیه السلام له احتجاجات النبی صلی الله علیه و آله علی أرباب الملل الباطلة.

و مما یؤید سائر الوجوه ما رواه الصدوق فی الخصال عن أبی جعفر علیه السلام أنه قال: إیاک و الخصومات فإنها تورث الشک و تحبط العمل، و تردی صاحبها، و عسی أن یتکلم الرجل بالشیء لا یغفر له، و فی المجالس عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إیاک و الخصومة فی الدین فإنها تشغل القلب عن ذکر الله عز و جل و تورث النفاق و تکسب الضغائن و تستجیز الکذب.

و ما رواه الشیخ فی مجالسه عن أبی عبد الله علیه السلام أنه قال لأصحابه: اسمعوا منی کلاما هو خیر لکم من الدهم الموقفة: لا یتکلم أحدکم بما لا یعنیه، و لیدع کثیرا من الکلام فیما یعینه، حتی یجد له موضعا، فرب متکلم فی غیر موضعه جنی علی نفسه بکلامه، و لا یمارین أحدکم سفیها و لا حلیما، فإنه من مارای حلیما أقصاه، و من مارای سفیها أرداه، و فی المحاسن عن أبی بصیر قال: قلت لأبی جعفر علیه السلام ادعوا الناس إلی ما فی یدی؟ فقال: لا، قلت: إن استرشدنی أحد أرشده؟ قال: نعم، إن استرشدک فأرشده، فإن استزادک فزده، فإن جاحدک فجاحده.

و روی السید بن طاوس فی کشف المحجة نقلا من کتاب عبد الله بن حماد عن عاصم الحناط عن أبی عبیدة الحذاء قال: قال لی أبو جعفر علیه السلام و أنا عنده: إیاک و أصحاب الکلام و الخصومات و مجالستهم، فإنهم ترکوا ما أمروا بعلمه، و تکلفوا ما لم یؤمروا بعلمه حتی تکلفوا علم السماء، یا أبا عبیدة خالط الناس بأخلاقهم و زائلهم بأعمالهم،

و من الكتاب المذكور عن جميل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: متكلمو هذه العصابة من شرار من هم منهم، إلى غير ذلک من الأخبار التى أوردتها فى كتاب بحار الأنوار.
و قال شارح التجريد القوشجى فى سياق أدلة النافين لوجوب النظر شرعا: و ثانيها: أن النبى صلى الله عليه و آله نهى عن الجدل كما فى مسألة القدر، روى أنه صلوات الله عليه خرج على أصحابه فرآهم يتكلمون فى القدر، فغضب حتى احمرت وجنتاه و قال:
إنما هلک من كان قبلكم بخوضهم فى هذا، عزمت عليكم أن لا تخوضوا فيه أبدا، و قال صلوات الله عليه: إذا ذكر القدر فأمسكوا، و لا شک أن النظر جدل، فيكون منهيا عنه لا واجبا، و أجيب: بأن ذلک النهى الوارد عن الجدل إنما هو حيث كان الجدل تعنتا و لجاجا بتلفيق الشبهات الفاسدة لترويج الآراء الباطلة، و دفع العقائد الحقة و إراءة الباطل فى صورة الحق بالتلبيس و التدليس، كما قال تعالى:" وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ" و قال:" بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" و قال" وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ*" و مثل هذا الجدال لا نزاع فى كونه منهيا عنه، و أما الجدل بالحق لإظهاره و إبطال الباطل فمأمور به، قال الله تعالى:" وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ" و مجادلة الرسول لابن الزبعرى، و على عليه السلام للقدرى مشهورة إلى آخر ما قال.
الثانى: أن الهداية من الله سبحانه، و لا يقدر الخلق عليها، و هو حق، و محمول على الإيصال إلى المطلوب، و هو مما لا يقدر عليه غيره تعالى، و أما الهداية بمعنى إراءة الطريق فهى شأن الأنبياء و الأوصياء و العلماء، و ربما يحمل على أن مفيض العلم

ص: 248
يُرِيدُ اللَّهُ هِدَايَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُضِلُّوهُ كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ عَمِّی وَ أَخِی وَ ابْنُ عَمِّی وَ جَارِی فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً طَيَّبَ رُوحَهُ فَلَا يَسْمَعُ مَعْرُوفاً إِلَّا عَرَفَهُ وَ لَا مُنْكَراً إِلَّا أَنْكَرَهُ- ثُمَّ يَقْذِفُ اللَّهُ فِی قَلْبِهِ كَلِمَةً يَجْمَعُ بِهَا أَمْرَهُ

2 عَلِیٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً- نَكَتَ فِی قَلْبِهِ نُكْتَةً مِنْ نُورٍ وَ فَتَحَ مَسَامِعَ قَلْبِهِ وَ وَكَّلَ بِهِ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ وَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ سُوءاً نَكَتَ فِی قَلْبِهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ وَ سَدَّ مَسَامِعَ قَلْبِهِ وَ وَكَّلَ بِهِ شَيْطَاناً يُضِلُّهُ ثُمَ

هو الله تعالى كما مر، و الأول أظهر، و هو المراد بقوله عليه السلام: على أن يهدوا عبدا يريد الله ضلالته، و المراد بإرادة الضلالة أن يكله إلى نفسه، و يمنعه الألطاف الخاصة التى لا يستحقها، فيختار الضلالة، فإرادة الضلالة إرادة بالعرض و على المجاز، و ربما تأول الإرادة بالعلم الأزلى، أو بالعذاب و الهلاك كما مر، و كذا إرادة الهداية توفيقه و تأييده بما يصير سببا لاختياره الاهتداء، و ربما تأول بالإثابة و الإرشاد إلى طريق الجنة فى الآخرة.

" و لا يقول أحد عمى" أى هذا عمى و يلزمنى هدايته" فإن الله إذا أراد بعبد خيرا" أى استحق الألطاف الخاصة" طيب روحه" من خبث العقائد الباطلة" إلا عرفه" أى أيقن أنه حق" إلا أنكره" أى لم يذعن به، و علم أنه باطل" ثم يقذف الله فى قلبه كلمة يجمع بها أمره" المراد بالكلمة ولاية الأئمة عليهم السلام و وجوب متابعتهم فبها يتم نجاته لأنه يأخذ عنهم ما ينجيه من العقائد و الأعمال الحقة، أو الإخلاص و صدق النية فى طلب الحق، و ترک الأغراض الباطلة، و قيل: أى كلمة التقوى و هى المعرفة الكاملة.

الحديث الثانى

: مجهول.
قوله عليه السلام: إذا أراد بعبد خيرا، أى لطفا يستحقه بحسن اختياره، و قيل: أى علما" نكت فى قلبه نكتة" أى أثر فى قلبه تأثيرا و أفاض عليه علما يقينيا ينتقش

تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ

فيه من قولهم: نكت الأرض بالقضيب إذا أثر فيها، و سمى اليقين بالنور إذ به يظهر حقائق الأشياء على النفس، و فتح مسامع القلب كناية عن تهيئة لقبول ما يرد عليه من المعارف" و وكل به ملک يسدده" و يلهمه الحق، و يدفع عنه استيلاء الشيطان بالشبهات،" و إذا أراد بعبد سوءا" أی منع لطفه لعدم استحقاقه" نكت فی قلبه" أی يخليه و الشيطان، فينكت الشيطان فی قلبه نكتة سوداء من الجهالة و الضلالة، و ما يصير سببا لعدم قبول الحق و سد مسامع قلبه، أی لا يوفقه لقبول الحق و لا يفعل به ما فعل بمن استحق الألطاف الخاصة، فكأنه سبحانه سد مسامع قلبه، و هو مثل قوله سبحانه:" خَتَمَ اللَّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ"" و وكل به شيطانا" أی يخلی بينه و بين الشيطان لعدم قبوله هداية الرحمن، و إعراضه عن الحق بعد البيان.

قوله تعالى" فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ" قال البيضاوی: أی يعرفه طريق الحق و يوفقه للإيمان" يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ" فيتسع له و يفسح ما فيه مجالة و هو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها، مصفاة عما يمنعه و ينافيه" وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً" بحيث ينبو عن قبول الحق، فلا يدخله الإيمان" كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ" شبهه مبالغة فی ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه، فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة.

و قال الطبرسی: قد ذكر فی تأويل الآية وجوه:" أحدهما" أن معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب و طريق الجنة يشرح صدره فی الدنيا للإسلام، بأن يثبت عزمه عليه و يقوی دواعيه على التمسک، و يزيل عن قلبه وساوس الشيطان، و إنما يفعل ذلک لطفا و منا عليه و ثوابا على اهتدائه بهدی الله، و قبوله إياه و نظيره قوله سبحانه

" وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً"" و يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً"" و مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ" عن ثوابه و كرامته" يَجْعَلْ صَدْرَهُ" فى كفره" ضَيِّقاً حَرَجاً" عقوبة له على تركه الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعا له عن الإيمان و سالبا إياه القدرة عليه، بل ربما يكون ذلک سببا داعيا له إلى الإيمان فإن من ضاق صدره بالشىء كان ذلک داعيا له إلى تركه، و قد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه و آله عن شرح الصدر ما هو؟ فقال صلى الله عليه و آله: نور يقذفه الله فى قلب المؤمن، فينشرح له صدره، و ينفسخ قالوا: فهل لذلک من أمارة فيعرف بها؟ قال صلى الله عليه و آله: نعم الإنابة إلى دار- الخلود و التجافى عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل نزوله.

و ثانيها: أن معنى الآية من يرد الله أن يثبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذى ذكرناه جزاء له على إيمانه و اهتدائه، و قد يطلق لفظ الهدى و المراد به الاستدامة كما قلناه فى: اهدنا الصراط المستقيم" وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ" أى يخذله و يخلى بينه و بين ما يريده لاختياره الكفر، و تركه الإيمان" يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً" بأن يمنعه الألطاف التى ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها، بإقامته على كفره.

و ثالثها: أن معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التى وعدها المؤمن يشرح صدره لتلک الزيادة لأن من حقها أن تزيد المؤمن بصيرة، و من يرد أن يضله عن تلک الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن تصح عليه" يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً" لمكان فقد تلک الزيادة لأنها إذا اقتضت فى المؤمن ما قلناه، اقتضى فى الكافر ما يضاده، و تكون الفائدة فى ذلک الترغيب فى الإيمان و الزجر عن الكفر، و قد روى عن ابن عباس أنه قال: إنما سمى قلب الكافر حرجا لأنه لا يصل الخير إلى قلبه، و فى رواية أخرى: لا تصل الحكمة إلى قلبه، و لا يجوز أن يكون

المراد بالإضلال في الآية الدعاء إلى الضلال، و لا الأمر به، و لا الإجبار عليه، لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يأمر بالضلال، و لا يدعو إليه، فكيف يجبر عليه، و الدعاء إليه أهون من الإجبار عليه، و قد ذم الله سبحانه فرعون و السامرى على إضلالهما عن دين الهدى فى قوله:" وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ ما هَدى" و قوله:" وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ" و لا خلاف فى أن إضلالهما إضلال أمر و إجبار و دعاء، و قد ذمهما الله سبحانه عليه مطلقا، فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره.

و قوله:" كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِى السَّماءِ" فيه وجوه:" أحدها" أن معناه كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعى إلى الإسلام من ضيق صدره عنه، و كان قلبه يصعد إلى السماء نبوا عن الإسلام و الحكمة عن الزجاج" و ثانيها" أن معنى يصعد كأنه يتكلف مشقة فى ارتقاء صعود" و ثالثها" أن معناه كأنما ينزع قلبه إلى السماء لشدة المشقة عليه فى مفارقه مذهبه" انتهى".

و روى الصدوق فى التوحيد و العيون و غيرهما بإسناده عن حمدان بن سليمان قال:

سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز و جل:" فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ" قال: من يرد الله أن يهديه بإيمانه فى الدنيا إلى جنته و دار كرامته فى الآخرة يشرح صدره للتسليم لله و الثقة به، و السكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه، و من يرد أن يضله عن جنته و دار كرامته فى الآخرة لكفره به و عصيانه له فى الدنيا يجعل صدره ضيقا حرجا حتى يشک فى كفره و يضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنما يصعد فى السماء" كَذلِکَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ".

و فى معانى الأخبار بإسناده عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله عز و جل:" وَ مَنْ يُرِدْ

ص: 252

3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ وَ لَا تَجْعَلُوهُ لِلنَّاسِ فَإِنَّهُ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ لِلَّهِ وَ مَا كَانَ لِلنَّاسِ فَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ وَ لَا تُخَاصِمُوا النَّاسَ لِدِينِكُمْ فَإِنَّ الْمُخَاصَمَةَ مَمْرَضَةٌ لِلْقَلْبِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ص إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ

أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً" فقال: قد يكون ضيقا و له منفذ يسمع منه و يبصر و الحرج هو الملتئم الذى لا منفذ يسمع به و لا يبصر منه.

الحديث الثالث

: حسن.
قوله عليه السلام: اجعلوا أمركم، أى دينكم قولا و فعلا خالصا" لله" طالبين لمرضاته" و لا تجعلوه للناس" رياء و سمعة، و للغلبة عليهم و إظهارا للفضل و الكمال" فإنه ما كان لله فهو لله" أى يصل إليه و يقبله، و قيل: ما كان لله فى الدنيا فهو فى الآخرة أيضا لله يطلب الثواب منه" و ما كان للناس فلا يصعد إلى الله" أى لا يقبله، أو لا يصعد به ليكتب فى ديوان المقربين كما قال سبحانه:" إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِى عِلِّيِّينَ" و قال:
" إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ" فإن صعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما، أو صعود الكتبة بصحيفتهما" فإن المخاصمة ممرضة" بفتح الميم و الراء، اسم مكان أو بضم الميم و كسر الراء اسم فاعل، أى موجبة لحدوث أمراض الشک و الشبهة و الأخلاق الذميمة من الحقد و الحسد و غيرهما فى القلب، و القلب المستعد لقبول الحق يكفيه أدنى تنبيه، و القلب المطبوع على الباطل لا تنجع فيه أعلى مدارج الخصومات من العالم النبيه بل يضره و يصير سببا لمزيد رسوخه فيما هو فيه، ثم أيد عليه السلام ما ذكره بقوله تعالى لنبيه صلوات الله عليه فى عدم ترتب الهداية على مبالغته و مجادلته:" إِنَّکَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ" قال الطبرسى رحمه الله أى أحببت هدايته أو

وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ وَ قَالَ أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّی يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

أحببته لقرابته، و المراد بالهداية هنا اللطف الذی يختار عنده الإيمان، فإنه لا يقدر عليه إلا الله لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو بإعلامه، و لا يعلم ما يصلح المرء فی دينه إلا الله تعالی، فإن الهداية التی هی الدعوة و البيان قد أضافه سبحانه إليه فی قوله:" وَ إِنَّكَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ".
و قيل: إن المراد بالهداية فی الآية الإجبار علی الاهتداء أی أنت لا تقدر علی ذلک، و قيل: معناه ليس عليک اهتداؤهم و قبولهم الحق" وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ*" بلطفه، و قيل: علی وجه الإجبار.
و قال رحمه الله فی قوله تعالی" وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً" معناه الأخبار عن قدرة الله تعالی علی أن يكره الخلق علی الإيمان، كما قال:" إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ" و لذا قال بعد ذلک" أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّی يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" و معناه أنه لا ينبغی أن تريد إكراههم علی الإيمان، مع أنک لا تقدر عليه، لأن الله تعالی يقدر عليه و لا يريده لأنه ينافی التكليف، و أراد بذلک تسلية النبی صلی الله عليه و آله و تخفيف ما يلحقه من التحسر و الحرص علی إيمانهم عنه" انتهی".
و روی الصدوق رحمه الله فی كتاب العيون بإسناده عن الرضا عليه السلام أنه قال له المأمون: ما معنی قول الله جل ثناؤه:" وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّی يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" فقال الرضا عليه السلام: حدثنی أبی عن آبائه عن علی بن أبی طالب عليه السلام قال: إن المسلمين

ذَرُوا النَّاسَ فَإِنَّ النَّاسَ أَخَذُوا عَنِ النَّاسِ وَ إِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص إِنِّی سَمِعْتُ أَبِی ع یَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ إِذَا کَتَبَ عَلَی عَبْدٍ أَنْ یَدْخُلَ فِی هَذَا الْأَمْرِ کَانَ أَسْرَعَ

قالوا لرسول الله صلی الله علیه و آله: لو أکرهت یا رسول الله من قدرت علیه من الناس علی الإسلام لکثر عددنا، و قوینا علی عدونا؟ فقال رسول الله صلی الله علیه و آله: ما کنت لألقی الله ببدعة لم یحدث إلی فیها شیئا و ما أنا من المتکلفین، فأنزل الله تبارک و تعالی یا محمد صلی الله علیه و آله" وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لَآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً" علی سبیل الإلجاء و الاضطرار فی الدنیا کما یؤمن عند المعاینة و رؤیة البأس فی الآخرة، و لو فعلت ذلک بهم لم یستحقوا منی ثوابا و لا مدحا و لکنی أرید منهم أن یؤمنوا مختارین غیر مضطرین لیستحقوا منی الزلفی و الکرامة، و دوام الخلود فی جنة الخلد أ فأنت تکره الناس حتی یکونوا مؤمنین، و أما قوله عز و جل:" وَ ما کانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" فلیس علی تحریم الإیمان علیها، و لکن علی أنها ما کانت لتؤمن إلا بإذن الله، و إذنه أمره لها بالإیمان، ما کانت مکلفة متعبدة و إلجاؤه إیاها إلی الإیمان عند زوال التکلیف و التعبد عنها، فقال المأمون: فرجت عنی یا أبا الحسن فرج الله عنک.

" ذروا الناس" أی اترکوا المخالفین و لا تتعرضوا لمعارضتهم و مجادلتهم، أو لدعوتهم أیضا تقیة فإنهم أخذوا دینهم من الناس و اتبعوهم و ظنوا أن فعلهم و قولهم حجة، فلا یترکون دینهم بقولکم، و أنتم أخذتم دینکم عن رسول الله صلی الله علیه و آله بواسطة المعصومین من أهل بیته علیه السلام، و الغرض إما بیان المباینة بین المسلکین و البعد بین الطریقتین لبیان أن حجة الشیعة لا یؤثر فیهم فلا ینبغی لهم التعرض للمهالک لذلک أو هو تسلیة للشیعة بأنکم لما کنتم علی الحق فلا تبالوا بمخالفة من خالفکم، أو الغرض أنه إن کان غرضکم هدایتهم فقد سبق أنه من الله، و إن کان لتبین حجیة مذهبکم فحجتکم واضحة لا نحتاج إلی ذلک.

و قیل: المعنی ذروا مخالطة الناس و موافقتهم، فإنکم علی الحق و إنهم علی الباطل، و لا یخفی بعده.

إِلَيْهِ مِنَ الطَّيْرِ إِلَى وَكْرِهِ
4 أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع نَدْعُو النَّاسَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ فَقَالَ لَا يَا فُضَيْلُ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً أَمَرَ مَلَكاً فَأَخَذَ بِعُنُقِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَائِعاً أَوْ كَارِهاً تَمَّ كِتَابُ الْعَقْلِ وَ الْعِلْمِ وَ التَّوْحِيدِ مِنْ كِتَابِ الْكَافِي وَ يَتْلُوهُ كِتَابُ الْحُجَّةِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الْكَافِي تَأْلِيفِ الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ

" إذا كتب على عبد" أى علم إيمانه و كتبه فى اللوح، و وكر الطائر: عشه.

: مجهول.
و النهى عن الدعوة أما للتقية أو محمول على ترک المبالغة فيها لمن لا يرجى نفعها فيه" طائعا أو كارها" أى سواء كان فى أول الأمر راغبا فيه أم لا، إذ كثيرا ما نرى رجلا فى غاية التعصب فى خلاف الحق، ثم يدخل فيه بلطف من ألطافه تعالى كالأحلام الصادقة أو غيرها، و قيل: إشارة إلى اختلاف مراتب الألطاف، و قيل: أى أدخله فى معرفة هذا الأمر و العلم بحقيته بالاطلاع على دلائله، سواء كان راغبا فيه أو كارها له، فإن عند الاطلاع على الدلائل، و الانتقال إلى وجه الدلالة يحصل العلم بالمدلول، و إن لم يكن المطلع راغبا و كان كارها.
انتهى ما وفق الله سبحانه لتعليقه على كتاب التوحيد من كتاب الكافى: أفقر العباد إلى عفو ربه الغنى محمد باقر بن محمد تقى الملقب بالمجلسى عفا الله عن جرائمهما فى سابع شهر ربيع الثانى من سنة ثمان و تسعين بعد ألف الهجرية على غاية الاستعجال و توزع البال و وفور الأشغال، و الحمد لله على كل حال و الصلاة على سيد المرسلين محمد و آله خير آل.

كِتَابُ الْحُجَّةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* بَابُ الِاضْطِرَارِ إِلَى الْحُجَّةِ
1 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُمَرَ الْفُقَيْمِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ

كتاب الحجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى محمد و آله خيرة الورى أما بعد فهذا هو المجلد الثانى من كتاب مرآة العقول فى شرح أخبار الرسول صلى الله عليه و عليهم أجمعين من كتاب الكافى.

باب الاضطرار إلى الحجة

اشارة

أی لا بد فی کل زمان من حجة معصوم، عالم بما یحتاج إلیه الخلق إما نبی أو وصی نبی، و هذا المطلوب مبین فی کتب الکلام بالبراهین العقلیة و النقلیة.

الحديث الأول

مجهول، و هو جزء من حديث طويل أوردناه فى الكتاب الكبير و قد مضى بعض أجزائه فى كتاب التوحيد.

الْحَكَمِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ لِلزِّنْدِیقِ الَّذِی سَأَلَهُ مِنْ أَیْنَ أَثْبَتَّ الْأَنْبِیَاءَ وَ الرُّسُلَ قَالَ إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقاً صَانِعاً مُتَعَالِیاً عَنَّا وَ عَنْ جَمِیعِ مَا خَلَقَ وَ کَانَ ذَلِکَ الصَّانِعُ حَکِیماً مُتَعَالِیاً لَمْ یَجُزْ أَنْ یُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَ لَا یُلَامِسُوهُ فَیُبَاشِرَهُمْ وَ یُبَاشِرُوهُ وَ یُحَاجَّهُمْ وَ یُحَاجُّوهُ ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِی خَلْقِهِ یُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَی خَلْقِهِ وَ عِبَادِهِ وَ یَدُلُّونَهُمْ عَلَی مَصَالِحِهِمْ وَ مَنَافِعِهِمْ وَ مَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَ فِی تَرْکِهِ فَنَاؤُهُمْ- فَثَبَتَ الْآمِرُونَ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْحَکِیمِ الْعَلِیمِ فِی خَلْقِهِ وَ الْمُعَبِّرُونَ عَنْهُ جَلَّ وَ عَزَّ وَ هُمُ الْأَنْبِیَاءُ ع وَ صَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ حُکَمَاءَ مُؤَدَّبِینَ بِالْحِکْمَةِ مَبْعُوثِینَ بِهَا غَیْرَ مُشَارِکِینَ لِلنَّاسِ عَلَی مُشَارَکَتِهِمْ لَهُمْ فِی الْخَلْقِ وَ التَّرْکِیبِ فِی شَیْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ مُؤَیَّدِینَ

" من أین أثبت" علی صیغة المخاطب و ربما یقرأ علی بناء المفعول و هو بعید" متعالیا عنا" أی عن مشابهتنا و الاشتراک معنا فی الحقیقة و الصفة، و قوله: متعالیا ثانیا أرید به تعالیه عن العبث و اللغو، أو عن أن یشاهده الخلق و یلامسوه، فقوله:" لم یجز" صفة موضحة، و علی الأول یحتمل أن یکون خبرا بعد خبر لکان، ثم إنه یحتمل أن یکون المراد بالملامسة و المباشرة معنییهما الحقیقیین، أو إدراکه بحقیقته فإنه یستلزم حصول حقیقته سبحانه فی الذهن، أو إدراکه علی وجه الکمال، و المراد بالخلق أکثرهم، أو إدراک کل أحد علی ما ینبغی و یلیق به بالمعنی بلا واسطة.

و قوله: ثبت، جواب لما، و السفراء: جمع سفیر من سفر بین القوم أی أصلح، أو من السفر بمعنی الکشف و الإیضاح" علی مصالحهم و منافعهم" أی الدنیویة و الأخرویة" و ما به بقاؤهم" من أمور المعاش، أو الأعم منها و من العبادة و المعرفة، فإن بقاء الخلق بهما" غیر مشارکین للناس" أی فی التقدس و القرب و الکمالات.

ثم اعلم أنه علیه السلام أشار بذلک إلی براهین شتی علی اضطرار الناس إلی الرسل نذکر منها وجهین جامعین:

الأول: أنه لما ثبت وجود الصانع تعالی و حکمته و أنه لا یفعل العبث، و لو لم یکن الخلق مکلفین بمعرفته و عبادته لیفوزوا بهما بالمثوبات الأخرویة و الکمالات النفسانیة، لکان خلقهم عبثا، إذ یعلم کل عاقل أن اللذات الدنیویة المشوبة

بأنواع المحن و الآلام لا تصلح علة لهذا الخلق و النظام، و أما معرفته سبحانه فلا يمكن حصولها للخلق إلا بوحيه سبحانه، لتعاليه عن مشاركة الخلق فى حقائقهم، و مشابهته لهم حتى يعرفوا حقيقته بذلک كما تعرف سائر الخلق به، و هو متعال عن أن يدرک بالحواس أيضا حتى يعرف بذلک، و كذا معلوم أن ما يوجب القرب و الكمال من الأخلاق و الأعمال مما لا تفى بها القوى البشرية و العقول الإنسانية فلا بد فى معرفة جميع ذلک من وحى من الله سبحانه و تلقى الوحى منه تعالى لا يتيسر لجميع الخلق، إذ لا بد من نوع مناسبة بين الموحى و الموحى إليه حتى يفهم ما يلقى إليه فلذا أرسل الله تعالى من عباده أقواما من جهة روحانيتهم و تقدسهم و تنزههم عن الأدناس البشرية يناسبون الملإ الأعلى و بهذه الجهة يتلقون الوحى من ربهم جل و علا، و من جهة بشريتهم و تجسمهم و مشاكلتهم للخلق فى صورهم و أجسامهم و معاشرتهم لهم فى ظواهر أحوالهم، يلقون الوحى إليهم.

و أيضا لو كان الله تعالى يلقى الوحى إلى سائر الخلق كما ألقى إلى نبينا صلى الله عليه و آله فى ليلة المعراج و غيرها، و إلى موسى عند الشجرة، لم تتم الحجة عليهم، لأنه لم تكن لهم قابلية أن يعرفوا أن ذلک الوحى من قبله سبحانه و ليس من الشياطين، بخلاف ما إذا سمعوا من بشر مثلهم يأتى بما لا يقدرون على الإتيان بمثله، فثبت أنه لا بد من سفراء بينه سبحانه و بينهم، و لا بد أن يكونوا من نوع البشر، و أن يكونوا مع مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب مباينين لهم فى سائر أحوالهم و أطوارهم و أخلاقهم مقدسين منزهين روحانيين ليضاهئوا الملإ الأعلى كما مر ذكره فيما مضى، و معصومين مؤيدين بالمعجزات ليكونوا حجة على غيرهم.

و هذا مما خطر ببالى القاصر، و هو بيان شاف، و برهان كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

الثانى: ما ذكره السالكون مسلک الحكماء و هو مبنى على مقدمات عقلية:

أوليها: أن لنا خالقا صانعا قادرا على كل شىء.

و الثانية: أن الله جل اسمه متعال عن التجسم و التعلق بالمواد و الأجسام، و عن أن يكون مبصرا أو محسوسا بإحدى الحواس خلافا للكرامة و من يحذو حذوهم.
و الثالثة: أنه تعالى حكيم عالم بوجوه الخير و المنفعة فى النظام، و سبيل المصلحة للخلائق فى المعيشة و القوام و البقاء و الدوام.
و الرابعة: أن الناس محتاجون فى معاشهم و معادهم إلى من يدبر أمورهم و يعلمهم طريق المعيشة فى الدنيا، و النجاة من العذاب فى العقبى و ذلک لأنه من المعلوم أن الإنسان لا تتمشى معيشته لو انفرد وحده شخصا واحدا كغيره من أنواع الحيوان يتولى أمره من غير شريک يعاونه على ضروريات حاجاته، و أنه لا بد من أن يكون مستغنيا بآخر من نوعه يكون ذلک أيضا مستغنيا مكفيا به و بنظيره، فيكون هذا يزرع لهذا و هذا يطحن لذاک، و ذلک يخبز لآخر و آخر يخيط لغيره، و هذا يبنى و هذا يتخذ الحديد، و هذا ينجر و على هذا القياس، حتى إذا اجتمعوا كان أمرهم مكفيا و لهذا اضطروا إلى عقد المدن و الاجتماعات للمعاملات و المناكحات و سائر المعاونات و المشاركات.
و بالجملة لا بد فى وجود الإنسان و بقائه من المشاركة، و لا تتم المشاركة إلا بالمعاملة، و لا بد فى المعاملة من سنة و قانون عدل، و لا بد للسنة و العدل من سان و معدل، و لا يجوز أن يترک الناس و آراءهم و أهواءهم فى ذلک، فيختلفون، فيرى كل أحد منهم ما له عدلا و ما عليه ظلما و جورا، و لا بد أن يكون هذا المعدل و الإنسان بشرا لا ملكا، لأن الملک لا يراه أكثر الناس إلا أن يتشكل بشرا، لأن قواهم لا تقوى على رؤيته على صورة الملكية، و إنما رآهم الأفراد من الأنبياء بقوتهم القدسية.
ثم لو فرض أن يتشكل بحيث يراه سائر الخلق كجبرئيل فى صورة دحية كان ملتبسا عليهم كالبشر كما قال تعالى:" وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ

مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحِكْمَةِ ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِکَ فِی کُلِّ دَهْرٍ وَ زَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ

ما يَلْبِسُونَ" فلا بد أن يكون الإنسان له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمرا لا يوجد لهم، فيتميز به منهم، فيكون له المعجزات التى أخبرنا بها و الحاجة إلى هذا الإنسان فى أن يبقى نوع البشر، و يتحصل وجوده أشد من كثير من المنافع التى لا ضرورة فيها للبقاء كإنبات الشعر على الحاجبين، و تقعير الأخمص للقدمين، و ما يجرى مجراهما من منافع الأعضاء التى بعضها للزينة و بعضها للسهولة فى الأفعال و الحركات، كما يظهر من علم التشريح، و وجود هذا الإنسان الصالح لأن يسن و يشرح ممكن و تأييده بالآيات و المعجزات الموجبة لإذعان الخلق له أيضا ممكن فلا يجوز أن تكون الغاية الأولى تقتضى تلك المنافع، و لا تقتضى هذه التى هى أصلها و عمدتها.
فإذا تمهدت هذه المقدمات فثبت و بين أنه واجب أن يوجد نبى و أن يكون إنسانا، و أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس و هى الأمور الخارقة للعادات، و يجب أن يسن للناس سننا بإذن الله و أمره و وحيه، و إنزال الملک إليه، و يكون الأصل الأول فيما يسنه تعريفه إياهم أن لهم صانعا قادرا واحدا لا شريک له، و أن النبى عبده و رسوله، و أنه عالم بالسر و العلانية و أنه من حقه أن يطاع أمره، و أنه قد أعد لمن أطاعه الجنة، و لمن عصاه النار، حتى يتلقى الجمهور أحكامه المنزلة على لسانه من الله و الملائكة بالسمع و الطاعة.
ففى هذا الحديث الشريف تصريح و تلويح إلى جميع ذلک كما لا يخفى على المتأمل.
قوله:" ثم ثبت ذلک" أقول: يحتمل هذا الكلام وجوها:
الأول: أن يكون المعنى أن الدليل المتقدم إنما يدل على وجوب النبى

وَ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَ الْبَرَاهِينِ لِكَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ

أو الحجة فى كل عصر، و أما تعيين الأشخاص المعينة فإنما يثبت بما أتوا به من الدلائل و البراهين، أى الآيات و المعجزات و خوارق العادات، و غلبتهم فى العلوم على أهل عصرهم، و قوله عليه السلام:" لكيلا يخلو" تعليل لقوله: ثم ثبت، و وجه التعليل أنه ما دامت الأرض باقية و الناس موجودين فيها لا بد لهم من حجة لله عليهم يقوم بأمرهم، و يهديهم إلى سبيل الرشاد مؤيدا بما يدل على صدقه و عدالته و وجوب متابعته.
الثانى: أن يكون ذلک إشارة إلى وجود الآمرين و الناهين الموصوفين بالأوصاف المذكورة، و المراد أن الدليل السابق إنما دل على وجوب إقامة الحجة فى الأرض فى الجملة، و أما عدم خلو دهر طويل أو زمان قصير من حجة فإنما ثبت بقول الأنبياء و الرسل، فإن كلامهم و أخبارهم عن الله دليل و برهان حيث أخبروا أن أرض الله لا تخلو من حجة فمن فى قوله" مما" للسببية، و الظرف متعلق بقوله: ثم ثبت، أو بكل من" فثبت" و" ثم ثبت" على التنازع.
الثالث: أن يكون المقصود بالدليل أولا إثبات الأنبياء عليهم السلام، و بقوله: ثم ثبت إثبات الأوصياء، و هذا يحتمل وجهين:" أحدهما" أنه قد ثبت الأوصياء فى كل دهر بما أتت به الأنبياء من قبل الله من النص عليهم، فيكون ثبوت الأنبياء عليهم السلام بالعقل و الأوصياء بالنقل" و ثانيهما" أن يكون المراد أن الأوصياء بعد الأنبياء أيضا ثبت إمامتهم بما أتت به الأنبياء من المعجزات، و فى بعض النسخ: مما أثبت، و لا يخفى توجيهه على الوجوه إن قرأ معلوما أو مجهولا.
و يزيد على الأخير أنه يمكن تعميمه بحيث يشمل الدليل العقلى المتقدم الدال على وجوب الأنبياء عليه السلام.
قوله عليه السلام: تكون معه علم، بفتحتين أى علامة و دليل، و ربما يقرأ بكسر الأول و سكون الثانى.

يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَ جَوَازِ عَدَالَتِهِ
2 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ بَلِ الْخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِاللَّهِ قَالَ صَدَقْتَ قُلْتُ إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبّاً فَيَنْبَغِي لَهُ

قوله عليه السلام: على جواز عدالته، أى جريان حكمه العدل.

: مجهول كالصحيح.
قوله: من أن يعرف بخلقه، قد سبقت الوجوه المحتملة فى هذه الفقرة، و حاصلها: أنه تعالى أجل من أن يعرف بتعريف خلقه، إذ المعرفة موهبية و على الخلق إراءة السبيل، و الموصل هو الله سبحانه" بل الخلق يعرفون بالله" على بناء المعلوم أى إنما يعرفونه بإفاضته و هدايته و توفيقه، أو من أن يعرف بصفات خلقه و مشابهتهم بل إنما يعرفونه بما عرف به نفسه من الصفات اللائقة، أو بل الخلق يعرفون الحقائق الممكنة و أحوالها بالله، أى بسبب خلقه لها أو بسبب فيضان معرفتها منه عليهم على قدر عقولهم.
و قيل: إشارة إلى ما ذكره المحققون من أن المقربين يعرفون الحق بالحق لا بالاستدلال بمخلوقاته عليه، و يمكن أن يقرأ" يعرفون" على بناء المجهول بل هو أظهر، أى الأنبياء و الحجج عليه السلام إنما تعرف حقيقتهم و رسالتهم و حجيتهم بما أتاهم من المعجزات و البراهين، أو به يعرف جميع الخلق بما أشرق منه عليهم من نور الوجود.
" قال صدقت" بالتخفيف، و ربما يقرأ بالتشديد، إذ كلامه مأخوذ منهم عليهم السلام كما مر و لا يخفى بعده، و قوله: فقد ينبغى لأن يعرف أن لذلك الرب رضا و سخطا أى ينبغى له أن يعرفه بصفات كماله و تنزهه عن النقائص، و منها حكمته و علمه و قدرته

أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذَلِکَ الرَّبِّ رِضًا وَ سَخَطاً وَ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ رِضَاهُ وَ سَخَطُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ الْوَحْیُ فَقَدْ يَنْبَغِی لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمُ الْحُجَّةُ وَ أَنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرَضَةَ وَ قُلْتُ لِلنَّاسِ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ هُوَ الْحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ قَالُوا بَلَى قُلْتُ فَحِينَ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ كَانَ الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ فَقَالُوا الْقُرْآنُ فَنَظَرْتُ فِی الْقُرْآنِ فَإِذَا هُوَ يُخَاصِمُ بِهِ الْمُرْجِئُ وَ الْقَدَرِیُّ وَ الزِّنْدِيقُ الَّذِی لَا يُؤْمِنُ بِهِ

و إرادته للخير، و كراهته للشر و القبيح، و أنه لا يخل بالحسن، و لا يأتی بالقبيح، فلا يخل باللطف إلى عباده، و إنما يتم بالأمر بالحسن و النهی عن القبيح الموجبين للرضا بالطاعة، و السخط على المعصية، و إنما يعرف أمره و نهيه و إرادته و كراهته بالوحی، أو بإرسال الرسول، فمن لم يأته الوحی فعليه طلب الرسول، فإذا طلب اطلع عليه بالآيات و الحجج الدالة على رسالته.

قوله: و قلت للناس، أی للعامة مناظرا لهم فی الإمامة" فقالوا القرآن" أی هو كاف لرفع حاجة الخلق، و لا حاجة إلى غيره كما قال إمامهم: حسبنا كتاب الله" فنظرت" فی نفسی بدون أن أقول لهم، أو بتقدير القول" فی القرآن فهو إذا يخاصم به المرجئی" أی لا يغنی عن المبين له، إذ يخاصم به الفرق المختلفة حتى يغلب كل منهم خصمه بما يجده فی القرآن لإجماله و إغلاقه، و كونه ذا وجوه و محامل.

و فی النهاية: المرجئة فرقة من فرق الإسلام، يعتقدون أنه لا يضر مع الأيمان معصية كما أنها لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم عن المعاصی أی أخره عنهم، و المرجئة تهمز و لا تهمز، و كلاهما بمعنى التأخير، يقال: أرجأت الأمر و أرجأته إذا أخرته فتقول من الهمز رجل مرجیء، و هم المرجئة و فی النسب مرجئی مثل مرجع و مرجعة و مرجعی، و إذا لم تهمز قلت رجل مرج و مرجئة و مرجی، مثل معط و معطية و معطی، انتهی.

و قد تطلق المرجئة على كل من أخر أمير المؤمنين عن مرتبته، و قد عرفت

حَتَّى يَغْلِبَ الرِّجَالَ بِخُصُومَتِهِ فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا بِقَيِّمٍ فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقّاً فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ قَيِّمُ الْقُرْآنِ فَقَالُوا ابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ وَ عُمَرُ يَعْلَمُ وَ حُذَيْفَةُ يَعْلَمُ قُلْتُ كُلَّهُ قَالُوا لَا فَلَمْ أَجِدْ أَحَداً يُقَالُ إِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِکَ كُلَّهُ إِلَّا عَلِيّاً ع وَ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ فَقَالَ هَذَا لَا أَدْرِي وَ قَالَ هَذَا لَا أَدْرِی وَ قَالَ هَذَا أَنَا أَدْرِی فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً ع كَانَ قَيِّمَ

إطلاق القدرى على الجبرى و التفويضى، و الزنديق هو النافى للصانع أو الثنوى.
قوله: إلا بقيم، فى الفائق: قيم القوم: من يقوم بسياسة أمورهم، و المراد هنا من يقوم بأمر القرآن و يعرف ظاهره و باطنه و مجمله و مؤولة و محكمة و متشابهه و ناسخه و منسوخه بوحى إلهى أو بإلهام ربانى، أو بتعليم نبوى، فلما سألهم عن القيم ذكروا جماعة لم يكونوا يعرفون من القرآن إلا أقله، و القيم لا بد أن يكون عالما بجميع القرآن و سائر الأحكام، و يكون منصوصا عليه، معصوما عن الخطإ و الزلل حتى تجب متابعته و قبول قوله، و أيضا لم يدع أحد منهم سماع جميع ذلک من رسول الله صلى الله عليه و آله، و إنما ادعوا سماع مسائل قليلة مما يحتاج إليه الناس فيما سمعوا تفسيره عنه صلى الله عليه و آله، و لم يذهب أحد إلى كون أحد منهم عالما بجميعه بالنقل، أو العلم المقرون بالعصمة إلا أمير المؤمنين عليه السلام، حيث كان يدعى ذلک على رؤوس الأشهاد، و مجامع جماهير المسلمين، و إذ لا بد من عالم و لم يدع غيره، بل علم عدمه فى غيره، و هو كان يدعيه و يبينه بدلائل نقلية و عقلية، و آيات و علامات إعجازية، علم أنه قيم القرآن، و كونه عليه السلام أعلم الأمة متفق عليه بين فرق المسلمين، حتى قال الآبى فى كتاب الإكمال- و هو من أعاظم علماء المخالفين و متعصبيهم- لقد كان: فى على عليه السلام من الفضل و العلم و غيرهما من صفات الكمال- ما لم يكن فى جميع الأمة حتى أنه لو لم يقدم عليه طائفة من الأمة أبا بكر لكان هو أحق بالخلافة، انتهى.
و ما فى الخبر بعد تنقيحه و تفصيله يرجع إلى الدلائل المفصلة فى كتب الكلام، على وجوب نصب الإمام و عصمته لحفظ الشرائع و الأحكام.
و قوله: فأشهد أن عليا عليه السلام" اه" لازم لجزاء مقدر أقيم مقامه و التقدير

الْقُرْآنِ وَ كَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً وَ كَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ أَنَّ مَا قَالَ فِی الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ فَقَالَ رَحِمَکَ اللَّهُ

3 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِیمَ عَنْ یُونُسَ بْنِ یَعْقُوبَ قَالَ کَانَ عِنْدَ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْهُمْ حُمْرَانُ بْنُ أَعْیَنَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ وَ هِشَامُ بْنُ سَالِمٍ وَ الطَّیَّارُ وَ جَمَاعَةٌ فِیهِمْ هِشَامُ بْنُ الْحَکَمِ وَ هُوَ شَابٌّ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع یَا هِشَامُ أَ لَا تُخْبِرُنِی کَیْفَ صَنَعْتَ بِعَمْرِو بْنِ عُبَیْدٍ وَ کَیْفَ سَأَلْتَهُ فَقَالَ هِشَامٌ یَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّی أُجِلُّکَ وَ أَسْتَحْیِیکَ وَ لَا یَعْمَلُ لِسَانِی بَیْنَ یَدَیْکَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِذَا أَمَرْتُکُمْ بِشَیْءٍ فَافْعَلُوا قَالَ هِشَامٌ بَلَغَنِی مَا کَانَ فِیهِ عَمْرُو بْنُ عُبَیْدٍ وَ جُلُوسُهُ فِی مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ فَعَظُمَ ذَلِکَ عَلَیَّ فَخَرَجْتُ إِلَیْهِ وَ دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ یَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَتَیْتُ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ فَإِذَا أَنَا بِحَلْقَةٍ کَبِیرَةٍ فِیهَا عَمْرُو بْنُ عُبَیْدٍ وَ عَلَیْهِ شَمْلَةٌ سَوْدَاءُ مُتَّزِراً بِهَا مِنْ صُوفٍ وَ شَمْلَةٌ مُرْتَدِیاً بِهَا وَ النَّاسُ یَسْأَلُونَهُ فَاسْتَفْرَجْتُ النَّاسَ فَأَفْرَجُوا لِی ثُمَّ قَعَدْتُ فِی آخِرِ الْقَوْمِ عَلَى رُکْبَتَیَّ ثُمَّ قُلْتُ أَیُّهَا الْعَالِمُ إِنِّی رَجُلٌ غَرِیبٌ تَأْذَنُ لِی فِی مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لِی نَعَمْ

اعلم أن القائل أنا أدرى هو القيم دونهم فأشهد. اه

الحديث الثالث

: مجهول.
و عمرو بن عبيد من رؤساء المعتزلة، و الإجلال: التعظيم" إذا أمرتكم" الأمر مفهوم من ألا التحضيضية، و المراد أن إطاعة الأمر أوجب من رعاية الإجلال و الاستحياء.
و فى النهاية: الحلقة: الجماعة من الناس مستديرين كحلقة الباب و غيره، و الشملة بالفتح: كساء يشتمل به" فاستفرجت" أى طلبت الفرجة و هى الخلل بين الشيئين، أو طلبت منهم الإفراج عن الطريق أى انكشافهم عنه فانكشفوا عنه لأجلى،" أيها العالم" أى بزعم الناس، و وصف المسألة بالحمق على سبيل التجوز مبالغة، و ربما يقرأ حمقاء بضم الحاء و سكون الميم بدون ألف مصدرا و إنما لم يذكر اللمس

فَقُلْتُ لَهُ أَ لَکَ عَیْنٌ فَقَالَ یَا بُنَیَّ أَیُّ شَیْءٍ هَذَا مِنَ السُّؤَالِ وَ شَیْءٌ تَرَاهُ کَیْفَ تَسْأَلُ عَنْهُ فَقُلْتُ هَکَذَا مَسْأَلَتِی فَقَالَ یَا بُنَیَّ سَلْ وَ إِنْ کَانَتْ مَسْأَلَتُکَ حَمْقَاءَ قُلْتُ أَجِبْنِی فِیهَا قَالَ لِی سَلْ قُلْتُ أَ لَکَ عَیْنٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمَا تَصْنَعُ بِهَا قَالَ أَرَی بِهَا الْأَلْوَانَ وَ الْأَشْخَاصَ قُلْتُ فَلَکَ أَنْفٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمَا تَصْنَعُ بِهِ قَالَ أَشَمُّ بِهِ الرَّائِحَةَ قُلْتُ أَ لَکَ فَمٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمَا تَصْنَعُ بِهِ قَالَ أَذُوقُ بِهِ الطَّعْمَ قُلْتُ فَلَکَ أُذُنٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمَا تَصْنَعُ بِهَا قَالَ أَسْمَعُ بِهَا الصَّوْتَ قُلْتُ أَ لَکَ قَلْبٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمَا تَصْنَعُ بِهِ قَالَ أُمَیِّزُ بِهِ کُلَّ مَا وَرَدَ عَلَی هَذِهِ الْجَوَارِحِ وَ الْحَوَاسِّ قُلْتُ أَ وَ لَیْسَ فِی هَذِهِ الْجَوَارِحِ غِنًی عَنِ الْقَلْبِ فَقَالَ لَا قُلْتُ وَ کَیْفَ ذَلِکَ وَ هِیَ صَحِیحَةٌ سَلِیمَةٌ قَالَ یَا بُنَیَّ إِنَّ الْجَوَارِحَ إِذَا شَکَّتْ فِی شَیْءٍ شَمَّتْهُ أَوْ رَأَتْهُ أَوْ ذَاقَتْهُ أَوْ سَمِعَتْهُ رَدَّتْهُ إِلَی الْقَلْبِ فَیَسْتَیْقِنُ الْیَقِینَ وَ یُبْطِلُ الشَّکَّ قَالَ هِشَامٌ فَقُلْتُ لَهُ

لأنه ليست له جارحة مخصوصة ظاهرة، أو لقلة الاشتباه فيه، مع أنه يعرف بالمقايسة، و المراد بالقلب النفس الناطقة المتعلقة أولا و بالذات بالروح الحيوانى المنبعث عن القلب الصنوبرى الذى نسبته إلى أعضاء الحس و الحركة كنسبة النفس إلى قوى الحس و الحركة فى أنه ينبعث منه الدم و الروح البخارى إلى سائر الأعضاء، فالنفس رئيس القوى و إمامها، و القلب و هو مستقرها و عرش استوائها بإذن الله رئيس سائر الأعضاء و إمامها، أو المراد بالقلب القوة العقلية التى للنفس الإنسانية أو ما يشمل القوى الحسية الباطنة التى هى كالآلات للقوة العقلية فى فكرتها و سائر تصرفاتها كما قيل.

و أما شک الحواس و غلطها فقيل: معناه أن العقل و الوهم المشوب بالحس يغلط، أو يشک بسبب من الأسباب، ثم يعلم النفس بقوة العقل ما هو الحق المتيقن كما يرى البصر العظيم صغيرا لبعده، و الصغير كبيرا لقربه، و الواحد اثنين لحول فى العين، و الشجرة التى فى طرف الحوض منكوسة لانعكاس شعاع البصر من الماء إليها

فَإِنَّمَا أَقَامَ اللَّهُ الْقَلْبَ لِشَكِّ الْجَوَارِحِ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ لَا بُدَّ مِنَ الْقَلْبِ وَ إِلَّا لَمْ تَسْتَيْقِنِ الْجَوَارِحُ قَالَ نَعَمْ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا مَرْوَانَ فَاللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى لَمْ يَتْرُکْ جَوَارِحَکَ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَاماً يُصَحِّحُ لَهَا الصَّحِيحَ وَ يَتَيَقَّنُ بِهِ مَا شُکَّ فِيهِ وَ يَتْرُکُ هَذَا الْخَلْقَ کُلَّهُمْ فِی حَيْرَتِهِمْ وَ شَکِّهِمْ وَ اخْتِلَافِهِمْ لَا يُقِيمُ لَهُمْ إِمَاماً يَرُدُّونَ إِلَيْهِ شَکَّهُمْ وَ حَيْرَتَهُمْ وَ يُقِيمُ لَکَ إِمَاماً لِجَوَارِحِکَ تَرُدُّ إِلَيْهِ حَيْرَتَکَ وَ شَکَّکَ قَالَ فَسَکَتَ وَ لَمْ يَقُلْ لِی شَيْئاً

و السمع يسمع الصوت الواحد عند الجبل و نحوه مما فيه صلابة أو صقالة صوتين، لانعکاس الهواء المکيف بکيفية السمع إلى الصماخ تارة أخرى، و يقال للصوت الثانى:
الصداء، و کما تجد الذائقة الحلو مرا لغلبة المرة الصفراء على جرم اللسان، و کذا تشمئز الشامة من الروائح الطيبة بالزکام، فهذه و أمثالها أغلاط حسية يعرف القلب حقيقة الأمر فيها.
و قيل: معناه أن النفس مع هذه القوى الحسية الظاهرة، تحتاج إلى قوة حاکمة عليها، إذ من شأنها من حيث هذه القوى هذه الإدراکات التصورية دون التصديقات و اليقينيات، فلا يستيقن إلا بقوة أخرى هى الحاکمة باليقينيات، و هى القوة التى بها تخرج عن الشک إلى اليقين، فإنما أقام الله القلب بإعطاء هذه القوة لتخرج بها النفس عن تلک المرتبة التى شأنها بحسبها الشک و عدم الاستيقان إلى مرتبة اليقين، ثم إذا کان بحکمته لا يخل بإعطاء ما تحتاج إليه نفسک فى وصولها إلى کمالها القابلة، کيف يخل بما يحتاج إليه الخلق کلهم، لخروجهم عن حيرتهم و شکهم إلى الاستيقان بما فيه بقاؤهم و نجاتهم عن الضلال و الهلاک، فأول هذا الکلام تنبيه على حکمته المقتضية للصلاح و الخير و إعطاء ما يحتاج إليه المستکمل فى الخروج من النقصان إلى الکمال، و الوصول إلى النجاة عن الضلال، و آخره الاستدلال من تلک الحکمة على إقامة الإمام الذى إنما يحصل نجاة الخلق عن حيرتهم و شکهم بمعرفته، و الأخذ عنه، و الاهتداء بهداه.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ لِي أَنْتَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فَقُلْتُ لَا قَالَ أَ مِنْ جُلَسَائِهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ قَالَ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ فَأَنْتَ إِذاً هُوَ ثُمَّ ضَمَّنِی إِلَيْهِ وَ أَقْعَدَنِی فِی مَجْلِسِهِ وَ زَالَ عَنْ مَجْلِسِهِ وَ مَا نَطَقَ حَتَّی قُمْتُ قَالَ فَضَحِکَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع وَ قَالَ يَا هِشَامُ مَنْ عَلَّمَکَ هَذَا قُلْتُ شَیْءٌ أَخَذْتُهُ مِنْکَ وَ أَلَّفْتُهُ فَقَالَ هَذَا وَ اللَّهِ مَکْتُوبٌ فِی صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسی

4 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَمَّنْ ذَکَرَهُ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ کُنْتُ عِنْدَ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فَوَرَدَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ إِنِّی رَجُلٌ صَاحِبُ کَلَامٍ وَ فِقْهٍ وَ فَرَائِضَ وَ قَدْ جِئْتُ لِمُنَاظَرَةِ أَصْحَابِکَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع کَلَامُکَ مِنْ کَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَوْ مِنْ عِنْدِکَ فَقَالَ مِنْ کَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ مِنْ عِنْدِی فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع فَأَنْتَ إِذاً شَرِيکُ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ لَا قَالَ فَسَمِعْتَ الْوَحْیَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ

قوله: فقلت لا، قال ذلک تورية للمصلحة، و يمكن أن يكون غرضه لا- أخبرک به.

: مرسل.
و ذكر الفرائض بعد الفقه تخصيص بعد التعميم لغموض مسائلها بالنسبة إلى سائر أبواب الفقه، و كون اختلاف الأمة فيها أكثر من غيرها، و شدة اعتناء المخالفين بها، و مدخلية علم الحساب فيها، و هو [غير] مأخوذ من الشارع، و ربما يقال: المراد بالفرائض الواجبات و هو بعيد" لمناظرة أصحابک" إنما نسب المناظرة إلى الأصحاب رعاية للأدب و" من" فی قوله:" من كلام رسول الله صلى الله عليه و آله" للابتداء أو للتعليل أو للتبعيض.
قوله عليه السلام: فأنت إذا شريک رسول الله صلى الله عليه و آله، يدل على بطلان الكلام الذى لم يكن مأخوذا من الكتاب و السنة، و أنه لا يجوز الاعتماد فى أصول الدين على الأدلة العقلية، و قيل: لما كان مناظرته فى الإمامة و المناط فيها قول الشارع قال له ذلک، لأنه إذا بنى أمرا لا بد فيه من الرجوع إلى الشارع على قول الرسول و قوله

وَ جَلَّ يُخْبِرُکَ قَالَ لَا قَالَ فَتَجِبُ طَاعَتُکَ کَمَا تَجِبُ طَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ لَا فَالْتَفَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِلَیَّ فَقَالَ یَا یُونُسَ بْنَ یَعْقُوبَ هَذَا قَدْ خَصَمَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ یَتَکَلَّمَ ثُمَّ قَالَ یَا یُونُسُ لَوْ کُنْتَ تُحْسِنُ الْکَلَامَ کَلَّمْتَهُ قَالَ یُونُسُ فَیَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ إِنِّی سَمِعْتُکَ تَنْهَی عَنِ الْکَلَامِ وَ تَقُولُ وَیْلٌ لِأَصْحَابِ

معا، فیلزمه أن یجعل نفسه شریکه صلی الله علیه و آله و سلم فی رسالته و فی شرعه للدین، فلما نفی الشرکة" قال علیه السلام فسمعت الوحی عن الله" أی المبین لأصول الدین، علی الأول، أو للإمامة علی الثانی، إعلام الله بها أو بتبیین و تعیین ممن أوجب الله طاعته کطاعة رسول الله أو إعلام الله إما بوساطة الرسول أو بالوحی بلا واسطة، و ما بوساطة الرسول فهو من کلامه لا من عندک، فتعین علیک فی قولک من عندی أحد الأمرین إما الوحی إلیک بسماعک عن الله بلا واسطة، أو وجوب طاعتک کوجوب طاعة رسول الله صلی الله علیه و آله، فلما نفاهما بقوله" لا" فی کلیهما لزمه نفی ما قاله و من عندی، و لذا قال علیه السلام هذا خاصم نفسه قبل أن یتکلم، و قیل: مخاصمة نفسه من جهة أنه اعترف ببطلان ما یقوله من عنده، لأن شیئا لا یکون مستندا إلی الوحی و لا إلی الرسول، و لا یکون قائله فی نفسه واجب الإطاعة لا محالة، بل یکون باطلا.

و أقول: یحتمل أن یکون الکلام الذی ردد علیه السلام الحال فیه بین الأمرین الکلام فی الفروع من الفقه و الفرائض، لأنه لا مدخل العقل فیها، و لا بد من استنادها إلی الوحی، فمن حکم فیها برأیه یکون شریکا للرسول فی تشریع الأحکام، و التعمیم أظهر.

" لو کنت تحسن الکلام" أی تعلمه کما ورد: قیمة المرء ما یحسنه" یا لها من حسرة" النداء للتعجب و المنادی محذوف، و لام التعجب متعلق باعجبوا، و" من حسرة" تمیز من الضمیر المبهم بزیادة من، و الحسرة أشد التلهف علی الشیء الفائت، و قوله: فقال یونس، إما علی الالتفات أو بتقدیر" قلت" بعده، أو قال ذلک عند الحکایة للراوی.

الْكَلَامِ يَقُولُونَ هَذَا يَنْقَادُ وَ هَذَا لَا يَنْقَادُ وَ هَذَا يَنْسَاقُ وَ هَذَا لَا يَنْسَاقُ وَ هَذَا يَعْقِلُهُ وَ هَذَا لَا نَعْقِلُهُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّمَا قُلْتُ فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ تَرَكُوا مَا أَقُولُ وَ ذَهَبُوا إِلَى مَا يُرِيدُونَ ثُمَّ قَالَ لِي اخْرُجْ إِلَى الْبَابِ فَانْظُرْ مَنْ تَرَى مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فَأَدْخِلْهُ قَالَ فَأَدْخَلْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ وَ كَانَ يُحْسِنُ الْكَلَامَ وَ أَدْخَلْتُ الْأَحْوَلَ وَ كَانَ يُحْسِنُ الْكَلَامَ وَ أَدْخَلْتُ هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ وَ كَانَ يُحْسِنُ الْكَلَامَ وَ أَدْخَلْتُ قَيْسَ بْنَ الْمَاصِرِ وَ كَانَ عِنْدِي أَحْسَنَهُمْ كَلَاماً وَ كَانَ قَدْ تَعَلَّمَ الْكَلَامَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنَا الْمَجْلِسُ وَ كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع قَبْلَ الْحَجِّ يَسْتَقِرُّ أَيَّاماً فِي جَبَلٍ فِي طَرَفِ الْحَرَمِ فِي فَازَةٍ لَهُ مَضْرُوبَةٍ قَالَ فَأَخْرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع رَأْسَهُ مِنْ فَازَتِهِ فَإِذَا هُوَ بِبَعِيرٍ يَخُبُ

و قوله:" هذا ينقاد و هذا لا ينقاد" أى إنهم يزنون ما ورد فى الكتاب و السنة بميزان عقولهم و قواعدهم الكلامية، فيؤمنون ببعض و يكفرون ببعض، فإنهم كثيرا ما يتركون ظواهر الكتاب و السنة لمناقضة آرائهم إياها، فيقولون: هذا ينقاد لما وافق عقولهم، و هذا لا ينقاد لما خالفها، و هو المراد أيضا بقوله:" هذا ينساق و هذا لا ينساق".

و قيل: المعنى هذا ينجر إلى أمر كذا من محال أو تناقض أو دور أو تسلسل، و هذا لا ينساق، أى لا ينجر إليه، و قيل: هذا ينقاد و هذا لا ينقاد، إشارة إلى ما يقوله أهل المناظرة فى مجادلاتهم: سلمنا هذا و لكن لا نسلم ذلك، و هذا ينساق و هذا لا ينساق إلى قولهم للخصم: أن يقول كذا و ليس له أن يقول كذا.

" و هذا نعقله" أى تقبله عقولنا" إن تركوا ما أقول" أى ما ثبت من الشارع فى الدين" فلما استقر بنا المجلس" الباء إما بمعنى فى، و المعنى على القلب، أى استقررنا فيه أو الإسناد على المجاز، و إما للمصاحبة أو للتعدية، و على الوجوه: المعنى كنا لم ننتظر حضور غيرنا، و الفازة بالفاء و الزاى مظلة بعمودين، و الخبب: ضرب من العدو

فَقَالَ هِشَامٌ وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ فَظَنَنَّا أَنَّ هِشَاماً رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ عَقِيلٍ كَانَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ لَهُ قَالَ فَوَرَدَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ وَ هُوَ أَوَّلَ مَا اخْتَطَّتْ لِحْيَتُهُ وَ لَيْسَ فِينَا إِلَّا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنّاً مِنْهُ قَالَ فَوَسَّعَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع وَ قَالَ نَاصِرُنَا بِقَلْبِهِ وَ لِسَانِهِ وَ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ يَا حُمْرَانُ كَلِّمِ الرَّجُلَ فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ ثُمَّ قَالَ يَا طَاقِيُّ كَلِّمْهُ فَكَلَّمَهُ فَظَهَرَ عَلَيْهِ الْأَحْوَلُ ثُمَّ قَالَ يَا هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ كَلِّمْهُ فَتَعَارَفَا ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع لِقَيْسٍ الْمَاصِرِ كَلِّمْهُ فَكَلَّمَهُ فَأَقْبَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع يَضْحَكُ مِنْ كَلَامِهِمَا مِمَّا قَدْ أَصَابَ الشَّامِيَّ فَقَالَ لِلشَّامِيِّ كَلِّمْ هَذَا الْغُلَامَ يَعْنِي هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ لِهِشَامٍ يَا غُلَامُ سَلْنِي فِي إِمَامَةِ هَذَا فَغَضِبَ هِشَامٌ حَتَّى ارْتَعَدَ ثُمَّ قَالَ لِلشَّامِيِّ يَا هَذَا أَ رَبُّكَ أَنْظَرُ لِخَلْقِهِ أَمْ خَلْقُهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَقَالَ الشَّامِيُّ بَلْ رَبِّي أَنْظَرُ لِخَلْقِهِ قَالَ فَفَعَلَ بِنَظَرِهِ لَهُمْ مَا ذَا قَالَ أَقَامَ لَهُمْ حُجَّةً وَ دَلِيلًا كَيْلَا يَتَشَتَّتُوا أَوْ يَخْتَلِفُوا يَتَأَلَّفُهُمْ وَ يُقِيمُ أَوَدَهُمْ

ذكرهما الجوهرى" هو شديد المحبة له" أى هشام له عليه السلام أو بالعكس، قال الجوهرى: اختط الغلام أى نبت عذاره" فتعارفا" فى أكثر النسخ بالعين و الراء المهملتين و الفاء، أى تكلما بما عرف كل منهما صاحبه و كلامه بلا غلبة لأحدهما على الآخر، و فى بعضها بالواو و الفاء أى تعوق كل منهما عن الغلبة و فى بعضها بالفاء و الراء و القاف و هو ظاهر، و فى بعضها بالعين و الراء و القاف أى وقعا فى العرق كناية عن طول المناظرة" مما قد أصاب الشامى بالنصب أى من المغلوبية و الخجلة، أو بالرفع فما مصدرية أى إصابة الشامى و خطىء قيس، فالضحک لعجز قيس" فغضب هشام" لسوء أدب الشامى بالنسبة إلى جنابه عليه السلام" أ ربک أنظر" يقال: نظر له كضرب و علم نظرا: أعانه، و النظرة بالفتح الرحمة" كيلا يتشتتوا" أى لا يتفرقوا فى مذاهبهم و مسالكهم و آرائهم، و الأود: بالتحريک الاعوجاج، أى يزيل اعوجاجهم و انعطافهم عن الحق بإقامتهم.

وَ يُخْبِرُهُمْ بِفَرْضِ رَبِّهِمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ هِشَامٌ فَبَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ قَالَ هِشَامٌ فَهَلْ نَفَعَنَا الْيَوْمَ الْكِتَابُ وَ السُّنَّةُ فِی رَفْعِ الِاخْتِلَافِ عَنَّا قَالَ الشَّامِیُّ نَعَمْ قَالَ فَلِمَ اخْتَلَفْنَا أَنَا وَ أَنْتَ وَ صِرْتَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّامِ فِی مُخَالَفَتِنَا إِيَّاکَ قَالَ فَسَکَتَ الشَّامِیُّ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع لِلشَّامِیِّ مَا لَکَ لَا تَتَکَلَّمُ قَالَ الشَّامِیُّ إِنْ قُلْتُ لَمْ نَخْتَلِفْ کَذَبْتُ وَ إِنْ قُلْتُ إِنَّ الْکِتَابَ وَ السُّنَّةَ يَرْفَعَانِ عَنَّا الِاخْتِلَافَ أَبْطَلْتُ لِأَنَّهُمَا يَحْتَمِلَانِ الْوُجُوهَ وَ إِنْ قُلْتُ قَدِ اخْتَلَفْنَا وَ کُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَدَّعِی الْحَقَّ فَلَمْ يَنْفَعْنَا إِذَنِ الْکِتَابُ وَ السُّنَّةُ إِلَّا أَنَّ لِی عَلَيْهِ هَذِهِ الْحُجَّةَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع سَلْهُ تَجِدْهُ مَلِيّاً فَقَالَ الشَّامِیُّ يَا هِذَا مَنْ أَنْظَرُ لِلْخَلْقِ أَ رَبُّهُمْ أَوْ أَنْفُسُهُمْ فَقَالَ هِشَامٌ رَبُّهُمْ أَنْظَرُ لَهُمْ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ فَقَالَ الشَّامِیُّ فَهَلْ أَقَامَ لَهُمْ مَنْ يَجْمَعُ لَهُمْ کَلِمَتَهُمْ وَ يُقِيمُ أَوَدَهُمْ وَ يُخْبِرُهُمْ بِحَقِّهِمْ مِنْ بَاطِلِهِمْ قَالَ هِشَامٌ فِی وَقْتِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَوِ السَّاعَةِ-

---

قوله: فلم اختلفت أنا و أنت؟ فإن عارض بأنه مع قولک أيضا الاختلاف واقع بيننا و بينک فلم ينفع وجود الإمام؟ يجاب بأنه لا بد فی لطف الله تعالی و حکمته أن يعين لهم حجة إذا رجعوا إليه يرتفع الاختلاف عنهم، فإذا لم يرجعوا إليه و حصل الاختلاف کان التقصير منهم و لم يکن لهم علی الله حجة.

قوله: و کل منا يدعی الحق، أی يدعی فی قوله إنه الحق دون قول مخالفيه، و لما لم يبق له سبيل إلی النقض التفصيلی و الدخل فی مقدمة من المقدمات أراد سلوک سبيل المعارضة بالمثل أو النقض الإجمالی و الأول أظهر، و فی النهاية: يقال: أبطل إذا جاء بالباطل، و قال: الملیء بالهمز: الثقة الغنی، و قد ملأ فهو ملیء و قد أولع الناس بترک الهمزة و تشديد الياء" انتهی" و المراد هنا تجده غنيا بالعلم، مقتدرا علی المناظرة، و قيل: فعيل بمعنی مفعول، أی حملوا علما أو بمعنی فاعل من ملیء کعلم و حسن أی امتلاء.

قَالَ الشَّامِیُّ فِی وَقْتِ رَسُولِ اللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ السَّاعَةِ مَنْ فَقَالَ هِشَامٌ هَذَا الْقَاعِدُ الَّذِی تُشَدُّ إِلَیْهِ الرِّحَالُ وَ یُخْبِرُنَا بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وِرَاثَةً عَنْ أَبٍ عَنْ جَدٍّ قَالَ الشَّامِیُّ فَکَیْفَ لِی أَنْ أَعْلَمَ ذَلِکَ قَالَ هِشَامٌ سَلْهُ عَمَّا بَدَا لَکَ قَالَ الشَّامِیُّ قَطَعْتَ عُذْرِی فَعَلَیَّ السُّؤَالُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع یَا شَامِیُّ أُخْبِرُکَ کَیْفَ کَانَ سَفَرُکَ وَ کَیْفَ کَانَ طَرِیقُکَ کَانَ کَذَا وَ کَذَا فَأَقْبَلَ الشَّامِیُّ یَقُولُ صَدَقْتَ أَسْلَمْتُ لِلَّهِ السَّاعَةَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع

قوله: قال الشامی فی وقت رسول الله صلی الله علیه و آله، أی ظاهرا و کان الرسول، و فی بعض النسخ بعد ذلک رسول الله صلی الله علیه و آله و هو أظهر، و لعله سقط من النساخ لتوهم التکرار.
قوله: تشد إلیه الرحال، هو جمع الرحل و هو ما یستصحبه المسافر من الأثاث، و القتب للبعیر، و الظرف متعلق بتشد بتضمین معنی التوجه، أی یتوجه إلیه علماء کل بلد للاستفادة منه.
قوله: وراثة عن أب عن جد، أی هذه الحالة و هی الإمامة المستلزمة للعلم بالمغیبات، و الأخبار بأخبار السماء و الأرض وراثة عن أب عن جد إذ کل منهم علیهم السلام وارث و وصی لمن تقدمه، أو الأخبار وراثة، و قوله:" یخبرنا" علی الأول بیان لطریق العلم بکونه وصیا و إماما، فإن الأخبار معجزة، و قوله: فکیف لی أن أعلم ذلک" أی الإخبار بالمغیبات؟ فأجاب بأن طریقه السؤال عما لا طریق إلی علمه إلا من قبل الله، و علی الثانی: الأخبار إنما یکون طریقا إلی العلم لأنه إذا کان هو من بین الأمة عالما بما یخفی علی غیره و لا یخفی علیه ما یعلمه غیره فیکون أولی بالخلافة و الإمامة، و لهذا قال: سله عما بدا لک علی التعمیم فی المسؤول عنه تعمیما لا یحیط به النقل، و لا تحصره الروایة، و یمکن أن یکون ذلک إشارة إلی العلم بإمامته علیه السلام، أما علی الأول فبأن یحمل علی أنه لم یفهم مقصود هشام من قوله یخبرنا، و علی الثانی فبأن الإخبار وراثة لا یکون دلیلا علیها، و الجواب ما مر و الأول أظهر.

بَلْ آمَنْتَ بِاللَّهِ السَّاعَةَ إِنَّ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْإِيمَانِ وَ عَلَيْهِ يَتَوَارَثُونَ وَ يَتَنَاكَحُونَ وَ الْإِيمَانُ عَلَيْهِ يُثَابُونَ فَقَالَ الشَّامِيُّ صَدَقْتَ فَأَنَا السَّاعَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَنَّكَ وَصِيُّ الْأَوْصِيَاءِ ثُمَّ الْتَفَتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِلَى حُمْرَانَ فَقَالَ تُجْرِي الْكَلَامَ عَلَى الْأَثَرِ فَتُصِيبُ وَ الْتَفَتَ إِلَى هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ فَقَالَ تُرِيدُ الْأَثَرَ وَ لَا تَعْرِفُهُ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْأَحْوَلِ

قوله: إن الإسلام قبل الإيمان، سيأتى معانيهما فى كتاب الإيمان و الكفر، و يدل على أن الإسلام هو الاعتقاد بالتوحيد و الرسالة و المعاد و ما يلزمها سوى الإمامة، و الإيمان هو الاعتقاد القلبى بجميع العقائد الحقة التى عمدتها الإقرار بجميع أئمة الحق عليهم السلام، و يدل على أن الأحكام الدنيوية تترتب على الإسلام، و أما الثواب الأخروى فلا يكون له إلا بالإيمان، فالمخالفون لا يدخلون الجنة أبدا، و على أنه يجوز نكاح المخالفين و إنكاحهم، و يكون التوارث بينهم و بين المؤمنين، و على عدم دخول الأعمال فى الإيمان، و سيأتى الكلام فى جميع ذلک فى مظانها إنشاء الله تعالى، و قبلية الإسلام بالنسبة إلى الإيمان إما ذاتى كتقدم الكلى على الجزئى و الكل على الجزء، أو المعنى أنه يمكن حصول الإسلام قبل الإيمان بالزمان و إن أمكن مقارنتهما، و الحاصل أن النسبة بينهما العموم و الخصوص المطلق.

قوله عليه السلام: تجرى الكلام على الأثر، أى على الأخبار المأثورة عن النبى و أئمة الهدى صلوات الله عليهم فتصيب الحق، و قيل: على حيث ما يقتضى كلامک السابق، فلا يختلف كلامک بل يتعاضد.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد على أثر كلام الخصم، أى جوابک مطابق للسؤال، و الأول أظهر.

" تريد الأثر" أى تريد أن تبنى كلامک على الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و لا تعرفه، لعدم التتبع فى الأخبار، أو عدم القدرة على الاستنباط" قياس" بالقياس

فَقَالَ قَيَّاسٌ رَوَّاغٌ تَكْسِرُ بَاطِلًا بِبَاطِلٍ إِلَّا أَنَّ بَاطِلَکَ أَظْهَرُ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَی قَيْسِ الْمَاصِرِ فَقَالَ تَتَكَلَّمُ وَ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص أَبْعَدُ مَا تَكُونُ مِنْهُ تَمْزُجُ

الفقهی أو المنطقی،" رواغ" أی میال عن الحق، أو مميل كثير الميل عما يوجب غلبة الخصم عليک، من قولهم راغ عن الشیء أی مال و حاد، و منه روغان الثعلب" إلا أن باطلک أظهر" أی أغلب علی الخصم، أو أوضح أو أشبه بالصواب" و أقرب ما يكون" أقرب مرفوع بالابتداء و مضاف إلی الموصول، و" يكون" تامة أو ناقصة بتقدير الخبر، و الضمير المستتر فيه لما و" من" صلة لأقرب أو تبعيضية، و أبعد خبر و ضمير" منه" للخبر، و الجملة حال عن فاعل تتكلم، أو كلمة" ما" مصدرية أی أقرب أوقات كون كلامک من الخبر أبعدها. و يحتمل أن يكون أبعد منصوبا علی الحالية سادا مسد الخبر كما فی قولهم:
أخطب ما يكون الأمير قائما، علی اختلافهم فی تقدير مثله كما هو مذكور فی محله.
قال الرضی رضی الله عنه فی شرحه علی الكافية بعد نقل الأقوال فی ذلک: و اعلم أنه يجوز رفع الحال الساد مسد الخبر عن أفعل المضاف إلی" ما" المصدرية الموصولة بكان أو يكون، نحو أخطب ما يكون الأمير قائم، هذا عند الأخفش و المبرد، و منعه سيبويه و الأولی جوازه، لأنک جعلت ذلک الكون أخطب مجازا فجاز جعله قائما أيضا، ثم قال: و يجوز أن يقدر فی أفعل المذكور زمان مضاف إلی ما يكون لكثرة وقوع ما المصدرية مقام الظرف، نحو قولک: ما ذر شارق فيكون التقدير أخطب ما يكون الأمير قائم، أی أوقات كون الأمير، فتكون قد جعلت الوقت أخطب و قائما كما يقال: نهاره صائم و ليله قائم، انتهی.
و علی التقادير: المراد بيان بعد كلامه عن الأثر و أن كلما يزعمه أقرب إلی الخبر فهو أبعد منه، و قال بعض الأفاضل: أی تتكلم و كلامک أقرب ما يكون من الخبر عن رسول الله صلی الله عليه و آله أبعد ما يكون منه، أی مشتمل عليهما تمزج الحق القريب

الْحَقَّ مَعَ الْبَاطِلِ وَ قَلِيلُ الْحَقِّ يَكْفِي عَنْ كَثِيرِ الْبَاطِلِ أَنْتَ وَ الْأَحْوَلُ قَفَّازَانِ حَاذِقَانِ قَالَ يُونُسُ فَظَنَنْتُ وَ اللَّهِ أَنَّهُ يَقُولُ لِهِشَامٍ قَرِيباً مِمَّا قَالَ لَهُمَا ثُمَّ قَالَ يَا هِشَامُ لَا

منه من الخبر مع الباطل البعيد عنه، و لو اكتفيت بالحق عن الباطل لأصبت، و قليل الحق يكفي عن كثير الباطل.
و يحتمل وجهين آخرين" أحدهما" كون الضمير فى قوله: أبعد ما يكون منه، راجعا إلى الكلام، و المعنى يتكلم و الحال أن أقرب ما يكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه و آله أبعد ما يكون من كلامک" و ثانيهما" أن يكون راجعا إلى الخبر، و يكون المعنى و الحال أن أقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله أبعد ما يكون من الخبر عنه فى كلامک و بحسب حملک و تنزيلک، و الأول أظهر، و فى بعض النسخ أقرب ما تكون بلفظ الخطاب، أى أقرب حالک التى تكون عليها من الخبر أبعد حالک عنها، و حاصله أنه إذا أردت القرب من الخبر و الموافقة له تقع فى المخالفة و البعد عنه.
" قفازان" بالقاف و الفاء المشددة و الزاى من القفز و هو الوثوب، أى وثابان من مقام إلى آخر غير ثابتين على أمر واحد، و قيل: هو من القفيز و هو المكيال، و المراد علم الميزان، و فى بعض النسخ بالراء المهملة من القفر و هو المتابعة و الاقتفاء و فى بعضها بتقديم الفاء على القاف من فقرت البئر أى حفرته، و الفقر أيضا: ثقب الخرز للنظم و مناسبتها ظاهرة" لا تكاد تقع" أى لا يقرب وقوعک على الأرض و مغلوبيتک" تلوى رجليک إذا هممت بالأرض" أى قصدت الوقوع على الأرض تنزلا لمماشاة الخصم، أو قربت من الوقوع مجازا، و لويت الحبل فتلته، و لوى الرجل رأسه: أمال، و الحاصل أنک كلما قربت من الأرض و خفت الوقوع عليها لويت رجليک كما هو شأن الطير عند إرادة الطيران، ثم طرت و لم تقع، و الغرض أنک لا تغلب من خصمک قط، و إذا قرب أن يغلب إليک و يعجزک تجد مفرا حسنا فتغلب عليه.
و الزلة هى ما وقع منه فى زمن الكاظم صلوات الله عليه من مخالفته عليه السلام حين

ص: 277
تَكَادُ تَقَعُ تَلْوِی رِجْلَيْکَ إِذَا هَمَمْتَ بِالْأَرْضِ طِرْتَ مِثْلُکَ فَلْيُکَلِّمِ النَّاسَ فَاتَّقِ الزَّلَّةَ وَ الشَّفَاعَةُ مِنْ وَرَائِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
5 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَی عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنْ أَبَانٍ قَالَ أَخْبَرَنِی الْأَحْوَلُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ع بَعَثَ إِلَيْهِ وَ هُوَ مُسْتَخْفٍ قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِی يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَا تَقُولُ إِنْ طَرَقَکَ طَارِقٌ مِنَّا أَ تَخْرُجُ مَعَهُ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ إِنْ کَانَ أَبَاکَ أَوْ أَخَاکَ خَرَجْتُ مَعَهُ قَالَ فَقَالَ لِی فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ

أمره بترک الکلام تقية و اتقاء و إبقاء عليه و علی نفسه صلوات الله عليه، کما روی الکشی عن أبی يحيی الواسطی عن عبد الرحمن بن حجاج قال: سمعته يؤدی إلی هشام بن الحکم رسالة أبی الحسن عليه السلام قال: لا تتکلم فإنه قد أمرنی أن آمرک أن لا- تتکلم قال: فما بال هشام يتکلم و أنا لا أتکلم؟ قال: أمرنی أن آمرک أن لا تتکلم أنا رسوله إليک، قال أبو يحيی: أمسک هشام بن الحکم عن الکلام شهرا ثم تکلم، فأتاه عبد الرحمن بن الحجاج فقال: سبحان الله يا أبا محمد تکلمت و قد نهيت عن الکلام؟
فقال: مثلی لا ينهی عن الکلام، قال أبو يحيی: فلما کان من قابل أتاه عبد الرحمن بن الحجاج فقال له يا هشام: قال لک أ يسرک أن تشرک فی دم امرئ مسلم؟ قال: لا، قال:
فکيف تشرک فی دمی؟ فإن سکت و إلا فهو الذبح، فما سکت حتی کان من أمره ما کان صلی الله عليه، و ذکر نحوا من ذلک بأسانيد، و له قصة طويلة فی مناظرته فی بيت يحيی البرمکی و هارون خلف الستر، و أن ذلک صار سبب موته، لکن فيه مدائح کثيرة تغلب ذمه، و لعل هذه الزلات التی کانت لشدة حبهم و رسوخهم فی الدين مقرونة بالشفاعة و المغفرة کما وعده عليه السلام، و قد أشبعت الکلام فی ذلک فی الکتاب الکبير.

الحديث الخامس

: موثق كالصحيح.
" إن طرقک طارق منا" أی دخل علیک باللیل خوفا من الظلمة طارق منا أهل البیت یدعوک إلی معاونته فی رفع شر الظلمة أ تخرج معه لمعاونته؟ و قد یطلق الطارق علی مطلق النازل لیلا کان أو نهارا" فقلت له: إن کان أباک أو أخاک" أی إن کان

أُجَاهِدُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَاخْرُجْ مَعِی قَالَ قُلْتُ لَا مَا أَفْعَلُ جُعِلْتُ فِدَاکَ قَالَ فَقَالَ لِی أَ تَرْغَبُ بِنَفْسِکَ عَنِّی قَالَ قُلْتُ لَهُ إِنَّمَا هِیَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ

الطارق أو مرسله إماما مفترض الطاعة کأبیک و أخیک یدعونی إلی الخروج معه خرجت معه.

و اعلم أن الأخبار فی حال زید مختلفة، ففی بعضها ما یدل علی أنه ادعی الإمامة فیکون کافرا، و فی کثیر منها أنه کان یدعو إلی الرضا من آل محمد و أنه کان غرضه دفع هؤلاء الکفرة و رد الحق إلی أهله، و ربما یقال: إنه کان مأذونا عن الصادق علیه السلام باطنا و إن کان ینهاه بحسب الظاهر تقیة و فیه بعد، و قیل: کان جهاده لدفع شرهم عنه و عن أهل البیت علیهم السلام کجهاد المرابطین فی زمن الغیبة لدفع الکفرة، أو کمجاهد المرء عدوه علی سبیل الدفع عن نفسه و حرمه و ماله، و إجماله فی القول لئلا تتخلف عنه العامة و تتضرر منه الخاصة، و لعل حمله علی أحد هذه الوجوه أولی، فإن الأصل فیهم کونهم مشکورین مغفورین، و قد وردت الأخبار فی النهی عن التعرض لأمثالهم بالذم، و أنهم یوفقون عند الموت للرجوع إلی الحق، و الاعتقاد بإمام العصر" أ ترغب بنفسک عنی" أی أ ترغب عنی و لا تمیل إلی بسبب نفسک، و خوفا علیها أن تقتل، أو المعنی أ تعد نفسک أرفع من أن تبایعنی أو تری لنفسک فضلا فتحافظ علیها ما لم تحافظ علی، أو فتظن أنک أعرف بأمر الدین منی و أن ما تراه فی ترک الخروج لدفع شر هؤلاء أولی مما أراه من مجاهدتهم لدفعهم، قال فی النهایة: فیه، إنی لأرغب بک عن الأذان، یقال رغبت بفلان عن هذا الأمر إذا کرهته و زهدت له فیه، و فی القاموس: رغب بنفسه عنه بالکسر: رأی لنفسه علیه فضلا.

" إنما هی نفس واحدة" أی لیس لی نفسان إن أتلفت إحداهما فی معصیة الله تداررکت بالأخری طاعة الله، فلا بد لی من أن أنظر لها و لا أضیعها، و قیل: المعنی لست إلا رجلا واحدا لیس لی أتباع فلا ینفعک نصرتی، و یحتمل أن یراد أن الحجة نفس واحدة، و معلوم أن أخاک أو ابن أخیک حجة فکیف تکون أنت حجة، و

فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فِی الْأَرْضِ حُجَّةٌ فَالْمُتَخَلِّفُ عَنْکَ نَاجٍ وَ الْخَارِجُ مَعَکَ هَالِکٌ وَ إِنْ لَا تَکُنْ لِلَّهِ حُجَّةٌ فِی الْأَرْضِ فَالْمُتَخَلِّفُ عَنْکَ وَ الْخَارِجُ مَعَکَ سَوَاءٌ قَالَ فَقَالَ لِی یَا أَبَا جَعْفَرٍ کُنْتُ أَجْلِسُ مَعَ أَبِی عَلَی الْخِوَانِ فَیُلْقِمُنِی الْبَضْعَةَ السَّمِینَةَ وَ یُبَرِّدُ لِیَ اللُّقْمَةَ الْحَارَّةَ حَتَّی تَبْرُدَ شَفَقَةً عَلَیَّ وَ لَمْ یُشْفِقْ عَلَیَّ مِنْ حَرِّ النَّارِ إِذاً أَخْبَرَکَ بِالدِّینِ وَ لَمْ یُخْبِرْنِی بِهِ فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ مِنْ شَفَقَتِهِ عَلَیْکَ مِنْ حَرِّ النَّارِ لَمْ یُخْبِرْکَ خَافَ عَلَیْکَ أَنْ لَا تَقْبَلَهُ فَتَدْخُلَ النَّارَ وَ أَخْبَرَنِی أَنَا فَإِنْ قَبِلْتُ نَجَوْتُ وَ إِنْ لَمْ أَقْبَلْ لَمْ یُبَالِ أَنْ أَدْخُلَ النَّارَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ أَنْتُمْ أَفْضَلُ أَمِ

الأول أظهر.
ثم أخذ فی الاستدلال علی أنه لا ینبغی أن یخرج معه بقوله:" فإن کان لله فی الأرض حجة فالمتخلف عنک ناج" لأنک لست بذاک" و الخارج معک هالک" لأن إمامی منعنی عن الخروج، أو لأن إجابة من لیس بحجة إلی الخروج و الطاعة و الانقیاد له مع وجود الحجة هلاک و ضلال" و إن لا تکن لله حجة" فأجابه غیر الحجة و التخلف عنه سواء فی الدین، و لیس شیء منهما مکلفا به و فی الإجابة إلقاء النفس إلی التهلکة، و لا مفسدة فی التخلف، فقال له زید- معرضا عن إبطال حجته مفصلا، مقتصرا علی الإشارة إلیه إجمالا- بأنه لو کان هذا الخروج الذی أریده محظورا لأخبرنی به أبی علیه السلام، و أنه مع کمال شفقته علی لم یکن یخبرک و أمثالک بما یتعلق بالدین، و لا یخبرنی به، أو المراد أنه کیف أخبرک و أمثالک بالإمام و لم یخبرنی به؟ فقال له الأحول علی طریقة الجدل: لعله لم یخبرک لشفقته علیک مخافة أن لا تقبله، و أخبرنی لعدم الداعی إلی عدم القبول" و إن لم أقبل لم یبال أن أدخل النار" و إنما قال ذلک تنزلا، لأنه کیف یتصور عدم علمه بإمامة أخیه فی مدة حیاة والده علیه السلام و بعده.
و فی النهایة: الخوان بالکسر: الذی یؤکل علیه، معرب، و قال: البضعة بالفتح القطعة من اللحم.

الْأَنْبِيَاءُ قَالَ بَلِ الْأَنْبِيَاءُ قُلْتُ يَقُولُ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً لِمَ لَمْ يُخْبِرْهُمْ حَتَّى كَانُوا لَا يَكِيدُونَهُ وَ لَكِنْ كَتَمَهُمْ ذَلِكَ فَكَذَا أَبُوكَ كَتَمَكَ لِأَنَّهُ خَافَ عَلَيْكَ قَالَ فَقَالَ أَمَا وَ اللَّهِ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ حَدَّثَنِي صَاحِبُكَ بِالْمَدِينَةِ أَنِّي أُقْتَلُ وَ أُصْلَبُ بِالْكُنَاسَةِ وَ إِنَّ عِنْدَهُ لَصَحِيفَةً فِيهَا قَتْلِي وَ صَلْبِي فَحَجَجْتُ فَحَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع بِمَقَالَةِ زَيْدٍ وَ مَا قُلْتُ لَهُ فَقَالَ لِي أَخَذْتَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ وَ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ وَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ وَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ مَسْلَكاً يَسْلُكُهُ

بَابُ طَبَقَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الرُّسُلِ وَ الْأَئِمَّةِ ع

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي يَحْيَى الْوَاسِطِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ

قوله:" أما و الله لئن قلت ذلک" الظاهر أن هذا على سبيل الإنكار، و قيل: لما كان بناء كلام الأحول على ظنه بزيد أنه غير مقر بالإمامة، و غير عارف بإمامه، و لم تكن المصلحة فى إظهار حاله و التصريح ببطلان ظنه و مقالة، أعرض عن التعرض لجوابه، و قال تنبيها له على أن مجاهدته ليس لنيل الرئاسة و لا لجهله بالإمامة كما ظنه، بل لأمر آخر" و الله لئن قلت ذلک" و ظننت بى ما ظننت" فلقد حدثنى صاحبک" الذى هو الحجة" بالمدينة" و أنا أو إليه و آخذ عنه" إنى أقتل و أصلب بالكناسة" بالضم اسم موضع بالكوفة، و الغرض أنه يعلم من قول من لا يشک فى صدقه مصير أمره، و إنما يريد المجاهدة لما يجوز له بمراضاة من الحجة و مشورته.

" أخذته من بين يديه" أى لم تترک له طريق جواب أصلا، و قيل: ذكر الجهات الست إشارة إلى الست الفقرات التى تكلم بها الأحول.

باب طبقات الأنبياء و الرسل و الأئمة عليهم السلام

الحديث الأول

: ضعيف و قوله: درست إما معطوف على هشام، و الضمير في عنه راجع إلى الإمام عليه السلام، أو إلى هشام، ينقله عنه بواسطة أيضا، أو على أبى يحيى و الضمير راجع إلى هشام.

ص: 281
وَ دُرُسْتَ بْنِ أَبِی مَنْصُورٍ عَنْهُ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع الْأَنْبِيَاءُ وَ الْمُرْسَلُونَ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ فَنَبِیٌّ مُنَبَّأٌ فِی نَفْسِهِ لَا يَعْدُو غَيْرَهَا وَ نَبِیٌّ يَرَى فِی النَّوْمِ وَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ- وَ لَا يُعَايِنُهُ فِی الْيَقَظَةِ وَ لَمْ يُبْعَثْ إِلَى أَحَدٍ وَ عَلَيْهِ إِمَامٌ مِثْلُ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى لُوطٍ ع

قوله عليه السلام: الأنبياء و المرسلون، أی مجموع الصنفين على التداخل ينقسم إلى الأربع لأكل منهما، فلا ينافی ما سيأتی فی الباب الآتی من الفرق بين النبی و الرسول، و يحتمل أن يكون هذا التقسيم مبنيا على اصطلاح آخر، و الأول أظهر.
قال شارح المقاصد: النبوة هو كون الإنسان مبعوثا من الحق إلى الخلق، فإن كان النبی مأخوذا من النباوة و هو الارتفاع لعلو شأنه و اشتهار مكانه أو من النبی بمعنى الطريق لكونه وسيلة إلى الحق، فالنبوة على الأصل كالأبوة، و إن كان من النبإ بمعنى الخبر لإنبائه عن الله تعالى، فعلى قلب الهمزة واوا ثم الإدغام كالمروة، و قال: النبی هو إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، و كذا الرسول و قد يخص بمن له شريعة و كتاب، فيكون أخص من النبی، و اعترض بما ورد فی الحديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب، فقيل: هو من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة، و النبی قد يخلو عن ذلک كيوشع عليه السلام، و فی كلام بعض المعتزلة أن الرسول صاحب الوحی بواسطة الملک، و النبی هو المخبر عن الله بكتاب أو إلهام أو تنبيه فی منام، انتهى.
أقول: و سيأتی تحقيق القول فی ذلک.
قوله: فنبی منبأ فی نفسه، أقول: الفرق بينه و بين الثانی لا يخلو من إشكال، و يمكن توجيهه بوجهين:
الأول: أن يكون المراد بقوله: منبأ فی نفسه لا يعدو غيرها، أنه لا يتعلق بنبوته شیء غير نفسه، لا ملک يسمع صوته أو يعاينه، و لا أحد يبعث إليه و الثانی ليس بمقصود على ذلک، بل يسمع كلام الملک أيضا بحيث لا يراه فی اليقظة، فيكون

وَ نَبِیٌّ یَرَی فِی مَنَامِهِ وَ یَسْمَعُ الصَّوْتَ وَ یُعَایِنُ الْمَلَکَ وَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَی طَائِفَةٍ قَلُّوا أَوْ کَثُرُوا کَیُونُسَ قَالَ اللَّهُ لِیُونُسَ- وَ أَرْسَلْناهُ إِلی مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ یَزِیدُونَ قَالَ یَزِیدُونَ

القسمان مشترکین فی عدم البعثة إلی أحد، و إنما الفرق بسماع الصوت فی الیقظة و عدمه، و التشبیه بلوط علیه السلام فی محض کونه علیه إمام، لأن لوطا کان من المرسلین، و کان مبعوثا علی أمة عذبوا بمخالفته.

و الوجه الثانی: أن یکون الأول من لم یبعث إلی أحد أصلا، و الثانی من یکون مبعوثا لکن لا من قبل الله، بل من قبل الإمام بأن یکون لوطا مبعوثا من قبل إبراهیم علیه السلام إلیهم لا من قبل الله، و إن کان نبیا فیکون التشبیه کاملا، و یکون قوله سبحانه" وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ" یعنی به أنه من المرسلین من قبل الإمام، و المراد بعدم المعاینة عدمها عند إلقاء الحکم و سماع الصوت المشتمل علی بیان الحکم الشرعی، فلا ینافی رؤیة لوط علیه السلام الملائکة المرسلین لتعذیب قومه و سماعه أصواتهم، و یمکن أن یکون المراد رؤیتهم بصورتهم الأصلیة، و هو علیه السلام رآهم فی صورة البشر، أو رؤیتهم عند معرفة أنهم ملائکة، فیمکن أن یکون حین عرفهم لم یکن یراهم، و لکن یسمع أصواتهم و الظرف فی قوله: فی الیقظة، متعلق بیسمع الصوت و لا یعاینه علی التنازع.

و قوله تعالی" أَوْ یَزِیدُونَ" مما یوهم الشک و هو محال علی الله سبحانه.

و أجیب بوجوه:" الأول" أن المعنی أو یزیدون فی تقدیرکم، بمعنی أنه إذا رآهم الرائی منکم قال: هؤلاء مائة ألف أو یزیدون علی المائة ألف" الثانی" أن أو بمعنی الواو" الثالث" أن أو بمعنی بل" الرابع" أنه للإبهام علی المخاطبین" الخامس" ما قیل: إنه لما کان إرسال یونس إلی قومه أمرا مستمرا و کان قومه فی بعض أوقات

ثَلَاثِينَ أَلْفاً وَ عَلَيْهِ إِمَامٌ وَ الَّذِی یَرَی فِی نَوْمِهِ وَ یَسْمَعُ الصَّوْتَ وَ یُعَایِنُ فِی الْیَقَظَةِ وَ هُوَ إِمَامٌ مِثْلُ أُولِی الْعَزْمِ وَ قَدْ کَانَ إِبْرَاهِیمُ ع نَبِیّاً وَ لَیْسَ بِإِمَامٍ حَتَّی قَالَ اللَّهُ- إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی فَقَالَ اللَّهُ لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ مَنْ عَبَدَ صَنَماً أَوْ وَثَناً لَا یَکُونُ إِمَاماً

الإرسال مائة ألف و زادوا بالتوالد فی بعض الأوقات إلی أن صاروا مائة و ثلاثین ألفا استعمل" أو" لبیان أن المرسل إلیهم علی قسمین، ففی بعض الأوقات مائة ألف، و فی بعضها یزیدون، و لم یذکر قدر الزیادة إشارة إلی أنه فی کل وقت من أوقات الزیادة غیر ما فی الأوقات الأخری، فبین علیه السلام أن منتهی الزیادة ثلاثون ألفا.

و قال الطبرسی (ره): و اختلف فی الزیادة علی مائة ألف کم هی؟ فقیل: عشرون ألفا عن ابن عباس و مقاتل، و قیل: بضع و ثلاثون ألفا عن الحسن و الربیع، و قیل: سبعون ألفا عن مقاتل بن حیان.

قوله: و علیه إمام، أی موسی علیه السلام و الإمام من تکون له الرئاسة العامة و یتبعه کل من یأتی بعده إلی أن تنسخ شریعته، و هذا المعنی ثابت لجمیع أولو العزم، و لأئمتنا صلوات الله علیهم، و قوله علیه السلام: من عبد صنما أو وثنا لم یکن إماما، إما تفسیر لقوله تعالی:" لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ" أو متفرع و مترتب علیه و هذا أنسب بسائر الأخبار، فیکون تعریضا لأئمة المخالفین الذین کانوا فی أکثر عمرهم مشرکین، فعلی الأول المراد بالظلم الکفر و الشرک، و بالعهد الإمامة، و علی الثانی فالظلم علی عمومه و العهد شامل للإمامة و ما فی حکمها، و هو فی الأصل ما یکتب للولاة، من عهد إلیه کعلم إذا أوصاه، و هنا کنایة عن خلافة الله فی أرضه.

و قال الطبرسی (ره) قال مجاهد: العهد الإمامة و هو المروی عن أبی جعفر و أبی عبد الله علیه السلام، أی لا یکون الظالم إماما للناس فهذا یدل علی أنه یجوز أن یعطی ذلک بعض ولده إذا لم یکن ظالما لأنه لو لم یرد أن یجعل أحدا منهم إماما للناس

لوجب أن يقول فى الجواب: لا، أو لا ينال عهدى ذريتک، و قال الحسن: إن معناه أن الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيرا و إن كانوا قد يعاهدون فى الدنيا فيوفى لهم، و قد يجوز فى العربية أن يقال لا ينال عهدى الظالمين، لأن ما نالک فقد نلته، و قد روى ذلک فى قراءة ابن مسعود، و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوما عن القبائح، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذى هو الإمامة ظالم، و من ليس بمعصوم فقد يكون ظالما إما لنفسه و إما لغيره، فإن قيل:
إنما نفى أن يناله فى حال ظلمة، فإذا تاب فلا يسمى ظالما، فيصح أن يناله؟ فالجواب أن الظالم و إن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته فى حال كونه ظالما، فإذا نفى أن يناله فقد حكم بأنه لا ينالها، و الآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا يناله الظالم و إن تاب فيها بعد، انتهى كلامه رفع الله مقامه.
فإن قلت: على القول باشتراط بقاء المشتق منه فى صدق المشتق كيف يستقيم الاستدلال؟
قلت: لا ريب أن الظالم فى الآية يحتمل الماضى و الحال، لأن إبراهيم عليه السلام إنما سأل ذلک لذريته من بعده، فأجاب تعالى بعدم نيل العهد لمن يصدق عليه أنه ظالم بعده، فكل من صدق عليه بعد مخاطبة الله تعالى لإبراهيم بهذا الخطاب أنه ظالم، و صدر عنه الظلم فى أى زمان من أزمنة المستقبل يشمله هذا الحكم، أنه لا يناله العهد.
فإن قلت: تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية؟
قلت: العلية لا تدل على المقارنة، إذ ليس مفاد الحكم إلا أن عدم النيل إنما هو للاتصاف بالظلم فى أحد الأزمنة المستقبلة بالنسبة إلى صدور الحكم فتدبر.
و قال بعض الأفاضل: فى الخبر دلالة على أن المراد بالظالم من ظلم و سبق ظلمه، حيث قال: من عبد صنما و لم يقل من لم يعبد، و لم يدخل الفاء فى الخبر

ص: 285

2 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا وَ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَاماً فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ فَمِنْ عِظَمِهَا فِی عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی قالَ لا يَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِينَ قَالَ لَا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ التَّقِيِ

دلالة على عدم إرادة معنى الشرط، و أيضا فكما كان الخليل عليه السلام يسأل الإمامة و يريدها لظالم حين ظلمه إنما يدخل فى سؤاله الذى سبق ظلمه، و هو غير متلبس به، فأجاب بإخراج من ظلم و سبق منه الظلم، و يحتمل أن يكون مراد الخليل عليه السلام أخذ العهد لذريته بالإمامة، فى ضمن عهد إمامته، و الجواب من يفعل منهم ظلما لا ينال عهد الإمامة، فذريته على العموم لا يصح إدخالهم فى العهد، فإن من ذريته من يعبد الصنم و الوثن.

: ضعيف، و تقدم النبوة على الرسالة ظاهر، و كذا الرسالة على الخلة فإنها فراغ القلب عن جميع ما سوى الله، و عدم التوسل فى شىء من الأمور إلى سواه، و كل رسول لا يلزم أن تكون له هذه الدرجة، و الإمامة التى هى الرئاسة العامة لجميع الخلق، و كون من بعده من الأنبياء تابعين له أفضل من الجميع.
قوله عليه السلام: فلما جمع له، على بناء المعلوم أو المجهول" الأشياء" أى المذكورة سابقا.
قوله عليه السلام: لا يكون السفيه. هذا تفسير لنفى إمامة الظالم بحمل الظلم على السفاهة، سواء كان بفقدان العقائد الحقة و اختيار الباطل، و هم الظلمة على أنفسهم، أو بارتكاب القبائح الشنيعة و هم الظلمة على أنفسهم أو على غيرهم، أو بيان لسببه، أو لما يترتب عليه.

ص: 286

3 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَثْعَمِيِّ عَنْ هِشَامٍ عَنِ ابْنِ أَبِی يَعْفُورٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ سَادَةُ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ خَمْسَةٌ وَ هُمْ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ عَلَيْهِمْ دَارَتِ الرَّحَی- نُوحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ مُوسَی وَ عِيسَی وَ مُحَمَّدٌ صَلَّی اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ عَلَی جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ

4 عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبِی السَّفَاتِجِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْداً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيّاً وَ اتَّخَذَهُ نَبِيّاً قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا وَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا وَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ إِمَاماً فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَ قَبَضَ

قيل: و فيه دلالة على عموم الإمامة بالنسبة إلى كل الناس كما هو الظاهر من قوله تعالى:" إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً".

الحديث الثالث

: موثق" و عليهم دارت الرحى" أى رحا النبوة و الرسالة و الشريعة و الدين، و سائر الأنبياء تابعون لهم فهم بمنزلة القطب للرحى، و قيل: كنى بالرحى عن الشرائع لدورانها بين الأمم مستمرة إلى يوم القيامة، و شبه أولو العزم بالماء الذي تدور عليه الرحى، أو كنى بالرحى عن الأفلاک، فإنها تدور و تدوم بوجود الأنبياء و دوام آثارهم و لولاهم لما دارت و لما بقيت كما ورد فى الحديث القدسى فى حق نبينا صلى الله عليه و آله: لولاک لما خلقت الأفلاک.

الحديث الرابع

: ضعيف.
قوله: و قبض يده، الظاهر أن الضمير المستتر و البارز راجعان إلى الباقر عليه السلام، و الكلام من الراوى أى لما قال عليه السلام فلما جمع له هذه الأشياء قبض يده الشريفة، أى ضم أصابعه إلى الكف لبيان اجتماع هذه الخمسة له، أى العبودية التى هى إخلاص العبادة لله، و العمل بما يقتضيه، و هذا غاية كمال الممكن، و قد وصف الله المقربين من عباده بذلک حيث قال:" سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ" و قال

يَدَهُ قَالَ لَهُ- يَا إِبْرَاهِيمُ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً فَمِنْ عِظَمِهَا فِی عَیْنِ إِبْرَاهِیمَ ع قَالَ یَا رَبِّ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ

بَابُ الْفَرْقِ بَیْنَ الرَّسُولِ وَ النَّبِیِّ وَ الْمُحَدَّثِ

1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَیْمُونٍ عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ کانَ رَسُولًا نَبِیًّا مَا الرَّسُولُ وَ مَا النَّبِیُّ قَالَ النَّبِیُّ الَّذِی یَرَی فِی مَنَامِهِ وَ یَسْمَعُ الصَّوْتَ وَ لَا یُعَایِنُ الْمَلَکَ وَ الرَّسُولُ الَّذِی یَسْمَعُ الصَّوْتَ وَ یَرَی فِی الْمَنَامِ وَ

" عَبْداً مِنْ عِبادِنا" إلی غیر ذلک من الآیات، و النبوة و الرسالة و الخلة و الإمامة، و ضم الفعل إلی القول بهذه الإشارات شائع فی الاستعمالات کما لا یخفی علی المتدبرین فی فهم الروایات، و قیل: لعل المراد أخذ یده و رفعه من حضیض الکمالات إلی أوجها، هذا إذا کان الضمیر فی یده راجعا إلی إبراهیم و إن کان راجعا إلی الله فقبض یده کنایة عن إکمال الصنعة و إتمام الحقیقة فی إکمال ذاته و صفاته، أو تشبیه للمعقول بالمحسوس للإیضاح، فإن الصانع منا إذا أکمل صنعة الشیء لرفع یده عنه و لا یعمل فیه شیئا لتمام صنعته، و قیل: فیه إضمار أی قبض إبراهیم هذه الأشیاء بیده، أو قبض المجموع فی یده، و لا یخفی ما فی جمیع ذلک من التکلف و التعسف.

قوله: فمن عظمها أی الإمامة.

باب الفرق بين الرسول و النبى و المحدث

الحديث الأول

: صحيح قوله عليه السلام: الذى يرى فى منامه، الغرض بيان مادة الافتراق لإثبات العموم، أى يصدق على هذا الفرد" و لا يعاين الملک" أى فى اليقظة، و المعنى: لا يعاينه حين سماع صوته، فلا ينافيه الخبر الآتى، و يدل على أنه كان فى قراءة أهل البيت عليهم السلام:

ص: 288
يُعَابِنُ الْمَلَکَ قُلْتُ الْإِمَامُ مَا مَنْزِلَتُهُ قَالَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَ لَا يَرَى وَ لَا يُعَابِنُ الْمَلَکَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ وَ لَا مُحَدَّثٍ 2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَرَّارٍ قَالَ كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمَعْرُوفِيُّ إِلَى الرِّضَا ع- جُعِلْتُ فِدَاکَ أَخْبِرْنِي مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَ النَّبِيِّ وَ الْإِمَامِ قَالَ فَكَتَبَ أَوْ قَالَ الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَ النَّبِيِّ وَ الْإِمَامِ أَنَّ الرَّسُولَ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ فَيَرَاهُ وَ يَسْمَعُ كَلَامَهُ وَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَ رُبَّمَا رَأَى فِي مَنَامِهِ نَحْوَ رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ ع وَ النَّبِيُّ رُبَّمَا سَمِعَ الْكَلَامَ وَ رُبَّمَا رَأَى الشَّخْصَ وَ لَمْ يَسْمَعْ

" و لا محدث" و قيل: يحتمل أن يكون بيانا للمراد من الآية، أقول: هذا بعيد جدا و إن أمكن توجيهه بأن الأئمة فى هذه الأمة لما كانوا بمنزلة الأنبياء الذين كانوا فى الأمم السابقة كما قال النبى صلى الله عليه و آله: علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل، و فسر بالأئمة عليهم السلام، فذكر الأنبياء المتقدمين و بيان حكمهم مشتمل على ذكر الأئمة عليهم السلام على هذا الوجه، لكن أوردنا فى كتابنا الكبير أخبارا أصرح من هذه الأخبار، فى كون هذه الكلمة فى القرآن، و لا استبعاد فى سقوط بعض القرآن عما جمعه عثمان كما سيأتى تحقيقه فى كتاب القرآن إن شاء الله تعالى.

الحديث الثانى

: مجهول قال: فكتب. القائل أما الحسن أو إسماعيل فإن أحدهما شک فى أن جوابه عليه السلام كان بعنوان المكاتبة أو المكالمة" ينزل عليه جبرئيل" ذكره على المثال أو على التعيين، فيكون الملک فى سائر الأخبار محمولا عليه" و ينزل عليه الوحى" أما تفسير لما سبق أو تعميم بعد التخصيص على الاحتمال الأول، أو المراد الوحى بلا واسطة الملک،" و ربما رأى الشخص" أى النبى الذى ليس برسول لا يجتمع له السماع و الرؤية فى حالة واحدة كما مر، و يرى فى المنام أيضا و لا يرى الشخص، أى جبرئيل عليه السلام على الاحتمال الثانى مطلقا، و إن كان ينافيه بعض الأخبار، أو عند إلقاء الحكم كما

وَ الْإِمَامُ هُوَ الَّذِی یَسْمَعُ الْکَلَامَ وَ لَا یَرَی الشَّخْصَ
3 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ الْأَحْوَلِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنِ الرَّسُولِ وَ النَّبِیِّ وَ الْمُحَدَّثِ قَالَ الرَّسُولُ الَّذِی یَأْتِیهِ جَبْرَئِیلُ قُبُلًا فَیَرَاهُ وَ یُکَلِّمُهُ فَهَذَا الرَّسُولُ وَ أَمَّا النَّبِیُّ فَهُوَ الَّذِی یَرَی فِی مَنَامِهِ نَحْوَ رُؤْیَا إِبْرَاهِیمَ وَ نَحْوَ مَا کَانَ رَأَی رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ أَسْبَابِ النُّبُوَّةِ قَبْلَ الْوَحْیِ حَتَّی أَتَاهُ جَبْرَئِیلُ ع مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالرِّسَالَةِ وَ کَانَ مُحَمَّدٌ ص حِینَ جُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَ جَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ یَجِیئُهُ بِهَا جَبْرَئِیلُ وَ یُکَلِّمُهُ بِهَا قُبُلًا وَ مِنَ الْأَنْبِیَاءِ مَنْ جُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَ یَرَی فِی مَنَامِهِ وَ یَأْتِیهِ الرُّوحُ وَ یُکَلِّمُهُ وَ یُحَدِّثُهُ مِنْ غَیْرِ أَنْ یَکُونَ یَرَی فِی الْیَقَظَةِ وَ أَمَّا

مر، فالفرق بینه و بین بعض الأنبیاء غیر مذکور هنا، قیل: أی الإمامة باعتبار هذه المرتبة، کما أن النبوة باعتبار الرؤیة فی المنام، و الرسالة باعتبار نزول جبرئیل علیه السلام و رؤیة شخصه و سماع کلامه فی الیقظة، فمتی فارقت الإمامة النبوة و الرسالة لم یکن الإسماع و الکلام من غیر معاینة و لا فی المنام کما سیأتی.

: صحيح.
قال الفيروزآبادى: رأيته قبلا محركة و بضمتين، و كصرد و عنب، و قبيلا كأمير: عيانا و مقابلة" و يأتيه الروح" أى جبرئيل للخبر السابق، أو روح القدس كما سيأتى.
و اعلم أن تحقيق الفرق بين النبى و الإمام عليهم السلام و استنباطه من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، و كذا الجمع بينهما و بين سائر الأخبار التى سيأتى بعضها و أوردنا أكثرها فى كتاب البحار، فى غاية الإشكال، و الذى ظهر لى من أكثرها: هو أن الإمام لا يرى الحكم الشرعى فى المنام، و النبى قد يراه فيه، و أما الفرق بين الإمام و النبى و بين الرسول، أن الرسول يرى الملک عند إلقاء الحكم و النبى غير الرسول و الإمام عليه السلام لا يريانه فى تلک الحال، و إن رأياه فى سائر الأحوال، و يمكن أن يخص الملک الذى لا يريانه بجبرئيل عليه السلام، و يعم الأحوال لكن فيه أيضا منافرة لبعض الروايات، و مع قطع النظر عن الأخبار لعل الفرق بين الأئمة عليهم السلام و غير

أولى العزم من الأنبياء أن الأئمة عليهم السلام نواب للرسول صلى الله عليه و آله لا يبلغون إلا بالنيابة، و أما الأنبياء و إن كانوا تابعين لشريعة غيرهم لكنهم مبعوثون بالأصالة و إن كانت تلك النيابة أشرف و أعلى رتبة من تلك الأصالة، و ربما يفرق بينهما بأن الملک يلقى إلى النبى على وجه التعليم، و إلى الإمام عليه السلام للتنبيه.

و بالجملة لا بد لنا من الإذعان بعدم كونهم أنبياء، و أنهم أفضل و أشرف من جميع الأنبياء سوى نبينا صلوات الله عليه و عليهم، و من سائر الأوصياء عليهم السلام، و لا نعرف سببا لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله، و لا يصل عقولنا إلى فرق بين بين النبوة و الإمامة، و ما دلت عليه الأخبار فقد عرفته و الله يعلم حقائق أحوالهم صلوات الله عليهم.

قال الشيخ المفيد قدس الله روحه فى شرح عقائد الصدوق رحمه الله: أصل الوحى هو الكلام الخفى ثم قد تطلق على كل شىء قصد به إلى إفهام المخاطب على السر له من غيره، و التخصيص له به دون من سواه، فإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام و شريعة النبى صلى الله عليه و آله، قال الله تعالى:

" وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ" الآية، فاتفق أهل الإسلام على أن الوحى كان رؤيا مناما و كلاما سمعته أم موسى فى منامها على الاختصاص، و قال تعالى:" وَ أَوْحى رَبُّکَ إِلَى النَّحْلِ" الآية يريد به الإلهام الخفى إذ كان خاصا بمن أفرده دون من سواه، فكان علمه حاصلا للنحل بغير كلام جهر به المتكلم فأسمعه غيره.

و ساق (ره) الكلام إلى أن قال: و قد يرى الله فى المنام خلقا كثيرا ما يصح تأويله و يثبت حقه لكنه لا يطلق بعد استقرار الشريعة عليه اسم الوحى، و لا يقال فى هذا الوقت لمن أطلعه الله على علم شىء أنه يوحى إليه، و عندنا أن الله يسمع الحجج بعد نبيه صلى الله عليه و آله كلاما يلقيه إليهم أى الأوصياء فى علم ما يكون، لكنه لا يطلق عليه

اسم الوحى لما قدمناه من إجماع المسلمين على أنه لا يوحى لأحد بعد نبينا صلى الله عليه و آله، و إنه لا يقال فى شىء مما ذكرناه أنه وحى إلى أحد، و لله تعالى أن يبيح إطلاق الكلام أحيانا و يحظره أحيانا و يمنع السمات بشىء حينا و يطلقها حينا، فأما المعانى فإنها لا تتغير عن حقائقها على ما قدمناه. و قال رحمه الله فى كتاب المقالات: أن العقل لا يمنع من نزول الوحى إليهم عليهم السلام و إن كانوا أئمة غير أنبياء، فقد أوحى الله عز و جل إلى أم موسى عليه السلام أَنْ أَرْضِعِيهِ، الآية، فعرفت صحة ذلک بالوحى، و عملت عليه و لم تكن نبيا و لا رسولا و لا إماما، و لكنها كانت من عباد الله الصالحين، و إنما منعت من نزول الوحى إليهم و الإيحاء بالأشياء إليهم للإجماع على المنع من ذلک و الاتفاق على أنه من زعم أن أحدا بعد نبينا صلى الله عليه و آله يوحى إليه فقد أخطأ و كفر، و لحصول العلم بذلک من دين النبى صلى الله عليه و آله، كما أن العقل لم يمنع من بعثة نبى بعد نبينا صلى الله عليه و آله و نسخ شرعه كما نسخ ما قبله من شرائع الأنبياء عليهم السلام، و إنما منع ذلک الإجماع و العلم بأنه خلاف دين النبى صلى الله عليه و آله من جهة اليقين و ما يقارب الاضطرار، و الإمامية جميعا على ما ذكرت ليس بينها فيه على ما وصفت خلاف.

ثم قال رحمه الله:" القول فى سماع الأئمة عليهم السلام كلام الملائكة الكرام و إن كانوا لا يرون منهم الأشخاص" و أقول بجواز هذا من جهة العقل، و أنه ليس يمتنع فى الصديقين من الشيعة، المعصومين من الضلال، و قد جاءت بصحته و كونه للأئمة عليهم السلام و من سميت من شيعتهم الصالحين الأبرار الأخيار واضحة الحجة و البرهان، و هو مذهب فقهاء الإمامية و أصحاب الآثار منهم، و قد أباه بنو نوبخت و جماعة من الإمامية لا معرفة لهم بالأخبار، و لم يتعمقوا النظر و لا سلكوا طريق الصواب.

الْمُحَدَّثُ فَهُوَ الَّذِی یُحَدَّثُ فَیَسْمَعُ وَ لَا یُعَایِنُ وَ لَا یَرَی فِی مَنَامِهِ
4 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَیْنِ عَنْ عَلِیِّ بْنِ حَسَّانَ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ یَعْقُوبَ الْهَاشِمِیِّ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ بُرَیْدٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ وَ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ وَ لَا مُحَدَّثٍ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاکَ لَیْسَتْ هَذِهِ قِرَاءَتَنَا فَمَا الرَّسُولُ وَ النَّبِیُّ وَ الْمُحَدَّثُ قَالَ الرَّسُولُ الَّذِی یَظْهَرُ لَهُ الْمَلَکُ فَیُکَلِّمُهُ وَ النَّبِیُّ هُوَ الَّذِی یَرَی فِی مَنَامِهِ وَ رُبَّمَا اجْتَمَعَتِ النُّبُوَّةُ وَ الرِّسَالَةُ لِوَاحِدٍ وَ الْمُحَدَّثُ الَّذِی یَسْمَعُ الصَّوْتَ وَ لَا یَرَی الصُّورَةَ قَالَ قُلْتُ أَصْلَحَکَ اللَّهُ کَیْفَ یَعْلَمُ أَنَّ الَّذِی رَأَی فِی النَّوْمِ حَقٌّ وَ أَنَّهُ مِنَ الْمَلَکِ قَالَ یُوَفَّقُ لِذَلِکَ حَتَّی یَعْرِفَهُ لَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ بِکِتَابِکُمُ الْکُتُبَ وَ خَتَمَ بِنَبِیِّکُمُ الْأَنْبِیَاءَ

ثم قال رحمه الله تعالی: و أقول: منامات الرسل و الأنبیاء و الأئمة علیهم السلام صادقة لا تکذب، و أن الله تعالی عصمهم عن الأحلام و بذلک جاءت الأخبار عنهم علیهم السلام، و علی هذا القول جماعة من فقهاء الإمامیة و أصحاب النقل منهم، و إما متکلموهم فلا أعرف منهم نفیا و لا إثباتا، و لا مسألة فیه و لا جوابا، و المعتزلة بأسرها تخالفنا فیه، انتهی.

: ضعيف، و أحمد بن محمد كأنه العاصمى.
قوله عليه السلام: يوفق لذلک، أى يعطيه أسباب تلک المعرفة و يهيئها له من معجزة مقارنة له أو إفاضة علم ضرورى به" لقد ختم الله بكتابكم" الظاهر أن هذا لرفع توهم النبوة فى الحجج عليهم السلام، لاشتراكهم مع الأنبياء فى سماع صوت الملک، أو لبيان أنه لا بد من محدثين بعد النبى صلى الله عليه و آله لحفظ الملة و هداية الأمة، إذ فى الأمم السابقة كان فى كل عصر جماعة من الأنبياء يحفظون شريعة النبى الذى سبقهم من أولى العزم، و يدعون الناس إلى ملته، فلما انقطعت النبوة بعد نبينا فلا بد من محدثين يأتون بما كانوا يأتون به.
و قيل: نبه بذلک على أن كيفية ذلک إنما يحتاج إلى علمه من يكون نبيا، أو من يحتمل نبوته و هو لكم مفروغ عنه، لانقطاع النبوة بعد نبينا صلى الله عليه و آله و لا يخفى ما فيه.

بَابُ أَنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ع قَالَ إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَفَ

2 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ سَمِعْتُ الرِّضَا ع يَقُولُ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرَف

باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام

الحديث الأول

: صحيح.
قوله عليه السلام: إن الحجة لا تقوم، أى فى الدنيا بحيث يجب عليهم الإتيان بما أمروا به و الانتهاء عما نهوا عنه، فإن التعريف شرط التكليف، أو فى الآخرة بحيث يحتج عليهم لم فعلت كذا؟ و لم تركت كذا؟" إلا بإمام حتى يعرف" على المعلوم من بناء التفعيل أى حتى يعرف الناس ما يحتاجون إليه، فيكون دليلا على المدعى أو على بناء المجهول بالتخفيف أو بالتشديد، و الضمير راجع إلى الله أو إلى الدين أو الحق المعلومين بقرينة المقام، أو إلى الإمام إذ لو لم يكن إماما منصوبا من قبل الله مؤيدا بالمعجزات لم تعرف حقيته و حجيته، و فى بعض النسخ" حى" مكان" حتى" فالوجوه أيضا محتملة فى البناء، لكن الضمير راجع إلى الإمام، و التقييد بالحى للرد على العامة القائلين بأن الإمام بعد الرسول القرآن كما قال إمامهم: حسبنا كتاب الله، و فى بعض النسخ:" حق" مكانه ردا على المخالفين القائلين بإمامة خلفاء الجور.

الحديث الثانى

: ضعيف.

3 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا ع قَالَ إِنَّ الْحُجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَلَی خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّی يُعْرَفَ
4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْبَرْقِیِّ عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع الْحُجَّةُ قَبْلَ الْخَلْقِ وَ مَعَ الْخَلْقِ وَ بَعْدَ الْخَلْقِ
بَابُ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ
1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِی الْعَلَاءِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع تَكُونُ الْأَرْضُ لَيْسَ فِيهَا إِمَامٌ قَالَ لَا قُلْتُ يَكُونُ إِمَامَانِ قَالَ لَا إِلَّا وَ أَحَدُهُمَا صَامِتٌ

الحديث الثالث

: مجهول.

الحديث الرابع

: صحيح، و الحجة: البرهان، و المراد بها هنا الإمام عليه السلام إذ به تقوم حجة الله على الخلق" قبل الخلق" أى قبل جميعهم من المكلفين كآدم عليه السلام إذ كان قبل خلق حواء و خلق ذريته" و مع الخلق" لعدم خلو الأرض من الإمام، و بعدهم إذ القائم أو أمير المؤمنين عليهما السلام آخر من يموت من الخلق، أو يكون الحجة قبل كل أحد و معه و بعده، و قيل: حجية الحجة قبل إيجاد الخلق فى الميثاق، و معهم فى الدنيا و بعد موتهم فى القيامة، و أقول: يحتمل على بعد أن يكون المعنى:
هو قبل الخلق بالعلية، و معهم بالزمان، و بعدهم بالغائية، و لعل المصنف (ره) حمله على المعنى الثالث.

باب أن الأرض لا تخلو من حجة

الحديث الأول

: حسن.
" إلا و أحدهما صامت" أى ساكت عن الدعوة و التعريف و ادعاء الإمامة، و الناطق إمام عليه فى الحال كالسبطين عليهما السلام.

ص: 295

2 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ یُونُسَ وَ سَعْدَانَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَمِعْتُهُ یَقُولُ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو إِلَّا وَ فِیهَا إِمَامٌ کَیْمَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَیْئاً رَدَّهُمْ وَ إِنْ نَقَصُوا شَیْئاً أَتَمَّهُ لَهُمْ

3 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنْ رَبِیعِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْلِیِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَیْمَانَ الْعَامِرِیِّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَا زَالَتِ الْأَرْضُ إِلَّا وَ لِلَّهِ فِیهَا الْحُجَّةُ یُعَرِّفُ الْحَلَالَ وَ الْحَرَامَ وَ یَدْعُو النَّاسَ إِلَی سَبِیلِ اللَّهِ

الحديث الثانى

: حسن موثق.
" إن الأرض لا تخلو" أى عن إمام سابق" إلا و فيها إمام" أي لا حق بشرط بقاء زمان التكليف، و الواو للحال و الاستثناء مفرغ متصل، أى لا تخلو على حال من الأحوال إلا هذه الحالة، أو لا تخلو من أحد إلا و فيها إمام، أو لا تمضى إلا و فيها إمام، من قولهم خلا الدهر أى مضى، و نسبة المضى إليها مجاز بل الزمان يمضى عليها، و هذا عندى أظهر، أو من الخلق فيكون المراد إن آخر من يموت الحجة" كيما إذا زاد المؤمنون شيئا" أى من العقائد أو الأعمال سهوا أو خطأ" ردهم، و إن نقصوا شيئا" لقصورهم عن الوصول إليه" أتمه لهم" و يحتمل أن يكون المراد بالمؤمنين المدعين للإيمان المبتدعين فى الدين.

الحديث الثالث

: مجهول.
قوله عليه السلام: ما زالت الأرض، من زال يزول فعلا تاما أى من حال إلى حال، فإن الأرض دائما فى التغير و التبدل، أو من زال يزال فعلا ناقصا فكلمة إلا زائدة.
قال ابن هشام فى المغنى عند ذكر معانى" إلا" و الرابع: أن يكون زائدة، قاله الأصمعى و ابن جنى، و حملا عليه قوله:
حراجيج ما تنفك إلا مناخة على الخسف أو ترمى بها بلدا قفرا
و ابن مالک و حمل عليه قوله:
أرى الدهر إلا مجنونا بأهله و ما صاحب الحاجات إلا معذبا
" انتهى" يعرف كيضرب أو على التفعيل.

4 أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِی الْعَلَاءِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ تَبْقَی الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ قَالَ لَا
5 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَی عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ عَنْ أَحَدِهِمَا ع قَالَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَدَعِ الْأَرْضَ بِغَيْرِ عَالِمٍ وَ لَوْ لَا ذَلِکَ لَمْ يُعْرَفِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ
6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتْرُکَ الْأَرْضَ بِغَيْرِ إِمَامٍ عَادِلٍ
7 عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی أُسَامَةَ وَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی أُسَامَةَ وَ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی إِسْحَاقَ عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّکَ لَا تُخْلِی أَرْضَکَ مِنْ حُجَّةٍ لَکَ عَلَی خَلْقِکَ

الحديث الرابع

: ضعيف.
" تبقى الأرض بغير إمام" أى تبقى صالحة معمورة، أو تبقى مقرا للناس فأجاب عليه السلام بنفى البقاء حينئذ لفقد ما هو المقصود من الخلق من العبادة و المعرفة حينئذ مع فقد الزواجر عن الفساد المنجر إلى الخراب و الهلاک، و قيل: تبقى فعل ناقص بمعنى تكون.

الحديث الخامس

: صحيح.
" و لو لا ذلک" استدلال على عدم خلو الأرض من عالم باستلزام الخلو عدم المعرفة المقصودة من الخلق و الإيجاد، و عدم العبادة الموقوفة على المعرفة.

الحديث السادس

: ضعيف.
قوله عليه السلام: إن الله أجل و أعظم، أى أجل و أعظم من أن لا يكون حكيما لطيفا بعبادة، أو لا يكون قادرا على الإتيان بمقتضى الحكمة و اللطف فيخل بمقتضاهما و يترک الأرض بغير إمام عادل.

الحديث السابع

: مجهول.

8 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ قَالَ وَ اللَّهِ مَا تَرَكَ اللَّهُ أَرْضاً مُنْذُ قَبَضَ آدَمَ ع إِلَّا وَ فِيهَا إِمَامٌ يُهْتَدَى بِهِ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ حُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَا تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ

9 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَلِيِّ بْنِ رَاشِدٍ قَالَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ ع إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ وَ أَنَا وَ اللَّهِ ذَلِكَ الْحُجَّةُ

10 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَ تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ قَالَ لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَتْ

11 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا ع قَالَ قُلْتُ لَهُ أَ تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ قَالَ لَا قُلْتُ فَإِنَّا نُرَوَّى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهَا لَا تَبْقَى بِغَيْرِ إِمَامٍ إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ أَوْ عَلَى

الحديث الثامن

: مجهول.
" ما ترک الله أرضا" التنكير باعتبار تعدد الأزمنة أى الأرض فى زمان، و قيل:
" فى" فى قوله" فيها" بمعنى على، و المراد جزءا من الأرض فيها مكلف.

: ضعيف، و أبو الحسن هو الثالث عليه السلام.

الحديث العاشر

: مجهول.
و قال الفيروزآبادى: ساخت قوائمه ثاخت و الشىء رسب، و الأرض بهم سوخا و سووخا و سوخانا: انخسف، انتهى. و المراد هنا غوصها فى الماء إما حقيقة أو كناية عن هلاک البشر و ذهاب نظامها.

الحديث الحادى عشر

: مجهول.
قوله عليه السلام:" لا تبقى" أى ليس مراد أبى عبد الله عليه السلام السخط الذى تبقى معه

الْعِبَادِ فَقَالَ لَا لَا تَبْقَى إِذاً لَسَاخَتْ
12 عَلِيٌّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِ عَنْ أَبِي هَرَاسَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ لَوْ أَنَّ الْإِمَامَ رُفِعَ مِنَ الْأَرْضِ سَاعَةً لَمَاجَتْ بِأَهْلِهَا كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ بِأَهْلِهِ
13 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع هَلْ تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ قَالَ لَا قُلْتُ إِنَّا نُرَوِّي أَنَّهَا لَا تَبْقَى إِلَّا أَنْ يَسْخَطَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ لَا تَبْقَى إِذاً لَسَاخَتْ
بَابُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا رَجُلَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ
1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ ابْنِ الطَّيَّارِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ

الأرض و أهله، بل السخط الذى تصير به الأرض منخسفة ذاهبة غير منتظمة، ارتفع عنها التكليف.

الحديث الثانى عشر

: ضعيف.

الحديث الثالث عشر

: ضعيف.

باب أنه لو لم يبق فى الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة

الحديث الأول

: ضعيف.
قوله عليه السلام" لكان أحدهما الحجة" أقول: نظيره من طرق العامة ما رواه مسلم عن النبى صلى الله عليه و آله قال: لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان، و ذلک لأنه كما يحتاج الناس إلى الحجة من حيث الاجتماع لأمر له مدخل فى نظامهم و معاشهم، كذلک يحتاجون إليه من حيث الانفراد لأمر له مدخل فى معرفة مبدئهم و معادهم و عباداتهم، و أيضا الحكمة الداعية إلى الأمر بالاجتماع و سد باب الاختلاف المؤدى إلى الفساد جارية هيهنا، و إنما تتم بحجية أحدهما، و وجوب إطاعة الآخر له.

2 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى جَمِيعاً عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ لَوْ بَقِیَ اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ عَلَى صَاحِبِهِ
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى مِثْلَهُ
3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ كَرَّامٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع لَوْ كَانَ النَّاسُ رَجُلَيْنِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْإِمَامَ وَ قَالَ إِنَّ آخِرَ مَنْ يَمُوتُ الْإِمَامُ لِئَلَّا يَحْتَجَّ أَحَدٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَنَّهُ تَرَكَهُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ لِلَّهِ عَلَيْهِ
4 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحُجَّةَ أَوْ الثَّانِی الْحُجَّةَ
الشَّكُّ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ
5 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّهْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِی الْأَرْضِ إِلَّا اثْنَانِ لَكَانَ الْإِمَامُ أَحَدَهُمَا

الحديث الثانى

: ضعيف بسنديه.

الحديث الثالث

: مرسل.
و آخر من يموت إما القائم عليه السلام أو أمير المؤمنين عليه السلام فى رجعته، لما ورد أنه دابة الأرض.

الحديث الرابع

: ضعيف.

الحديث الخامس

: مجهول.

بَابُ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَ الرَّدِّ إِلَيْهِ

1 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ ع إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلَالًا قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ قَالَ تَصْدِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَصْدِيقُ رَسُولِهِ ص وَ مُوَالاةُ عَلِيٍّ ع وَ الِائْتِمَامُ بِهِ

باب معرفة الإمام و الرد إليه

: ضعيف على المشهور.
" إنما يعبد الله من يعرف الله" أى معرفته تعالى كما ينبغى شرط لصحة العبادة،" فإنما يعبده هكذا" كأنه أشار بذلک إلى عبادة جماهير الناس أو إلى جهة الخلف، أى يمشون على خلاف جهة الحق أو إلى جهة الشمال، فإنها طريق أهل الضلال، أو إشارة إلى العبادة على غير المعرفة، و قيل: غمض عينيه أو أشار بيده إلى عينه لبيان العمى، و قوله:" ضلالا" تميز أو حال على المبالغة، أو بأن يقرأ بضم الضاد و تشديد اللام جمعا، و إنما أدخل التصديق بالرسول و موالاة الأئمة و البراءة من أعدائهم فى معرفة الله تعالى لاشتراط قبول معرفته سبحانه بها، أو لأن من لم يصدق بتلک الأمور لم يعرف الله بصفاته الكمالية، من اللطف و الحكمة و الرحمة كما لا يخفى على من تأمل فيما أسلفنا فى الأبواب السالفة، و موالاة الأئمة متابعتهم بتسليم الأمر إليهم بالإمامة و اتخاذهم أئمة و الاقتداء بهم و الانقياد لهم، و البراءة من أعدائهم المفارقة عنهم اعتقادا قلبا و لسانا و إطاعة، و قيل: إنما اعتبر معرفة الإمام فيما لا تتم العبادة إلا به من المعرفة، لأنه ما لم يعرف استناد الأمر و النهى و الطلب إليه سبحانه لا- يكون الإتيان بالعمل عبادة له تعالى، و إنما تحصل تلک المعرفة بالأخذ عن الحجة، و ما لم يعرف الحجة امتنع الأخذ عنه فيجب على من يريد أن يعبده إمام، فعليه معرفة

وَ بِأَئِمَّةِ الْهُدَى ع وَ الْبَرَاءَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَ
2 الْحُسَيْنُ عَنْ مُعَلَّى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ أَحَدِهِمَا ع أَنَّهُ قَالَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِناً حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الْأَئِمَّةَ كُلَّهُمْ وَ إِمَامَ زَمَانِهِ وَ يَرُدَّ إِلَيْهِ وَ يُسَلِّمَ لَهُ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ يَعْرِفُ الْآخِرَ وَ هُوَ يَجْهَلُ الْأَوَّلَ

الإمام كما كان يجب عليه الإقرار به تعالى موحدا، و رسوله مصدقا له فى جميع ما جاء به.

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام: لا يكون العبد مؤمنا، أى مصدقا بالمعارف التى تجب عليه فلا يفلح إلا بها، ما لم يحصل له معرفة الله و التصديق بوجوده و وحدته و صفاته اللائقة به، و معرفة رسوله بالرسالة، و التصديق بجميع ما جاء به، و معرفة الأئمة عليهم السلام كلهم و إمام زمانه بالإمامة، و وجوب الرد إليه و الأخذ عنه و إطاعته، و ذلک لأنه إنما يحصل له المعرفة من جهتهم و بتعريفهم و هدايتهم، فكل عبد يحتاج فى معرفته إلى إمام زمانه، و معرفته إنما يتيسر له غالبا بالنقل من الإمام السابق عليه، فيحتاج فى معرفة إمام زمانه إلى معرفة الأئمة كلهم.
و قوله" و يرد إليه و يسلم له" بيان لجهة الاحتياج إلى معرفة إمام زمانه و قوله:" كيف يعرف الآخر و هو يجهل الأول" إشارة إلى أن سبب اعتبار معرفة الأئمة كلهم هو توقف معرفة الزمان على معرفة الأئمة السابقين كلهم، لأن إمامة كل لا حق إنما تعرف بنص السابق عليه، أو أن طريق المعرفة واحدة، فلو علم إمامة إمام زمانه بالمعجزة فقد تواترت المعجزات عن السابقين، و أما معرفة إمام الزمان و مدخليتها فى الإيمان، فلما تواتر عن النبى ص: من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، و ما قيل: من أن المراد بالأول هو الله تعالى فلا يخفى ما فيه.

ص: 302

3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ زُرَارَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی جَعْفَرٍ ع أَخْبِرْنِی عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ مِنْكُمْ وَاجِبَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بَعَثَ مُحَمَّداً ص إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ رَسُولًا وَ حُجَّةً لِلَّهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ فِی أَرْضِهِ فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ بِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ وَ اتَّبَعَهُ وَ صَدَّقَهُ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ مِنَّا وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لَمْ يَتَّبِعْهُ وَ لَمْ يُصَدِّقْهُ وَ يَعْرِفْ حَقَّهُمَا فَكَيْفَ يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ وَ هُوَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ يَعْرِفُ حَقَّهُمَا قَالَ قُلْتُ فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ يُصَدِّقُ رَسُولَهُ فِی جَمِيعِ مَا

: صحيح.
قوله عليه السلام: فكيف تجب عليه معرفة الإمام، أى على الانفراد بل يجب عليه أن يؤمن بالله و رسوله أولا ثم بالإمام، و الغرض أن معرفتهما أوجب عليه بل لا سبيل له إلى معرفته إلا بمعرفتهما، فلا ينافى أن يعاقب بتركها أيضا إذا ترک الجميع، و قيل:
المراد أنه إنما تجب عليه معرفة الإمام إذا كان قابلا لمعرفة الله و رسوله، غير معذور فى تركهما بأن يكون كامل العقل، فإنه يجب عليه معرفة الإمام و إلا فلا، لفقدان العقل الذى هو مناط التكليف، و فيه بعد، و قيل: هذا استدلال على وجوب معرفة الإمام على المسلمين دون غيرهم بأن من لم يؤمن بالله و رسوله و لم يصدق الله و رسوله، لم تكن معرفة الإمام مطلوبة منه لأن معرفة الإمام للتعريف و تبيين ما جاء به الرسول لصدقه و رده إليه، و التسليم و الانقياد له، و اجتماع كلمة المسلمين و كونهم جماعة ليظهروا باتفاقهم على غيرهم، فلم تكن مطلوبة من غيرهم.
و لعل المراد أن معرفة الإمام مطلوبة لا لذاتها بل لحفظ الشريعة و الاقتداء به فيها، فوجوبها بالحقيقة على المؤمن بالله و برسوله، فإن المطلوب من غير المؤمن أن يؤمن بالله و برسوله ثم إذا أسلم فعليه أن يعرف الإمام و يطيعه.
قوله: فما تقول فيمن يؤمن" إلخ" لعله إنما أعاد السؤال طلبا للتأكيد و التنصيص أو ذكره تعجبا و استبعادا، و قيل: سؤال عن أنه إذا كان المؤمن مصدقا للرسول فى

أَنْزَلَ اللَّهُ يَجِبُ عَلَى أُولَئِکَ حَقٌّ مَعْرِفَتِکُمْ قَالَ نَعَمْ أَ لَيْسَ هَؤُلَاءِ يَعْرِفُونَ فُلَاناً وَ فُلَاناً قُلْتُ بَلَى قَالَ أَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِی أَوْقَعَ فِی قُلُوبِهِمْ مَعْرِفَةَ هَؤُلَاءِ وَ اللَّهِ مَا أَوْقَعَ ذَلِکَ فِی قُلُوبِهِمْ إِلَّا الشَّيْطَانُ لَا وَ اللَّهِ مَا أَلْهَمَ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّنَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَ

4 عَنْهُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِی الْمِقْدَامِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ إِنَّمَا يَعْرِفُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَعْبُدُهُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَ عَرَفَ إِمَامَهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَ مَنْ لَا يَعْرِفِ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَعْرِفِ الْإِمَامَ مِنَّا أَهْلَ

جميع ما أنزل الله أی مفصلا، أی حاجة له فی الإمام؟ و قوله عليه السلام: أ ليس هؤلاء يعرفون فلانا و فلانا؟ إشارة إلى جهة احتياجهم إلى الإمام بعد تصديقهم النبی فی جميع ما أنزل الله، و هو أن هؤلاء العارفين من أصحاب النبی صلى الله عليه و آله أضلهم الشيطان حتى أطاعوا فلانا و فلانا و انقادوا إليهم، و اتخذوهم أئمة فانجر إلى ما انجر إليه من الظلم و الطغيان و الضلال و العصيان، فالمصدق للنبی فی جميع ما أنزل الله ليس يأمن من الشيطان و إضلاله، فيحتاج إلى الإمام لرفع الأوهام و الشبه الفاسدة التی يلقيها الشيطان فی أذهانهم، و تستحسنها نفوسهم على وفق أهويتها الباطلة و أمانيها الفاسدة.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد أن المخالفين أيضا قائلون بوجوب معرفة الإمام فاعتقدوا لذلک بإمامة هؤلاء، و إن أخطأوا فی تعيين الإمام، أو المعنى أنهم لما تفطنوا بوجوب الخليفة و تمكنوا من معرفته، فما المانع لهم من الاهتداء لما هو الحق فيه؟ ليس المانع إلا الشيطان لأن الله عز و جل أقدرهم على ذلک و أعطاهم آلة المعرفة، فوجب عليهم تحصيل معرفة الإمام.

الحديث الرابع

: مختلف فيه.
" إنما يعرف الله و يعبده" أى معرفة و عبادة صحيحتين" من عرف الله و عرف إمامه" أى من جمع بين المعرفتين فمعرفة الله بدون معرفة الإمام كلا معرفة و العبادة بدون معرفتهما باطلة" و يعرف الإمام" الواو للحال عن المنفى أو النفى، داخل على

الْبَيْتِ فَإِنَّمَا يَعْرِفُ وَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ هَكَذَا وَ اللَّهِ ضَلَالًا
5 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ عَنْ ذَرِيحٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ص فَقَالَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع إِمَاماً ثُمَّ كَانَ الْحَسَنُ ع إِمَاماً ثُمَّ كَانَ الْحُسَيْنُ ع إِمَاماً ثُمَّ كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِمَاماً ثُمَّ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِمَاماً مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَانَ كَمَنْ أَنْكَرَ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى وَ مَعْرِفَةَ رَسُولِهِ ص ثُمَّ قَالَ قُلْتُ ثُمَّ أَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَأَعَدْتُهَا عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ لِي إِنِّي إِنَّمَا حَدَّثْتُكَ لِتَكُونَ

مجموع المعرفتين" فإنما يعرف" و يعبد" غير الله" إذ مع عدم معرفة الله يعرف و يعبد من يكون مطابق معرفته و هو غير الله، و مع عدم معرفة الإمام يعرف و يعبد إلها لا يكون حكيما و لا رؤوف رحيما بعباده و هو غير الله، مع أنه لا يمكن معرفة الله إلا بمعرفة الإمام و أخذ معرفة الله عنه.

: ضعيف.
قوله: قلت ثم أنت؟ تصديق أو استفهام، و السكوت على الأول تقرير، و على الثانى إما للتقية أو لأمر آخر.
قوله: إنى إنما حدثتک، يحتمل أن يكون الغرض الامتنان عليه بأنک بعد معرفة ذلک صرت من شيعتنا و هم الشهداء كما قال الله تعالى:" الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِکَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ" و قال:" وَ كَذلِکَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ" أو الغرض نهيه عن الإذاعة، أى إنما أخبرتک لتكون من المؤمنين لا لأن تذيع و ترده على، أو تحريصه على التبليغ و التبيين عند عدم التقية، فإنه إذا فعل ذلک كان من شهداء الله على خلقه تنبيها لهم، أو المعنى إنى إنما أخبرتک لتكون شاهدا لى عند الله بأنى بلغت ذلک أو

ص: 305
مِنْ شُهَدَاءِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی فِی أَرْضِهِ
6 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِیهِ عَمَّنْ ذَکَرَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِی لَیْلَی عَنْ أَبِیهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِنَّکُمْ لَا تَکُونُونَ صَالِحِینَ حَتَّی تَعْرِفُوا- وَ لَا تَعْرِفُوا حَتَّی تُصَدِّقُوا وَ لَا تُصَدِّقُوا حَتَّی تُسَلِّمُوا أَبْوَاباً أَرْبَعَةً لَا یَصْلُحُ

شاهدا لله ببیانه للخلق علی لساننا.

الحديث السادس

: ضعيف و سيأتى بأدنى اختلاف فى كتاب الإيمان و الكفر بهذا السند.
" إنكم لا تكونون صالحين" أى لا صلاح و لا نجاة و لا قبول عند الله إلا بالمعرفة، إذ لا صلاح إلا بالعبادة لمن يستحق أن يعبد، و لا عبادة إلا بالمعرفة،" و لا تعرفوا" بصيغة النهى و معناه النفى، و الظاهر" و لا تعرفون" كما فيما سيأتى، أى لا معرفة إلا بالتصديق لله و لرسوله و للحجج عليهم السلام، و لا تصديق إلا بالتسليم و الرضا بما من جانب المصدق به أعنى الأبواب الأربعة، و قيل: المراد بالتسليم الانقياد للأئمة عليهم السلام و الرضا بما يصدر منهم" و أبوابا" منصوب بتقدير: ألزموا، أو خذوا، أو اعلموا.
و فى الأبواب الأربعة وجوه:" الأول" ما سمعته من الوالد قدس سره و هو أنها إشارة إلى الأربعة المذكورة فى الآية الآتية، أى التوبة، و الإيمان، و العمل الصالح، و الاهتداء بولاية أهل البيت عليهم السلام، و أصحاب الثلاثة هم التاركون للرابعة، مع أنهم أصحاب الثلاثة على وجه آخر أيضا لقولهم بخلافة الخلفاء الثلاثة.
الثانى: أن يكون المراد بها الأربعة الذين كانوا مع النبى صلى الله عليه و آله فى الكساء فحمل الثلاثة على الخلفاء أنسب.
الثالث: أن يكون المراد بالأربعة الأصول الخمسة، بجعل العدل داخلا فى التوحيد، فإنه يرجع إلى صفاته تعالى، و بالثلاثة ما سوى الإمامة.
الرابع: أن أحد الأربعة ما يتعلق بمعرفة الله تعالى و تصديقه، و ثانيها ما يتعلق بتصديق رسوله، و ثالثها ما يتعلق بموالاة ولى الأمر من أهل البيت عليهم السلام، و

أَوَّلُهَا إِلَّا بِآخِرِهَا ضَلَّ أَصْحَابُ الثَّلَاثَةِ وَ تَاهُوا تَيْهاً بَعِيداً إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الْوَفَاءَ بِالشُّرُوطِ وَ الْعُهُودِ فَمَنْ وَفَی لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِشَرْطِهِ وَ اسْتَعْمَلَ مَا وَصَفَ فِی عَهْدِهِ نَالَ مَا عِنْدَهُ وَ اسْتَكْمَلَ مَا وَعَدَهُ- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی أَخْبَرَ الْعِبَادَ بِطُرُقِ الْهُدَی وَ شَرَعَ لَهُمْ فِيهَا الْمَنَارَ وَ أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ يَسْلُكُونَ فَقَالَ وَ إِنِّی

رابعها ما يتعلق بالبراءة من أعدائهم.
الخامس: أن يكون المراد بها المذكورات فی أول الخبر من الصلاح و المعرفة، و هی معرفة الله، و التصديق، أی لرسول الله صلی الله عليه و آله و التسليم أی الرضا و الطاعة و الانقياد لولی الله و حججه.
" لا يصلح أولها" المراد إما الأول و الآخر الحقيقيين أو الأعم منهما و من الإضافيين، أی لا يتم كل سابق إلا بلا حقه، و تطبيقهما علی كل من المعانی ظاهر" ضل أصحاب الثلاثة" أی الذين يرون الاكتفاء بالثلاثة الأول من الأربعة، و الغناء عن الرابع،" و تاهوا" أی ضلوا" تيها بعيدا" عن الحق أو عن العقل" إن الله لا يقبل إلا العمل الصالح" أی إنما يقبل من الأعمال العمل الصالح فعليكم أن تكونوا صالحين بالإتيان به علی الوجوب المطلوب الذی بالخروج عنه يخرج عن الصلاح، و إنما يقبل الله ما يكون الإتيان به وفاء بالشروط التی شرطها علی عباده، و العهود التی عهد إليهم بها" فمن و فی لله تعالی بشرطه" عليه" و استعمل" فيما سيأتی و استكمل" ما وصف فی عهده" إليه" نال ما عنده" من الثواب علی الأعمال الصالحة المقبولة المأتی بها علی وجه يتحفظ به صلاحها، و من أخل بشیء منها لم يصح عمله و لم يقبل منه ما فعله، و لم ينل ما عند الله من الثواب، و استحق الخذلان و العقاب، فلا تكونون صالحين إلا بالوفاء بما شرط عليكم و عهد إليكم من المعرفة و التصديق و التسليم، أو الأربعة المذكورة فی الآية أو غيرهما مما تقدم، فهذا القول توضيح و تبيين لما سبقه.
و قوله:" إن الله تبارک و تعالی أخبر العباد بطرق الهدی" إلخ، بيان للشرط و

لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى وَ قالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ فَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُ لَقِيَ اللَّهَ مُؤْمِناً بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ص هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ فَاتَ قَوْمٌ وَ مَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَهْتَدُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ أَشْرَكُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ

العهد منه سبحانه حيث قال:" وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ" أی من الكفر" وَ آمَنَ" أی بالله و برسوله و صدق الله و رسوله" وَ عَمِلَ صالِحاً" أی عملا صالحا أمر به" ثُمَّ اهْتَدى" أی بعد التوبة و الإيمان، و العمل بما كلف به من الأعمال الصالحة، سلک طريق الهدى الذى أمر بسلوكه من الأخذ عن الحجة فيما يحتاج إلى أخذه، و اتباع من أمر بمتابعته و جعل إماما على المسلمين بإعلام من الله و رسوله، و فى الدلالة على تأخر الاهتداء عن التوبة و الإيمان و العمل الصالح و انفصاله عنها بقوله، ثم أشار إلى أن المراد بالاهتداء فيما يجب بعدها، و إنما الواجب بعدها ما يجب بعد زمن رسول الله صلى الله عليه و آله من المراجعة فى المعارف الإلهية و الأحكام الشرعية إلى المنصوب لذلک من جانب الله و اتباعه فى أوامره و نواهيه الشرعية، و حيث قال:" إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" أى إنما نتقبل الأعمال الصالحة من الطاعات و العبادات من المتقين.
و لا يخفى دلالته على مغايرة التقوى للإتيان بها و التقوى المغايرة للإتيان بها أخذها عن مأخذها و التجنب عن الأخذ عن غيره، و الدخول من غير الباب، و تشريک الطواغيت له سبحانه فى الأعمال و العبادات، كما قال تعالى فى آية أخرى:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ".
" هيهات" تأكيد لقوله: ضل أصحاب الثلاثة، و هو اسم فعل بمعنى بعد" و أشركوا من حيث لا يعلمون" حيث أشركوا مع الإمام المنصوب من قبل الله الطواغيت و الفراعنة، و قد أشير إلى ذلک فى آيات كثيرة نحو قوله تعالى" وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ" و قوله

إِنَّهُ مَنْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا اهْتَدَى وَ مَنْ أَخَذَ فِی غَيْرِهَا سَلَکَ طَرِيقَ الرَّدَى وَصَلَ اللَّهُ طَاعَةَ وَلِيِّ أَمْرِهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَ طَاعَةَ رَسُولِهِ بِطَاعَتِهِ فَمَنْ تَرَکَ طَاعَةَ وُلَاةِ الْأَمْرِ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ وَ لَا رَسُولَهُ وَ هُوَ الْإِقْرَارُ بِمَا أَنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ خُذُوا زِينَتَكُمْ

عز و جل:" اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ".

" إنه من أتى البيوت" إشارة إلى تأويل قوله تعالى" وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها" و أن المراد بها بيوت العلم و الحكمة، و بالأبواب الأوصياء عليهم السلام لقول النبى صلى الله عليه و آله:

أنا مدينة العلم- أو الحكمة- و على بابها.

" وصل الله" إلخ، إشارة إلى قوله تعالى أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْكُمْ" حيث لم يفصل و لم يقل: و أطيعوا أولى الأمر منكم، مع تكراره فى السابق للدلالة على أنهما تكليف واحد، متعلق بأحدهما، ففى زمان الرسول يتعلق بالرسول، و بعده يتعلق بولى الأمر، و دليل على أن المراد بأولى الأمر ليس أمراء السرايا و نحوهم كما توهمه المخالفون، إذ لا ريب أنه تعالى لا يحكم بطاعة غير المعصوم عموما و طاعة رسوله بطاعته على الوجه السابق فى قوله تعالى:" أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ*" و قوله سبحانه:" مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ" أو مطلقا فى آية أولى الأمر أيضا، فلا يكون عدم تكرار" أطيعوا" منظورا فى الأول أيضا، و يحتمل أن يكون المراد بوصل طاعة ولى الأمر بطاعة الرسول إدخالها فيه، و جعل كل منهما مشروطا بالآخر، و كذا وصل طاعة الرسول بطاعة الله، و هذا نوع من الاستدلال أشاروا عليهم السلام إليه فى مواضع كاشتراط قبول الصلاة بإيتاء الزكاة، حيث قرنهما الله فى الآيات، و الإيمان بالأعمال الصالحة لذلک.

" و هو" أى طاعة ولاة الأمر" الإقرار بما أنزل" بصيغة المجهول" من عند الله عز و جل" فى الآيات الآتية أو السابقة أو الأعم، و على الوسط" خُذُوا زِينَتَكُمْ" اقتباس من الآية دلالة على أن المراد بالزينة معرفة الإمام و ولايته، و بالمسجد الصلاة أو

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ الْتَمِسُوا الْبُيُوتَ الَّتِی أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ فَإِنَّهُ أَخْبَرَکُمْ أَنَّهُمْ رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِیتاءِ الزَّکاةِ یَخافُونَ یَوْماً تَتَقَلَّبُ فِیهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ إِنَّ اللَّهَ قَدِ اسْتَخْلَصَ الرُّسُلَ لِأَمْرِهِ ثُمَّ اسْتَخْلَصَهُمْ

مطلق العبادة، و قد ورد فی بعض الروایات تأویل الزینة باللباس و بثیاب التجمل و بالسواک، و الجمع بینها بأن الزینة شاملة لکل ما یزین به الإنسان روحه و بدنه، لقبول العبادة و کمالها، فزینة الروح و النفس بالعقائد و الأخلاق الحسنة، و البدن بما ذکر.

" و التمسوا البیوت" أی اطلبوها، و یدل علی أن المراد بالبیوت بیوت الأئمة علیهم السلام الصوریة أو المعنویة، فإنه قد ورد أنه لیس المراد بها البیوت المبنیة بالطین و المدر" فإنه أخبرکم" تعلیل لکون المراد بها بیوتهم بأن الله تعالی وصف أهل تلک البیوت بصفات یخصهم، حیث قال:" یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ رِجالٌ" فضمیر أنهم راجع إلی أهل البیوت بقرینة المقام، و تفسیر البیوت بالأئمة علیهم السلام، فإنهم منازل نور الله، و جعل کلمة" فی" فی قوله" فیها" للسببیة، و تفسیر الرجال بأصحابهم الملتمسین للبیوت بعید.

" لا تُلْهِیهِمْ تِجارَةٌ" أی اشتراء فإن أصل التاجر الحاذق بالأمر، و الحذق إنما یحتاج إلیه کثیرا فی الشراء، لأن الأول اشتراء مجهول بمعلوم، و الثانی بیع معلوم بمعلوم، ربما تولاه من لا بصیرة له و ضرر و لا بیع الترقی فیه، باعتبار أن البیع أهم عند التجار من الاشتراء، لأن الأول إتفاقی و الثانی باختیارهم" یَخافُونَ یَوْماً" أی عذاب یوم" تَتَقَلَّبُ فِیهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ" ظهرا لبطن، و من جانب إلی جانب، کتقلب الحیة علی الرمضاء، و ذلک لشدة مصائبه و عظم نوائبه.

" إن الله قد استخلص الرسل لأمره" قال الجوهری: استخلصه لنفسه استخصه" انتهی" أی جعلهم خالصین عن الأغراض الدنیویة و العلائق البدنیة، مخصوصین برسالته لأمر التبلیغ و الإنذار و هدایة الخلق" ثم استخلصهم" أی ولاة الأمر المتقدم

مُصَدِّقِينَ بِذَلِکَ فِی نُذُرِهِ فَقَالَ وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِیها نَذِیرٌ تَاهَ مَنْ جَهِلَ وَ اهْتَدَی مَنْ أَبْصَرَ وَ عَقَلَ

ذکرهم" مصدقین بذلک" الأمر الذی بعث به الرسول کائنین" فی" جملة" نذره" فإن النذیر یشمل النبی و الإمام کما قال تعالی:" وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ" أی طائفة و أهل عصر و زمان" إِلَّا خَلا" أی مضی" فِیها نَذِیرٌ" و یحتمل أن یکون" بذلک" متعلقا بقوله:
استخلصهم، لا صلة للتصدیق، و یکون إشارة إلی الأمر، أی بسبب الأمر الذی بعث له الأنبیاء و هو تکمیل الخلق و هدایتهم. و یحتمل أن یکون علی الأول النذر مصدرا بمعنی الإنذار کما قیل فی قوله تعالی:
" فَکَیْفَ کانَ عَذابِی وَ نُذُرِ*" أی إنذاری، فکلمة" فی" للتعلیل، و الظرف متعلق باستخلصهم.
و یحتمل أیضا أن یکون الضمیر فی قوله علیه السلام: استخلصهم، راجعا إلی الأنبیاء أیضا، فالمراد بالنذر الأوصیاء، أی استخلصهم أولا لأمر تبلیغ الشرائع، ثم استخلصهم مصدقین لله بذلک، أی بالأمر الذی أمروا بتبلیغه فی نذره بعدهم، و هم الأوصیاء، أو المراد أنه استخلصهم أولا لعبادته و قربه، ثم لما أکملهم استخصهم لإنذاره و رسالته و قیل: هذا تعلیل لما سبق حیث أمرهم بالتماس البیوت و معرفتها و معرفة أهلها، ثم قال: و ذلک غیر متعسر علیکم، فإنه تعالی أخبرکم أنهم رجالا لا تُلْهِیهِمْ" إلخ" و لیس هذا وصفا للرسل، فإنهم إنما یوصفون بالرسالة و تبلیغ الأمر و الإنذار، فإن الله قد استخلصهم و استخصهم لأمره و تبلیغه و الرسالة فیه، و بعد تصدیقهم بذلک استخصهم فی نذره کما قال تعالی:" وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِیها نَذِیرٌ" أی مضی و أرسل، فالتعبیر اللائق بهم الرسول و النذیر، فقوله تعالی:" رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ" تعبیر عن غیرهم و هم ولاة الأمر" انتهی" و لا یخفی ما فیه من التعسف.
" تاه" أی تحیر و ضل عن إمام زمانه" من جهل" الکتاب و السنة" و اهتدی" إلی الإمام" من أبصر" بعین قلبه طریق النجاة" و عقل" و فهم ما نزل علی الرسل، ثم بین علیه السلام أن الإبصار الذی یوجب الهدایة ما هو بأبصار القلوب لا بأبصار العیون بقوله

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ وَ كَيْفَ يَهْتَدِی مَنْ لَمْ يُبْصِرْ وَ كَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ لَمْ يَتَدَبَّرْ اتَّبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَ أَقِرُّوا بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اتَّبِعُوا آثَارَ الْهُدَی فَإِنَّهُمْ عَلَامَاتُ الْأَمَانَةِ وَ التُّقَی وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ رَجُلٌ- عِيسَی ابْنَ مَرْيَمَ ع وَ أَقَرَّ بِمَنْ سِوَاهُ مِنَ الرُّسُلِ لَمْ يُؤْمِنْ اقْتَصُّوا الطَّرِيقَ بِالْتِمَاسِ الْمَنَارِ وَ الْتَمِسُوا مِنْ وَرَاءِ الْحُجُبِ الْآثَارَ-

---

تعالی:" فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ" الضمير فی أنها للقصة، أو مبهم يفسره الأبصار، و فی" تعمی" راجع إليه، أو الظاهر أقيم مقامه، أی ليس الخلل فی مشاعرهم، و إنما ألفت عقولهم باتباع الهوی و الانهماک فی التقليد، و ذكر الصدور للتأكيد و نفی التجوز و فضل التنبيه علی أن العمی الحقيقی ليس المتعارف الذی يخص البصر.

ثم بين عليه السلام أن الاهتداء لا يكون إلا بأبصار القلب و التميز بين الحق و الباطل، و لا يكون ذلک الإبصار إلا بالتدبر و التفكر فی الآيات و الأخبار" اتبعوا رسول الله" فذلكة للبحث و نتيجة لما سبق، و" آثار الهدی" الأئمة عليهم السلام، فإنهم علامة الهداية أو الدلائل الدالة علی إمامتهم و وجوب متابعتهم" فإنهم علامات الأمانة" أی المتصفون بها، أو بأقوالهم و أفعالهم تعلم أحكام الأمانة و التقوی، ثم بين عليه السلام وجوب الإقرار بجميع الأئمة عليهم السلام، و اشتراط الإيمان به بأنه لو أقر رجل بجميع الأنبياء و أنكر واحدا منهم لم ينفعه إيمانه كما قال تعالی:" لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ" فكذلک من أنكر واحدا من الأئمة عليهم السلام لم ينفعه إقراره بسائر الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، لأن كلمة الأنبياء و الأوصياء متفقة، و كل منهم مصدق بمن سواهم، فإنكار واحد منهم إنكار للجميع.

" اقتصوا الطريق" يقال: قص أثره و اقتصه إلی اتبعه، أی اتبعوا طريق الشيعة و الدين، أو اتبعوا أثر من تجب متابعته فی طريق الدين بطلب المنار الذی به يعلم الطريق و هو الإمام، و المنار بفتح الميم: محل النور الذی ينصب علی الطريق ليهتدی به الضالون فی الظلمات" و التمسوا" أی اطلبوا" من وراء الحجب" أی حجب الشكوک

ص: 312
تَسْتَكْمِلُوا أَمْرَ دِينِكُمْ وَ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ
7 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ صَغِيرٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَباً وَ جَعَلَ لِكُلِّ سَبَبٍ شَرْحاً وَ جَعَلَ لِكُلِّ شَرْحٍ عِلْماً وَ جَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَاباً نَاطِقاً عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ وَ جَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ

و الشبهات و الفتن التى صارت حجابا بين الناس و فهم الحق" الآثار" أى آثار الهداية و دلائلها، و هم الأئمة عليهم السلام، أو دلائل إمامتهم أو المعنى إن لم يتيسر لكم الوصول إلى الإمام فاطلبوا آثاره و أخباره من رواتها و حملتها، أو اطلبوا الإمام المحجوب بحجاب التقية و الخوف حتى تصلوا إليه، فإذا فعلتم ما ذكر فقد أكملتم أمر دينكم بمعرفة الأئمة عليهم السلام و متابعتهم، و آمنتم بالله حق الإيمان و إلا فلستم بمؤمنين.

الحديث السابع

: مجهول.
" أبى الله أن يجرى الأشياء إلا بالأسباب" أى جرت عادته سبحانه على وفق قانون الحكمة و المصلحة أن يوجد الأشياء بالأسباب، كإيجاد زيد من الآباء و المواد و العناصر، و إن كان قادرا على إيجاده من كتم العدم دفعة بدون الأسباب، و كذا علوم أكثر العباد و معارفهم، جعلها منوطة بشرائط و علل و أسباب، كالمعلم و الإمام و الرسول، و الملک و اللوح و القلم، و إن كان يمكنه إفاضتها بدونها، و كذا سائر الأمور التى تجرى فى العالم، ففيما هو عليه السلام بصدد بيانه من الحاجة إلى الإمام" الشىء" حصول النجاة و الوصول إلى درجات السعادات الأخروية أو الأعم" و السبب" المعرفة و الطاعة و" الشرح" الشريعة المقدسة و" العلم" بالتحريک أى ما يعلم بالشرع، أو بالكسر أى سبب علم و هو القرآن و الباب الناطق الذى به يوصل إلى القرآن النبى صلى الله عليه و آله فى زمانه و الأئمة صلوات الله عليهم بعده.
فظهر أنه لا بد فى حصول النجاة و الوصول إلى الجنة الصورية و المعنوية من

ذَاکَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ نَحْنُ
8 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ كُلُّ مَنْ دَانَ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِعِبَادَةٍ يُجْهِدُ فِيهَا نَفْسَهُ وَ لَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ فَسَعْيُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَ هُوَ ضَالٌّ مُتَحَيِّرٌ وَ اللَّهُ شَانِئٌ لِأَعْمَالِهِ وَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَاةٍ ضَلَّتْ عَنْ رَاعِيهَا وَ قَطِيعِهَا فَهَجَمَتْ ذَاهِبَةً وَ جَائِيَةً يَوْمَهَا فَلَمَّا

معرفة النبى صلى الله عليه و آله و الإمام عليه السلام، و يحتمل أن يكون العلم الرسول صلى الله عليه و آله و الباب الإمام، فقوله:" ذاک" راجع إليهما معا، و الأول أظهر.

: صحيح.
قوله عليه السلام: كل من دان الله، أى أطاع الله بزعمه أو عبد الله أو عامل الله" يجهد فيها نفسه" أى يجد و يبالغ فيها و يحمل على نفسه فوق طاقتها، قال فى المغرب: جهده حمله فوق طاقته من باب منع و أجهد لغة قليلة، و الجهد المشقة" و لا إمام له من الله" أى منصوب من قبل الله بأن لا يعتقد إمامته، و لا يكون عمله بالأخذ عنه" و هو ضال متحير" حيث لم يأخذها عن مأخذها الموجب لصحة المعرفة، فعمله لم يكن لله" و الله شانئ سبحانه مبغض لأعماله، بمعنى أنها غير مقبولة عند الله و صاحبها غير مرضى عنده سبحانه" و مثله" أى فى أعماله و حيرته.
و قال الفيروزآبادى: هجم عليه هجوما: انتهى إليه بغتة، أو دخل بغير إذن، و فلانا: أدخله كما هجمه، و الشىء: سكن و أطرق، و فلانا طرده" انتهى".
فهو على بناء المعلوم أى دخلت فى السعى و التعب بلا روية و لا علم.
" ذاهبة و جائية" متحيرة فى جميع يومها، فإن ذلک العامل لما لم يكن على ثقة من المعرفة بالعمل، يكون فى معرض الشک و الحيرة.
" فلما جنها الليل" أى حان حين خوفه و أحاطت ظلمة الجهل به و لم يعرف من يحصل له الثقة به، و طلب من يلحق به لحق على غير بصيرة لجماعة يراهم مجتمعين على من لا يعرف حاله و حن إليهم و اغتر بهم ظنا منه أنهم على ما هو عليه.

جَنَّهَا اللَّيْلُ بَصُرَتْ بِقَطِيعِ غَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَ اغْتَرَّتْ بِهَا فَبَاتَتْ مَعَهَا فِی مَرْبِضِهَا فَلَمَّا أَنْ سَاقَ الرَّاعِی قَطِيعَهُ أَنْكَرَتْ رَاعِيَهَا وَ قَطِيعَهَا فَهَجَمَتْ مُتَحَيِّرَةً تَطْلُبُ رَاعِيَهَا وَ قَطِيعَهَا- فَبَصُرَتْ بِغَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَ اغْتَرَّتْ بِهَا فَصَاحَ بِهَا الرَّاعِی الْحَقِی بِرَاعِيكِ وَ قَطِيعِكِ فَأَنْتِ تَائِهَةٌ مُتَحَيِّرَةٌ عَنْ رَاعِيكَ وَ قَطِيعِكَ فَهَجَمَتْ ذَعِرَةً مُتَحَيِّرَةً

قوله: مع غير راعيها، أی الشاة و فی بعض النسخ" مع راعيها" فالضمير راجع إلی الغنم.

و فی القاموس: الحنن: الشوق، و توقان النفس، و الذعر: الفزع و الخوف، و الحاصل أنه عليه السلام ذكر هذا التشبيه علی سبيل التمثيل، و هو عبارة عن تشبيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة بهيئة أخری، و لا بد من اشتماله علی تشبيهات متعددة للأجزاء بالإجزاء، ففی هذا التمثيل شبه عليه السلام الإمام بالراعی، و الأمة بالغنم، و الجاهل الذی لا إمام له بالشاة التی ضلت عن راعيها و قطيعها، و شبه عبادته و سعيه لطلب الإمام من غير بصيرة بتهجم تلک الشاة ذاهبة و جائية، لاشتراكهما فی الضلال و التحير مع السعی و التردد و لحوقه كل يوم بطائفة لتحيره فی أمره بلحوق الشاة الضالة بالقطيع، و تنفره عما يری منهم من سوء العقائد و الأعمال، و أشياء يخالف ما فی يده منهما بإنكار الشاة راعيها و قطيعها، و تنفر طائفة عنه محقين كانوا أو مبطلين، لما يرون منه من رسوخه فی الضلال و عدم استعداده لقبول ما هم عليه، إما للتقية أو لعدم تجويز تأثير النصح فيه، بصياح الراعی بالشاة النافرة: الحقی براعيک و قطيعک الشيطان الذی يجعله ثابتا فی الضلالة، بالذئب المهلک.

فالتشبيه و التمثيل فی غاية الحسن و التمام، و هو وصف لحال الفرق الشاذة عن الشيعة الإمامية كالزيدية و الفطحية و الواقفية و أمثالهم، فإنهم لما تركوا الإمام الحق، و ضلوا عنه ذهبوا إلی عبد الله الأفطح و أمثاله، فسألوهم عن مسائل و وجدوهم مخالفين لما وصل إليهم من أئمة الحق قولا و فعلا، فتركوهم و ذهبوا إلی طائفة أخری من فرق الشيعة الضالة فلم يقبلوهم، أو إلی الفرقة الإمامية فلم يثقوا بهم و ردوهم لعدم خلوص

ص: 315
تَائِهَةً لَا رَاعِیَ لَهَا یُرْشِدُهَا إِلَی مَرْعَاهَا أَوْ یَرُدُّهَا فَبَیْنَا هِیَ کَذَلِکَ إِذَا اغْتَنَمَ الذِّئْبُ ضَیْعَتَهَا فَأَکَلَهَا وَ کَذَلِکَ وَ اللَّهِ یَا مُحَمَّدُ مَنْ أَصْبَحَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ظَاهِرٌ عَادِلٌ أَصْبَحَ ضَالًّا تَائِهاً وَ إِنْ مَاتَ عَلَی هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ مِیتَةَ کُفْرٍ وَ نِفَاقٍ وَ اعْلَمْ یَا مُحَمَّدُ أَنَ

نیتهم و استعدادهم لقبول الحق، فاغتنم الشیطان ضلالهم و حیرتهم و وسوس إلیهم أن هذه الفرق کلهم ضالة فألحق بالمخالفین، فهلک هلاکا لا یرجو النجاة، و کالمخالفین الذین ترکوا أمیر المؤمنین و تحیروا فی خلافته فذهبوا إلی خلفاء الجور فلما رأوا منهم خلاف سیرة النبی صلی الله علیه و آله و طریقته ذهبوا إلی أهل الحق امتحانا من غیر بصیرة فردوهم تقیة أو لغیر ذلک، فوسوس إلیهم الشیطان و ردوهم إلی الکفر الأصلی، أو سد علیهم الحق حتی هلکوا فی الحیرة و الضلالة، أو ترکوا جمیع المذاهب و ذهبوا إلی الإلحاد.
کما روی أن ابن أبی العوجاء کان من تلامذة الحسن البصری، فانحرف عن التوحید، فقیل له: ترکت مذهب صاحبک و دخلت فیما لا أصل له و لا حقیقة؟ فقال:
إن صاحبی کان مخلطا کان یقول بالقدر، و طورا بالجبر، و ما أعلمه اعتقد مذهبا دام علیه.
قوله علیه السلام: إذا اغتنم الذئب ضیعتها، أی ضیاعها و کونها بلا راع و حافظ فیکون مصدرا، و قیل: الضمیر راجع إلی قطیع الغنم، أی ما ضاع منها و قیل: إنما اکتفی براعیین و قطیعین للإشارة إلی أن کل طریق من طرق الضلالة إما مشتمل علی الإفراط أو علی التفریط، و الوسط هو الحق.
قوله: ظاهر، أی بین حجیته بالبرهان و إن کان غائبا، و قال الفاضل التستری (ره): الظاهر أنه بالطاء المهملة، و یؤیده ما فی بعض الروایات: إن الله طهرنا و عصمنا" انتهی".
و قال الجوهری: المیتة بالکسر: کالجلسة و الرکبة یقال: مات فلان میتة حسنة" انتهی".

أَئِمَّةَ الْجَوْرِ وَ أَتْبَاعَهُمْ لَمَعْزُولُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَ أَضَلُّوا فَأَعْمَالُهُمُ الَّتِی یَعْمَلُونَهَا کَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّیحُ فِی یَوْمٍ عاصِفٍ لا یَقْدِرُونَ مِمَّا کَسَبُوا عَلی شَیْءٍ- ذلِکَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِیدُ

9 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنِ الْهَیْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ عَنْ مُقَرِّنٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع یَقُولُ جَاءَ ابْنُ الْکَوَّاءِ إِلَی أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ ع فَقَالَ یَا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ- وَ عَلَی الْأَعْرافِ رِجالٌ یَعْرِفُونَ کُلًّا

أقول: و هذا الخبر صریح فی کفر المخالفین لإنکارهم أصلا عظیما من أصول الدین، و نفاقهم لأنهم یقرون ظاهرا بما جاء به النبی صلی الله علیه و آله و ینکرون فی القلب عمدتها و أضلوا،" فأعمالهم" إلی آخره، تضمین للآیة الکریمة، و هی قوله تعالی:" مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ کَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّیحُ" أی حملته و طیرته" فِی یَوْمٍ عاصِفٍ" أی شدیدة ریحه، و وصف الیوم بالعصف للمبالغة" لا یَقْدِرُونَ" أی یوم القیامة" مِمَّا کَسَبُوا عَلی شَیْءٍ" لحبوطه" ذلِکَ" أی ضلالهم مع حسبانهم أنهم یحسنون" هُوَ الضَّلالُ الْبَعِیدُ" لکونهم فی غایة البعد عن طریق الحق.

الحديث التاسع

: ضعيف.
قوله تعالى:" وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ" اعلم أن للمفسرين أقوالا شتى فى تفسير الأعراف و أصحابه، قاما تفسير الأعراف فلهم فيه قولان:
الأول: أنها سور بين الجنة و النار، أو شرفها و أعاليها.
و الثانى: أن المراد على معرفة أهل الجنة و النار رجال، و الأخبار تدل عليهما، و ربما يظهر من بعضها أنه جمع عريف كشريف و أشراف، فالتقدير على طريقة الأعراف رجال، أو على التجريد، أو معنى الأعراف العارفون بالله تعالى و بحججه عليهم السلام، و تكرار كلمة على للاستعلاء كما فى قولهم فلان مهيمن على قومه و حفيظ عليهم، فالأعراف جمع عارف كناصر و أنصار، و طاهر و أطهار.
ثم القائلون بالأول اختلفوا فى أن الذين على الأعراف من هم؟ فقيل: إنهم الأشراف من أهل الطاعة و الثواب، و قيل: إنهم أقوام يكونون فى الدرجة السافلة

بِسِيماهُمْ فَقَالَ نَحْنُ عَلَى الْأَعْرَافِ نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ وَ نَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِى

من أهل الثواب، فالقائلون بالأول منهم من قال إنهم ملائكة يعرفون أهل الجنة و النار، و منهم من قال: إنهم الأنبياء و أجلسهم الله على أعالى ذلک السور تمييزا لهم عن سائر أهل القيامة، و منهم من قال: إنهم الشهداء، و القائلون بالثانى، منهم من قال: إنهم أقوام تساوت حسناتهم و سيئاتهم، و منهم من قال: إنهم قوم خرجوا إلى الغزو بغير إذن إمامهم، و قيل: إنهم مساكين أهل الجنة، و قيل: إنهم الفساق من أهل الصلاة، و يظهر من الأخبار التى أوردتها فى الكتاب الكبير الجمع بين القولين، و أن الأئمة عليهم السلام يقومون على الأعراف ليميزوا شيعتهم من مخالفيهم، و يشفعوا الفساق محبيهم و أن قوما من المذنبين أيضا يكونون فيها إلى أن يشفع لهم.

و فى هذا الخبر أيضا إشارة إلى إطلاقات الأعراف و معانيها، و أن الرجال هم عليهم السلام كما قيل: إن الأعراف مأخوذ من العرفان، و هو يطلق على الموضع المشرف المعين بإشرافه على اطلاع من عليه.

فبهذه الجهة قال عليه السلام: نحن على الأعراف، و يطلق على حامل المعرفة المتأمل فيها، الذى إنما يعرف غيره بوساطته كالحجج من الرسل و الأنبياء، و ولاة الأمر عليهم السلام، و على هذا الإطلاق قال: و نحن الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتنا.

و يطلق على المعرف الذى إنما يتم المقصود بمعرفته، و على هذا قال: نحن الأعراف يعرفنا الله يوم القيامة على الصراط، فإن أريد ظاهر الآية فالأعراف هو المعبر عنه بالسور بين الجنة و النار، و من عليه من الرجال الحجج عليهم السلام الذين يعرفون كلا بسيماهم، و إنما ينال المقصود بمعرفتهم، و هم الحافظون لها المحيطون بأطرافها و يستحقون أن يطلق عليهم الأعراف لاشتمالهم عليها و إحاطتهم بها.

لَا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا وَ نَحْنُ الْأَعْرَافُ يُعَرِّفُنَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَنَا وَ عَرَفْنَاهُ وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَنَا وَ أَنْكَرْنَاهُ

فقوله: و نحن الأعراف كقوله صلى الله عليه و آله: أنا كلام الله الناطق، و لعل قوله عليه السلام:
و نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، بالنظر إلى أحوال الدنيا، و قوله:
و نحن الأعراف يعرفنا الله تعالى، بالنظر إلى أحوال العقبى.
و قوله:" و عرفناه" الظاهر أنه من المجرد أي مناط دخول الجنة معرفتهم بنا بالحجية و الولاية، و معرفتنا إياهم بكونهم أنصارنا و موالينا، و ربما يقرأ من باب التفعيل، أى مناط دخول الجنة معرفتهم بنا و بإمامتنا و تعريفنا ما يحتاجون إليه.
و قيل فى تأويل الآية: إن قوله تعالى:" وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ" بيان لحال المقربين و الحجج فى الدنيا، فإن معرفة الطائفتين و التميز بينهما بالسيماء و العلامة إنما تكون فى الدنيا، و أما فى الآخرة فالامتياز بين الفريقين فى غاية الظهور لا يحتاج إلى أن يعرف بالسيماء، و كذا قوله:" لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ" يناسب حالهم فى الدنيا و كذا قوله:" وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" يعنى إذا أرادوا أهل النار الذين عرفوهم بسيماهم و ما هم عليه من الكفر أو الفسق ظاهرا كان أو باطنا استعاذوا بالله و دعوا الله أن لا يجعلهم من القوم الظالمين.
و أما قوله تعالى:" وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ" فيحتمل الوقوع فى الدارين، و كذا قوله:" وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ" الآية و إن كان الظاهر فيه كونه حكاية قولهم فى الآخرة، بأن يكون معناه: و نادى أصحاب الآخرة رجالا كانوا يعرفونهم فى الدنيا بسيماهم و قالوا ذلك القول و لكن يجوز حمله على الوقوع فى الدنيا، أو على ما هو أعم.
و على أى تقدير لا ينافى كون ما سبق من المذكورات إخبارا عن حال العارفين فى الدنيا، فقوله عليه السلام: نحن على الأعراف، تنبيه على أن معنى" عَلَى الْأَعْرافِ" على المعرفة، و أن كلمة" على" هنا للاستعلاء المعنوى لا المكانى، و فيه إشارة إلى أن

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ وَ لَکِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَ صِرَاطَهُ وَ سَبِیلَهُ وَ الْوَجْهَ الَّذِی یُؤْتَی مِنْهُ فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَایَتِنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَیْنَا غَیْرَنَا فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَناکِبُونَ فَلَا سَوَاءٌ مَنِ اعْتَصَمَ النَّاسُ بِهِ وَ لَا سَوَاءٌ حَیْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَی عُیُونٍ

أنصارهم أهل الجنة، و أعداءهم أهل النار، و هم یعرفون الفریقین فی الدنیا بسیماهم، لا بظواهر أعمالهم و قوله علیه السلام:" و نحن الأعراف الذی لا یعرف الله إلا بسبیل معرفتنا" أراد بالأعراف ما یعرف به الشیء سواء کان ما به المعرفة ذاتا أو صفة من باب تسمیة الشیء باسم سببه. أما قوله: و نحن الأعراف یعرفنا الله، فأراد بالأعراف هاهنا نفس المعروف بالذات، کما یطلق العلم علی الصورة العلمیة، و هی المعلومة بالذات فإنه تعالی بهم یعرف أمتهم و أتباعهم إلی آخر ما حققه و لا نطیل الکلام بإیراده.
قوله علیه السلام:" و لکن جعلنا أبوابه" أی أبواب معرفته و علمه" و صراطه" الذی یعرف طریق عبادته" و سبیله" الذی به یعرف الوصول إلی قربه و جنته، و الحاصل أنه تعالی کان قادرا علی أن یعرف العباد جمیع ذلک بنفسه، لکن کانت المصلحة مقتضیة لأن یجعلنا وسیلة فیها" و لا سواء" أی لیس بمستو من اعتصم الناس أی المخالفون به و لا سواء من اعتصمهم به، نظیر قوله تعالی:" وَ ما یَسْتَوِی الْأَحْیاءُ وَ لَا الْأَمْواتُ" و فیه مبالغة فی نفی التساوی، أو الثانی تکرار للأول و الشق الآخر محذوف فیهما، أی لا سواء من اعتصموا به و من اعتصمتم به، و لا یستوی صنع الناس و صنعکم فی الاعتصام.
أقول: و یحتمل أن یکون المراد بالناس جمیعهم من المحقین و المبطلین، و کذا من اعتصموا به، أی لیس الذین یعتصم الناس بهم متساوین، و لا سواء المعتصمون بهم أو ما ینتفعون به منهم.
و فیه: أنه لا بد من حمل الناس ثانیا علی المخالفین، و کونه فی کل من الموضعین بمعنی آخر بعید، ثم بین علیه السلام عدم المساواة علی الوجوه کلها فقال:" حیث ذهب الناس

ص: 320
كَدِرَةٍ يُفْرَغُ بَعْضُهَا فِی بَعْضٍ وَ ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَیْنَا إِلَی عُیُونٍ صَافِیَةٍ تَجْرِی بِأَمْرِ رَبِّهَا لَا نَفَادَ لَهَا وَ لَا انْقِطَاعَ
10 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ بَکْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الرَّیَّانِ بْنِ شَبِیبٍ عَنْ یُونُسَ عَنْ أَبِی أَیُّوبَ الْخَزَّازِ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع یَا أَبَا حَمْزَةَ یَخْرُجُ أَحَدُکُمْ فَیَرَاسِخَ فَیَطْلُبُ لِنَفْسِهِ دَلِیلًا وَ أَنْتَ بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَجْهَلُ مِنْکَ بِطُرُقِ الْأَرْضِ فَاطْلُبْ لِنَفْسِکَ دَلِیلًا

إلی عیون کدرة یفرغ" علی بناء المجرد المعلوم أو الأفعال معلوما أو مجهولا" بعضها فی بعض" أو من بعض، قال الجوهری: فرغ الماء بالکسر یفرغ فراغا مثل سمع یسمع سماعا أی انصب و أفرغته أنا" انتهی".
و الحاصل أنه علیه السلام شبه العلم بالماء لأنه سبب للحیاة الروحانی، کما أن الماء سبب للحیاة البدنی، و قد شبه به فی کثیر من الآیات الفرقانیة، و شبه علوم علماء المخالفین و خلفائهم بالمیاه النابعة من العیون القلیلة الماء المکدرة بالطین و غیره، ینقطع ینعها و ینفد ماؤها بأخذ شیء قلیل منها، لأنهم خلطوا شیئا قلیلا وصل إلیهم من الحکم و الشرائع، بالشبه الباطلة و الأوهام الفاسدة، و إن أجابوا عن قلیل من المسائل ینتهی علمهم، و لا یجیبون فیما سواها، و یفرغ بعضها فی بعض، أی یأخذ هذا عن هذا و هذا عن هذا و لا ینتهی علمهم إلی من یستغنی بعلمه عن علم غیره، فهی قاصرة کما و کیفا، و شبه علوم أهل البیت علیهم السلام بالمیاه الجاریة عن عیون صافیة تجری بأمر ربها، لا نفاد لها و لا انقطاع، إذ بحار العلوم و الحکم فائضة أبدا علی قلوبهم من منابع الوحی و الإلهام، و لا تشوب بالآراء و الأوهام.

الحديث العاشر

: ضعيف.
و المراد بطرق السماء، الطرق المعلومة بالوحى، النازل من السماء، أو الطرق الموصلة إلى الجنة التى فى السماء، أو الطرق المؤدية إلى سماء المعرفة و الكمال، و الأعرفية ظاهرة إذ الأمور المحسوسة أوضح من الأمور المعقولة.

ص: 321
11 عَلِیٌّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ عَنْ أَیُّوبَ بْنِ الْحُرِّ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَةَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً فَقَالَ طَاعَةُ اللَّهِ وَ مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ
12 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنْ أَبَانٍ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ قَالَ لِی أَبُو جَعْفَرٍ ع هَلْ عَرَفْتَ إِمَامَکَ قَالَ قُلْتُ إِی وَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْکُوفَةِ فَقَالَ حَسْبُکَ إِذاً
13 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِیلَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ یُونُسَ عَنْ بُرَیْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع یَقُولُ فِی قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً

الحديث الحادى عشر

: صحيح.
قوله عليه السلام: طاعة الله، قيل: لما كانت الحكمة استكمال النفس الإنسانية بحسب قوتيه العلمية، و العملية و إنما استكمالها بالمعارف الحقة و التحلى بالفضائل من الصفات، و الإتيان بالحسنات، و السلامة عن الرذائل و ارتكاب السيئات، و قد أمر الله سبحانه عباده بجميعها، و بين لهم منهجها و سبيلها، و تجمعها طاعة الله المنوطة بمعرفة الإمام، ففسرها بطاعة الله و معرفة الإمام.

الحديث الثانى عشر

: مجهول.
قوله عليه السلام:" حسبک إذا" فإن من عرف إمامه و تمسک به قولا و فعلا فقد استكمل بواعث النجاة.

الحديث الثالث عشر

: موثق.
و فسر الميت بالجاهل، و يعلم منه تفسير الحى بالعالم،" و نورا يمشى به فى الناس" بإمام يأتم به بعد معرفته و من" مثله" و صفته أنه" فِى الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها" بالذى لا يعرف الإمام فإن من لا يعرفه لا يمكنه الخروج من ظلمات الجهل.

يَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ فَقَالَ مَيْتٌ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً وَ نُوراً يَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ إِمَاماً يُؤْتَمُّ بِهِ- كَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها قَالَ الَّذِی لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ
14 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ وَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَلِیِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع دَخَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِیُّ عَلَی أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَ لَا أُخْبِرُكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ. وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِی النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما

و قوله:" يَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ" المراد به المشی العقلانی و السعی الروحانی فی درجات المعارف الإلهية، و المراد بالناس المقربون، و سائر الناس نسناس أو الأعم، أی كائنا بين الناس معدودا منهم، أو المراد بالمشی فيهم المعاملة و المعاشرة معهم بهدايتهم و رعايتهم و التقية منهم، و سائر ما يجری بينه و بينهم، و من كان عالما حيا لا يعرف الإمام فهو فی الظلمات كالأموات لا يتخلص منها و لا ينتفع بعلمه.

: ضعيف، لكن هذا المضمون مروي بطرق كثيرة مستفيضة.
و رواه الثعلبى فى تفسيره عن أبى عبد الله الجدلى عن أمير المؤمنين عليه السلام و رواه الطبرسى عن مهدى بن نزار عن أبى القاسم الحسكانى بإسناده عن أبى جعفر عليه السلام، و قال فى قوله تعالى:" مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ" أى بكلمة التوحيد و الإخلاص عن قتادة، و قيل:
بالإيمان" فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها" قال ابن عباس: أى فمنها يصل الخير إليه، و المعنى فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة و هو الثواب و الأمان من العقاب، فخير هيهنا اسم و ليس بالذى هو بمعنى الأفضل، و هو المروى عن الحسن و عكرمة و ابن جريج، و قيل: معناه فله أفضل منها فى عظم النفع، فإنه يعطى بالحسنة عشرا، و قيل: هو رضوان الله و رضوان من الله أكبر" وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ" قرئ فزع بالتنوين و يومئذ بفتح الميم و بغير تنوين بكسر الميم و بفتحها، قال الكلبى: إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها و أهل الجنة آمنون من ذلک الفزع" وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ" أى بالمعصية الكبيرة التى هى الكفر و الشرک، عن ابن عباس و أكثر المفسرين" فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ"

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قَالَ بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُعِلْتُ فِدَاکَ فَقَالَ الْحَسَنَةُ مَعْرِفَةُ الْوَلَايَةِ وَ حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَ السَّيِّئَةُ إِنْكَارُ الْوَلَايَةِ وَ بُغْضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ

بَابُ فَرْضِ طَاعَةِ الْأَئِمَّةِ ع

1 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ حَرِيزٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ ذِرْوَةُ الْأَمْرِ وَ سَنَامُهُ- وَ مِفْتَاحُهُ وَ بَابُ الْأَشْيَاءِ وَ رِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى الطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى يَقُولُ

أى ألقوا فى النار منكوسين" هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" أى هذا جزاء فعلكم و ليس بظلم" انتهى".

و الحاصل: أنه لما كانت معرفة الولاية و الإمامة مناط الحسنة لأنها إنما تكون حسنة بالأخذ عن مأخذها المنتهى إلى الله سبحانه، حتى يكون الإتيان بها طاعة له و بدونه تكون سيئة، و طاعة للطواغيت و أهل الغى و الضلال، فسر الحسنة بمعرفة الولاية و حب أهل البيت عليهم السلام الداعى إلى متابعتهم و الأخذ عنهم، و السيئة بإنكار ولايتهم و بغضهم عليهم السلام مع أن الإقرار بإمامتهم و حبهم من أعظم أركان الإيمان، و الشرط الأعظم لقبول جميع الأعمال.

باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام

: حسن.
و ذروة الأمر بالضم و الكسر: أعلاه، و الأمر الإيمان أو جميع الأمور الدينية أو الأعم منها و من الدنيوية" و سنامه" بالفتح أي أشرفه و أرفعه مستعارا من سنام البعير لأنه أعلى عضو منه،" و مفتاحه" أى ما يفتح و يعلم به سائر أمور الدين،" و باب الأشياء" أى سبب علمها أو ما ينبغى أن يعلم قبل الدخول فيها، أو ما يصير سببا للدخول فى منازل الإيمان، و على بعض الوجوه تعميم بعد التخصيص.
" و رضا الرحمن" بالكسر و القصر بمعنى ما يرضى به" بعد معرفته"

ص: 324
مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً
2 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ قَالَ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ وَ أَنَّ الْحَسَنَ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ وَ أَنَّ الْحُسَيْنَ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ وَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ إِمَامٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ
3 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ بَشِيرٍ الْعَطَّارِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ نَحْنُ قَوْمٌ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَنَا

_____

أى الإمام أو الرحمن تعالى شأنه و الأول أظهر" و من تولى" أى عن طاعته" حفيظا" أى تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها، إنما عليک البلاغ و علينا الحساب، و الاستشهاد بالآية إما لأن طاعة الرسول عليه السلام إنما كانت تجب من حيث الخلافة و الإمامة التى هى رئاسة عامة، فإنه صلى الله عليه و آله كان إماما على الناس فى زمانه مع رسالته، فبهذه الجهة تجب طاعة الإمام بعده، أو لعلمه عليه السلام بأن المراد بالرسول فيها أعم من الإمام، أو لأن الرسول صلى الله عليه و آله أمر بطاعة الأئمة عليهم السلام بالنصوص المتواترة، فطاعتهم طاعة الرسول صلى الله عليه و آله و طاعته طاعة الله، فطاعتهم طاعة الله، أو علم عليه السلام أن المراد بطاعة الرسول صلى الله عليه و آله طاعة الله، فطاعتهم طاعة الله، أو علم عليه أن المراد بطاعة الرسول طاعته فى تعيين أولى الأمر بعده و أمره بطاعتهم، أو لأنهم عليهم السلام لما كانوا نواب الرسول صلى الله عليه و آله و خلفاءه فحكمهم حكمه فى جميع الأشياء، إلا ما يعلم اختصاصه بالرسالة و هذا ليس منه.

الحديث الثانى

: ضعيف.

الحديث الثالث

: ضعيف على المشهور.
" فرض الله طاعتنا" أى بالآيات الكريمة كقوله تعالى" وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" و بما جرى من ذلک على لسان رسوله صلى الله عليه و آله" بمن لَا يعذر الناس" أى

وَ أَنْتُمْ تَأْتَمُّونَ بِمَنْ لَا يُعْذَرُ النَّاسُ بِجَهَالَتِهِ
4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً قَالَ الطَّاعَةُ الْمَفْرُوضَةُ
5 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِی خَالِدٍ الْقَمَّاطِ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ الْعَطَّارِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ أُشْرِكَ بَيْنَ الْأَوْصِيَاءِ وَ الرُّسُلِ فِی الطَّاعَةِ
6 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ أَبِی الصَّبَّاحِ الْكِنَانِیِّ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع نَحْنُ قَوْمٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ طَاعَتَنَا لَنَا الْأَنْفَالُ وَ

المخالفون أو الأعم" بجهالته" لوضوح الأمر و إن خفى عليهم فبتقصيرهم أو لكونه من أعظم أركان الإيمان و ربما يخص بغير المستضعفين.

الحديث الرابع

: مرسل.
قوله: الطاعة المفروضة، أى الإمامة التى هى رئاسة عامة على الناس، و فرض الطاعة من الله و الانقياد لهم، فإنه خلافة من الله، و ملک و سلطنة عظيمة لا يدانيه شىء من مراتب الملک و السلطنة.

الحديث الخامس

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام:" أشرک" على صيغة الأمر أو الماضى المجهول أو المعلوم، و الفاعل الضمير الراجع إلى الله بقرينة المقام، و الأوسط أظهر، أى وجوب الطاعة غير مختص بالأنبياء بل الأوصياء أيضا مشتركون معهم.

صحيح.
و الأنفال جمع نفل بالفتح و بالتحريک و هو الزيادة، و المراد هنا ما جعله الله تعالى للنبى فى حياته و بعده للإمام زائدا على الخمس و غيره مما اشترک فيه معه غيره، قال فى مجمع البيان: قد صحت الرواية عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السلام أنهما قالا: الأنفال

لَنَا صَفْوُ الْمَالِ وَ نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ وَ نَحْنُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِینَ قَالَ اللَّهُ أَمْ یَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
7 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ أَبِی الْعَلَاءِ قَالَ ذَکَرْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَوْلَنَا فِی الْأَوْصِیَاءِ إِنَّ طَاعَتَهُمْ مُفْتَرَضَةٌ قَالَ فَقَالَ نَعَمْ هُمُ الَّذِینَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَی أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ وَ هُمُ الَّذِینَ قَالَ اللَّهُ

کل ما أخذ فی دار الحرب بغیر قتال، و کل أرض انجلی أهلها عنها بغیر قتال، و میراث من لا وارث له، و قطائع الملوک إذا کانت فی أیدیهم بغیر غصب، و الآجام و بطون الأودیة، و الأرضون الموات و غیر ذلک مما هو مذکور فی مواضعه.
و قالا علیهما السلام: هی لله و للرسول، و بعده لمن قام مقامه، یصرفه حیث شاء من مصالح نفسه، لیس لأحد فیه شیء" انتهی".
" و لنا صفو المال" أی خالصة و مختاره، من صفا یا ملوک أهل الحرب و قطائعهم و غیر ذلک مما یصطفی من الغنیمة، کالفرس الجواد و الثوب المرتفع، و الجاریة الحسناء و السیف الفاخر و أضرابها" و نحن الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ" الممدوحون فی القرآن کما سیأتی و کذا یأتی ذکر المحسودین إنشاء الله.

: حسن كالصحيح.
" وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" قال الطبرسى رحمه الله: للمفسرين فيه قولان: أحدهما أنهم الأمراء، و الآخر أنهم العلماء، و أما أصحابنا فإنهم رووا عن الباقر و الصادق عليهما السلام أن أولى الأمر هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه و آله أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته و طاعة رسوله، و لا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته، و علم أن باطنه كظاهره و أمن منه الغلط و الأمر بالقبيح، و ليس ذلک بحاصل فى الأمراء و لا العلماء سواهم، جل الله سبحانه أن يأمر بطاعة من يعصيه، و بالانقياد للمختلفين بالقول و الفعل، لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال

عَزَّ وَ جَلَّ إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا

أن يجتمع ما اختلفوا فيه.
و مما يدل على ذلک أيضا أن الله سبحانه لم يقرن طاعة أولى الأمر بطاعة رسوله، كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا و أولو الأمر فوق الخلق جميعا، كما أن الرسول فوق أولى الأمر و فوق سائر الخلق، و هذه صفة أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام الذين ثبتت إمامتهم و عصمتهم، و اتفقت الأمة على علو رتبتهم و عدالتهم" انتهى".
قوله تعالى:" إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ" الآية، أقول: هذه الآية عمدة ما استدل به أصحابنا رضى الله عنهم على إمامة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و تقريره يتوقف على بيان أمور:
الأول: أن الآية خاصة و ليست بعامة لجميع المؤمنين، و بيانه أنه تعالى خص الحكم بالولاية بالمؤمنين المتصفين بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة فى حال الركوع، و معلوم أن تلک الأوصاف غير شاملة لجميع المؤمنين، و ليس لأحد أن يقول: أن المراد بقوله:" وَ هُمْ راكِعُونَ" أن هذه شيمتهم و عادتهم، و لا يكون حالا عن إيتاء الزكاة، و ذلک لأن قوله:" يُقِيمُونَ الصَّلاةَ" قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل على الحالية لكان كالتكرار، و التأويل المفيد أولى من البعيد الذى لا يفيد، و أما حمل الركوع على غير الحقيقة الشرعية بحمله على الخضوع من غير داع إليه سوى العصبية لا يرضى به ذو فطنة سوية، مع أن الآية على أى حال تتأدى بسياقها على الاختصاص. و قد قيل فيه وجه آخر: و هو أن قوله:" إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ" خطاب عام لجميع المؤمنين و دخل فى الخطاب النبى صلى الله عليه و آله و غيره، ثم قال:" وَ رَسُولُهُ" فأخرج النبى صلى الله عليه و آله من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته ثم قال:" وَ الَّذِينَ آمَنُوا" فوجب أن يكون الذى خوطب بالآية غير الذى جعلت له الولاية و إلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه، و إلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولى نفسه و ذلک محال، و فيه:
بعض المناقشات و الأول أسلم منها.

الثانى: أن المراد بالولى هنا الأولى بالتصرف، و الذى يلى تدبير الأمر، كما يقال: فلان ولى المرأة و ولى الطفل، و ولى الدم، و السلطان ولى أمر الرعية و يقال لمن يقيمه بعده: هو ولى عهد المسلمين، و قال الكميت يمدح عليا عليه السلام:

و نعم ولى الأمر بعد وليه و منتجع التقوى و نعم المؤدب

و قال المبرد فى كتاب العبارة عن صفات الله: أصل الولى الذى هو أولى أى أحق، و الولى و إن كان يستعمل فى معان آخر كالمحب و الناصر لكن لا يمكن إرادة غير الأولى بالتصرف و التدبير هيهنا، لأن لفظة إنما تفيد التخصيص، و لا يرتاب فيه من تتبع اللغة و كلام الفصحاء أن التخصيص ينافى حمله على المعانى الأخر، إذ سائر المعانى المحتملة فى بادئ الرأى لا يختص شىء منها ببعض المؤمنين دون بعض، كما قال تعالى:" وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ" و بعض الأصحاب استدل على ذلک بأن الظاهر من الخطاب أن يكون عاما لجميع المكلفين من المؤمنين و غيرهم، كما فى قوله تعالى:" كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ" و غير ذلک، فإذا دخل الجميع تحته استحال أن يكون المراد باللفظة الموالاة فى الدين، لأن هذه الموالاة يختص بها المؤمنون دون غيرهم، فلا بد إذا من حملها على ما يصح دخول الجميع فيه، و هى معنى الإمامة و وجوب الطاعة و فيه كلام.

الثالث: أن الآية نازلة فيه عليه السلام، و الأخبار فى ذلک متواترة من طرق الخاصة و العامة، و عليه إجماع المفسرين، و قد رواها الزمخشرى و البيضاوى و إمامهم الرازى فى تفاسيرهم مع شدة تعصبهم و كثرة اهتمامهم فى إخفاء فضائله، إذ كان هذا فى الاشتهار كالشمس فى رائعة النهار.

قال محمد بن شهرآشوب فى مناقبه: أجمعت الأمة على أن هذه الآية نزلت فى على عليه السلام لما تصدق بخاتمه و هو راكع، لا خلاف بين المفسرين فى ذلک، ذكره الثعلبى

و الماوردى و القشيرى و القزوينى و الرازى و النيسابورى و الفلكى و الطوسى و الطبرسى فى تفاسيرهم، عن السدى و المجاهد و الحسن و الأعمش و عتبة بن أبى حكيم و غالب بن عبد الله و قيس بن ربيع و عباية بن ربعي و عبد الله بن العباس و أبى ذر الغفارى، و ذكره ابن البيع فى معرفة أصول الحديث عن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن على بن أبى طالب، و الواحدى فى أسباب نزول القرآن عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، و السمعانى فى فضائل الصحابة عن حميد الطويل عن أنس، و سلمان بن أحمد فى معجمه الأوسط عن عمار، و أبو بكر البيهقى فى المصنف و محمد بن الفتال فى التنوير و فى الروضة عن عبد الله بن سلام و أبى صالح و الشعبى و مجاهد، و النطنزى فى الخصائص عن ابن عباس، و الإبانة عن الفلكى عن جابر الأنصارى و ناصح التميمى و ابن عباس و الكلبى فى روايات مختلفة الألفاظ متفقة المعانى، و فى أسباب النزول عن الواحدى أن عبد الله بن سلام أقبل و معه نفر من قومه و شكوا بعد المنزل عن المسجد، و قالوا: إن قومنا لما رأونا صدقنا الله و رسوله رفضونا و لا يكلموننا و لا يجالسوننا و لا يناكحوننا، فنزلت هذه الآية، فخرج النبى صلى الله عليه و آله إلى المسجد فرأى سائلا فقال: هل أعطاک أحد شيئا؟ قال: نعم خاتم فضة، و فى رواية:
خاتم ذهب، قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه هذا الراكع" انتهى".
و أقول: روى الثعلبى فى تفسيره بإسناده عن عباية بن ربعى عن أبى ذر الغفارى قال: إنى صليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله يوما من الأيام الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئا و رفع السائل يده إلى السماء و قال: اللهم أشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله فلم يعطنى أحد شيئا و كان على فى الصلاة راكعا، فأومأ إليه بخنصره اليمنى، و كان يتختم فيها، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، و ذلک بمرأى النبى صلى الله عليه و آله و هو يصلى، فلما فرغ النبى صلى الله عليه و آله من صلاته رفع رأسه إلى السماء و قال: اللهم إن أخى موسى سألک فقال:" رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِي، وَ يَسِّرْ لِى أَمْرِى، وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى، وَ اجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى هارُونَ أَخِى، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى

وَ أَشْرِكْهُ فِی أَمْرِی" فأنزلت علیه قرآنا ناطقا:" سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا یَصِلُونَ إِلَیْکُما بِآیاتِنا" اللهم و أنا محمد نبیک و صفیک اللهم فاشرح لی صدری و یسر لی أمری، و اجعل لی وزیرا من أهلی علیا اشدد به ظهری، قال أبو ذر:

فما استتم رسول الله صلی الله علیه و آله کلامه حتی نزل جبرئیل علیه السلام من عند الله عز و جل فقال:

یا محمد اقرأ قال: و ما أقرأ؟ قال: اقرأ:" إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا" الآیة.

و قال السید بن طاوس فی کتاب سعد السعود: رأیت فی تفسیر محمد بن العباس بن علی بن مروان أنه روی نزل آیة" إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ" فی علی علیه السلام من تسعین طریقا بأسانید متصلة کلها أو جلها من رجال المخالفین لأهل البیت علیه السلام" انتهی".

و أقول: روی السیوطی فی تفسیره الدر المنثور أخبارا کثیرة فی ذلک أوردتها مع سائر ما ورد فی ذلک فی کتابنا الکبیر.

و أما إطلاق لفظ الجمع علی الواحد تعظیما فهو شائع ذائع فی اللغة و العرف، و قد ذکر المفسرون هذا الوجه فی کثیر من الآیات الکریمة کما قال تعالی:" وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ" و" إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً" و" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ" و قوله:

" الَّذِینَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَکُمْ" مع أن القائل کان واحدا و أمثالها و من خطاب الملوک و الرؤساء: فعلنا کذا، و أمرنا بکذا، و من الخطاب الشائع فی عرف العرب و العجم إذا خاطبوا واحدا: فعلتم کذا، و قلتم کذا، تعظیما.

و قال الزمخشری:" فإن قلت": کیف صح أن یکون لعلی علیه السلام و اللفظ لفظ جماعة؟" قلت": جیء به علی لفظ الجمع و إن کان السبب فیه رجلا واحدا لیرغب الناس فی مثل فعله فینالوا مثل ثوابه، و لینبه علی أن سجیة المؤمنین تجب أن تکون علی هذه الغایة من الحرص علی البر و الإحسان و هم فی الصلاة، لم یؤخروه إلی الفراغ منها" انتهی".

ص: 331
8 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ فَارِسِیٌّ أَبَا الْحَسَنِ ع فَقَالَ طَاعَتُکَ مُفْتَرَضَةٌ فَقَالَ نَعَمْ قَالَ مِثْلُ طَاعَةِ عَلِیِّ بْنِ أَبِی طَالِبٍ ع فَقَالَ نَعَمْ
9 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحَکَمِ عَنْ عَلِیِّ بْنِ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ الْأَئِمَّةِ هَلْ یَجْرُونَ فِی الْأَمْرِ وَ الطَّاعَةِ مَجْرَی وَاحِدٍ قَالَ نَعَمْ
10 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ مَرْوَکِ بْنِ عُبَیْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَیْدٍ الطَّبَرِیِّ قَالَ کُنْتُ

على أنه يظهر من بعض روايات الشيعة أن المراد به جميع الأئمة عليهم السلام، و أنهم جميعا قد وفقوا لمثل تلک القضية كما سيأتى بعضها فى باب: ما نص الله عز و جل على رسوله و على الأئمة، و أيضا كل من قال بأن المراد بالولى فى هذه الآية ما يرجع إلى الإمامة قائل بأن المقصود بها على عليه السلام، و لا قائل بالفرق، فإذا ثبت الأول ثبت الثانى، هذا ملخص استدلال القوم، و أما تفصيل القوم فيه و دفع الشبه الواردة عليه فموكول إلى مظانه كالشافى و غيره.

الحديث الثامن

: صحيح.
قوله: مثل طاعة على بن أبى طالب عليه السلام، أى فى كون الافتراض بالنص من الله تعالى أو فى عموم الافتراض لجميع الخلق أو فى التأكيد و القدر و المنزلة و ترتب الآثار عليها وجودا و عدما.

الحديث التاسع

: ضعيف على المشهور.
" هل يجرون" بصيغة المجهول و من باب الأفعال، أو المعلوم من المجرد" فى الأمر" أى أمر الخلافة و الوصاية أو فى كونهم أولى الأمر، أو فى وجوب طاعة الآمر فقوله:" و الطاعة" عطف تفسير" مجرى" اسم مكان من المجرد أو من باب الأفعال، أو مصدر ميمى من أحدهما.

الحديث العاشر:

قَائِماً عَلَى رَأْسِ الرِّضَا ع- بِخُرَاسَانَ وَ عِنْدَهُ عِدَّةٌ مِنْ بَنِی هَاشِمٍ وَ فِیهِمْ إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَی بْنِ عِیسَی الْعَبَّاسِیُّ فَقَالَ یَا إِسْحَاقُ بَلَغَنِی أَنَّ النَّاسَ یَقُولُونَ إِنَّا نَزْعُمُ أَنَّ النَّاسَ عَبِیدٌ لَنَا لَا وَ قَرَابَتِی مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا قُلْتُهُ قَطُّ وَ لَا سَمِعْتُهُ مِنْ آبَائِی قَالَهُ وَ لَا بَلَغَنِی عَنْ أَحَدٍ مِنْ آبَائِی قَالَهُ وَ لَکِنِّی أَقُولُ النَّاسُ عَبِیدٌ لَنَا فِی الطَّاعَةِ مَوَالٍ لَنَا فِی الدِّینِ فَلْیُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ

11 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِیِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِیرٍ عَنْ أَبِی سَلَمَةَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَمِعْتُهُ یَقُولُ نَحْنُ الَّذِینَ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَنَا لَا یَسَعُ النَّاسَ إِلَّا مَعْرِفَتُنَا وَ لَا یُعْذَرُ النَّاسُ بِجَهَالَتِنَا مَنْ عَرَفَنَا کَانَ مُؤْمِناً- وَ مَنْ أَنْکَرَنَا کَانَ

" عبید لنا" أی أرقاء یجوز لنا بیعهم و نحو ذلک، أو نحن آلهتهم" لا و قرابتی" یدل علی جواز القسم بغیر الله، فما ورد من النهی فلعله محمول علی ما إذا کان یمین صبر فی الدعاوی الشرعیة" و لا سمعته" أی مشافهة" عبید لنا فی الطاعة" أی کالأرقاء فی أن فرض الله علیهم طاعتنا لیسوا أرقاء حقیقة و لیست طاعتهم لنا عبادة، لأنه بإذن من هو الأعلی و" موال لنا" بفتح المیم جمع مولی" فی الدین" و المولی هنا بمعنی الناصر أو التابع أو المعتق بالفتح، فإنه بسبب موالاتهم أعتقهم الله من النار، فکلمة" فی" للسببیة و الأول أظهر" فلیبلغ" علی التفعیل أی أنا راض بذلک و لا أری فیه مفسدة، أو لا بد من ذلک لتصحیح عقائد الشیعة و دفع افتراء المفترین.

الحديث الحادى عشر

:" و من أنكرنا" أ ى حكم و جزم بعدم وجوب ولايتنا و إمامتنا، فالثالث من شک فى ذلک من المستضعفين كما سيأتى تحقيقه فى كتاب الإيمان و الكفر، فقوله: من طاعتنا الواجبة، أى القول بوجوب طاعتنا أو المراد بالثالث الفساق من الشيعة فإنهم ناقصون فى المعرفة، و إلا لم يخالفوا إمامهم، فإن ماتوا على ذلک يفعل الله بهم ما يشاء من العذاب أو العفو، و يؤيده ظاهر قوله: من طاعتنا الواجبة، و قيل: المراد بقوله: من أنكرنا،

كَافِراً وَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا وَ لَمْ يُنْكِرْنَا كَانَ ضَالًّا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْهُدَى الَّذِی افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَتِنَا الْوَاجِبَةِ فَإِنْ يَمُتْ عَلَى ضَلَالَتِهِ يَفْعَلِ اللَّهُ بِهِ مَا يَشَاءُ

12 عَلِیٌّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَفْضَلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَالَ أَفْضَلُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ طَاعَةُ اللَّهِ وَ طَاعَةُ رَسُولِهِ وَ طَاعَةُ أُولِی الْأَمْرِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع حُبُّنَا إِيمَانٌ وَ بُغْضُنَا كُفْرٌ

13 مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ

من جحدنا بعد الاطلاع على قول الله و قول الرسول فينا، فالجحود بعد وضوح الأمر فينا رد على الله و على الرسول، و الراد عليهما كافر، و الضالون على قسمين أسوأهما المتهاونون بأمر الدين، التاركون لطلب المعرفة بلا استضعاف" فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء" من عقابه و نكاله، و أما المستضعفون الذين استثناهم الله تعالى" إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ" فمن يمت على حد ضلاله يفعل الله به ما يشاء من العفو و الخذلان.

: مجهول، بل صحيح إذ الظاهر أن محمد بن الفضيل هو محمد بن القاسم بن الفضيل، فضمير سألته راجع إلى الرضا عليه السلام، و قيل: راجع إلى الصادق عليه السلام و هو بعيد، و قيل: إلى محمد بن الفضيل فيكون كلام يونس و هو أبعد.
" حبنا إيمان" يطلق حبهم فى الأخبار كثيرا على اعتقاد إمامتهم، فإن من ادعى حبهم و أنكر إمامتهم فهو عدو مخلط، إذ يفضل أعداءهم عليهم، و بغضهم إنكار إمامتهم كما عرفت، فالشاک و المستضعف متوسط بينهما و الحمل فيهما على الحقيقة، و يحتمل أن يكون الحب و البغض على معناهما، و الحمل على المجاز أى حبهم يدعو إلى الإيمان لأنه إذا أحبهم أطاعهم فى القول و الفعل، و هو يستلزم الإيمان و كذا البغض، و إن كان بغضهم فى نفسه أيضا كفرا.

الحديث الثالث عشر

: ضعيف على المشهور.

ص: 334
عَنْ أَبَانٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی جَعْفَرٍ ع أَعْرِضُ عَلَيْکَ دِينِیَ الَّذِی أَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِ قَالَ فَقَالَ هَاتِ قَالَ فَقُلْتُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيکَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ الْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ أَنَّ عَلِيّاً كَانَ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ الْحَسَنُ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ الْحُسَيْنُ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ عَلِیُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِمَاماً فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ أَنْتَ يَرْحَمُکَ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ هَذَا دِينُ اللَّهِ وَ دِينُ مَلَائِكَتِهِ

14 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ عَنْ أَبِی إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع اعْلَمُوا أَنَّ صُحْبَةَ الْعَالِمِ وَ اتِّبَاعَهُ دِينٌ يُدَانُ اللَّهُ بِهِ وَ طَاعَتَهُ مَكْسَبَةٌ لِلْحَسَنَاتِ مَمْحَاةٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَ ذَخِيرَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رِفْعَةٌ فِيهِمْ فِی حَيَاتِهِمْ وَ جَمِيلٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ

" و الإقرار" بالرفع أی دينی الإقرار، و هو مبتدأ و خبره محذوف، و قيل: بالنصب على المفعول معه و عامله فعل معنوی، لأن معنى أشهد يكون منى الشهادة و هذا يؤيد مذهب أبى على الفارسى حيث جوز نحو هذا لک و أيا لک خلافا لسيبويه، حيث ذهب إلى أنه لا بد للمفعول معه من تقدم جملة ذات فعل عامل أو اسم فيه معنى الفعل" حتى انتهى" متعلق بقوله" قلت".

" هذا دين الله" يمكن أن تكون الإضافة فى الموضعين على نهج واحد، أى دين ارتضاه الله و ملائكته أو فى الأول بمعنى الدين الذى قرره الله تعالى للعباد و كلفهم به، و الثانى بمعنى الدين الذى كلفت الملائكة به و أخذ منهم الميثاق عليه كما يظهر من بعض الأخبار، أو المعنى دين فرض الله التدين به و دين نزلت به ملائكته.

الحديث الرابع عشر

: مجهول.
قوله عليه السلام: إن صحبة العالم أى الكامل فى العلم، و هو الإمام عليه السلام أو الأعم منه و من سائر العلماء الربانيين، و المكسبة بالفتح: اسم مكان أو مصدر ميمى أو بالكسر اسم آلة و كذا الممحاة" و جميل" أى ذكر أو أجر جميل.

15 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ بَلِ الْخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِاللَّهِ قَالَ صَدَقْتَ قُلْتُ إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبّاً فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذَلِكَ الرَّبِّ رِضًا وَ سَخَطاً وَ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ رِضَاهُ وَ سَخَطُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ الْوَحْيُ فَيَنْبَغِی لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمُ الْحُجَّةُ وَ أَنَّ لَهُمُ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرَضَةَ فَقُلْتُ لِلنَّاسِ أَ لَيْسَ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ هُوَ الْحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ قَالُوا بَلَى قُلْتُ فَحِينَ مَضَى ص مَنْ كَانَ الْحُجَّةَ قَالُوا الْقُرْآنُ فَنَظَرْتُ فِی الْقُرْآنِ فَإِذَا هُوَ يُخَاصِمُ بِهِ الْمُرْجِئُ وَ الْقَدَرِيُّ وَ الزِّنْدِيقُ الَّذِی لَا يُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى يَغْلِبَ الرِّجَالَ بِخُصُومَتِهِ فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا بِقَيِّمٍ فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَیْءٍ كَانَ حَقّاً فَقُلْتُ لَهُمْ مَنْ قَيِّمُ الْقُرْآنِ قَالُوا ابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ وَ عُمَرُ يَعْلَمُ وَ حُذَيْفَةُ يَعْلَمُ قُلْتُ كُلَّهُ قَالُوا لَا فَلَمْ أَجِدْ أَحَداً يُقَالُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَّا عَلِيّاً صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِذَا كَانَ الشَّیْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ فَقَالَ هَذَا لَا أَدْرِی وَ قَالَ هَذَا لَا أَدْرِی وَ قَالَ هَذَا لَا أَدْرِی وَ قَالَ هَذَا أَنَا أَدْرِی فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً ع كَانَ قَيِّمَ الْقُرْآنِ وَ كَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً وَ كَانَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ أَنَّ مَا قَالَ فِی الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَقُلْتُ إِنَّ عَلِيّاً ع لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ عَلِیٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِیٍّ وَ أَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ كَمَا تَرَكَ أَبُوهُ وَ جَدُّهُ وَ أَنَّ الْحُجَّةَ بَعْدَ الْحَسَنِ الْحُسَيْنُ وَ كَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَ قُلْتُ وَ أَشْهَدُ عَلَى الْحُسَيْنِ ع أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ- عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ وَ كَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَ قُلْتُ وَ أَشْهَدُ عَلَى عَلِیِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ حَتَّى تَرَكَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ- مُحَمَّدَ بْنَ عَلِیٍّ أَبَا جَعْفَرٍ وَ كَانَتْ

: مجهول كالصحيح، و قد مر شرح صدر الخبر فى باب الاضطرار إلى الحجة.

طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً فَقَالَ رَحِمَکَ اللَّهُ قُلْتُ أَعْطِنِی رَأْسَکَ حَتَّی أُقَبِّلَهُ فَضَحِکَ قُلْتُ أَصْلَحَکَ اللَّهُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَبَاکَ لَمْ یَذْهَبْ حَتَّی تَرَکَ حُجَّةً مِنْ بَعْدِهِ کَمَا تَرَکَ أَبُوهُ وَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّکَ أَنْتَ الْحُجَّةُ وَ أَنَّ طَاعَتَکَ مُفْتَرَضَةٌ فَقَالَ کُفَّ رَحِمَکَ اللَّهُ قُلْتُ أَعْطِنِی رَأْسَکَ أُقَبِّلْهُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ فَضَحِکَ وَ قَالَ سَلْنِی عَمَّا شِئْتَ فَلَا أُنْکِرُکَ بَعْدَ الْیَوْمِ أَبَداً

16 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِیِّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِیِّ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ أَبِی الْعَلَاءِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع الْأَوْصِیَاءُ طَاعَتُهُمْ مُفْتَرَضَةٌ قَالَ نَعَمْ هُمُ الَّذِینَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ وَ هُمُ الَّذِینَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ هُمْ راکِعُونَ

17 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِیسَی عَنْ یُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَی قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع یَقُولُ السَّمْعُ وَ الطَّاعَةُ أَبْوَابُ الْخَیْرِ- السَّامِعُ الْمُطِیعُ لَا حُجَّةَ عَلَیْهِ وَ السَّامِعُ الْعَاصِی لَا حُجَّةَ لَهُ وَ إِمَامُ الْمُسْلِمِینَ تَمَّتْ حُجَّتُهُ وَ احْتِجَاجُهُ یَوْمَ یَلْقَی اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ ثُمَّ قَالَ یَقُولُ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ

قوله: فضحک، لعل الضحک لتکرار التقبیل و اهتمامه فی ذلک و الأمر بالکف و الإمساک عن ذکره بالإمامة للتقیة و الخوف علیه فی زمانه" فلا أنکرک" من الإنکار بمعنی عدم المعرفة، أی لا أجهل حقک و استحقاقک لأن یجاب فی کل مسألة بحق جوابها من غیر تقیة.

: ضعيف، و قد مر عن الحسين باختلاف فى وسط السند.

: مجهول كالحسن.
قوله: السمع و الطاعة، أى لما قاله الإمام" و الطاعة" له" أبواب الخير" أى موجب للدخول فى جميع الخيرات" يوم يلقى الله" متعلق بقوله:" تمت" أو خبر" و احتجاجه" مبتدأ و قوله تعالى:" يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ" أى باسم إمامهم و على التقديرين، إما المراد كل من كان فى عصر إمام أو من اتبعه من أصحابه فالإمام أعم من إمامهم

بَابٌ فِی أَنَّ الْأَئِمَّةَ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَی خَلْقِهِ
1 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنْ یَعْقُوبَ بْنِ یَزِیدَ عَنْ زِیَادٍ الْقَنْدِیِّ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِ

الهدی و إمام الضلالة.
و یؤید الأول ما روی عن أبی عبد الله علیه السلام قال: بإمامهم الذی بین أظهرهم و هو قائم أهل زمانه، و روی علی بن إبراهیم عن الباقر علیه السلام فی تفسیرها قال: یجیء رسول الله صلی الله علیه و آله فی قومه و علی علیه السلام فی قومه، و الحسن علیه السلام فی قومه، و الحسین علیه السلام فی قومه، و کل من مات بین ظهرانی قوم جاءوا معه، و روی العیاشی مثله بأسانید.
و یؤید الثانی ما رواه الصدوق فی المجالس عن الحسین علیه السلام أنه سئل عن هذه الآیة؟ فقال: إمام دعا إلی هدی فأجابوه إلیه، و إمام دعا إلی ضلالة فأجابوه إلیها، هؤلاء فی الجنة و هؤلاء فی النار، و هو قوله تعالی:" فَرِیقٌ فِی الْجَنَّةِ وَ فَرِیقٌ فِی السَّعِیرِ" و روی العیاشی عن الصادق علیه السلام: سیدعی کل أناس بإمامهم، أصحاب الشمس بالشمس، و أصحاب القمر بالقمر، و أصحاب النار بالنار، و أصحاب الحجارة بالحجارة، و فی المحاسن عنه علیه السلام أنتم و الله علی دین الله ثم تلا هذه الآیة، ثم قال: علی إمامنا، و رسول الله إمامنا، کم إمام یجیء یوم القیامة یلعن أصحابه و یلعنونه، فعلی الأول الاستشهاد بالآیة لأنه إذا دعی یوم القیامة کل أهل عصر باسم إمامهم فثبت حینئذ کونه إماما لهم، أو یدعون معه لیتم علیهم حجته، و علی الثانی لأن کل قوم إذا دعوا مع رئیسهم و إمامهم فإمام الحق یتم حجته حینئذ علی الرؤساء و المرؤوسین.

باب فی أن الأئمة شهداء الله عز و جل على خلقه

الحديث الأول

: ضعيف.
" فَكَيْفَ" قال الطبرسى- ره-: أى فكيف حال الأمم و كيف يصنعون" إِذا جِئْنا

أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِيداً قَالَ نَزَلَتْ فِی أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ص خَاصَّةً فِی کُلِّ قَرْنٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ مِنَّا شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ وَ مُحَمَّدٌ ص شَاهِدٌ عَلَيْنَا
2 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ-

---

مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ" من الأمم" بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِکَ" يا محمد" عَلی هؤُلاءِ" يعنی قومه" شَهِيداً" و معنی الآية: أن الله تعالی يستشهد يوم القيامة کل نبی علی أمته، و يستشهد نبينا صلی الله عليه و آله علی أمته، انتهی.
قوله عليه السلام:" خاصة" يمکن أن يکون المراد تخصيص الشاهد و المشهود عليهم جميعا بهذه الأمة، فالمراد بکل أمة کل قرن من هذه الأمة، أو المراد تخصيص الشاهد فقط، أی فی کل قرن يکون أحد من الأئمة شاهدا علی من فی عصرهم من هذه الأمة، و علی جميع من مضی من الأمم، و قيل: لعل المراد أن الآية نزلت فيهم خاصة لا أن الحکم مخصوص بهم، فإن الآية شاملة لأمة محمد صلی الله عليه و آله و السلام و لسائر الأمم.

الحديث الثانى

: ضعيف.
قوله تعالى:" وَ كَذلِکَ جَعَلْناکُمْ" قال الطبرسى قدس سره الوسط العدل، و قيل:
الخيار، قال: صاحب العين: الوسط من كل شىء أعدله و أفضله، و متى قيل: إذا كان فى الأمة من ليست هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلک؟ فالجواب: أن المراد به من كان بتلک الصفة، لأن كل عصر لا يخلو من جماعة هذه صفتهم، و روى بريد عن الباقر عليه السلام قال: نحن الأمة الوسط، و نحن شهداء الله على خلقه، و حجته فى أرضه، و فى رواية أخرى قال: إلينا يرجع الغالى و بنا يلحق المقصر، و روى الحاكم أبو القاسم الحسكانى فى كتاب شواهد التنزيل بإسناده عن سليم بن قيس عن على عليه السلام أن الله

وَ كَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ قَالَ نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوُسْطَی وَ نَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَی خَلْقِهِ وَ حُجَجُهُ فِی أَرْضِهِ قُلْتُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- مِلَّةَ أَبِیکُمْ إِبْراهِیمَ

تعالی إیانا عنی بقوله:" لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ" فرسول الله شاهد علینا، و نحن شهداء الله علی خلقه و حجته فی أرضه، و نحن الذین قال الله:" وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً" و قوله:" لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ" فیه ثلاثة أقوال:
أحدها: لتشهدوا علی الناس بأعمالهم التی خالفوا فیها الحق فی الدنیا و الآخرة، کما قال تعالی:" وَ جِیءَ بِالنَّبِیِّینَ وَ الشُّهَداءِ".
و الثانی: لتکونوا حجة علی الناس فتبینوا لهم الحق و الدین، و یکون الرسول شهیدا مؤدیا للدین إلیکم.
و الثالث: أنهم یشهدون للأنبیاء علی أممهم المکذبین لهم بأنهم قد بلغوا و یکون الرسول علیکم شهیدا، أی شاهدا علیکم بما یکون من أعمالکم، و قیل: حجة علیکم، و قیل: شهیدا لکم بأنکم قد صدقتم یوم القیامة فیما تشهدون به، و یکون علی بمعنی اللام کقوله:" وَ ما ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ" انتهی.
و أقول: فی بعض الروایات أنها نزلت: أئمة وسطا، و الحاصل أن الخطاب إنما توجه إلی الأئمة علیه السلام أو إلی جمیع الأمة باعتبار اشتمالهم علی الأئمة، فکأن الخطاب توجه إلیهم فقوله علیه السلام: نحن الأمة الوسطی، أن الأمة إنما اتصفوا بهذه الصفة بسببنا و هذا أظهر بالنظر إلی لفظ الآیة، و الثانی أظهر بالنظر إلی الأخبار." و نحن شهداء الله" أی فی الآخرة أو الأعم منها و من الدنیا" و حججه فی أرضه" فی الدنیا.
قوله تعالی:" مِلَّةَ أَبِیکُمْ" أقول: قبله:" یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ارْکَعُوا وَ اسْجُدُوا

قَالَ إِيَّانَا عَنَى خَاصَّةً- هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ فِی الْكُتُبِ الَّتِی مَضَتْ وَ فِی هَذَا الْقُرْآنِ- لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ فَرَسُولُ اللَّهِ ص الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغَنَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ نَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ فَمَنْ صَدَّقَ صَدَّقْنَاهُ

وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَ جاهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ، وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِی الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" و قال البيضاوی: ملة منتصب على المصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف، أی وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، أو على الإغراء أو على الاختصاص، و إنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه و آله أو كالأب لأمته من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية و وجودهم على الوجه المعتد به فی الآخرة، أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم، انتهى.

قوله عليه السلام: إيانا عنى، أی هم المقصودون بخطاب:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" لكما لهم فی الإيمان، و لا يخفى أن الأمر بالجهاد و الاجتباء بهم أنسب و كذا" مِلَّةَ أَبِيكُمْ" لا يحتاج إلى ما تكلفوا فی تصحيحه، و كذا سائر أجزاء الآية، أو هم المقصودون بالذات بهذا الخطاب و إن دخل غيرهم فيه بالتبع، أو هم العاملون بهذا الخطاب أو خطاب الأمة به لاشتمالهم عليهم السلام، فيرجع إلى أنهم المقصودون بالذات به.

" هُوَ سَمَّاكُمُ" الضمير راجع إلى الله، و قيل: إلى إبراهيم و هو بعيد،" لِيَكُونَ الرَّسُولُ عليكم شهيدا" فی الآية" شَهِيداً عَلَيْكُمْ" و لعله من النساخ أو هو نقل بمعنى، أو كان فی قراءتهم عليهم السلام هكذا.

و قال الطبرسی- ره- أی بالطاعة و القبول، فإذا شهد لكم به صرتم عدولا تشهدون على الأمم الماضية بأن الرسل قد بلغوهم رسالة ربهم و أنهم لم يقبلوا فيوجب لكافرهم النار و لمؤمنهم الجنة بشهادتهم، و قيل: معناه ليكون الرسول شهيدا عليكم فی إبلاغ رسالة ربه إليكم و تكونوا شهداء على الناس بعده بأن تبلغوا إليهم ما بلغه الرسول إليكم، انتهى.

و ما ذكره عليه السلام أظهر و أحق بالقبول" فمن صدق" بالتشديد و يحتمل التخفيف،

ص: 341
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
3 وَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَّالِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ

و كذا قوله:" كذب كذبناه" أى فى دعوى التصديق يوم القيامة.

: ضعيف، لكن مضمونه مروى بطرق مستفيضة بل متواترة من طرق الخاص، أوردت أكثرها فى الكتاب الكبير، و رواه صاحب كشف الغمة و ابن- بطريق فى المستدرک، و السيد بن طاوس فى الطرائف، و العلامة فى كشف الحق بطرق متعددة من كتب المخالفين.
و قال السيد فى كتاب سعد السعود: و قد روى أن المقصود بقوله جل جلاله:
" و شاهد منه" هو على بن أبى طالب، محمد بن العباس بن مروان فى كتابه من ستة و ستين طريقا بأسانيدها.
و قال إمامهم الرازى فى تفسيره: قد ذكروا فى تفسير الشاهد وجوها:" أحدها" أنه جبرئيل عليه السلام يقرأ القرآن على محمد صلى الله عليه و آله" و ثانيها" أن ذلک الشاهد لسان محمد صلى الله عليه و آله" و ثالثها" أن المراد هو على بن أبى طالب و المعنى أنه يتلو تلک البينة و قوله:" منه" أى هذا الشاهد من محمد و بعض منه، و المراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد صلى الله عليه و آله، انتهى.
و روى السيوطى من مشاهير علماء المخالفين أيضا فى الدر المنثور عن ابن أبى حاتم و ابن مردويه و أبى نعيم فى المعرفة عن على عليه السلام قال: ما من رجل من قريش إلا نزلت فيه طائفة من القرآن فقال رجل: ما نزل فيک؟ قال: أ ما تقرأ سورة هود:" أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ" رسول الله على بينة من ربه، و أنا شاهد منه.
قال الطبرسى (ره) فى مجمع البيان: المراد بالبينة القرآن و بمن كان على

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الشَّاهِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ رَسُولُ اللَّهِ ص عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ
4 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ ع قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً قَالَ نَحْنُ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ وَ نَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ وَ حُجَجُهُ فِي أَرْضِهِ قُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَ جاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ قَالَ إِيَّانَا عَنَى وَ نَحْنُ

بينة النبى صلى الله عليه و آله، و قيل: المعنى به كل محق يدين بحجة و بينة، و قيل: هم المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله" وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ" أى و يتبعه من يشهد بصحته منه، و اختلف فى معناه فقيل: الشاهد جبرئيل يتلو القرآن على النبى صلى الله عليه و آله من الله، و قيل: محمد صلى الله عليه و آله، و قيل: لسانه صلى الله عليه و آله، أى يتلو القرآن بلسانه و قيل: الشاهد منه على بن أبى طالب عليه السلام يشهد للنبى صلى الله عليه و آله، و هو المروى عن أبى جعفر و على بن موسى الرضا عليهما السلام، و رواه الطبرى بإسناده عن جابر بن عبد الله عن على عليه السلام، و قيل: الشاهد ملك يسدده و يحفظه، و قيل: بينة من ربه حجة من عقله، و أضاف البينة إليه تعالى لأنه ينصب الأدلة العقلية و الشرعية" وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ" يشهد بصحته و هو القرآن، انتهى.
قوله عليه السلام: الشاهد على رسول الله صلى الله عليه و آله، أى فى تبليغه إلى الأمة ما أمر بتبليغه، أو" على" بمعنى اللام أى المصدق له أو هو عليه السلام شاهد بعلومه و معجزاته و كمالاته إلى حقية النبى صلى الله عليه و آله، و لا يخفى أن" يتلوه" يدل على أنه المبلغ و الخليفة بعده على أمته و" منه" يدل على غاية الاختصاص بينهما كما قال صلى الله عليه و آله: على منى و أنا منه.

الْمُجْتَبَوْنَ وَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی فِی الدِّینِ مِنْ حَرَجٍ فَالْحَرَجُ أَشَدُّ مِنَ الضِّیقِ- مِلَّةَ أَبِیکُمْ إِبْرَاهِیمَ إِیَّانَا عَنَی خَاصَّةً وَ سَمَّاکُمُ الْمُسْلِمِینَ اللَّهُ سَمَّانَا الْمُسْلِمِینَ مِنْ قَبْلُ فِی الْکُتُبِ الَّتِی مَضَتْ وَ فِی هَذَا الْقُرْآنِ- لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَدَاءَ عَلَی النَّاسِ فَرَسُولُ اللَّهِ ص الشَّهِیدُ عَلَیْنَا بِمَا بَلَّغَنَا عَنِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی وَ نَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَی النَّاسِ فَمَنْ صَدَّقَ یَوْمَ الْقِیَامَةِ صَدَّقْنَاهُ وَ مَنْ کَذَّبَ کَذَّبْنَاهُ

5 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِیسَی عَنْ إِبْرَاهِیمَ بْنِ عُمَرَ الْیَمَانِیِّ عَنْ سُلَیْمِ بْنِ قَیْسٍ الْهِلَالِیِّ عَنْ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ ص قَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی طَهَّرَنَا وَ عَصَمَنَا وَ جَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَی خَلْقِهِ وَ حُجَّتَهُ فِی أَرْضِهِ وَ جَعَلَنَا مَعَ الْقُرْآنِ- وَ جَعَلَ الْقُرْآنَ مَعَنَا لَا نُفَارِقُهُ وَ لَا یُفَارِقُنَا

قوله:" من حرج" فی بعض النسخ" من ضیق" فعلی الأول المراد بقوله: فالحرج أشد من الضیق أنه لیس المراد نفی الضیق مطلقا إذ فی بعض التکالیف الشرعیة صعوبة و عسر، و علی الثانی فالمعنی بنفی الحرج هنا نفی الضیق مطلقا، لا معناه المتبادر فإنه الضیق الشدید، کما هو المراد به فی قوله تعالی:" ضَیِّقاً حَرَجاً" أو المعنی أنه و إن نفی الله سبحانه هنا الحرج لکن مطلق الضیق منفی واقعا و إنما خص الحرج هنا بالنفی لحکمة الله عز و جل" سمانا" الضمیر راجع إلیه تعالی.

مختلف فيه و حسن عندى.
" إن الله تعالى طهرنا" أى من الشرک و العقائد الفاسدة، و الأخلاق الرديئة" و عصمنا" أى من المعاصى و الذنوب" و جعلنا مع القرآن" حيث تعمل بما فيه أو يدل على فضلنا و وجوب طاعتنا" و جعل القرآن معنا" لأنه عندهم لفظا و معنى كما سيأتى فى الأخبار.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ع هُمُ الْهُدَاةُ
1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ وَ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ مُوسَى بْنِ بَكْرٍ عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ فَقَالَ كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِی هُوَ فِيهِمْ
2 عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمُنْذِرُ وَ لِكُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ- نَبِيُّ اللَّهِ

باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة

الحديث الأول

: ضعيف كالموثق.

: حسن.
و قال الطبرسي قدس الله روحه عند تفسير هذه الآية: فيه أقوال:" أحدها" أن معناه إنما أنت منذر، أى مخوف و هاد لكل قوم، و ليس إليک إنزال الآيات، فأنت مبتدأ و منذر خبره، و هاد عطف على منذر، و فصل بين الواو و المعطوف بالظرف" و الثانى" أن المنذر محمد و الهادى هو الله" و الثالث" أن معناه إنما أنت منذر يا محمد و لكل قوم نبى وداع يرشدهم" و الرابع" أن المراد بالهادى كل داع إلى الحق، و روى عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أنا المنذر و على الهادى، يا على بک يهتدى المهتدون، و على هذه الأقوال الثلاثة يكون" هاد" مبتدأ" و لكل قوم" خبره على قول سيبويه و يكون مرتفعا بالظرف على قول الأخفش، انتهى.
" رسول الله صلى الله عليه و آله المنذر" أى لكل أمة من أولهم إلى آخرهم، و لكل قرن

ص: 345
ص ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِیٌّ ثُمَّ الْأَوْصِیَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ
3 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِیُّ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِیلَ عَنْ سَعْدَانَ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع- إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمُنْذِرُ وَ عَلِیٌّ الْهَادِی یَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَلْ مِنْ هَادٍ الْیَوْمَ قُلْتُ بَلَی جُعِلْتُ فِدَاکَ مَا زَالَ مِنْکُمْ هَادٍ بَعْدَ هَادٍ حَتَّی دُفِعَتْ إِلَیْکَ فَقَالَ رَحِمَکَ اللَّهُ یَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَوْ کَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ آیَةٌ عَلَی رَجُلٍ ثُمَّ مَاتَ ذَلِکَ الرَّجُلُ مَاتَتِ الْآیَةُ- مَاتَ الْکِتَابُ وَ لَکِنَّهُ حَیٌّ یَجْرِی فِیمَنْ بَقِیَ کَمَا جَرَی فِیمَنْ مَضَی

و وقت من الزمان" هاد" أو هو صلی الله علیه و آله کان منذرا لأهل عصره و لکل عصر بعده هاد، فتسمیته صلی الله علیه و آله منذرا و الإمام هادیا لعله إشارة إلی أن الأنبیاء علیهم السلام یتقدمونهم أولا من الشرک و ما یوجب دخول النار و شدائد العقوبات، و الأوصیاء علیهم السلام یکملونهم و یهدونهم إلی ما یستحقون به أرفع الدرجات، بل یجعلهم النبی ظاهرا من المسلمین و یمیز الوصی المؤمنون من المنافقین.

الحديث الثالث

: ضعيف.
" و على الهادى" أى أول الهداة على عليه السلام.
" حتى دفعت" على بناء المجهول أى الهداية و الإمامة و الخلافة.
" ثم مات ذلک الرجل" أى الرسول الذى نزلت عليه الآية" ماتت الآية" أى فات بيانها و بقيت مجهولة" مات الكتاب" المنزل على الرسول و فات بيانه و صار كالميت لعدم الانتفاع به، و لعدم إمكان العمل بموجبه و لكنه لا يجوز فوات بيانه مع وجود المكلف به، إذ حكمه و تكليف العمل به باق إلى يوم القيامة، أو المراد بموت الكتاب سقوط التكليف بالعمل به، فالمعنى أنه لو نزلت آية على رسول و بعد موت ذلک الرجل لم يكن مفسر لها فصارت مبهمة على الأمة، لزم سقوط العمل بالكتاب، إذ تكليف الجاهل محال، لكن الكتاب حى، أى حكمه باق غير ساقط عن المكلفين ضرورة و اتفاقا، يجرى حكمه على الباقين كجريانه على الماضين، و على التقديرين الكلام مشتمل على قياس استثنائى ينتج رفع التالى رفع المقدم.

4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ صَفْوَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْقَصِيرِ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْمُنْذِرُ وَ عَلِیٌّ الْهَادِی أَمَا وَ اللَّهِ مَا ذَهَبَتْ مِنَّا وَ مَا زَالَتْ فِینَا إِلَی السَّاعَةِ

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ع وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ وَ خَزَنَةُ عِلْمِهِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِی زَاهِرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَی عَنْ عَلِیِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ کَثِیرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع یَقُولُ نَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ وَ خَزَنَةُ عِلْمِ اللَّهِ وَ عَیْبَةُ وَحْیِ اللَّهِ

الحديث الرابع

: مجهول.
" ما ذهبت" أى الهداية أو الآية يعنى حكمها باق" إلى الساعة" أى الآن أو إلى يوم القيامة.

باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله و خزنة علمه

الحديث الأول

: ضعيف.
" ولاة أمر الله" أى أمر الخلافة و الإمامة، و قال الفيروزآبادى: العيبة: زبيل من أدم و ما يجعل فيه الثياب، و من الرجل موضع سره، و فى النهاية: العرب تكنى عن القلوب و الصدور بالعياب، لأنها مستودع السرائر كما أن العياب مستودع الثياب، انتهى.
فالمراد بعيبة وحى الله أن كل وحى نزل من السماء على نبى من الأنبياء فقد وصل إليهم و هو محفوظ عندهم.

ص: 347
2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ أَبِيهِ أَسْبَاطٍ عَنْ سَوْرَةَ بْنِ كُلَيْبٍ قَالَ قَالَ لِی أَبُو جَعْفَرٍ ع وَ اللَّهِ إِنَّا لَخُزَّانُ اللَّهِ فِی سَمَائِهِ وَ أَرْضِهِ لَا عَلَی ذَهَبٍ وَ لَا عَلَی فِضَّةٍ إِلَّا عَلَی عِلْمِهِ
3 عَلِيُّ بْنُ مُوسَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ وَ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ رَفَعَهُ عَنْ سَدِيرٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ مَا أَنْتُمْ قَالَ نَحْنُ خُزَّانُ عِلْمِ اللَّهِ وَ نَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْیِ اللَّهِ وَ نَحْنُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَی مَنْ دُونَ السَّمَاءِ وَ مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ

الحديث الثانى

: مجهول.
قوله عليه السلام: لخزان الله فى سمائه و أرضه، أى خزنة العلوم المكتوبة فى الألواح السماوية و العلوم الكائنة فى الأرض من الكتب المنزلة، و خزنة علوم حقائق الأجرام السماوية و الملائكة و أحوالهم، و حقائق ما فى الأرض من الجمادات و النباتات و أحوالها، أو المراد: نحن الخزنة من بين أهل السماء و أهل الأرض أو نحن المعروفون بذلک عند أهلهما.
" إلا على علمه" الاستثناء منقطع.

الحديث الثالث

: مجهول.
قوله: ما أنتم؟ أى من جهة الفضل و الخواص التى بها تمتازون من سائر المخلوقات، و التراجمة بفتح التاء و كسر الجيم جمع ترجمان بضم التاء و كسر الجيم و فتحهما، و فتح التاء و ضم الجيم، و هو من يفسر الكلام بلسان آخر، و قد يكون الجمع بغير هاء، و المراد هنا مفسر جميع ما أوحى الله تعالى إلى الأنبياء و مبينها.
" نحن الحجة البالغة" أى التامة الكاملة" على من دون السماء" التخصيص بهم لظهور كونهم مكلفين بذلک، و لنقص عقول المخاطبين عما ورد فى كثير من الأخبار أنهم الحجة على جميع أهل السماء و الأرض، أو المراد دون كل سماء فيشمل أكثر الملائكة، و أراد نوعا من الحجة يختص بغير الملائكة.

4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی اسْتِکْمَالُ حُجَّتِی عَلَی الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أُمَّتِکَ مِنْ تَرْکِ وَلَايَةِ عَلِیٍّ وَ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِکَ فَإِنَّ فِيهِمْ سُنَّتَکَ وَ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِکَ وَ هُمْ خُزَّانِی عَلَی عِلْمِی مِنْ بَعْدِکَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَقَدْ أَنْبَأَنِی جَبْرَئِيلُ ع بِأَسْمَائِهِمْ وَ أَسْمَاءِ آبَائِهِمْ

5 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِی يَعْفُورٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع يَا ابْنَ أَبِی يَعْفُورٍ إِنَ

الحديث الرابع

: مجهول.
" استكمال حجتى" أى كمال احتجاجى يوم القيامة مبالغة" على الأشقياء" متعلق بحجتى أو باستكمال، أو خبر استكمال" من ترک" من للسببية و الظرف خبر على غير الاحتمال الأخير، و متعلق بالظرف المتقدم عليه، و يمكن أن يقرأ من ترک، بالفتح اسم موصول فيكون بدلا من الأشقياء" من بعدک" حال عن الأوصياء" فإن فيهم" أى فى على و الأوصياء" سنتک" أى سيرتک و الطريقة و الشريعة التى جئت بها و السيرة و الطريقة و الشريعة التى جاءوا بها من قبلک و هم حفظتها و حملتها.
" و هم خزانى على علمى" تتمة للتعليل أى على العلم الذى أنزلتها عليک و على الأنبياء من قبلک، و هذا إما تعليل لاستكمال الحجة على من ترک ولايتهم، فإن من هيئ له جميع الأسباب و ترک المراجعة إليها و الأخذ منها كانت الحجة عليه كاملة غاية الاستكمال، أو تعليل لشقاوة تارک ولايتهم، فإن من ترک ولاية من فيه سنن جميع الأنبياء كان تاركا لجميعها و ترک جميع الأنبياء و سننهم أعلى مراتب الشقاوة.

الحديث الخامس

: صحيح.
" إن الله واحد" لا شريک له أو بسيط مطلق ليس فيه تركيب أصلا، و لا صفات

اللَّهَ وَاحِدٌ- مُتَوَحِّدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ مُتَفَرِّدٌ بِأَمْرِهِ فَخَلَقَ خَلْقاً فَقَدَّرَهُمْ لِذَلِکَ الْأَمْرِ فَنَحْنُ هُمْ يَا ابْنَ أَبِی يَعْفُورٍ فَنَحْنُ حُجَجُ اللَّهِ فِی عِبَادِهِ وَ خُزَّانُهُ عَلَی عِلْمِهِ وَ الْقَائِمُونَ بِذَلِکَ

6 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُوسَی بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنِ الْعَمْرَكِیِّ بْنِ عَلِیٍّ جَمِيعاً عَنْ عَلِیِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ مُوسَی ع قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا وَ صَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا

زائدة" متوحد" أی متفرد فی الوحدانية أو فی الخلق و التدبير بسبب الوحدانية" متفرد بأمره" أی بأمر الخلق أو فی جميع أموره أو أمر تعيين الخليفة و الأوسط أظهر، و علی الأولين المراد بذلک الأمر غير هذا الأمر، و علی الأخير المراد أنه لم يدع أمر تعيين الخليفة إلی أحد من خلقه كما زعمه المخالفون، بل هو المتفرد بنصب الخلفاء.

و يحتمل أن يكون المعنی أنه تعالی قبل خلق الخلق كان متفردا بالأمر و التدبير، فلما أراد الخلق خلق أو لا خلقا مناسبا للخلافة و قدرهم لها، ففيه إشارة إلی تقدمهم علی ما سواهم من الخلق، و قوله:" فقدرهم" أی جعلهم بعد خلقهم علی أحسن خلق و أفضل صورة ليناسبوا" لذلک الأمر" و الولاية" فنحن" أی الأولياء، ليشمل الرسل و الأنبياء، أی الخلق المقدرون لذلک الأمر، أو الأولياء من أهل البيت أو مع رسول الله صلی الله عليه و آله" هم" أی خلق مقدرون لذلک من غير ادعاء الانحصار علی أول هذين الاحتمالين، أو بادعائه بحسب سبق الخلق و تقدمه علی ثانيهما، لما روی عنه صلی الله عليه و آله أنه قال: أول ما خلق الله نوری، و إنه قال صلی الله عليه و آله: أنا و علی من نور واحد، و يؤيد الوجه الأخير أخبار كثيرة أوردتها فی كتاب بحار الأنوار فی أبواب بدو خلقهم عليهم السلام و باب حدوث العالم." و القائمون بذلک" أی بذلک الأمر المتقدم.

الحديث السادس

: صحيح، و قد مر شرح أكثر الفقرات فى باب النوادر من كتاب التوحيد.

وَ جَعَلَنَا خُزَّانَهُ فِی سَمَائِهِ وَ أَرْضِهِ وَ لَنَا نَطَقَتِ الشَّجَرَةُ وَ بِعِبَادَتِنَا عُبِدَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَوْلَانَا مَا عُبِدَ اللَّهُ

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ع خُلَفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِی أَرْضِهِ وَ أَبْوَابُهُ الَّتِی مِنْهَا یُؤْتَی

1 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِیُّ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِی مَسْعُودٍ عَنِ الْجَعْفَرِیِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع یَقُولُ الْأَئِمَّةُ خُلَفَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِی أَرْضِهِ

2 عَنْهُ عَنْ مُعَلَّی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ سُلَیْمَانَ بْنِ سَمَاعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع الْأَوْصِیَاءُ هُمْ أَبْوَابُ اللَّهِ عَزَّ وَ

قوله علیه السلام: و لنا نطقت الشجرة، أی یمکننا استنطاقها بکل ما نرید بالإعجاز کما ورد فی معجزات کل من النبی و الأئمة صلوات الله علیهم کثیر منها، أو المعنی إنا نستنبط من الأشجار و أوراقها علوما جمة لا یعلمها غیرنا، و هذا أیضا وارد فی بعض الأخبار.

باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله عز و جل فى أرضه و أبوابه التى منها يؤتى.

الحديث الأول

: ضعيف.
و الجعفرى كأنه القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، أو ابنه داود أبو هاشم الجعفرى، و كونهم خلفاء الله لأنه تعالى فرض طاعتهم و جعل أمرهم أمره، و نهيهم نهيه، و طاعتهم طاعته، و معصيتهم معصيته.

الحديث الثانى

: ضعيف.
و وصفوا عليهم السلام بكونهم أبوابا لأنهم طرق إلى معرفة الله و عبادته، و لا يمكن الوصول إلى قربه تعالى و رضوانه إلا بهم.

جَلَّ الَّتِی یُؤْتَی مِنْهَا وَ لَوْلَاهُمْ مَا عُرِفَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ بِهِمُ احْتَجَّ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی عَلَی خَلْقِهِ

3 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ- وَعَدَ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا

قال الفاضل الأسترآبادی: فیه تصریح بأنه لا یمکن معرفة الله حق معرفته فی صفاته و أفعاله إلا من طریق أصحاب العصمة علیهم السلام، فعلم أن فن الکلام المبنی علی مجرد الأحکام العقلیة غیر نافع.

: ضعيف. على المشهور لكن مضمونه مروى بأسانيد كثيرة فالمراد بالذين آمنوا الذين صدقوا بالله و رسوله و بجميع ما يجب التصديق به حق التصديق، و عملوا جميع الأعمال الصالحة، و لم يخلو بشىء منها، و هم الأئمة عليهم السلام" لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ" أى يجعلهم خلفاءه فيها، و قيل: يخلفون من قبلهم،" كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ" من أنبياء بنى إسرائيل جعلهم خلفاءه فى الأرض، أو المعنى لنورثنهم أرض الكفار من العرب و العجم فنجعلهم سكانها و ملوكها، كما استخلف بنى إسرائيل إذا هلك الجبابرة بمصر، و أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم، و قال تعالى بعد ذلك" وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ" يعنى دين الإسلام الذى أمرهم أن يدينوا به" وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً" فى الدنيا و الآخرة" يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً" قيل: أى لا يخافون غيرى، و قيل: أى لا يراؤون بعبادتى أحدا.

قال الطبرسى (ره): اختلف فى الآية فقيل: أنها واردة فى أصحاب النبى صلى الله عليه و آله، و قيل: هى عامة فى أمة محمد صلى الله عليه و آله، و المروى عن أهل البيت عليهم السلام أنها فى المهدى من آل محمد صلى الله عليه و آله، و روى العياشى بإسناده عن على بن الحسين عليه السلام أنه قرأ الآية و قال:

هم و الله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا و هو مهدى هذه الأمة، و هو الذى قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلى رجل من عترتى، اسمه اسمى يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت

الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَالَ هُمُ الْأَئِمَّةُ
بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ع نُورُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ
1 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ مِرْدَاسٍ قَالَ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ یَحْیَی وَ الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی أَیُّوبَ عَنْ أَبِی خَالِدٍ الْکَابُلِیِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا فَقَالَ

ظلما و جورا.
و روی مثل ذلک عن أبی جعفر و أبی عبد الله علیهما السلام.
فعلی هذا یکون المراد بالذین آمنوا و عملوا الصالحات النبی و أهل بیته، و تضمنت الآیة البشارة لهم بالاستخلاف و التمکن فی البلاد، و ارتفاع الخوف عنهم عند قیام المهدی منهم، فیکون المراد بقوله" کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ" هو أن جعل الصالح للخلافة خلیفة مثل آدم و داود و سلیمان، و یدل علی ذلک قوله:" إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً" و" یا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناکَ خَلِیفَةً" و قوله:" فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً" و علی هذا إجماع العترة الطاهرة، و إجماعهم حجة، لقوله صلی الله علیه و آله: إنی تارک فیکم الثقلین، و أیضا فإن التمکن فی الأرض علی الإطلاق، و لم یتفق فیما مضی فهو منتظر، لأن الله عز اسمه لا یخلف وعده.

باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله عز و جل فى أرضه

الحديث الأول

: ضعيف على المشهور.
" وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا" المشهور بين المفسرين أن المراد بالنور هنا القرآن، سماه نورا لما فيه من الأدلة و الحجج الموصلة إلى الحق، فشبه بالنور الذى يهتدى به إلى الطريق.

يَا أَبَا خَالِدٍ النُّورُ وَ اللَّهِ- الْأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ص إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ هُمْ وَ اللَّهِ نُورُ

و أقول: لما كان النور فى الأصل ما يصير سببا لظهور شىء فسمى الوجود نورا لأنه يصير سببا لظهور الأشياء فى الخارج، و العلم نورا لأنه سبب لظهور الأشياء عند العقل، و كل كمال نورا لأنه يصير سببا لظهور صاحبه و أنوار النيرين و الكواكب نورا لكونها أسبابا لظهور الأجسام و صفاتها للحس، و بهذه الوجوه يطلق على الرب تعالى النور، و نور الأنوار، لأنه منبع كل وجود و علم و كمال، فإطلاقه على الأنبياء و الأئمة عليهم السلام لأنهم أسباب لهداية الخلق و علمهم و كمالهم بل وجودهم، لأنهم العلل الغائية لوجود جميع الأشياء.

و أما نسبة الإنزال إليهم، فإما لإنزال أرواحهم المقدسة إلى أجسادهم المطهرة، أو أمرهم بتبليغ الرسالات و دعوة الخلق و معاشرتهم بعد كونهم روحانيين فى غاية التقدس و التنزه كما قال تعالى:" أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولًا" و فى بعض الأخبار أن الله أنزل نورهم فأسكنه فى صلب آدم، و قيل: إنزال النور إيقاع ولائهم و حبهم فى قلوب المؤمنين، و قيل: لما كان المراد بالنور ما يهتدى به من العلم و الكاشف عنه المبين أو المثبت فيه، الحافظ له من النفوس الزكية التى هى ينابيع العلوم و الكتاب المشتمل عليها، أو الروح الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه و آله، و يكون مع الأئمة بعده و هو مناط المعارف الحقيقية، و المراد بقوله:" إنا أنزلنا" على تقدير حمل النور على النفوس القدسية: أنزلنا على رسول الله صلى الله عليه و آله كونها أنوارا، و أن متابعتهم و اقتفاءهم مناط الاهتداء، و هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه و آله على الحقيقة من غير تجوز، و على سائر التقادير فقوله:" أنزلنا" أى أنزلناه و هو منزل عليه حقيقة علما كان أو كتابا، أو روحا، و الأئمة عليهم السلام هم حملته و حفظته و ذووه.

و إطلاق النور عليهم كإطلاق كتاب الله و كلامه فى قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا

اللَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ وَ هُمْ وَ اللَّهِ نُورُ اللَّهِ فِی السَّمَاوَاتِ وَ فِی الْأَرْضِ وَ اللَّهِ یَا أَبَا خَالِدٍ لَنُورُ الْإِمَامِ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِیئَةِ بِالنَّهَارِ وَ هُمْ وَ اللَّهِ یُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِینَ وَ یَحْجُبُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ نُورَهُمْ عَمَّنْ یَشَاءُ فَتُظْلِمُ قُلُوبُهُمْ وَ اللَّهِ یَا أَبَا خَالِدٍ لَا یُحِبُّنَا عَبْدٌ وَ یَتَوَلَّانَا حَتَّی یُطَهِّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَ لَا یُطَهِّرُ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّی یُسَلِّمَ لَنَا وَ یَکُونَ سِلْماً لَنَا فَإِذَا کَانَ سِلْماً لَنَا سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شَدِیدِ الْحِسَابِ وَ آمَنَهُ مِنْ فَزَعِ یَوْمِ الْقِیَامَةِ الْأَکْبَرِ

2 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَی الَّذِینَ

کتاب الله الناطق، لکونه حامل علم الکتاب و حافظه، و لکونه مستکملا به و موصوفا به و متحدا معه، فکأنه هو، و قوله:" لنور الإمام" أی هدایته، و تعریفه المعارف الإلهیة أو ولایته و معرفته، و قیل: الإضافة للبیان أی هم أنور و أکشف من الشمس" و هم و الله ینورون قلوب المؤمنین" بتعریف المعارف إیاهم و تثبیتها فی قلوبهم" و یحجب الله نورهم عمن یشاء" أن لا یطهره عن دنس الخباثة لشقاوته و سوء اختیاره فیظلم قلوبهم، و لا تتنور بنور معرفتهم لحجاب خباثتهم عن التنور به.

و قوله: حتی یسلم لنا، من الإسلام أو التسلیم، و السلم بالکسر خلاف الحرب أی سالما محبا لنا.

الحديث الثانى

: مرسل.
" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ" قال الطبرسى رحمه الله: أى يؤمنون به و يعتقدون نبوته و فى" الأمى" أقوال:
أحدها: أنه الذى لا يكتب و لا يقرأ.
و ثانيها: أنه منسوب إلى الأمة، و المعنى أنه على جبلة الأمة قبل استفادة الكتابة، و قيل: أن المراد بالأمة: العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة.

يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ

و ثالثها: أنه منسوب إلى الأم، و المعنى أنه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة.
و رابعها: أنه منسوب إلى أم القرى و هو مكة، و هو المروى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام" انتهى".
و أقول: اختلفوا فى أن النبى صلى الله عليه و آله هل كان يقدر أن يقرأ و يكتب أم لا؟
و الذى يقتضيه الجمع بين الأخبار أنه صلى الله عليه و آله لم يكن تعلم الخط و القراءة من أحد من البشر، لكنه كان قادرا على الكتابة و عالما بالمكتوب بما علم به سائر الأمور من قبل الله تعالى، و لم يكن يقرأ و يكتب ليكون حجته على قومه أتم و أكمل.
" الَّذِی یَجِدُونَهُ" قال الطبرسى: معناه يجدون نعته و صفته و نبوته مكتوبا فى الكتابين، لأنه مكتوب فى التوراة فى السفر الخامس:" إنى سأقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك و أجعل كلامى فى فيه، فيقول لهم كلما أوحيته به" و فيها أيضا مكتوب:
" و أما ابن الأمة فقد باركت عليه جدا جدا، و سيلد اثنا عشر عظيما و أؤخره لأمة عظيمة" و فيها أيضا:" أتانا الله من سيناء و أشرق من ساعير و استعلن من جبال فاران".
و فى الإنجيل بشارة بالفارقليط فى مواضع، منها:" نعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله" و فيه أيضا قول المسيح للحواريين:" أنا أذهب و سيأتيكم الفارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه، إنه نذيركم بجميع الحق و يخبركم بالأمور المزمعة و يمدحنى و يشهد لى".
" وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ" هذا من تتمة المكتوب أو ابتداء من قول الله تعالى للنبى صلى الله عليه و آله" وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ" أى ثقلهم، شبه ما كان على بنى إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل" وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ" أى العهود التى كانت فى ذمتهم،

ص: 356
إِلَى قَوْلِهِ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قَالَ النُّورُ فِی هَذَا الْمَوْضِعِ- عَلِیٌّ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْأَئِمَّةُ ع
3 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِیسَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَیْمُونٍ عَنْ أَبِی الْجَارُودِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی جَعْفَرٍ ع لَقَدْ آتَی اللَّهُ أَهْلَ الْکِتَابِ خَیْراً کَثِیراً قَالَ وَ مَا ذَاکَ قُلْتُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَی- الَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ

جعل تلک العهود بمنزلة الأغلال التی تکون فی الأعناق للزومها، و قیل: یرید بالأغلال ما امتحنوا به من قبل نفوسهم فی التوبة و فرض ما یصیبه البول من أجسادهم و ما أشبه ذلک من تحریم السبت، و تحریم العروق و الشحوم، و قطع الأعضاء الخاطئة، و وجوب القصاص دون الدیة.
" وَ عَزَّرُوهُ" أی عظموه و وقروه" وَ اتَّبَعُوا النُّورَ" قال معناه: القرآن الذی هو نور فی القلوب کما أن الضیاء نور فی العیون، و یهتدی به فی أمور الذین کما یهتدون بالنور فی أمور الدنیا" الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ" أی علیه و قد تقوم" مع" مقام" علی" و قیل: فی زمانه و علی عهده، و قال البیضاوی: معه، أی مع نبوته، و إنما سماه نورا لأنه بإعجازه ظاهر أمره، مظهر غیره، أو لأنه کاشف الحقائق مظهر لها، و یجوز أن یکون معه متعلقا باتبعوا، أی و اتبعوا النور المنزل مع اتباع النبی صلی الله علیه و آله، فیکون إشارة إلی اتباع الکتاب و السنة، انتهی.
أقول: علی ما فسره علیه السلام لا حاجة إلی التکلف فی المعیة، و التجوز فی الإنزال مشترک کما عرفت، علی أنه یحتمل أن یکون المراد أنهم القرآن لانتقاش ألفاظه و معانیه فی أرواحهم المقدسة و اتصافهم بصفاته المرضیة، و اجتنابهم عما فیه من الرذائل المنهیة.

الحديث الثالث

: ضعيف.
و المراد بأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى و محمد صلى الله عليه و آله كعبد الله بن سلام و أضرابه، و الضمير فى قوله:" من قبله" و فى قوله:" به" للقرآن كالمستكن فى قوله

يُؤْمِنُونَ إِلَى قَوْلِهِ أُولئِکَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا قَالَ فَقَالَ قَدْ آتاکُمُ اللَّهُ کَمَا آتَاهُمْ ثُمَّ تَلَا- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِکُمْ کِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ يَعْنِی إِمَاماً تَأْتَمُّونَ بِهِ
4 أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ وَ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی أَيُّوبَ عَنْ أَبِی خَالِدٍ الْکَابُلِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَی- فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا فَقَالَ يَا أَبَا خَالِدٍ النُّورُ وَ اللَّهِ الْأَئِمَّةُ ع يَا أَبَا

تعالی" وَ إِذا يُتْلی عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ" أی بأنه کلام الله" إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا" استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به" إِنَّا کُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ" استئناف آخر للدلالة علی أن إيمانهم به ليس مما أحدثوا حينئذ بل تقادم عهده لما رأوا ذکره فی الکتب المتقدمة" أُولئِکَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ" مرة علی إيمانهم بکتابهم، و مرة علی إيمانهم بالقرآن" بِما صَبَرُوا" بصبرهم و ثباتهم علی الإيمانين، أو علی الإيمان بالقرآن قبل النزول و بعده، أو علی أذی المشرکين و أذی من هاجرهم من أهل دينهم.
" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" قال الطبرسی (ره): أی اعترفوا بتوحيد الله و صدقوا بموسی و عيسی" اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ" محمد صلی الله عليه و آله عن ابن عباس، و قيل: معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهرا آمنوا باطنا" يُؤْتِکُمْ کِفْلَيْنِ" أی يعطکم نصيبين" مِنْ رَحْمَتِهِ" نصيبا لأيمانکم من تقدم من الأنبياء، و نصيبا لأيمانکم بمحمد صلی الله عليه و آله" وَ يَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ" أی هدی تهتدون به، و قيل: النور القرآن، انتهی.
و أقول: علی تأويله عليه السلام لعل المراد آمنوا برسوله فيما أتی به من ولاية الأئمة عليهم السلام، و سيأتی تأويل الکفلين بالحسنين عليهما السلام.

الحديث الرابع

: ضعيف.

ص: 358
خَالِدٍ لَنُورُ الْإِمَامِ فِی قُلُوبِ الْمُؤْمِنِینَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِیئَةِ بِالنَّهَارِ وَ هُمُ الَّذِینَ یُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِینَ وَ یَحْجُبُ اللَّهُ نُورَهُمْ عَمَّنْ یَشَاءُ فَتُظْلِمُ قُلُوبُهُمْ وَ یَغْشَاهُمْ بِهَا
5 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَمُّونٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَصَمِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ الْهَمْدَانِیِّ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَی- اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکاةٍ فَاطِمَةُ ع فِیها مِصْباحٌ الْحَسَنُ- الْمِصْباحُ فِی زُجاجَةٍ الْحُسَیْنُ-

---

"" و یغشاهم بها" أی بالظلمة.

الحديث الخامس

: ضعيف بالسند الأول، صحيح بالسند الثانى.
" اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ" أى منورهما بنور الوجود و العلم و الهداية، و الأنوار الظاهرة، و قيل: أى ذو نور السماوات و الأرض، و النور الأئمة عليهم السلام، فهم نور السماوات حين كانوا محدقين بالعرش، و الأرض بعد ما أنزلوا صلب آدم" مَثَلُ نُورِهِ" أى صفة نور الله العجيبة الشأن" كَمِشْكاةٍ" أى مثل مشكاة و هى الكرة الغير النافذة التى يوضع فيها المصباح و قيل: المشكاة الأنبوبة فى وسط القنديل، و المصباح: الفتيلة المشتعلة" فِيها مِصْباحٌ" الحسن.
أقول: فى تفسير على بن إبراهيم هكذا" فِيها مِصْباحٌ" الحسن و الْمِصْباحُ" الحسين" فِى زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ" كان فاطمة كوكب" إلخ".
فالمصباح المذكور فى الآية ثانيا المراد به غير المذكور أولا و هو الحسين عليه السلام، و لعل فيه إشارة إلى وحدة نوريهما، و شبهت فاطمة عليها السلام مرة بالمشكاة و مرة بالقنديل من الزجاجة، و وجه التشبيه فيهما متحد و عند كونها عليها السلام ظرفا لنور الحسين عليه السلام شبهت بالزجاجة، لزيادة نوره باعتبار كون سائر الأئمة من ولده عليه السلام،

الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّیٌّ فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دُرِّیٌّ بَیْنَ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْیَا- یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ إِبْرَاهِیمُ ع- زَیْتُونَةٍ لا شَرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ لَا یَهُودِیَّةٍ وَ لَا نَصْرَانِیَّةٍ-

---

فلذا غیر التشبیه.
و علی ما فی الکتاب قد یتوهم أن المراد بالزجاجة الحسین علیه السلام، فیوجه بما ذکره بعض الأفاضل حیث قال: مثل النور الحقیقی الذی هو من عالم الأمر بالنور الظاهری الذی هو من عالم الخلق، و النور ضیاء بنفسه و مضیء لما یطلع علیه و یشرق علیه، فمثل الجوهر الروحانی المناط للانکشافات العقلیة بالمصباح، و حامله بالمشکاة، و الحامل لمادته و المشتمل علیها التی منها مدده و حفظه عن الانقطاع و النفاد بالزجاجة التی هی وعاء مادة نور المصباح التی هی الزیت، ففی الأنوار الحقیقیة التی هی النفوس القدسیة و الأرواح الزکیة للأئمة من أهل البیت علیهم السلام الحسن علیه السلام مصباح، و فاطمة علیه السلام مشکاة فیها المصباح، و الحسین علیه السلام الزجاجة فیها مادة نور المصباح، و یجیء منها مدده، و الزجاجة کوکب دری و المراد به فاطمة علیها السلام، فإن الزجاجة یعنی الحسین علیه السلام مجمع النور الفائض من رسول الله صلی الله علیه و آله، الواصل إلیه ابتداء و وساطة، کما کانت علیها السلام مجمع ذلک و المعنی عنها بالمشکاة کوکب دری لإحاطتها بالنور کله، و الزجاجة أیضا لإحاطتها بجمیع النور کأنها کوکب دری" یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ" إبراهیم أی المشبه بالشجرة فیما ضرب له المثل إبراهیم، لأن ابتداء ظهور ذلک النور منه، و مواد العلوم من أثمار تلک الشجرة.
قال البیضاوی" دُرِّیٌّ" مضیء متلألئ کالزهرة فی صفائه و زهرته منسوب إلی الدر، أو فعیل کمریق من الدرء فإنه یدفع الظلام بضوئه، أو بعض ضوئه بعضا من لمعانه إلا أنه قلبت همزته یاءا" یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ" أی ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزیتون المتکاثرة نفعه بأن رویت ذبالته بزیتها" لا شَرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ" یقع

يَكادُ زَيْتُها يُضِىءُ يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا- وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ إِمَامٌ مِنْهَا

الشمس عليها حينا دون حين، بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة جبل أو صحراء واسعة، فإن ثمرته تكون أنضج و زيتها أصفى أو نابتة فى شرق المعمورة و غربها بل و فى وسطها و هو الشام، فإن زيتونة أجود الزيتون، أولا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها، أو فى مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا" انتهى".

و أقول: هذا ما يتعلق بالمشبه به، و أما تطبيقه على المشبه فإن إبراهيم عليه السلام لكونه أصل عمدة الأنبياء و هم عليهم السلام أغصانه و تشعبت منه الغصون المختلفة من الأنبياء و الأوصياء من بنى إسرائيل و بنى إسماعيل، و استنارت منهم أنوار عظيمة فى الفرق الثلاث من أهل الكتب من اليهود و النصارى و المسلمين، فكان إبراهيم عليه السلام كالشجرة الزيتونة من جهة تلك الشعب و الأنوار، و لما كان تحقق ثمار تلك الشجرة و سريان أنوار هذه الزيتونة فى نبينا و أهل بيته صلوات الله عليهم أكمل و أكثر و أتم، لكونهم الأئمة الفضلى، و أمتهم الأمة الوسطى و شريعتهم و سيرتهم و طريقتهم أعدل السير و أقومها كما قال تعالى:" وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً" كما أن اليهود كانوا يصلون إلى المغرب و النصارى إلى المشرق، فجعل قبلتهم وسط القبلتين، و كذا فى حكم القصاص و الديات و سائر الأحكام جعلوا وسطا فشبه إبراهيم عليه السلام من جهة تشعب هذه الأنوار العظيمة منه بزيتونة لم تكن شرقية و لا غربية، أى غير منحرفة عن الاعتدال إلى الإفراط و التفريط، المتحققين فى الملتين و الشريعتين، و أومأ بالشرقية إلى النصارى، و بالغربية إلى اليهود لقبلتيهم، و يمكن أن يكون المراد بالآية الزيتونة التى تكون فى وسط الشجرة فى شرقها، فلا تطلع الشمس عليها بعد العصر، و لا غربية لا تطلع الشمس عليها فى أول اليوم، فيكون التشبيه أتم و أكمل" يَكادُ زَيْتُها" أى زيت الشجرة أو الزيتونة، و المراد بالزيتونة فى المشبه المادة البعيدة للعلم، و هى الإمامة و الخلافة التى منبعهما إبراهيم حيث قال سبحانه:" إِنِّى جاعِلُكَ

بَعْدَ إِمَامٍ- يَهْدِی اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ يَهْدِی اللَّهُ لِلْأَئِمَّةِ مَنْ يَشَاءُ- وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ إِماماً" و سری فی ذریته المقدسة، و بالزیت المواد القربیة من الوحی و الإلهام، و إضاءة الزیت انفجار العلم من تلک المواد" وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ" أی وحی أو تعلیم من البشر أو سؤال، فإن السؤال مما یقدح نار العلم.
" نُورٌ عَلی نُورٍ" قال البیضاوی أی نور متضاعف فإن نور المصباح زاد فی إنارته صفا الزیت و زهرة القندیل، و ضبط المشکاة لأشعته" انتهی" و فی المشبه کل إمام یتلو إماما یزید فی إنارة علم الله و حکمته بین الناس.
أقول: و یؤید هذا التأویل ما رواه ابن بطریق (ره) فی العمدة و السید ابن طاوس رضی الله عنه فی الطرائف من مناقب ابن المغازلی الشافعی بإسناده عن الحسن البصری أنه قال: المشکاة فاطمة، و المصباح الحسن و الحسین علیهم السلام" و الزُّجاجَةُ کَأَنَّها کَوْکَبٌ دُرِّیٌّ" فاطمة علیها السلام کوکبا دریا بین نساء العالمین" یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَکَةٍ" الشجرة المبارکة إبراهیم علیه السلام" لا شَرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ" لا یهودیة و لا نصرانیة" یَکادُ زَیْتُها یُضِیءُ" قال: یکاد العلم أن ینطق منها" وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلی نُورٍ" قال: منها إمام بعد إمام" یَهْدِی اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشاءُ" قال: یهدی لولایتهم من یشاء.
و ذکر الطبرسی قدس سره فی تأویلها أقوالا:
أحدها: أنه مثل ضربه الله لنبیه محمد صلی الله علیه و آله فالمشکاة صدره، و الزجاجة قلبه، و المصباح فیه النبوة" لا شَرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ" أی لا یهودیة و لا نصرانیة" یُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَکَةٍ" یعنی شجرة النبوة و هی إبراهیم علیه السلام" یکاد" محمد یتبین للناس و لو لم یتکلم به، کما أن ذلک الزیت یضیء" وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ" أی تصیبه النار، و قد قیل: أیضا أن المشکاة إبراهیم علیه السلام، و الزجاجة إسماعیل، و المصباح محمد کما سمی سراجا فی موضع آخر" مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَکَةٍ" یعنی إبراهیم لأن أکثر الأنبیاء من صلبه" لا شَرْقِیَّةٍ وَ لا غَرْبِیَّةٍ" لا نصرانیة و لا یهودیة لأن النصاری تصلی إلی المشرق، و الیهود تصلی إلی المغرب" یَکادُ زَیْتُها یُضِیءُ" أی یکاد محاسن محمد تظهر قبل أن یوحی إلیه" نُورٌ عَلی نُورٍ" أی نبی من نسل نبی و قیل: إن المشکاة عبد المطلب،

لِلنَّاسِ قُلْتُ أَوْ كَظُلُماتٍ قَالَ الْأَوَّلُ وَ صَاحِبُهُ- يَغْشاهُ مَوْجٌ الثَّالِثُ- مِنْ فَوْقِهِ

و الزجاجة عبد الله، و المصباح هو النبى صلى الله عليه و آله، لا شرقية و لا غربية بل مكية، لأن مكة وسط الدنيا، و روى عن الرضا عليه السلام أنه قال: نحن المشكاة، و المصباح محمد صلى الله عليه و آله، يهدى الله لولايتنا من أحب، و فى كتاب التوحيد لأبى جعفر ابن بابويه (ره) بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى قوله:" كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ" قال: نور العلم فى صدر النبى صلى الله عليه و آله" الْمِصْباحُ فِى زُجاجَةٍ" الزجاجة صدر على عليه السلام صار علم النبى صلى الله عليه و آله إلى صدر على، علم النبى عليا" يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ" نور العلم" لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ" لا يهودية و لا نصرانية" يَكادُ زَيْتُها يُضِىءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ" قال: يكاد العالم من آل محمد صلى الله عليه و آله يتكلم بالعلم قبل أن يسأل" نُورٌ عَلى نُورٍ" أى إمام مؤيد بنور العلم و الحكمة فى أثر إمام من آل محمد، و ذلک من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة" الخبر".

و ثانيها: أنها مثل ضربه الله للمؤمن، و المشكاة نفسه و الزجاجة صدره و المصباح الإيمان و القرآن، فى قلبه" يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ" هى الإخلاص لله وحده لا شريک له، فهى خضراء ناعمة كشجرة التفت بها الشجرة فلا يصيبها الشمس على أي حال كانت، لا إذا طلعت و لا إذا غربت، و كذلک المؤمن قد اختزن من أين يصيبه شىء من الفتن فهو بين أربع خلال، إن أعطى شكر، و إن ابتلى صبر، و إن حكم عدل، و إن قال صدق، فهو فى سائر الناس كالرجل الحى يمشى بين قبور الأموات" نُورٌ عَلى نُورٍ" كلامه نور و علمه نور و مدخله نور و مخرجه نور، و مصيره إلى نور يوم القيامة عن أبى بن كعب.

و ثالثها: أنه مثل القرآن فى قلب المؤمن فكما أن هذا المصباح يستضاء به و هو كما هو لا ينقص، فكذلک القرآن تهتدى به و يعمل به كالمصباح فالمصباح هو القرآن و الزجاجة قلب المؤمن، و المشكاة لسانه و فمه، و الشجرة المباركة شجرة الوحى" يَكادُ

مَوْجٌ ظُلُمَاتٌ الثَّانِی- بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ مُعَاوِيَةُ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ فِتَنُ بَنِی أُمَيَّةَ- إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ

زَيْتُها يُضِیءُ" يكاد حجج القرآن تتضح و إن لم يقرأ، و قيل: تكاد حجج الله على خلقه تضیء لمن تفكر فيها و تدبرها و لو لم ينزل القرآن" نُورٌ عَلى نُورٍ" يعنى أن القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا نورا على نور" يَهْدِی اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ" أی يهدى الله لدينه و إيمانه من يشاء أو لنبوته و ولايته" انتهى". و أقول: لما ضرب الله الأمثال للمؤمنين و أئمتهم عليهم السلام ضرب مثلين للكافرين و المنافقين و أئمتهم، فالمثل الأول قوله:" وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ" و الثانى قوله:" أَوْ كَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ" فقوله أَوْ كَظُلُماتٍ، عطف على قوله كَسَرابٍ، و أو للتخيير، فإن أعمالهم لكونها لاغية كالسراب، و لكونها خالية عن نور الحق كالظلمات، فإن شئت شبهتهم بذلک أو للتنويع فإن الظلمات فی الدنيا و السراب فی الآخرة.
" فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ" أی عميق منسوب إلى اللجج و هو معظم الماء" يَغْشاهُ" أی يغشى البحر" مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ" مترادفة متراكمة" مِنْ فَوْقِهِ" أی من فوق الموج الثانى سحاب تغطى النجوم و تحجب أنوارها.
و أما تأويله عليه السلام فيحتمل وجهين:
الأول: أن المعنى أن الظلمات المذكورة فی الآية أولا أبو بكر، و يغشاه موج:
إشارة إلى صاحبه يعنى عمر، فإنه أتم بدع الأول و أكملها، و زاد على الظلمة ظلمة، و على الحيرة حيرة، و من فوقه موج: عبارة عن عثمان و هو الثالث، حيث زاد على بدعهما و إضلال الناس عن الحق، و قوله: ظلمات الثانى، أی لفظ الظلمات الواقع ثانيا فی الآية، الموصوف فيها بأن بعضها فوق بعض إشارة إلى معاوية و فتن بنى أمية.
و قوله: إذا أخرج يده المؤمن، بيان للثمرة المترتبة على تلک الظلمات، المتراكمة من حيرة المؤمنين و اشتباه الأحكام الظاهرة عليهم، فإن اليد أظهر أجزاء

الْمُؤْمِنُ فِی ظُلْمَةِ فِتْنَتِهِمْ- لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً إِمَاماً مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ

الإنسان له، و یحتمل أن یکون فتن بنی أمیة مبتدأ، خبره: إذا أخرج یده، أی قوله إذا أخرج یده، إشارة إلی فتن بنی أمیة، و یحتمل أیضا أن یکون المراد بالثانی عمر، و الظلمات مضافا إلیه، أی ظلمات عمر فتنة بعضها فوق بعض، فیکون قوله: و معاویة ابتداء کلام آخر، أی إذا أخرج یده إشارة إلی معاویة و فتن بنی أمیة، و إنما کرر عمر لأنه رأس الفتنة و رئیس النفاق، و لا یخفی بعد هذین الوجهین.
و الثانی أن یکون المراد أن قوله تعالی:" أَوْ کَظُلُماتٍ" إشارة إلی الأول و صاحبه الأولین، و یغشاه موج إلی الثالث یعنی عثمان الذی من فوقه موج، یعنی من بعده، إشارة إلی ما وقع بعده من عشائره من بنی أمیة و ظلمات الثانی بعضها فوق بعض بالإضافة، أی کظلمات عمر، و تکراره لما مر فقوله: معاویة و فتن بنی أمیة، ابتداء کلام آخر، و یحتمل أن یکون" من" فی قوله مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ، إلی قوله: فتن بنی أمیة کلاما واحدا، فالمراد بالموج معاویة و بالظلمات فتن بنی أمیة، و عبر عنهم بظلمات الثانی لأنهم کانوا من ثمرات ظلمه و جوره علی أهل البیت علیهم السلام.
أقول: و یؤید الثانی أن علی بن إبراهیم أورد فی تفسیره هذا الخبر هکذا: أی کظلمات فلان و فلان" فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ" یعنی نعثل و فوقه موج طلحة و الزبیر" ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ" معاویة و فتن بنی أمیة إلی آخر الخبر، و نعثل کنایة عن عثمان.
قال ابن الأثیر فی النهایة: کان أعداء عثمان یسمونه نعثلا تشبیها له برجل من مصر کان طویل اللحیة اسمه نعثل، و قیل: النعثل: الشیخ الأحمق.
و ذکر الضباع: و روی صاحب کتاب تأویل الآیات الظاهرة بإسناده عن الحکم بن حمران قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قوله عز و جل:" أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ" قال: فلان و فلان" یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ" قال: أصحاب الجمل و صفین و النهروان

ع- فَما لَهُ مِنْ نُورٍ إِمَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ قَالَ فِی قَوْلِهِ- يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ أَئِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ الْمُؤْمِنِينَ وَ بِأَيْمَانِهِمْ حَتَّى يُنْزِلُوهُمْ مَنَازِلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ
عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ الْبَجَلِیِّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنِ الْعَمْرَكِیِّ بْنِ عَلِیٍّ جَمِيعاً عَنْ عَلِیِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَخِيهِ مُوسَى ع مِثْلَهُ
6 أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ مُوسَى بْنِ عُمَرَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ قَالَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع بِأَفْوَاهِهِمْ قُلْتُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ قَالَ يَقُولُ وَ اللَّهُ مُتِمُّ الْإِمَامَةِ وَ الْإِمَامَةُ هِیَ النُّورُ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ- فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا قَالَ النُّورُ هُوَ الْإِمَامُ

"" مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ" قال: بنو أمية" إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها" قال: بنو أمية إذا أخرج يده يعنى أمير المؤمنين عليه السلام فى ظلماتهم" لَمْ يَكَدْ يَراها" أى إذا نطق بالحكمة بينهم لم يقبلها منهم أحد إلا من أقر بولايته ثم بإمامته" وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ" أى من لم يجعل الله له إماما فى الدنيا فما له فى الآخرة من نور، إمام يرشده و يتبعه إلى الجنة.

الحديث السادس

: مجهول.
" يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ" قال الطبرسی (ره): أی یریدون إذهاب نور الإیمان و الإسلام بفاسد الکلام، الجاری مجری تراکم الظلام، فمثلهم فیه کمثل من حاول إطفاء نور الشمس بفیه" وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ" أی مظهر کلمته و مؤید نبیه و معلی دینه و شریعته.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الْأَرْضِ

1 أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِيعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ مَا جَاءَ بِهِ عَلِیٌّ ع آخُذُ بِهِ وَ مَا نَهَى عَنْهُ أَنْتَهِی عَنْهُ جَرَى لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مِثْلُ مَا جَرَى لِمُحَمَّدٍ ص وَ لِمُحَمَّدٍ ص الْفَضْلُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُتَعَقِّبُ عَلَيْهِ فِی شَیْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ كَالْمُتَعَقِّبِ عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى رَسُولِهِ وَ الرَّادُّ عَلَيْهِ فِی صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ

باب أن الأئمة هم أركان الأرض

: ضعيف بسنديه على المشهور.
" ما جاء به على آخذ به" لأنه واجب الإطاعة من الله و من رسوله، و لأن ما جاء به مما جاء به رسول الله و ما نهى عنه مما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه و آله" و لمحمد صلى الله عليه و آله الفضل" إما بيان لما جرى له صلى الله عليه و آله من الفضل، فكما أن له صلى الله عليه و آله الفضل على جميع الخلق، كذا لعلى عليه السلام الفضل على الجميع، و إما بيان للفرق بين ما له صلى الله عليه و آله من الفضل و بين ما لعلى ع منه بفضله صلى الله عليه و آله على الجميع حتى على على عليه السلام، و فضل على عليه السلام على غيره صلى الله عليه و آله" و المتعقب عليه فى شىء من أحكامه" أى الطالب لعثرته و المعيب عليه فى شىء منها كالطالب لعثرة رسول الله صلى الله عليه و آله و المعيب عليه، و" على" للإضرار، و المراد المتقدم عليه فى شىء بأن يجعله عقبه و خلفه، و أراد التقدم عليه، أو يجعل حكمه عقبه و ينبذه وراء ظهره، فلا يعمل به، أو تعقبه بمعنى أنه تأخر عنه و لم يلحق به و لم يقبل أحكامه، أو المراد به شک فى شىء من أحكامه، و الأول أظهر ثم الأخير.
و كلمة" على" على بعض الوجوه بمعنى عن، و على بعضها بتضمين معنى يتعدى به، قال الفيروزآبادى: تعقبه أخذه بذنب كان منه، و عن الخبر شک فيه و عاد السؤال عنه، و استعقبه و تعقبه طلب عورته أو عثرته.
" فى صغيرة أو كبيرة" صفتان للكلمة أو الخصلة أو المسألة أو نحو ذلک" على حد

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ وَ سَبِيلَهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ وَ كَذَلِكَ يَجْرِي الْأَئِمَّةُ الْهُدَى وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا وَ حُجَّتَهُ الْبَالِغَةَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى وَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ص كَثِيراً مَا يَقُولُ أَنَا قَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ وَ أَنَا الْفَارُوقُ

الشرک بالله" أی فی حکمه إذ لا واسطة بین الإیمان و الشرک، و الکائن علیه مشرف علی الدخول فی الشرک کما تری فی کثیر منهم کالمجسمة و المصورة و الصفاتیة و أضرابهم، فإنهم أشرکوا من حیث لا یعلمون.
" أن تمید" أی کراهیة أن تمید أو من أن تمید، بتضمین الأرکان معنی الموانع، و فی القاموس ماد یمید میدا: تحرک و زاغ" انتهی".
و فیه إیماء إلی أن المراد بالرواسی فی قوله تعالی:" وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ" الأئمة علیهم السلام فی بطن القرآن، و المراد بالمید إما ذهاب نظام الأرض و اختلال أحوال أهلها کما یکون عند فقد الإمام قبل القیامة، أو حقیقته بالزلازل الحادثة فیها.
و قیل: المراد بمن فوق الأرض الأحیاء، بمن تحت الثری الأموات، لأنهم الأشهاد یوم القیامة، و قد مر منا الکلام فیهما.
قوله علیه السلام: کثیرا ما یقول، أی حینا کثیرا و ما زائدة للتأکید عند جمیع البصریین، و قیل: اسم نکرة صفة لکثیر أو بدل منه، و علی التقادیر یفهم منها التفخیم بالإبهام" أنا قسیم الله" أی القسیم المنصوب من قبل الله للتمیز بین أهل الجنة و أهل النار بسبب ولایته و ترکها، أو هو الذی یقف بین الجنة و النار فیقسمهما بین أهلهما بسبب ولایته و عداوته کما دلت علیه صحاح الأخبار، و الأخبار بذلک متواترة من طرق الخاصة و العامة. قال فی النهایة فی حدیث علی علیه السلام: أنا قسیم النار، أراد أن الناس فریقان فریق معی، فهم علی هدی، و فریق علی فهم ضلال، فنصف معی فی الجنة و نصف علی فی النار، و قسیم: فعیل بمعنی فاعل کالجلیس و السمیر" انتهی" و أنا الفاروق" أی

الْأَكْبَرُ وَ أَنَا صَاحِبُ الْعَصَا وَ الْمِيسَمِ وَ لَقَدْ أَقَرَّتْ لِی جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحُ وَ الرُّسُلُ

الذی فرق بين الحق و الباطل كما ذكره الفيروزآبادی، أو الفارق بين أهل الجنة و أهل النار" و أنا صاحب العصا و الميسم" قال فی النهاية: الميسم هی الحديدة التی يوسم بها، و أصله موسم فقلبت الواو ياءا لكسرة الميم" انتهی".

و هذا إشارة إلی أنه عليه السلام الدابة التی أخبر بها فی القرآن بقوله:" وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ" و روی عن ابن عباس و ابن جبير و غيرهما قراءة تكلمهم بالتخفيف و فتح التاء و سكون الكاف من الكلم بمعنی الجراحة.

و قال الطبرسی روح الله روحه: هی دابة تخرج بين الصفا و المروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن و الكافر بأنه كافر، و عند ذلک يرتفع التكليف و لا تقبل التوبة، و هو علم من أعلام الساعة، و روی محمد بن كعب القرظی قال: سئل علی عليه السلام عن الدابة؟ فقال:

أما و الله ما لها ذنب و إن لها اللحية، و فی هذا إشارة إلی أنها من الإنس، و عن حذيفة عن النبی صلی الله عليه و آله السلام قال: دابة الأرض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب و لا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه و تكتب بين عينيه مؤمن، و تسم الكافر بين عينيه و تكتب بين عينيه كافر، و معها عصا موسی و خاتم سليمان عليهما السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا و تحطم أنف الكافر بالخاتم، حتی يقال يا مؤمن و يا كافر" انتهی".

و روی علی بن إبراهيم فی تفسيره عن أبيه عن ابن أبی عمير عن أبی عبد الله عليه السلام قال: انتهی رسول الله صلی الله عليه و آله إلی أمير المؤمنين عليه السلام و هو نائم فی المسجد قد جمع رملا و وضع رأسه عليه فحركه برجله ثم قال له: قم يا دابة الله، فقال رجل من أصحابه:

يا رسول الله أ يسمی بعضنا بعضا بهذا الاسم؟ فقال: لا و الله ما هو إلا له خاصة، و هو الدابة التی ذكرها الله فی كتابه:" وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ" الآية، ثم قال: يا علی إذا كان آخر الزمان أخرجک الله فی أحسن صورة و معک ميسم تسم به أعداءک، فقال رجل

لأبى عبد الله عليه السلام: إن العامة يقولون إن هذه الدابة إنما تكلمهم فقال أبو عبد الله عليه السلام:
كلمهم الله فى نار جهنم إنما هو يكلمهم من الكلام.
و قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان آية فى كتاب الله قد أفسدت قلبى و شككتنى؟ قال عمار: أية آية هى؟ قال: قوله:" وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ" الآية، فأية دابة هذه؟ قال عمار: و الله ما أجلس و لا آكل و لا أشرب حتى أريكها فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو يأكل تمرا و زبدا، فقال له: يا أبا اليقظان هلم، فجلس عمار و أقبل يأكل معه، فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار قال له الرجل: سبحان الله يا أبا اليقظان حلفت أنک لا تأكل و لا تشرب و لا تجلس حتى ترينيها؟ قال عمار: قد أريتكها إن كنت تعقل.
و روى الحسن بن سليمان من كتاب البصائر لسعد بن عبد الله بإسناده عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين فى خطبة طويلة: أنا دابة الأرض، و أنا قسيم النار، و أنا خازن الجنان، و أنا صاحب الأعراف" الخبر".
و فى كتاب سليم بن قيس الهلالى عن أبى الطفيل قال: سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن الدابة؟ فقال: يا أبا الطفيل إله عن هذا فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرنى به جعلت فداک! قال: هى دابة تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق و تنكح النساء، فقلت:
يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: رب الأرض الذى يسكن الأرض قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: الذى قال الله:" وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ" و الذى" عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ" و الذى" صَدَّقَ بِهِ" قلت: يا أمير المؤمنين فسمه لى، قال: قد سميته لک يا أبا الطفيل" الخبر". و أقول: الأخبار فى ذلک كثيرة أوردتها فى كتاب البحار.
و قيل:" أنا صاحب العصا و الميسم" أى الراعى لكل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، و مميز من يطيعه و يكون من قطيعة، بالميسم الذى يعرفون به عن المتخلف عنه و

بِمِثْلِ مَا أَقَرُّوا بِهِ لِمُحَمَّدٍ ص وَ لَقَدْ حُمِلْتُ عَلَى مِثْلِ حَمُولَتِهِ وَ هِيَ حَمُولَةُ الرَّبِّ وَ إِنَ

الخارج عنهم، و لا يخفى ما فيه.
" و لقد أقرت لى" أى أذعنت لى بالولاية و الفضل كما أذعنت له صلى الله عليه و آله" و لقد حملت على مثل حمولته" على بناء المجهول، و الحمولة بالفتح ما يحمل عليه من الدواب أى حملنى الله على ما حمل عليه نبيه من التبليغ و الهداية و الخلافة، أو يكون خبرا عن المستقبل، أتى بالماضى لتحقق وقوعه، أى يحملنى الله فى القيامة على مثل مراكبه من نوق الجنة و خيولها، فتناسب الفقرة التالية لها، و شهد كثير من الأخبار بها أو فى الرجعة، كما رواه الراوندى فى الخرائج بإسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال الحسين بن على عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لى:
يا بنى إنک لتساق إلى العراق و هى أرض قد التقى فيها النبيون و أوصياء النبيين، و على أرض تدعى غمورا و إنک لتشهد بها و يستشهد معک جماعة من أصحابک، لا- يجدون ألم مس الحديد، و تلا" يا نارُ كُونِى بَرْداً وَ سَلاماً" يكون الحرب عليک و عليهم بردا و سلاما، فأبشروا فو الله لئن قتلونا فإنا نرد إلى نبينا صلى الله عليه و آله، ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة توافق ذلک خرجة أمير المؤمنين و قيام قائمنا و حياة رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم لينزلن على وفد من السماء من عند الله لم ينزلوا إلى الأرض قط، و لينزلن على جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و جنود من الملائكة، و لينزلن محمد و على و أنا و أخى و جميع من من الله عليه فى حمولات من حمولات الرب، خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق، ثم ليبرزن محمد صلى الله عليه و آله لواءه و ليدفعنه إلى قائمنا عليه السلام مع سيفه، ثم أنا أمكث بعد ذلک ما شاء الله" الخبر".
و يمكن أن يقرأ على بناء المعلوم، أى حملت أحمالى على مثل ما حمل صلى الله عليه و آله أحماله عليه فى ولاية الأمر الجارى على وفق أحكام الله و حكمه، أو حملت اتباعى و شيعتى على ما حمل صلى الله عليه و آله أصحابه عليه من أحكام القرآن، و يمكن أن يقرأ على

ص: 371
رَسُولَ اللَّهِ ص يُدْعَى فَيُكْسَى وَ أُدْعَى فَأُكْسَى وَ يُسْتَنْطَقُ وَ أُسْتَنْطَقُ فَأَنْطِقُ عَلَى حَدِّ مَنْطِقِهِ وَ لَقَدْ أُعْطِيتُ خِصَالًا مَا سَبَقَنِی إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلِی عُلِّمْتُ الْمَنَايَا وَ الْبَلَايَا وَ الْأَنْسَابَ وَ فَصْلَ الْخِطَابِ فَلَمْ يَفُتْنِی مَا سَبَقَنِی وَ لَمْ يَعْزُبْ عَنِّی مَا غَابَ عَنِّی أُبَشِّرُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ

بناء المجهول الغائب و على بالتشديد، و القائم مقام الفاعل مثل حمولته، و التأنيث باعتبار المضاف إليه، فالحمولة بمعنى الحمل لا المحمول عليه، أى حمل الله على من أعباء الإمامة و أسرار الخلافة مثل ما حمل عليه صلى الله عليه و آله، قال الفيروزآبادى: الحمولة ما احتمل عليه القوم من بعير و حمار و نحوه كانت عليه أثقال أو لم تكن، و الأحمال بعينها، و الحمول بالضم: الهوادج أو الإبل عليها الهودج و الواحد حمل بالكسر و يفتح" انتهى".
و قوله: و هى حمولة الرب، على كل من المعانى ظاهر.
" يدعى" بصيغة المجهول أى فى القيامة" و ادعى و أكسى" أى مثل دعائه و كسائه" و يستنطق" بصيغة المجهول أى للشهادة أو للشفاعة أو للاحتجاج على الأمة أو الأعم" على حد منطقه" أى على نهجه و طريقته فى الصواب و النفاذ، و المنطق بكسر الطاء مصدر ميمى" خصالا" أى فضائل" ما سبقنى إليها أحد" أى من الأوصياء أو من الرسل أيضا، فالمراد بقوله" قبلى" قبل ما أدركته من الأعصار" علمت المنايا" أى آجال الناس" و البلايا" أى ما يمتحن الله به العباد من الشرور و الآفات أو الأعم منها و من الخيرات" و الأنساب" أى أعلم والد كل شخص فأميز بين أولاد الحلال و الحرام" و فصل الخطاب" أى الخطاب الفاصل بين الحق و الباطل أو الخطاب المفصول الواضح الدلالة على المقصود، أو ما كان من خصائصه صلوات الله عليه من الحكم المخصوص فى كل واقعة، و الجوابات المسكتة للخصوم فى كل مسألة، و قيل: هو القرآن، و فيه بيان الحوادث من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة.
" فلم يفتنى ما سبقنى" أى علم ما سبق من الحوادث أو العلوم النازلة على الأنبياء أو الأعم" و لم يعزب" كينصر و يضرب أى لم يغب عنى علم ما غاب عن مجلسى

أُؤَدِّی عَنْهُ کُلُّ ذَلِکَ مِنَ اللَّهِ مَکَّنَنِی فِیهِ بِعِلْمِهِ
الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِیُّ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ الْعَمِّیِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع یَقُولُ ثُمَّ ذَکَرَ الْحَدِیثَ الْأَوَّلَ
2 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِیَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِیدِ شَبَابِ الصَّیْرَفِیِّ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِیدٌ الْأَعْرَجُ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَ سُلَیْمَانُ بْنُ خَالِدٍ عَلَی أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فَابْتَدَأَنَا فَقَالَ یَا سُلَیْمَانُ مَا جَاءَ عَنْ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ ع یُؤْخَذُ بِهِ وَ مَا نَهَی عَنْهُ یُنْتَهَی عَنْهُ جَرَی لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَی لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص الْفَضْلُ عَلَی جَمِیعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ الْمُعَیِّبُ عَلَی أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ ع فِی شَیْءٍ مِنْ أَحْکَامِهِ کَالْمُعَیِّبِ عَلَی اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَلَی رَسُولِهِ ص وَ الرَّادُّ عَلَیْهِ فِی صَغِیرَةٍ أَوْ کَبِیرَةٍ عَلَی حَدِّ الشِّرْکِ بِاللَّهِ کَانَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ ص بَابَ اللَّهِ الَّذِی لَا یُؤْتَی إِلَّا مِنْهُ وَ سَبِیلَهُ الَّذِی مَنْ سَلَکَ بِغَیْرِهِ هَلَکَ وَ بِذَلِکَ جَرَتِ الْأَئِمَّةُ ع وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَرْکَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ وَ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ عَلَی مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَ مَنْ تَحْتَ الثَّرَی وَ قَالَ قَالَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ ع أَنَا قَسِیمُ اللَّهِ بَیْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ وَ أَنَا الْفَارُوقُ الْأَکْبَرُ وَ أَنَا صَاحِبُ الْعَصَا وَ الْمِیسَمِ وَ لَقَدْ أَقَرَّتْ لِی جَمِیعُ الْمَلَائِکَةِ وَ الرُّوحُ بِمِثْلِ مَا أَقَرَّتْ لِمُحَمَّدٍ ص وَ لَقَدْ حُمِلْتُ عَلَی مِثْلِ حَمُولَةِ مُحَمَّدٍ ص وَ هِیَ حَمُولَةُ الرَّبِّ وَ إِنَّ مُحَمَّداً ص یُدْعَی فَیُکْسَی وَ یُسْتَنْطَقُ وَ أُدْعَی فَأُکْسَی وَ أُسْتَنْطَقُ فَأَنْطِقُ عَلَی حَدِّ مَنْطِقِهِ وَ لَقَدْ أُعْطِیتُ خِصَالًا لَمْ یُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِی عُلِّمْتُ عِلْمَ الْمَنَایَا وَ الْبَلَایَا وَ الْأَنْسَابَ وَ فَصْلَ الْخِطَابِ فَلَمْ یَفُتْنِی مَا سَبَقَنِی وَ لَمْ یَعْزُبْ عَنِّی مَا غَابَ عَنِّی أُبَشِّرُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُؤَدِّی عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ کُلُّ ذَلِکَ مَکَّنَنِیَ اللَّهُ فِیهِ بِإِذْنِهِ

فی هذا العصر و فی الأعصار الآتیة" أبشر بإذن الله" أی عند الموت أولیاءه أو الأعم" و أؤدی عنه" کل ما أقول لا عن رأی و هوی" کل ذلک من الله" أی من فضله علی" بعلمه" أی بسبب ما یعلم من المصلحة فی تمکینی و بالعلم الذی أعطانیه.

الحديث الثانى

: ضعيف.
و فى أكثر النسخ فيه" المعيب على أمير المؤمنين" على بناء التفعيل، من عيبه إذا نسبه إلى العيب" بإذنه" أى بتوفيقه و تيسير أسبابه.

3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَمِيعاً عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ قَالَ حَدَّثَنِی أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرِّيَاحِیُّ عَنْ أَبِی الصَّامِتِ الْحُلْوَانِیِّ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ فَضْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مَا جَاءَ بِهِ آخُذُ بِهِ وَ مَا نَهَى عَنْهُ أَنْتَهِی عَنْهُ جَرَى لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ الْفَضْلُ لِمُحَمَّدٍ ص الْمُتَقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْمُتَقَدِّمِ بَيْنَ يَدَیِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِ كَالْمُتَفَضِّلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ الرَّادُّ عَلَيْهِ فِی صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشِّرْكِ بِاللَّهِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص بَابُ اللَّهِ الَّذِی لَا يُؤْتَی إِلَّا مِنْهُ وَ سَبِيلُهُ الَّذِی مَنْ سَلَكَهُ وَصَلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ كَذَلِكَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع مِنْ بَعْدِهِ وَ جَرَى لِلْأَئِمَّةِ ع وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا وَ عُمُدَ الْإِسْلَامِ وَ رَابِطَةً عَلَى سَبِيلِ هُدَاهُ لَا يَهْتَدِی هَادٍ إِلَّا بِهُدَاهُمْ وَ لَا

الحديث الثالث

: ضعيف أيضا.
" فضل أمير المؤمنين" على المصدر مبتدأ و الموصول خبره، أى مزيته و فضله عليه السلام مشاركته لرسول الله صلى الله عليه و آله فى وجوب الأخذ بما جاء به، و الانتهاء عما نهى عنه و وجوب طاعته بعد رسول الله، أو يقرأ" فضل" على بناء التفعيل المجهول أى على جميع الخلق أو الأمة فقوله:" ما جاء" بيان له" و الفضل لمحمد" أى الفضل عليه لمحمد دون غيره، أو الفضل على العموم على جميع الأنبياء و الأوصياء و الأئمة مخصوص به صلى الله عليه و آله، أو ذلک الفضل بعينه هو فضل محمد لأنهما نفس واحدة" المتقدم" عليه لعله إشارة إلى قوله سبحانه:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ" و إن كان فى الآية على القراءة المشهورة على التفعيل و هنا على التفعل، كما قرأ به يعقوب، فيؤيد الخبر تلک القراءة، و على المشهورة أى لا تقدموا أمرا و لا تقطعوه قبل أن يحكم الله و رسوله به، و المراد هنا إما هذا أو من يرى لنفسه الفضل عليه، و يريد أن يكون متبوعا له فهو كمن يرى الفضل لنفسه على رسول الله صلى الله عليه و آله، و يريد أن يكون متبوعا له" و المتفضل" التفعل هنا للتكلف، أى المفضل نفسه بدون استحقاق.
" و عمد الإسلام" العمد بفتحتين و ضمتين جمع العمود و هو الأسطوانة أى لا-

يَضِلُّ خَارِجٌ مِنَ الْهُدَى إِلَّا بِتَقْصِيرٍ عَنْ حَقِّهِمْ أُمَنَاءُ اللَّهِ عَلَى مَا أَهْبَطَ مِنْ عِلْمٍ أَوْ عُذُرٍ أَوْ نُذُرٍ- وَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ يَجْرِي لِآخِرِهِمْ مِنَ اللَّهِ مِثْلُ الَّذِي جَرَى لِأَوَّلِهِمْ وَ لَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنَا قَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ لَا يَدْخُلُهَا دَاخِلٌ إِلَّا عَلَى حَدِّ قَسْمِي وَ أَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ وَ أَنَا الْإِمَامُ لِمَنْ بَعْدِي وَ الْمُؤَدِّي عَمَّنْ كَانَ قَبْلِي لَا يَتَقَدَّمُنِي أَحَدٌ إِلَّا أَحْمَدُ ص وَ إِنِّي وَ إِيَّاهُ لَعَلَى سَبِيلٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ

يقوم الإسلام إلا بإمامتهم" و رابطة" بالضمير الراجع إلى الإسلام، و الوحدة لكونهم كنفس واحدة، أو لأن فى كل زمان واحد منهم، أى هم يشدون الإسلام على سبيل هدايته، أو بالتاء صفة للجماعة أى الجماعة الذين يشدون الناس على سبيل هداية الله لئلا يتعدوه، أو المرابطين فى ثغر الإسلام لئلا يهجم الكفار و أهل البدع على المؤمنين فيضلوهم" أو عذر أو نذر" أى محو إساءة أو تخويف، و هما مصدران لعذر إذا محى الإساءة و أنذر إذا خوف، أو جمعان لعذير بمعنى المعذرة، و نذير بمعنى الإنذار" و لا يصل أحد إلى ذلک" أى إلى مرتبة فضلهم أو إلى معرفة تلک المرتبة" إلا بعون الله" أى بتوفيقه" لا يدخلها" أى النار أو كل من الجنة و النار و فى بعض النسخ لا يدخلهما و هو أظهر.

" على حد قسمى" الحد: الفصل بين الشيئين يميز بينهما، و القسم بالفتح: التقسيم، و فى بعض النسخ على أحد قسمى بصيغة التثنية مضافة إلى ياء المتكلم و لعله أصوب" عمن كان قبلى" أى النبى صلى الله عليه و آله" و إنى و إياه لعلى سبيل واحد" أى متساويان فى جميع وجوه الفضل" إلا أنه هو المدعو باسمه" أى النبى و الرسول، فإني لست بنبى و لا رسول، و إنما فضله على ذلک، أو أنه تعالى سماه فى القرآن و ناداه باسمه و لم يسمنى، أو المقصود بيان غاية الاتحاد بينهما على سياق قوله تعالى:" وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ" أى ليس بينى و بينه فرق إلا أنه مدعو باسمه و أنا مدعو باسمى، فلا

الْمَدْعُوُّ بِاسْمِهِ وَ لَقَدْ أُعْطِيتُ السِّتَّ عِلْمَ الْمَنَايَا وَ الْبَلَايَا وَ الْوَصَايَا وَ فَصْلَ الْخِطَابِ وَ إِنِّی لَصَاحِبُ الْكَرَّاتِ وَ دَوْلَةِ الدُّوَلِ

فرق فی المسمی بل فی الاسم، و هذا وجه حسن.
" و الوصایا" أی أعلم ما أوصی به الأنبیاء أوصیاءهم و أممهم من الشرائع و غیرها.
" و إنی لصاحب الکرات و دولة الدول" هذه الخامسة و یحتمل وجوها:
الأول: أن یکون المعنی أنی صاحب الحملات فی الحروب فإنه علیه السلام کان کرارا غیر فرار، و صاحب الغلبة فیها، فإنه کان الغلبة فی الحروب بسببه، أو إنی صاحب الغلبة علی أهل الغلبة فی الحروب، قال الفیروزآبادی: الکرة المرة و الحملة، و قال: الدولة انقلاب الزمان و العقبة فی المال، و یضم أو الضم فیه و الفتح فی الحرب، أو هما سواء، أو الضم فی الآخرة و الفتح فی الدنیا، و الجمع دول مثلثة، و أدالنا الله من عدونا، من الدولة و الإدالة الغلبة، و دالت الأیام: دارت، و الله یداولها بین الناس.
الثانی: أن المراد إنی صاحب علم کل کرة و دولة، أی أعلم أحوال أصحاب القرون الماضیة و الباقیة إلی یوم القیامة من أهل الدین و الدنیا.
الثالث: أن المعنی إنی أرجع إلی الدنیا مرات شتی لأمور وکلنی الله بها، و کانت غلبة الأنبیاء علی أعادیهم و نجاتهم من المهالک بسبب التوسل بنوری و أنوار أهل بیتی، أو یکون دولة الدول أیضا إشارة إلی الدولات الکائنة فی الکرات و الرجعات، فأما الرجعات فقد دلت علیها کثیر من الروایات، نحو ما روی فی بصائر سعد بن عبد الله و غیره بالإسناد عن أبی حمزة الثمالی عن أبی جعفر علیه السلام فی خطبة طویلة رواه عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال فیها: و إن لی الکرة بعد الکرة و الرجعة بعد الرجعة، و أنا صاحب الرجعات و صاحب الصولات و النقمات و الدولات العجیبات، إلی آخر الخطبة، و غیرها من الأخبار التی أوردتها فی الکتاب الکبیر.

وَ إِنِّی لَصَاحِبُ الْعَصَا وَ الْمِیسَمِ وَ الدَّابَّةُ الَّتِی تُکَلِّمُ النَّاسَ

بَابٌ نَادِرٌ جَامِعٌ فِی فَضْلِ الْإِمَامِ وَ صِفَاتِهِ

1 أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِیزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ کُنَّا مَعَ الرِّضَا ع بِمَرْوَ فَاجْتَمَعْنَا فِی الْجَامِعِ یَوْمَ الْجُمُعَةِ فِی بَدْءِ مَقْدَمِنَا فَأَدَارُوا أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَ ذَکَرُوا کَثْرَةَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِیهَا فَدَخَلْتُ عَلَی سَیِّدِی ع فَأَعْلَمْتُهُ خَوْضَ النَّاسِ فِیهِ فَتَبَسَّمَ ع ثُمَّ قَالَ یَا عَبْدَ الْعَزِیزِ جَهِلَ الْقَوْمُ وَ خُدِعُوا عَنْ آرَائِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ یَقْبِضْ نَبِیَّهُ ص حَتَّی أَکْمَلَ لَهُ الدِّینَ وَ أَنْزَلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنَ

و قوله:" و إنی لصاحب العصا" إلی آخره هی السادسة" و الدابة" تفسیر لصاحب العصا و المیسم کما عرفت.

باب نادر جامع فی فضل الإمام علیه السلام و صفاته

الحديث الأول

: مرفوع، و رواه الصدوق فى كثير من كتبه بسند آخر فيه جهالة، و هو مروى فى الاحتجاج و غيبة النعمانى و غيرهما.
و البدء بفتح الباء و سكون الدال مهموزا: أول الشىء، و المقدم بفتح الدال مصدر كالقدوم، و تبسمه عليه السلام للتعجب عن ضلالتهم و غفلتهم عن أمر هو أوضح الأمور بحسب الكتاب و السنة، أو عن استبدادهم بالرأى فيما لا مدخل للعقل فيه، و قال الجوهرى: خاض القوم فى الحديث أى تفاوضوا فيه.
" و خدعوا" على المجهول" عن آرائهم" كلمة" عن" إما تعليلية أى بسبب آرائهم، أو ضمن فيه معنى الإغفال، فالمراد بالآراء ما ينبغى أن يكونوا عليها من اعتقاد الإمامة، و فى بعض نسخ الكتاب و أكثر نسخ سائر الكتاب" عن أديانهم" و هو أظهر.
" إن الله لم يقبض": بين عليه السلام أن الإمام لا بد أن يكون منصوصا عليه، و ليس

فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَىْءٍ بَيَّنَ فِيهِ الْحَلَالَ وَ الْحَرَامَ وَ الْحُدُودَ وَ الْأَحْكَامَ وَ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ كَمَلًا فَقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ- ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَىْءٍ

تعيينه باختيار الأمة بوجهين:
الأول: الآيات الدالة على أن الله تعالى أكمل الدين للأمة و بين لهم شرائعه و أحكامه، و ما يحتاجون إليه، و معلوم أن تعيين الإمام من الأمور المهمة فى الدين بإجماع الفريقين، و لذا اعتذر المخالفون للاشتغال بتعيين الإمام قبل تجهيز الرسول صلى الله عليه و آله، بأن تعيينه كان أهم من ذلک.
و الثانى: أن للإمامة شرائط من العصمة و العلم بجميع الأحكام، و غير ذلک مما لا يحيط به عقول الخلق، فلا يعقل تفويضها إلى الأمة، و لا بد من أن يكون الإمام منصوصا منصوبا من قبل الله تعالى، و لا خلاف بين الأمة فى أنه لم يقع النص على غير أئمتنا عليهم السلام، فلا بد من أن يكونوا منصوصين منصوبين للإمامة من الله و من رسوله.
" فيه تبيان كل شىء" إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النحل:" وَ نَزَّلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ تِبْياناً لِکُلِّ شَىْءٍ" ثم فسر ذلک بقوله:" بين فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج إليه الناس كملا" و لا ريب أن الإمامة و تعيين الإمام شىء مما يحتاج إليه الناس غاية الاحتياج، و قال الجوهرى يقال: أعطه هذا المال كملا أى كله.
" ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَىْءٍ" قال البيضاوى:" من" مزيدة و شىء فى موضع المصدر لا المفعول به، فإن فرط لا يعدى بنفسه، و قد عدى بفى إلى الكتاب" انتهى" و وجه الاستدلال ما مر، و هو مبنى على كون المراد بالكتاب القرآن كما ذهب إليه أكثر المفسرين، و قيل: المراد به اللوح، و يحتمل الاستدلال بالآيتين وجها آخر، و هو أنه تعالى أخبر بيان كل شىء فى القرآن، و لا خلاف فى أن غير الإمام لا يعرف

وَ أَنْزَلَ فِی حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَ هِیَ آخِرُ عُمُرِهِ ص الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً

کل شیء من القرآن فلا بد من وجود الإمام المنصوص، و الأول أظهر.
" و أنزل فی حجة الوداع" قال بعض العامة ناقلا عن عمر: أن هذه الآیة نزلت یوم عرفة فی حجة الوداع فی عرفات، و قال مجاهد: نزلت یوم فتح مکة و ذهبت الإمامیة إلی أنها نزلت فی غدیر خم یوم الثامن عشر من ذی الحجة فی حجة الوداع، بعد ما نصب علیا علیه السلام للخلافة بأمر الله تعالی، و قد دلت علی ذلک الروایات المستفیضة من طرقنا و طرق العامة، فقد روی السید ابن طاوس قدس سره فی کتاب الطرائف نقلا من مناقب ابن المغازلی الشافعی، و تاریخ بغداد للخطیب عن أبی هریرة قال:
من صام یوم ثمانیة عشر من ذی الحجة کتب الله له صیام ستین شهرا، و هو یوم غدیر خم لما أخذ رسول الله صلی الله علیه و آله بید علی بن أبی طالب علیه السلام و قال: أ لست أولی بالمؤمنین؟
قالوا: نعم یا رسول الله، قال: من کنت مولاه فعلی مولاه، فقال له عمر: بخ بخ یا بن أبی طالب، أصبحت مولای و مولی کل مسلم، فأنزل الله عز و جل:" الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ" و رواه الصدوق (ره) فی مجالسه أیضا.
و روی السید أیضا فی کتاب کشف الیقین نقلا من کتاب محمد بن أبی الثلج من علماء المخالفین بإسناده عن أبی عبد الله الصادق علیه السلام قال: أنزل الله عز و جل علی نبیه صلی الله علیه و آله بکراع الغمیم" یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ فی علی علیه السلام وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ" فذکر قیام رسول الله بالولایة بغدیر خم، قال: و نزل جبرئیل علیه السلام بقول الله عز و جل:" الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً" بعلی أمیر المؤمنین فی هذا الیوم، أکمل لکم معاشر المهاجرین و الأنصار دینکم و أتم علیکم نعمته و رضی لکم الإسلام دینا، فاسمعوا له و أطیعوا تفوزوا و تغنموا.

وَ أَمْرُ الْإِمَامَةِ مِنْ تَمَامِ الدِّينِ وَ لَمْ يَمْضِ ص حَتَّى بَيَّنَ لِأُمَّتِهِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ وَ أَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ وَ تَرَكَهُمْ عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَ أَقَامَ لَهُمْ عَلِيّاً ع عَلَماً وَ إِمَاماً وَ مَا تَرَكَ لَهُمْ شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بَيَّنَهُ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَمْ يُكْمِلْ دِينَهُ فَقَدْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ وَ مَنْ رَدَّ كِتَابَ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِهِ هَلْ يَعْرِفُونَ قَدْرَ الْإِمَامَةِ وَ مَحَلَّهَا مِنَ الْأُمَّةِ فَيَجُوزَ فِيهَا اخْتِيَارُهُمْ إِنَّ الْإِمَامَةَ

و روى السيوطى فى تفسيره الدر المنثور عن ابن مردويه و ابن عساكر بإسنادهما عن أبى سعيد الخدرى قال: لما نصب رسول الله صلى الله عليه آله عليا يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية:" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ".
و روى أيضا عن ابن مردويه و الخطيب و ابن عساكر بأسانيدهم عن أبى هريرة قال: لما كان يوم غدير خم و هو الثامن عشر من ذى الحجة قال النبى صلى الله عليه و آله: من كنت مولاه فعلى مولاه، فأنزل الله:" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" و الأخبار فى ذلک كثيرة أوردتها فى كتاب بحار الأنوار.
" و أمر الإمامة" أى ما يتعلق بها من تعيين الإمام فى كل زمان" من تمام الدين" أى من أجزائه التى لا يتم إلا بها، فإكمال الدين بدون بيانه غير متصور" و لم يمض صلى الله عليه و آله" أى كما لم يفرط الله تعالى فى البيان لم يفرط الرسول صلى الله عليه و آله فى التبليغ، و" المعالم" جمع معلم بالفتح أى ما يعلم به الدين، كنصب الإمام و بيان الأحكام، و القصد: الوسط بين الطرفين و إضافته إلى السبيل و إضافة السبيل إلى الحق بيانيتان، و تحتملان اللامية.
" علما" أى علامة لطريق الحق" إلا بينه" لعلى عليه السلام و للناس بالنص عليه و الأمر بالرجوع إليه" فهو كافر" يدل على كفر المخالفين" هل يعرفون" الاستفهام للإنكار، و هذا إشارة إلى الوجه الثانى من الوجهين المذكورين، و الحاصل أن نصب الإمام موقوف على العلم بصفاته و شرائط الإمامة، و هم جاهلون بها، فكيف يتيسر لهم نصبه، و من شرائطها العصمة و لا يطلع عليها إلا الله تعالى كما استدل

أَجَلُّ قَدْراً وَ أَعْظَمُ شَأْناً وَ أَعْلَى مَكَاناً وَ أَمْنَعُ جَانِباً وَ أَبْعَدُ غَوْراً مِنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ أَوْ يَنَالُوهَا بِآرَائِهِمْ أَوْ يُقِيمُوا إِمَاماً بِاخْتِيَارِهِمْ إِنَّ الْإِمَامَةَ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ ع بَعْدَ النُّبُوَّةِ وَ الْخُلَّةِ مَرْتَبَةً ثَالِثَةً وَ فَضِيلَةً شَرَّفَهُ بِهَا وَ أَشَادَ بِهَا ذِكْرَهُ فَقَالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً فَقَالَ الْخَلِيلُ ع سُرُوراً بِهَا- وَ مِنْ ذُرِّيَّتِی قَالَ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى- لَا يَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِينَ فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِمَامَةَ كُلِّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ صَارَتْ فِی الصَّفْوَةِ ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا فِی ذُرِّيَّتِهِ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَ الطَّهَارَةِ فَقَالَ وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ نافِلَةً وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ. وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاةِ وَ

عليه فى الشافى ببراهين شافية، لا يناسب الكتاب إيرادها.

" و أمنع جانبا" أى جانبه و طريقه الموصل إليه أبعد من أن يصل إليه يد أحد" خص الله بها إبراهيم" أى بالنسبة إلى الأنبياء السابقين" سرورا بها" مفعول له لقال، و الإشادة: رفع الصوت بالشىء يقال: أشاده و أشاد به إذا أشاعه و رفع ذكره" فصارت فى الصفوة" مثلثة أى أهل الطهارة و العصمة من صفا الجو إذا لم يكن فيه غيم، أو أهل الاصطفاء و الاختيار الذين اختارهم الله من بين عباده لذلک لعصمتهم و فضلهم و شرفهم" نافِلَةً" النفل و النافلة: عطية التطوع من حيث لا تجب، و منه نافلة الصلاة، و النافلة أيضا: ولد الولد و الزيادة، و هى على المعنى الأول حال عن كل واحد من إسحاق و يعقوب، و على الأخيرين حال عن يعقوب، أما على الثانى فظاهر، و أما على الأول فلان يعقوب زيادة على من سأله إبراهيم عليه السلام و هو إسحاق.

" وَ كُلًّا جَعَلْنا صالِحِينَ" موصوفين بالصلاح ظاهرا و باطنا قابلين للخلافة و الإمامة" وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً" للخلائق" يَهْدُونَ" الناس إلى الحق" بِأَمْرِنا" لا بتعيين الخلق" وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ" أى جميعها لكونه جمعا معرفا باللام" وَ إِقامَ الصَّلاةِ" من قبيل عطف الخاص على العام للإشعار بفضلهما، و حذفت التاء من إقام

إِيتاءَ الزَّكاةِ وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ فَلَمْ تَزَلْ فِی ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّی وَرَّثَهَا اللَّهُ تَعَالَی النَّبِیَّ ص فَقَالَ جَلَّ وَ تَعَالَی- إِنَّ أَوْلَی النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِیُّ الْمُؤْمِنِينَ فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً فَقَلَّدَهَا ص عَلِيّاً ع بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَی عَلَی رَسْمِ مَا فَرَضَ اللَّهُ فَصَارَتْ فِی ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ

للتخفيف مع قيام المضاف إليه مقامها" وَ كانُوا لَنا عابِدِينَ" عطف على" أوحينا" أو حال من ضمير إليهم بتقدير قد، و تقديم الظرف للحصر.
" قرنا فقرنا" منصوبان على الظرفية" إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ" أی أخصهم به و أقربهم منه من الولی بمعنی القرب أو أحقهم بمقامه" لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ" فی عقائده و أقواله و أعماله ظاهرا و باطنا، و لم يخالفوه أصلا، و هم أوصياؤه و الأنبياء من ولده عليهم السلام" وَ هذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا" حق الإيمان و هم أوصياؤه عليهم السلام" وَ اللَّهُ وَلِیُّ الْمُؤْمِنِينَ" ينصرهم لإيمانهم و إرشادهم عباد الله إلی صراطه المستقيم، و قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما رواه فی نهج البلاغة عنه فی بعض خطبه حيث قال: و كتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا، و هو قوله تعالی:" وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلی بِبَعْضٍ فِی كِتابِ اللَّهِ*" و قوله تعالی:" إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ" الآية، فالاستدلال بالآية مبنی علی أن المراد بالمؤمنين فيها الأئمة عليهم السلام، و يحتمل أن يكون المراد به أن تلك الإمامة انتهت إلی النبی صلی الله عليه و آله، و هو لم يستخلف غير علی عليه السلام بالاتفاق.
" فكانت" أی الإمامة" له خاصة" أی للنبی صلی الله عليه و آله فی زمانه" فقلدها" بتشديد اللام" عليا" أی جعلها لازمة فی عنقه لزوم القلادة" بأمر الله" متعلق بقلد" علی رسم ما فرض الله" الرسم السنة و الطريقة، أی علی الطريقة التی فرضها الله فی السابقين، بأن ينصب كل إمام بعده إماما لئلا يخلو زمان من حجة، و الظرف إما متعلق بالظرف الأول أو بقلد" فصارت فی ذريته" الضمير لعلی عليه السلام" بقوله" الظرف متعلق بأتاهم، أو بصارت.

بِقَوْلِهِ تَعَالَى- وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلِيٍّ ع خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ص فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ

" وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ" أقول: قبل هذه الآية قوله تعالى:" وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ" فإن المجرمين يقسمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا فى الدنيا أو فى القبور غير ساعة لاستقلالهم مدة لبثهم إضافة إلى مدة عذابهم فى الآخرة أو نسيانا" كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ" أى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق، فالمراد بالخبر أن الذين يحبونهم فى القيامة و وصفهم الله بأنهم أوتوا العلم و الإيمان هم النبى و الأئمة عليهم السلام.
و يحتمل أن يكون المراد أن مصداقه الأكمل هم عليهم السلام بأن يكون المراد بالموصول فى الآية جميع الأنبياء و الأوصياء صلوات الله عليهم، كما ذكره المفسرون، قال البيضاوى: من الملائكة و الإنس.
" لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ" أى فى علمه أو قضائه أو اللوح أو القرآن" إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ" فهذا يوم البعث الذى كنتم منكرين له، و هذا الجواب و إن لم يتضمن تحديد مدة لبثهم، لكن فيه دلالة بحسب قرينة المقام على أنها زائدة على ما قالوه كثيرا، حتى كأنها لا يحيط به التحديد، و ربما يوهم ظاهر الخبر أن المخاطب الأئمة عليهم السلام، و المراد لبثهم فى علم الكتاب، لكن لا يساعده سابقه كما عرفت، و إن كان مثل ذلك فى نظم القرآن كثيرا، و قال على بن إبراهيم هذه الآية مقدمة و مؤخرة و إنما هو" وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ" انتهى.
" إذ لا نبى بعد محمد" هذا إما تعليل لكون الخلافة فيهم و التقريب أنه لا نبى بعد محمد صلى الله عليه و آله حتى يجعل الإمامة فى غيرهم بعد جعل النبى فيهم، أو لكونهم أئمة لا أنبياء، أو لامتداد ذلك إلى يوم القيامة و التقريب ظاهر.

ص: 383
إِنَّ الْإِمَامَةَ هِیَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِیَاءِ وَ إِرْثُ الْأَوْصِیَاءِ إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَ خِلَافَةُ الرَّسُولِ ص وَ مَقَامُ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ ع وَ مِیرَاثُ الْحَسَنِ وَ الْحُسَیْنِ ع إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَامُ الدِّینِ وَ نِظَامُ الْمُسْلِمِینَ وَ صَلَاحُ الدُّنْیَا وَ عِزُّ الْمُؤْمِنِینَ إِنَّ الْإِمَامَةَ أُسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِی وَ فَرْعُهُ السَّامِی بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَ الزَّکَاةِ وَ الصِّیَامِ وَ الْحَجِّ وَ الْجِهَادِ وَ تَوْفِیرُ الْفَیْءِ وَ الصَّدَقَاتِ وَ إِمْضَاءُ الْحُدُودِ وَ الْأَحْکَامِ وَ مَنْعُ الثُّغُورِ وَ الْأَطْرَافِ الْإِمَامُ یُحِلُّ حَلَالَ اللَّهِ وَ یُحَرِّمُ حَرَامَ اللَّهِ وَ یُقِیمُ حُدُودَ اللَّهِ وَ یَذُبُّ عَنْ دِینِ

" إن الإمامة هی منزلة الأنبیاء" أی مرتبة لهم و لمن هو مثلهم أو کانت لهم فیجب أن ینتقل إلی من یشابههم، و قیل: المعنی أنها منزلة بمنزلة نبوة الأنبیاء، فکما لا تثبت النبوة لأحد باختیار الخلق کذلک لا تثبت الإمامة باختیارهم" و إرث الأوصیاء" أی میراث انتقل من الأنبیاء إلیهم، و من بعضهم إلی بعض، و الإرث أصله الواو، و هو فی الأصل مصدر، و کثیرا ما یطلق علی الشیء الموروث کما هنا" إن الإمامة خلافة الله" إلخ" خلیفة الرجل من یقوم مقامه، فلا بد أن یکون عالما بما أراد المستخلف، عاملا بجمیع أوامره مناسبا له فی الجملة" زمام الدین" الزمام: الحبل الذی یشد فی طرفه المقود و قد یسمی المقود زماما، و فی الکلام استعارة مکنیة و تخییلیة" أس الإسلام" الأس و الأساس أصل البناء" و النامی" صفة المضاف أو المضاف إلیه و الأول أظهر، و نمو الأصل یستلزم نمو الفرع، و قد یقال: هو من نمیت الحدیث أنمیه مخففا إذا أبلغته علی وجه الإصلاح و طلب الخیر و هو بعید،" و السامی" العالی المرتفع، و فرع کل شیء أعلاه.
" بالإمام تمام الصلاة" إلخ، إذ هو الآمر بجمیعها و معلم أحکامها، و الباعث لإیقاعها علی وجه الکمال، و شرط تحقق بعضها، و العلم بإمامته شرط صحة جمیعها، و الفیء: الغنیمة لأنها کانت فی الأصل للمسلمین، لأن [الله] خلقها لهم و غصبها الکفار، ففائت و رجعت إلیهم، و توفیره قسمته علی قانون الشرع و العدل، و الثغور:
الحدود الفاصلة بین بلاد المسلمین و الکفار" و الأطراف" أعم منه" یحل حلال الله"

اللَّهِ وَ يَدْعُو إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ الْإِمَامُ كَالشَّمْسِ الطَّالِعَةِ الْمُجَلِّلَةِ بِنُورِهَا لِلْعَالَمِ وَ هِيَ فِي الْأُفُقِ بِحَيْثُ لَا تَنَالُهَا الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارُ الْإِمَامُ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَ السِّرَاجُ الزَّاهِرُ وَ النُّورُ السَّاطِعُ وَ النَّجْمُ الْهَادِي فِي غَيَاهِبِ الدُّجَى وَ أَجْوَازِ الْبُلْدَانِ وَ الْقِفَارِ وَ لُجَجِ الْبِحَارِ الْإِمَامُ الْمَاءُ الْعَذْبُ عَلَى الظَّمَإِ

أى يبين حليته و كذا التحريم، و الذب: المنع و الدفع، و حذف المفعول للتعميم" و يدعو إلى سبيل ربه" إشارة إلى قوله تعالى:" ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ففسر عليه السلام المجادلة بالتى هى أحسن بالبراهين القاطعة، كما فسر الحسن بن على العسكرى عليه السلام الجدال بالتى هى أحسن بالبرهان القاطع و بغير التى هى أحسن بالجدل و إلزام الخصم بالباطل، فالمراد بالحكمة و الموعظة الحسنة الأمثال و المواعظ و الخطابات النافعة كما ذكره الله تعالى عند بيان حكمة لقمان عليه السلام أمثال ذلک، و فسر الأكثر الحكمة بالبرهان و الموعظة بالخطابيات و المجادلة بالجدليات.
و قال الجوهرى: جلل الشىء تجليلا أى عم، و المجلل: السحاب الذى يجلل الأرض بالمطر، أى يعم و هى فى الأفق هو ما ظهر من نواحى السماء، شبه الإمام فى عموم نفعه و اهتداء عامة الخلق به، و عدم وصول أيدى العقول و الأفهام إلى كنه قدره و منزلته بالشمس المجللة بنورها العالم، و هى فى الارتفاع بحيث لا تنالها الأيدى، و تكل الأبصار عن رؤيتها، فالظاهر أنه استعارة تمثيلية، و الزاهر المضىء و يقال:
سطع الغبار و الرائحة و الصبح يسطع سطوعا إذا ارتفع،" و الغيهب": الظلمة و شدة السواد،" و الدجى" بضم الدال: الظلمة و الإضافة بيانية للمبالغة، و استعبر لظلمات الفتن و الشكوک و الشبه" و الأجواز" جمع الجوز و هو من كل شىء: وسطه،" و القفار" جمع القفر و هى مفازة لا نبات فيها و لا ماء، و المراد هنا الخالية عن الهداية، أو المراد بأجوازها ما بينها، و فى الاحتجاج: البيد القفار، و هو أظهر، و فى بعض نسخ

وَ الدَّالُّ عَلَى الْهُدَى وَ الْمُنْجِى مِنَ الرَّدَى الْإِمَامُ النَّارُ عَلَى الْيَفَاعِ الْحَارُّ لِمَنِ اصْطَلَى بِهِ وَ الدَّلِيلُ فِى الْمَهَالِكِ مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكٌ الْإِمَامُ السَّحَابُ الْمَاطِرُ وَ الْغَيْثُ الْهَاطِلُ وَ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَ السَّمَاءُ الظَّلِيلَةُ وَ الْأَرْضُ الْبَسِيطَةُ وَ الْعَيْنُ الْغَزِيرَةُ وَ الْغَدِيرُ وَ الرَّوْضَةُ الْإِمَامُ الْأَنِيسُ الرَّفِيقُ وَ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ وَ الْأَخُ الشَّقِيقُ وَ الْأُمُّ الْبَرَّةُ بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ وَ مَفْزَعُ الْعِبَادِ فِى الدَّاهِيَةِ النَّآدِ

الكتاب" و القفار" و هو أيضا حسن، و لجة الماء بالضم: معظمه" و الظمأ" بالتحريک شدة العطش، و ربما يقرأ بالكسر و المد جمع ظامئ و هو بعيد، و الردى: الهلاک" و اليفاع" ما ارتفع من الأرض،" و الاصطلاء" افتعال من الصلى بالنار و هو التسخن بها" و الهطل" بالفتح و التحريک: تتابع المطر و سيلانه.

و السماء تذكر و تؤنث، و هى كل ما علاک فأظلک، و منه قيل: لسقف البيت: سماء، و وصفها بالظليلة للإشعار بوجه التشبيه، و كذا البسيطة، أو المراد بها المستوية، فإن الانتفاع بها أكثر،" و الغزيرة" الكثيرة، يقال غزرت الناقة أى كثر لبنها، شبهه عليه السلام فى وفور علمه الذى هو حياة للأرواح بالعين فى نبوع الماء الذى هو حياة للأبدان منها،" و الروضة" الأرض الخضرة بحسن النبات" و الرفيق" مأخوذ من الرفق و هو ضد العنف و الخرق، و" الشفيق" من الشفقة، و وصف الأخ بالشفيق لبيان أن المشبه به الأخ النسبى قال الجوهرى: هذا شفيق هذا إذا انشق الشىء بنصفين، فكل واحدة منها شفيق الآخر، و منه قيل: فلان شفيق فلان، أى أخوه.

" فى الداهية النئاد" هو بفتح النون و الهمزة و الألف و الدال المهملة، مصدر:

ناده الداهية كمنعه إذا فدحته و بلغت منه كل مبلغ، فوصفت الداهية به للمبالغة، قال الفيروزآبادى: نادت الداهية فلانا: دهمته، و النادّ: كسحاب و النادى: كحبالى

الْإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ فِی خَلْقِهِ وَ حُجَّتُهُ عَلَی عِبَادِهِ وَ خَلِیفَتُهُ فِی بِلَادِهِ وَ الدَّاعِی إِلَی اللَّهِ وَ الذَّابُّ عَنْ حُرَمِ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ وَ الْمُبَرَّأُ عَنِ الْعُیُوبِ الْمَخْصُوصُ بِالْعِلْمِ الْمَوْسُومُ بِالْحِلْمِ نِظَامُ الدِّینِ وَ عِزُّ الْمُسْلِمِینَ وَ غَیْظُ الْمُنَافِقِینَ وَ بَوَارُ الْکَافِرِینَ- الْإِمَامُ وَاحِدُ دَهْرِهِ لَا یُدَانِیهِ أَحَدٌ وَ لَا یُعَادِلُهُ عَالِمٌ وَ لَا یُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ وَ لَا لَهُ مِثْلٌ وَ لَا نَظِیرٌ مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ کُلِّهِ مِنْ غَیْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لَهُ وَ لَا اکْتِسَابٍ بَلِ اخْتِصَاصٌ مِنَ الْمُفْضِلِ الْوَهَّابِ فَمَنْ ذَا الَّذِی یَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ أَوْ یُمْکِنُهُ اخْتِیَارُهُ هَیْهَاتَ هَیْهَاتَ ضَلَّتِ الْعُقُولُ وَ تَاهَتِ الْحُلُومُ وَ حَارَتِ الْأَلْبَابُ وَ خَسَأَتِ الْعُیُونُ وَ تَصَاغَرَتِ الْعُظَمَاءُ وَ تَحَیَّرَتِ الْحُکَمَاءُ وَ تَقَاصَرَتِ الْحُلَمَاءُ وَ حَصِرَتِ الْخُطَبَاءُ وَ جَهِلَتِ الْأَلِبَّاءُ وَ کَلَّتِ

الداهیة، و قال الجوهری: الناد و النادی: الداهیة، قال الکمیت:
و إیاکم و داهیة نادی أظلتکم بعارضها المخیل
" انتهی"" أمین الله" أی علی دینه و علمه و غیرهما" و الذاب عن حرم الله" الحرم بضم الحاء و فتح الراء جمع الحرمة و هی ما لا یحل انتهاکه و تجب رعایته، أی یدفع الضرر و الفساد عن حرمات الله، و هی ما عظمها و أمر بتعظیمها، من بیته و کتابه و خلفائه و فرائضه و نواهیه و أو أمره، و" البوار" الهلاک، و الحمل علی المبالغة کالفقر السابقة.
" و لا یوجد منه بدل" أی فی زمانه" هیهات" أی بعد البلوغ إلی معرفة الإمام" هیهات" أی بعد إمکان اختیاره غایة البعد،" و الحلوم" کالألباب: العقول، و" ضلت" و" تاهت" و" حارت" متقاربة المعانی، و خسأ بصره کمنع خسأ و خسوءا أی کل، و منه قوله تعالی:" یَنْقَلِبْ إِلَیْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً".
و یقال: تصاغرت إلیه نفسه أی صغرت، و التقاصر مبالغة فی القصر أو هو إظهاره کالتطاول، و" حصر" کعلم: عی فی المنطق، و" الأدباء" جمع أدیب و هو المتأدب

الشُّعَرَاءُ وَ عَجَزَتِ الْأُدَبَاءُ وَ عَيِيَتِ الْبُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ وَ أَقَرَّتْ بِالْعَجْزِ وَ التَّقْصِيرِ وَ كَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ أَوْ يُفْهَمُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَ يُغْنِي غِنَاهُ لَا كَيْفَ وَ أَنَّى وَ هُوَ بِحَيْثُ النَّجْمُ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ وَ وَصْفِ الْوَاصِفِينَ فَأَيْنَ الِاخْتِيَارُ مِنْ هَذَا وَ أَيْنَ الْعُقُولُ عَنْ هَذَا وَ أَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا أَ تَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ يُوجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ص كَذَبَتْهُمْ وَ اللَّهِ أَنْفُسُهُمْ وَ مَنَّتْهُمُ الْأَبَاطِيلَ فَارْتَقَوْا مُرْتَقًى صَعْباً دَحْضاً تَزِلُّ عَنْهُ إِلَى الْحَضِيضِ أَقْدَامُهُمْ رَامُوا

بالآداب الحسنة، و قد شاع إطلاقه على العارف بالقوانين العربية و يقال: ما يغنى عنک هذا أى ما ينفعک و يجديک، و" الغناء" بالفتح: النفع" لا" تصريح بالإنكار المفهوم من الاستفهام، حذفت الجملة لدلالة ما قبلها على المراد أى لا يوصف بكله إلى آخر الجمل.

" كيف" تكرار للاستفهام الإنكارى الأول تأكيدا" و أنى" مبالغة أخرى بالاستفهام الإنكارى عن مكان الوصف و ما بعده" و هو بحيث النجم" الواو للحال و الضمير للإمام عليه السلام و الباء بمعنى فى، و حيث ظرف مكان، و النجم مطلق الكواكب، و قد يخص بالثريا، و هو مرفوع على الابتداء و خبره محذوف، أى مرئى، لأن حيث لا يضاف إلا إلى الجمل" من يد المتناولين" الظرف متعلق بحيث، و هو من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس.

" كذبتهم" بالتخفيف أى قالت لهم كذبا، أو بالتشديد أى إذا رجعوا إلى أنفسهم شهدت بكذب مقالهم" و منتهم الأباطيل" أى أوقعت فى أنفسهم الأمانى الباطلة، أو أضعفتهم قال الجوهرى: الأمنية واحدة الأمانى تقول منه: تمنيت الشىء و منيت تمنية، و فلان يتمنى الأحاديث أى يفتعلها و هو مقلوب من المين و هو الكذب، و قال: منه السير أضعفه و أعياه، و يقال: مكان دحض و دحض بالتحريک أى زلق، و فى القاموس رجل جائر بائر أى لم يتجه لشىء، و لا يأتمر رشدا و لا يطيع مرشدا" انتهى".

إِقَامَةَ الْإِمَامِ بِعُقُولٍ حَائِرَةٍ بَائِرَةٍ نَاقِصَةٍ وَ آرَاءٍ مُضِلَّةٍ فَلَمْ يَزْدَادُوا مِنْهُ إِلَّا بُعْداً قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ* وَ لَقَدْ رَامُوا صَعْباً وَ قَالُوا إِفْكاً وَ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً وَ وَقَعُوا فِی الْحَيْرَةِ إِذْ تَرَكُوا الْإِمَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ رَغِبُوا عَنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ وَ اخْتِيَارِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَى اخْتِيَارِهِمْ وَ الْقُرْآنُ يُنَادِيهِمْ- وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا

" فلم يزدادوا منه" أی من الإمام الحق" إلا بعدا" و فی بعض النسخ بعد ذلک:
و قال الصفوانی فی حدیثه:" قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ*" ثم اجتمعا فی الروایة.
أقول: رواة نسخ الکلینی کثیرة أشهرهم الصفوانی و النعمانی فبعض الرواة المتأخرة منهم عارضوا النسخ و أشاروا إلی الاختلاف، فالأصل بروایة النعمانی و لم یکن فیه:" قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ*" و کان فی روایة الصفوانی فأشار هنا إلی الاختلاف" قاتَلَهُمُ اللَّهُ*" دعاء علیهم بالهلاک و البعد عن رحمة الله، لأن من قاتله الله فهو هالک بعید عن رحمة الله أو تعجب عن شناعة عقائدهم و أعمالهم" أَنَّى يُؤْفَكُونَ*" قال الراغب: أی یصرفون عن الحق فی الاعتقاد إلی الباطل، و من الصدق فی المقال إلی الکذب، و من الحسن فی الفعل إلی القبیح، و الإفک الکذب، و کل مصروف عن وجهه.
" وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ" فی طلب الإمام باختیارهم" فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ" و هو الإمام و معرفته" وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ" أی عالمین بذلک السبیل، أو قادرین علی العلم فقصروا.
" وَ يَخْتارُ" أی ما یشاء" ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ" کلمة" ما" نافیة، و قیل: موصولة، مفعول لیختار، و العائد محذوف، و المعنی یختار الذین کان لهم فیه الخیرة و الخیرة بمعنی التخییر" سُبْحانَ اللَّهِ" تنزیها له أن ینازعه أحد فی الخلق و یزاحم اختیاره" وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ" أی عن إشراکهم فی الخلق و الاختیار.
قال السید فی الطرائف: روی محمد بن مؤمن الشیرازی فی تفسیر قوله تعالی:"

يُشْرِكُونَ وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ الْآيَةَ وَ قَالَ- ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا

وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ" قال: إن الله تعالى خلق آدم من طين حيث شاء، ثم قال:" وَ يَخْتارُ" إن الله تعالى اختارنى و أهل بيتى على جميع الخلق فانتجبنا، و جعلنى الرسول و جعل على بن أبى طالب عليه السلام الوصى، ثم قال:" ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ" يعنى ما جعلت للعباد أن يختاروا و لكنى اختار من أشاء، فأنا و أهل بيتى صفوة الله و خيرته من خلقه، ثم قال:" سُبْحانَ اللَّهِ (وَ تَعالى) عَمَّا يُشْرِكُونَ" يعنى تنزيه الله عما يشرک به كفار مكة، ثم قال:" وَ رَبُّکَ" يا محمد" يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ" من بغض المنافقين لک و لأهل بيتک" وَ ما يُعْلِنُونَ" من الحب لک و لأهل بيتک.
و أقول: ليس قوله:" من أمرهم" فى القرآن و لا فى العيون و معانى الأخبار و غيرهما من كتب الحديث، و لعله زيد من النساخ، و على تقديره يمكن أن يكون فى قراءتهم عليهم السلام كذلک، أو زاده عليه السلام تفسيرا.
" أَمْ لَكُمْ كِتابٌ" أى من السماء" فِيهِ تَدْرُسُونَ" أى تقرءون" إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ" أى إن لكم ما تختارونه و تشتهونه، قيل: أصله أن لكم بالفتح لأنه المدروس، فلما جئت باللام كسرت، و يجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استينافا، و تخير الشىء و اختياره: أخذ خيره.
" أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا" أى عهود مؤكدة بالإيمان" بالِغَةٌ" متناهية فى التأكيد" إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ" متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلک اليوم، أو مبالغة أى أيمان علينا تبلغ ذلک اليوم" إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ" جواب القسم لأن معنى" أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا" أم أقسمنا لكم.
" سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ" أى بذلک الحكم قائم يدعيه و يصححه م" أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ"

صادِقِينَ وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ- أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها أَمْ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ أَمْ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ

يشاركونهم فى هذا القول" فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ" فى دعواهم إذ لا أقل من التقليد، قال البيضاوى: قد نبه سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر و تزييفا لما لا سند له" أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها" المانعة من دخول الحق فيها.
قيل: تنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم، و إضافة الأقفال إليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها، لا تجانس الأقفال المعهودة.
" أم طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ*" هذا من كلامه عليه السلام اقتبسه من الآيات و ليس فى القرآن بهذا اللفظ، و" أم" منقطعة فى مقابلة قوله:" و القرآن يناديهم" أى ختم الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ما فى متابعة القرآن و موافقة الرسول من السعادة، و ما فى مخالفتهما و القول بالرأى من الشقاوة.
" أم قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ" هذا أيضا اقتباس، و فى القرآن" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ" أى سماع انقياد و إذعان فكأنهم لا يسمعون أصلا و بعد ذلک فى القرآن:" إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ" أى شر البهائم عِنْدَ اللَّهِ" الصُّمُّ" عن الحق" الْبُكْمُ" عنه" الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ" الحق فقد عد من لم يعمل بالآيات و لم يتفكر فيها شر البهائم، لإبطالهم عقولهم التى بها يتميزون عنها، و من جملة تلک الآيات ما دل على المنع من القول فى الدين بالرأى و الاختيار و بعد تلک الآيات قوله:" وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً" قال البيضاوى: سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات" لَأَسْمَعَهُمْ" سماع تفهيم" وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ" و قد علم أن لا خير فيهم" لَتَوَلَّوْا" و لم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق و القبول

مُعْرِضُونَ

" وَ هُمْ مُعْرِضُونَ" لعنادهم انتهى.
و يمكن أن يكون غرضه عليه السلام تأويل الآيات بالإمامة بأن يكون المراد بقوله:
" أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ" فى إمامة على عليه السلام ثم قال:" لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ" إمامة على عليه السلام و بطلان أئمة الضلال بأصرح مما فى القرآن" وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ" كذلک و هم على هذه الشقاوة" لَتَوَلَّوْا" صريحا و ارتدوا عن الدين ظاهرا، و لم تكن المصلحة فى ذلک، فلذا لم يسمعهم كذلک، و بالجملة لا بد أن يكون المراد بالإسماع إسماعا زائدا على ما لا بد منه فى إتمام الحجة إما بزيادة التصريح، أو بالألطاف الخاصة التى لا يستحقها المعاندون.
و أورد ههنا إشكال مشهور و هو أن أمير المؤمنين المذكورتين فى الآية بصورة قياس اقترانى ينتج: لو علم الله فيهم خيرا لتولوا و هذا محال، لأنه على تقدير أن يعلم الله فيهم خيرا لا يحصل منهم التولى بل الانقياد، و قد ظهر من كلام البيضاوى لذلک جواب. و الجواب الحق أنه ليس المقصود فى الآية ترتب قياس اقترانى حتى يلزم أن يكون منتجا مشتملا على شرائط الإنتاج، و ليس مشتملا عليها لعدم كلية الكبرى، إذ قوله تعالى:" وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا" ليس المراد أنه على أى تقدير أسمعهم لتولوا، بل على هذا التقدير الذى لا يعلم الله فيهم الخير لو أسمعهم لتولوا و لذا لم يسمعهم إسماعا موجبا لانقيادهم، و الجملة الثانية مؤكدة للأولى، أى عدم إسماعهم فى تلک الحالة، لأنه لو أسمعهم لتولوا، و يحتمل أن يكون فى قوة استثناء نقيض التالى فيكون قياسا استثنائيا.
و ينسب إلى المحقق الطوسى رحمه الله أنه أجاب عن هذا الإشكال بأن المقدمتين مهملتان و كبرى الشكل الأول يجب أن تكون كلية، و لو سلم فإنما ينتجان لو كانت الكبرى لزومية و هو ممنوع، و لو سلم فاستحالة النتيجة ممنوعة، لأن علم الله تعالى فيهم خيرا محال، إذ لا خير فيهم، و المحال جاز أن يستلزم المحال.

و قال بعض الأفاضل هذا الجواب و أصل السؤال كلاهما باطل لأن لفظ" لو" لم يستعمل فى فصيح الكلام فى القياس الاقترانى، و إنما يستعمل فى القياس الاستثنائى، المستثنى منه نقيض التالى لأنه معتبر فى مفهوم" لو" فلو صرح به كان تكرارا، و كيف يصح أن يعتقد فى كلام الحكيم تعالى و تقدس أنه قياس أهملت فيه شرائط الإنتاج، فأى فائدة تكون فى ذلک، و هل يركب القياس إلا لحصول النتيجة؟ بل الحق أن قوله تعالى:" وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ" وارد على قاعدة اللغة، و هى أن امتناع الشرط يعنى أن سبب عدم الإسماع فى الخارج عدم العلم بالخير فيهم من غير ملاحظة أن علة العلم بانتفاء الجزاء ما هى، ثم ابتدأ قوله:" وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا" كلاما آخر على طريقة قوله عليه السلام:" نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه" يعنى أن التولى لازم على تقدير الإسماع، فكيف على تقدير عدمه، فهو دائم الوجود، و هذه الطريقة غير طريقة أرباب الميزان الذين يستعملون لفظ" لو" فى القياس الاستثنائى، و غير طريقة أهل اللغة الذين يستعملونه لامتناع الجزاء لأجل امتناع الشرط، و بناء هذه الطريقة على أن لفظ" لو" يستعمل للدلالة على أن الجزاء لازم الوجود فى جميع الأزمنة مع وجود الشرط و عدمه، و ذلک إذا كان الشرط مما يستبعد استلزامه لذلک الجزاء، و يكون نقيض ذلک الشرط أنسب و أليق باستلزامه ذلک الجزاء، فيلزم استمرار وجود الجزاء على تقدير وجود الشرط و عدمه فيكون دائم الوجود فى قصد المتكلم.
و قال التفتازانى: يجوز أن تكون الشرطية الثانية أيضا مستعملة على قاعدة

أَمْ قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا بَلْ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فَكَيْفَ لَهُمْ بِاخْتِيَارِ الْإِمَامِ وَ الْإِمَامُ عَالِمٌ لَا يَجْهَلُ وَ رَاعٍ لَا يَنْكُلُ مَعْدِنُ

اللغة كما هو مقتضى أصل" لو" فتفيد أن التولى منتف بسبب انتفاء الإسماع، لأن التولى هو الإعراض عن الشىء و عدم الانقياد له، فعلى تقدير عدم إسماعهم ذلک الشىء لم يتحقق منهم التولى و الإعراض عنه، و لم يلزم من هذا تحقق الانقياد له.

فإن قيل: انتفاء التولى خير و قد ذكر أن لا خير فيهم؟

قلنا: لا نسلم أن انتفاء التولى بسبب انتفاء الإسماع خير، و إنما يكون خيرا لو كانوا من أهله بأن سمعوا شيئا ثم انقادوا له و لم يعرضوا، انتهى.

أقول: و يحتمل على ما أشرنا إليه من حمل قوله:" لَأَسْمَعَهُمْ" على الهدايات و الألطاف الخاصة، أن يحمل قوله سبحانه" وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ" على غير ذلک من أصل الاستماع الذى هو شرط التكليف، فلا يتكرر الوسط فلا يلزم الإنتاج.

و هذا قريب من أحد الوجوه التى ذكرها ابن هشام فى المغنى، حيث أجاب عن ذلک بثلاثة وجوه:" الأول": أن التقدير لأسمعهم إسماعا نافعا، و لو أسمعهم إسماعا غير نافع لتولوا فاختلف الوسط" و الثانى": ما ذكره البيضاوى" و الثالث": لو علم الله فيهم خيرا وقتا ما لتولوا بعد ذلک، و أشار البيضاوى إليه أيضا، و فى الأخيرين ما ترى، و سيأتى فى باب: أنه لا يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام، عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن و أحكامه، و علم تغيير الزمان و حدثانه، إذا أراد الله بقوم خيرا أسمعهم، و لو أسمع من لم يسمع لولى معرضا كان لم يسمع" الخبر" و فيه تأييد لما ذكرنا أولا فتفطن.

" أم قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا" أم منقطعة على نحو ما سبق، مقتبسا مما ذكره الله فى قصة بنى إسرائيل أى بل قالوا سمعنا كلام الله و رسوله فى تعيين الإمام و عصيناهما.

" بل هو فضل الله" أى الإماتة أو السماع و معرفة الإمام.

" عالم لا يجهل" أى شيئا من الأشياء التى تحتاج الأمة إليها" و راع" أى حافظ

الْقُدْسِ وَ الطَّهَارَةِ وَ النُّسُكِ وَ الزَّهَادَةِ وَ الْعِلْمِ وَ الْعِبَادَةِ مَخْصُوصٌ بِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ص وَ نَسْلِ الْمُطَهَّرَةِ الْبَتُولِ لَا مَغْمَزَ فِيهِ فِی نَسَبٍ وَ لَا يُدَانِيهِ ذُو حَسَبٍ فِی الْبَيْتِ مِنْ قُرَيْشٍ

للأمة، و فی بعض النسخ بالدال" لا ينكل" من باب ضرب و نصر و علم أی لا يضعف و لا يجبن" معدن" بفتح الدال و كسرها" القدس" بالضم و بضمتين و هو البراءة من العيوب" و الطهارة" و هی البراءة من الذنوب.

" و النسک" أی العبادة و الطاعة أو أعمال الحج، قال فی النهاية: النسيكة: الذبيحة و جمعها نسک، و النسک أيضا الطاعة و العبادة، و كل ما يتقرب به إلی الله تعالی، و النسک ما أمرت به الشريعة و الورع ما نهت عنه، و الناسک: العابد، و سئل تغلب عن الناسک؟ فقال: هو مأخوذ من النسيكة و هی سبيكة الفضة المصفاة، كأنه صفی نفسه لله تعالی، و فی القاموس: النسک مثلثة، و بضمتين: العبادة، و كل حق لله عز و جل، و نسک الثوب أو غيره غسله بالماء فطهره.

" و الزهادة" عدم الرغبة فی الدنيا" مخصوص بدعوة الرسول" أی بدعوة الخلق نيابة عنه صلی الله عليه و آله كما قال تعالی:" أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی" و قال النبی صلی الله عليه و آله: لا يبلغه إلا أنا أو رجل منی، أو بدعاء الرسول إياه قبل سائر الخلق أو للإمامة أو بدعاء الرسول له كقوله صلی الله عليه و آله: اللهم وال من والاه، و قوله: اللهم أذهب عنهم الرجس، و قوله: اللهم ارزقهم فهمی و علمی و غيرهما.

و قال البغوی: البتل: القطع، و منه سميت فاطمة البتول لانقطاعها عن النساء فضلا و دينا و حسبا و" لا مغمز فيه فی نسب" المغمز مصدر أو اسم مكان من الغمز بمعنی الطعن، و هذا من شرائط الإمام عند الإمامية.

" فی البيت من قريش" أی فی أشرف بيت من بيوت قريش، أو فی بيت عظيم هو قريش، بأن تكون كلمة" من" بيانية و علی التقديرين يدل علی أن الإمام لا بد أن يكون قرشيا.

وَ الذِّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَ الْعِتْرَةِ مِنَ الرَّسُولِ ص وَ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ شَرَفُ الْأَشْرَافِ وَ الْفَرْعُ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ نَامِی الْعِلْمِ كَامِلُ الْحِلْمِ مُضْطَلِعٌ بِالْإِمَامَةِ

و فی أخبار العامة أیضا دلالة علیه، فقد روی مسلم فی صحیحه عشرة أحادیث تدل علی ذلک، منها ما روی عن النبی صلی الله علیه و آله قال: لا یزال هذا الأمر فی قریش ما بقی من الناس اثنان.

و منها ما روی عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبی علی النبی صلی الله علیه و آله فسمعته یقول: إن هذه الأمة لا تنقضی حتی یمضی فیهم اثنا عشر خلیفة، ثم تکلم بکلام خفی علی، قال: قلت لأبی: ما قال؟ قال: کلهم من قریش.

و عن ابن سمرة أیضا بإسناد آخر أنه قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: لا- یزال الدین قائما حتی تقوم الساعة و یکون علیکم اثنا عشر خلیفة کلهم من قریش.

قال الآمدی: الشروط المختلفة فیها فی الإمامة ستة منها القرشیة و هو المشهور عندنا بل مجمع علیه.

" و الذروة من هاشم" یحتمل الوجهین السابقین، و ذروة کل شیء بالضم و الکسر:

أعلاه، قیل: المراد أن یکون من فاطمة المخزومیة أم عبد الله و أبی طالب و الزبیر، قال حسان فی ذم ابن عباس.

و إن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم و والدک العبد

و قال الجوهری: عترة الرجل أخص أقاربه، و عترة النبی بنو عبد المطلب، و قیل: أهل بیته الأقربون، و هم أولاده و علی و أولاده و قیل: عترته الأقربون و الأبعدون عنهم، انتهی.

" و الرضا من الله" أی المرضی من عنده" شرف الأشراف" أی أشرف من کل شریف نسبا و حسبا، و فرع کل شیء: أعلاه" نامی العلم" أی علمه دائما فی الزیادة لأنه محدث" کامل الحلم" أی العقل و الأناءة و التثبت فی الأمور لا یستخفه شیء من المکاره و لا یستفزه الغضب" مضطلع بالإمامة" أی قوی علیها من الضلاعة و هی

عَالِمٌ بِالسِّيَاسَةِ مَفْرُوضُ الطَّاعَةِ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ حَافِظٌ لِدِينِ اللَّهِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَئِمَّةَ ص يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ وَ يُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَ حِكَمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ غَيْرَهُمْ فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ عِلْمِ أَهْلِ الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ قَوْلِهِ فِي طَالُوتَ

القوة يقال: اضطلع بحمله أى قوى عليه و نهض به" عالم بالسياسة" أى بما يصلح الأمة من قولهم سست الرعية أى أدبتهم و أصلحتهم" قائم بأمر الله" لا بتعيين الأمة أو بإجراء أمر الله تعالى على خلقه" و حكمه" معطوف على المضاف أو المضاف إليه، تأكيدا أو تخصيصا بعد التعميم، أو المراد بالحكم الشرائع و بالعلم غيرها.
" فى قوله تعالى" متعلق بمقدر أى ذلک مذكور فى قوله تعالى، و يحتمل أن تكون كلمة" فى" تعليلية" أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ" الآية صريحة فى أن المتبوع يجب أن يكون أعلم من التابع، و أنه لا بد أن يكون الإمام غير محتاج إلى الرعية فى علمه، و لا ريب أن غير أمير المؤمنين عليه السلام من الصحابة لم يكونوا كذلک و" أَمَّنْ لا يَهِدِّي" بتشديد الدال و قرأ بفتح الهاء و كسرها، و الأصل يهتدى فأدغمت و فتحت الهاء أو كسرت لالتقاء الساكنين" وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ" يدل على فضل العلم و الحكمة، و تفضيل المفضول قبيح عقلا، و قد فسرت الحكمة فى الأخبار بمعرفة الإمام" و قوله تعالى فى طالوت" هو اسم أعجمى عبرى و قيل: أصله طولوت من الطول، و المشهور أنه لما سأل الله إشموئيل عليه السلام لقومه أن يبعث لهم ملكا أتى بعصا يقاس بها من يملک عليهم، فلم يساوها إلا طالوت فقال: هو الملک عليكم، فقال قومه:" أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَيْنا" و يستأهل الإمارة" وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ" لشرافة النسب و كثرة الأموال، لأنه كان من أولاد بنيامين و لم يكن فيهم النبوة و الملک، و كانوا من أولاد لاوى بن يعقوب و كانت النبوة فيهم، و من أولاد يهودا و كان الملک فيهم" وَ لَمْ

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِی مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ

يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ" الذى عليه مدار الملک و السلطنة، إذ كان فقيرا راعيا أو سقاء يسقى على حمار له من النيل، أو دباغا يعمل الأديم على اختلاف الأقوال فيه" فقال لهم نبيهم إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِی مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ" فدلت الآية على أن الاصطفاء و إيتاء الملک الحق إنما يكون من الله و بتعيينه، و أن مناط الاصطفاء شيئان: العلم و الجسم، و معلوم أن الجسم غير مقصود فى نفسه بل لكونه ملزوما للشجاعة و المهابة عند العدو، فدلت على أن الإمام لا بد أن يكون أعلم و أشجع من جميع الأمة، و لا ريب فى أن كلا من أئمتنا عليهم السلام كانوا أعلم و أشجع ممن كان فى زمانهم من المدعين للخلافة.

قال البيضاوى: لما استبعدوا تملكه لفقره و سقوط نسبه رد عليهم ذلک" أولا" بأن العمدة فيه اصطفاء الله و قد اختاره عليكم و هو أعلم بالمصالح منكم" و ثانيا" بأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية و جسامة البدن ليكون أعظم خطرا فى القلوب و أقوى على مقاومة العدو و مكائدة الحروب و قد زاده فيهما" و ثالثا" بأنه تعالى مالک الملک على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء" و رابعا" بأنه واسع الفضل يوسع على الفقير و يغنيه، عليم بمن يليق بالملک، انتهى.

و أقول: إذا تأملت فى كلامه ظهر لک وجوه من الحجة عليه كما مأنا إليه" أَنْزَلَ عَلَيْکَ الْكِتابَ" فى سورة النساء هكذا:" وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْکَ الْكِتابَ " فالتغيير إما من النساخ أو منه عليه السلام نقلا بالمعنى، أو لكونه فى قراءتهم عليهم السلام هكذا، و لعل الغرض من إيراد هذه الآية أن الله تعالى امتن على نبيه صلى الله عليه و آله بإنزال الكتاب و الحكمة و إيتاء نهاية العلم وعد ذلک فضلا عظيما، و أثبت ذلک الفضل لجماعة من تلک الأمة بأنهم المحسودون على ما آتاهم الله من فضله، ثم بين أنهم من آل إبراهيم عليه السلام.

و الفضل: العلم و الحكمة و الخلافة، مع أنه يظهر من الآيتين، أن الفضل

اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ وَ قالَ لِنَبِيِّهِ ص- أَنْزَلَ عَلَيْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْکَ عَظِيماً
وَ قَالَ فِی الْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ وَ عِتْرَتِهِ وَ ذُرِّيَّتِهِ ص أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْکاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ کَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً وَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِأُمُورِ عِبَادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذَلِکَ وَ أَوْدَعَ قَلْبَهُ يَنَابِيعَ الْحِکْمَةِ وَ أَلْهَمَهُ الْعِلْمَ إِلْهَاماً فَلَمْ يَعْىَ بَعْدَهُ بِجَوَابٍ وَ لَا يُحَيَّرُ فِيهِ عَنِ الصَّوَابِ- فَهُوَ مَعْصُومٌ مُؤَيَّدٌ مُوَفَّقٌ مُسَدَّدٌ قَدْ أَمِنَ مِنَ الْخَطَايَا وَ الزَّلَلِ وَ الْعِثَارِ يَخُصُّهُ اللَّهُ بِذَلِکَ لِيَکُونَ حُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ شَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ وَ ذَلِکَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

و الشرف بالعلم و الحكمة، و لا ريب فى أنهم عليهم السلام كانوا أعلم ممن ادعى الخلافة فى زمانهم.
" أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ" أم منقطعة، و على تأويله عليه السلام: الناس: الأئمة عليهم السلام" فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْکاً عَظِيماً" هو الإمامة و وجوب الطاعة، فكيف لا تؤتى آل محمد؟ أو هم داخلون فى آل إبراهيم و أشرفهم" فَمِنْهُمْ" أى من الأمة" مَنْ آمَنَ بِهِ" أى بالملک أو بالإيتاء و" الصدود" الإعراض و المنع" وَ کَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً" أى نارا مسعرة يعذبون بها إن لم يعذبوا فى الدنيا.
" شرح صدره" أى وسعه و فتحه لذلک أى لأمور عباده" فلم يعى" بفتح اليائين و سكون المهملة، أى لم يعجزه" بعده" أى بعد الاختيار أو بعد الإلهام أو بعد كل واحد من الشرح و الإيداع و الإلهام" و لا يحير" مضارع حار من الحيرة، و فى بعض النسخ: و لا تحير، مصدر باب التفعل" فيه" أى فى الجواب" مؤيد" من الأيد بمعنى القوة أى بالملائكة أو الأعم" مسدد" بروح القدس كما سيأتى.

فَهَلْ يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِ هَذَا فَيَخْتَارُونَهُ أَوْ يَكُونُ مُخْتَارُهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَيُقَدِّمُونَهُ تَعَدَّوْا وَ بَيْتِ اَللَّهِ الْحَقَّ وَ نَبَذُوا كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ وَ فِی کِتَابِ اللَّهِ الْهُدَی وَ الشِّفَاءُ فَنَبَذُوهُ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فَذَمَّهُمُ اللَّهُ وَ مَقَّتَهُمْ وَ أَتْعَسَهُمْ فَقَالَ جَلَّ وَ تَعَالَی- وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدیً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَ قَالَ فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ وَ قَالَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِکَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلی كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ وَ صَلَّی اللَّهُ عَلَی النَّبِیِّ مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً

" و بيت الله" يدل على جواز الحلف بحرمات الله، فما ورد من المنع عن الحلف بغير الله إما مخصوص بغير هذه أو بالدعاوى" كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ" الحق و الكتاب أو ليسوا من ذوى العلم بل هم من البهائم" بِغَيْرِ هُدیً" قال البيضاوى: فى موضع الحال للتوكيد أو التقييد، فإن هوى النفس قد يوافق الحق، انتهى.

" إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِی" بالهدايات الخاصة أو إلى الجنة فى الآخرة" الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" الذين ظلموا أنفسهم بالانهماک فى اتباع الهوى" فَتَعْساً لَهُمْ" أى ألزمهم الله هلاكا أو أتعسهم تعسا، و التعس بالفتح و بالتحريک: الهلاک، و العثار: السقوط، و الشر و البعد و الانحطاط" وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ" أى أبطلها فلم يجدوا لها أثرا عند ما يجد العاملون أثر أعمالهم.

" كَبُرَ مَقْتاً" قبل ذلک فى سورة المؤمن:" كَذلِکَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِی آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً" و قال البيضاوى: فيه ضمير" من" و إفراده للفظ، و يجوز أن يكون الذين مبتدأ و خبره كبر على حذف مضاف، أى و جدال الذين يجادلون كبر مقتا، أو بغير سلطان و فاعل كبر كذلک أى كبر مقتا مثل ذلک الجدال، فيكون قوله:" يَطْبَعُ اللَّهُ" إلخ استينافا للدلالة على الموجب لخذلانهم.

ص: 400

2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ الْأَئِمَّةِ ع وَ صِفَاتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَوْضَحَ بِأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ وَ أَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَاجِهِ وَ فَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ص وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ وَجَدَ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيمَانِهِ وَ عَلِمَ فَضْلَ طُلَاوَةِ إِسْلَامِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عَلَماً لِخَلْقِهِ وَ جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَ عَالَمِهِ وَ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَاجَ الْوَقَارِ وَ غَشَّاهُ مِنْ نُورِ الْجَبَّارِ يُمَدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ

: صحيح.
" من أهل بيت نبينا" حال عن الأئمة أو بيان لها، و تعدية الإيضاح و ما بعده بعن لتضمين معنى الكشف و نحوه، و الإيلاج: الإيضاح، و إضافة السبيل إلى المنهاج إما بيانية أو المراد بالسبيل العلوم، و بالمنهاج العبادات التى توجب وصول قربه تعالى، و المنهاج: الطريق الواضح، و ميح بتشديد الياء، و المائح الذى ينزل البئر فيملأ الدلو و هو أنسب، و التشديد للمبالغة، و فى بعض النسخ منح بالنون من المنحة العطية.
" واجب حق إمامه" الإضافة من قبيل: جرد قطيفة، و المعنى ما يجب عليه من معرفة الإمام و حقه بحسب قابليته، إذ معرفة كنه ذلک ليس فى وسع أكثر الخلق، و فى القاموس: الطلاوة مثلثة: الحسن و البهجة و القبول" على أهل موادة" المادة الزيادة المتصلة، أى الذين يصل إليهم رزقه تعالى و تربيته أو هداياته و توفيقاته الخاصة، و الضمير لله و كذا فى" عالمه" بفتح اللام، و هو معطوف على المواد، أو على الأهل عطف تفسير أو عطف الأعم على الأخص، قال فى النهاية: و منه حديث عمر:
أصل العرب و مادة الإسلام أى الذين يعينونهم و يكثرون جيوشهم و يتقوى بزكاة أموالهم، و كل ما أعنت به قوما فى حرب أو غيره فهو مادة لهم.
" يمد بسبب" السبب: الحبل و ما يتوصل به إلى الشىء، أى يجعل الله بينه

وَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِجِهَةِ أَسْبَابِهِ وَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبِسَاتِ الدُّجَى وَ مُعَمَّيَاتِ السُّنَنِ وَ مُشَبِّهَاتِ الْفِتَنِ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى يَخْتَارُهُمْ لِخَلْقِهِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ ع مِنْ عَقِبِ كُلِّ إِمَامٍ يَصْطَفِيهِمْ لِذَلِکَ وَ يَجْتَبِيهِمْ وَ يَرْضَى بِهِمْ لِخَلْقِهِ وَ يَرْتَضِيهِمْ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ نَصَبَ لِخَلْقِهِ مِنْ عَقِبِهِ إِمَاماً عَلَماً بَيِّناً وَ هَادِياً نَيِّراً وَ إِمَاماً قَيِّماً وَ حُجَّةً عَالِماً أَئِمَّةً مِنَ اللَّهِ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ حُجَجُ اللَّهِ وَ دُعَاتُهُ وَ رُعَاتُهُ عَلَى خَلْقِهِ يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبَادُ- وَ تَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلَادُ وَ يَنْمُو بِبَرَكَتِهِمُ التِّلَادُ جَعَلَهُمُ اللَّهُ حَيَاةً لِلْأَنَامِ

و بين سماء المعرفة و القرب و الكمال سببا يرتفع به إليها من روح القدس، و الإلهامات و التوفيقات قال الله تعالى:" مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ (فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ) فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ" قيل: أى فليمدد حبلا إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه" لا ينقطع عنه موادة" أى الزيادات المقررة له من الهدايات و الإلهامات، و الضمير راجع إلى الإمام أو إلى الله أو إلى السبب على بعد فى الأخير" من ملتبسات الدجى" التباس الأمور: اختلاطها على وجه يعسر الفرق بينها، و الدجى جمع الدجية و هى الظلمة الشديدة، أى عالم بالأمور المشتبهة فى ظلم الجهالة و الفتن" و معميات" بتشديد الميم المفتوحة يقال: عميت الشىء أى أخفيته، و منه المعمى" و مشبهات الفتن" أى الفتن المشبهة بالحق أو الأمور المشبهة بالحق بسبب الفتن.

و القيم على الشىء: المتولى عليه، و المتولى لأموره و مصالحه، و منه: قيم الخان، و منه أنت قيم السماوات و الأرض و من فيهن، أى الذى يقوم بحفظها و مراعاتها يؤتى كل شىء ما به قوامه" و به يعدلون" أى بالحق، و الرعاة جمع الراعى و هو الحافظ و الحامى" يدين" أى يعبد" بهديهم" بضم الهاء و فتح الدال أو بفتح الهاء و سكون الدال و هو السيرة الحسنة" و تستهل" أى تتنور و تستضىء" بنورهم البلاد" أى أهلها" و تنمو ببركتهم التلاد" التأثل و التليد و التلاد: كل مال قديم و خلافه الطارف و الطريف، و التخصيص به لأنه أبعد من النمو، أو لأن الاعتناء به

وَ مَصَابِيحَ لِلظَّلَامِ وَ مَفَاتِيحَ لِلْكَلَامِ وَ دَعَائِمَ لِلْإِسْلَامِ جَرَتْ بِذَلِکَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللَّهِ عَلَى مَحْتُومِهَا فَالْإِمَامُ هُوَ الْمُنْتَجَبُ الْمُرْتَضَى وَ الْهَادِي الْمُنْتَجَى وَ الْقَائِمُ الْمُرْتَجَى اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِذَلِکَ وَ اصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ فِي الذَّرِّ حِينَ ذَرَأَهُ وَ فِي الْبَرِيَّةِ حِينَ بَرَأَهُ ظِلًّا قَبْلَ

أكثر، و يحتمل أن يكون كناية عن تجديد الآثار القديمة المندرسة، و فى القاموس:
التألد كصاحب و التلد بالفتح و الضم و التحريک و التلاد و التليد و الاتلاد و المتلد:
ما ولد عندک من مالک أو نتج.
" جرت بذلک" الباء للسببية، و ذلک إشارة إلى مصدر جعلهم أو إلى جميع ما تقدم فيهم" مقادير الله" أى تقدير الله" على محتومها" حال عن المقادير أى كائنة على محتومها، أو متعلق بجرت أى جرت بسبب تلک الأمور المذكورة الحاصلة فيهم تقديرات الله على محتومها، أى قدرها الله تقديرا حتما لا بداء فيها و لا تغيير" و الهادى المنتجى" أى المخصوص بالمناجاة، و إيداع الأسرار، قال الجوهرى: انتجى القوم و تناجوا أى تساروا و انتجيته أيضا إذا اختصصته بمناجاتک" و القائم" أى بأمر الإمامة" المرتجى" أى للخير و الشفاعة فى الدنيا و الآخرة" و اصطنعه على عينه" أى خلقه و رباه و أحسن إليه، متعينا بشأنه، عالما بكونه أهلا لذلک قال الله تعالى:" وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِى" قال البيضاوى: أى و لتربى و يحسن إليک و أنا راعيک و راقبک، و قال غيره: على عينى أى بمرأى منى، كناية عن غاية الإكرام و الإحسان، و قال تعالى:
" وَ اصْطَنَعْتُکَ لِنَفْسِى" قال البيضاوى: أى و اصطفيتک لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملک و استخلصه لنفسه.
" فى الذر حين ذرأه" الذر بالفتح صغار النمل، الواحدة ذرة، أستعير هنا لما يشبهها من الأجسام الصغار التى تعلقت بها الأرواح فى الميثاق كما سيأتى، و ذرأه بالهمز كمنعه إذا خلقه، و ربما يقرأ بالألف المنقلبة عن الواو، أى فرقه و ميزه حين أخرجه من صلب آدم" و البرية" بتشديد الياء: المخلوقون من برأه كمنعه إذا خلقه، و هو

خَلْقِ نَسَمَةٍ عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ مَحْبُوّاً بِالْحِكْمَةِ فِی عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ وَ انْتَجَبَهُ لِطُهْرِهِ بَقِيَّةً مِنْ آدَمَ ع وَ خِيَرَةً مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ وَ مُصْطَفًى مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ وَ سُلَالَةً مِنْ إِسْمَاعِيلَ وَ صَفْوَةً مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ ص لَمْ يَزَلْ مَرْعِيّاً بِعَيْنِ اللَّهِ يَحْفَظُهُ وَ

فی الأصل مهموز و قد تركت العرب همزها، و ربما يجعل من البرى كالرمى و هو نحت السهم و نحوه، فأصلها غير مهموز.
و قوله:" ظلا" حال أو مفعول ثان لبراءة، بتضمين معنى الجعل، و المراد بالظل الروح قبل تعلقه بالبدن" قبل خلقه نسمة" أى قبل تعلقه بالجسد، و من يقول بتجرد الروح يأول كونه عن يمين العرش إما بتعلقه بالجسد المثالى، أو العرش بالعلم، أو العظمة و الجلال، و اليمين بأشرف جهاته" محبوا بالحكمة" على صيغة المفعول، أى منعما عليه، و هو حال مقدرة لظلا بقرينة قوله:" فى علم الغيب" أى كان يعلم أنه يحبوه العلم و الحكمة، أو المراد أعطاه الحكمة [لعلمه] بأنه أهل لها.
ثم اعلم أن ظاهر اللفظ أن الذر فى عالم الأرواح و البرء فى عالم الأجساد، فقوله: ظلا، متعلق بالأول و فيه بعد، و يحتمل أن يكون كلاهما فى عالم الأرواح، و يكون المراد بالذر تفريقهم فى الميثاق و بالبر أخلق الأرواح، و الحبوة العطية.
" اختاره بعلمه" أى بأن أعطاه علمه أو بسبب علمه بأنه يستحقه" و انتجبه لطهره" أى لعصمته أو لأن يجعله مطهرا، و على أحد الاحتمالين الضميران لله، و على الآخر للإمام" بقية من آدم" أى انتهى إليه خلافة الله التى جعلها لآدم حيث قال:
" إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِيفَةً".
و الخيرة بكسر الخاء و سكون الياء و فتحها: المختار" و مصطفى من آل إبراهيم" إشارة إلى قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ" الآية، و السلالة- بالضم-: الذرية و صفوة الشىء مثلثة ما صفا منه" لم يزل مرعيا بعين الله" أى

يَكْلَؤُهُ بِسِتْرِهِ مَطْرُوداً عَنْهُ حَبَائِلُ إِبْلِيسَ وَ جُنُودِهِ مَدْفُوعاً عَنْهُ وُقُوبُ الْغَوَاسِقِ وَ نُفُوثُ كُلِّ فَاسِقٍ مَصْرُوفاً عَنْهُ قَوَارِفُ السُّوءِ مُبْرَأً مِنَ الْعَاهَاتِ مَحْجُوباً عَنِ الْآفَاتِ مَعْصُوماً مِنَ الزَّلَّاتِ مَصُوناً عَنِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا مَعْرُوفاً بِالْحِلْمِ وَ الْبِرِّ فِی یَفَاعِهِ

بحفظه و حراسته أو بعين عنايته، و الكلاءة: الحراسة، و الطرد: الدفع، و الحبائل جمع الحبالة بالكسر: المصائد، و الوقوب: الدخول، و الغسق: أول ظلمة الليل، و الغاسق: ليل عظم ظلامه، و لعله إشارة إلى قوله تعالى:" وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ" و فسر بأن المراد به ليل دخل ظلامه فى كل شىء، و تخصيصه لأن المضار فيه يكثر و يعسر الدفع، فالمعنى أنه يدفع عنه الشرور التى يكثر حدوثها بالليل غالبا، أو المراد دفع شرور الجن و الهوام المؤذية، فإنها تقع بالليل غالبا كما تدل عليه الأخبار، أو المراد عدم دخول مظلمات الشكوک و الشبه و الجهالات عليه.
" و نفوث كل فاسق" أى لا يؤثر فيه سحر الساحرين من قوله تعالى:" وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِی الْعُقَدِ" أو يكون كناية عن دفع وساوس شياطين الإنس و الجن و الأول أظهر، و ما ورد من تأثير السحر فى النبى و الحسنين صلوات الله عليهم فمحمول على التقية، و ردها أكثر علمائنا، و يمكن حمله على أنه لا يؤثر فيهم تأثيرا لا يمكنهم دفعه، فلا ينافى تلک الأخبار لو صحت" مصروفا عنه قوارف السوء" من اقتراف الذنب بمعنى اكتسابه، أو المراد الاتهام بالسوء، من قولهم: قرف فلانا عابه أو اتهمه، و أقرفه وقع فيه و ذكره بسوء، و أقرف به عرضه للتهمة.
و المراد بالعاهات و الآفات: الأمراض التى توجب نفرة الخلق و تشويه الخلقة، كالعمى و العرج و الجذام و البرص و أشباهها، و يحتمل أن يراد بالثانى الآفات النفسانية و أمراضها" فى يفاعه" أى فى صغره و بدو شبابه، يقال: يفع الغلام: إذا راهق، و فى بعض النسخ: بالباء الموحدة و القاف أى فى بلاده التى نشأ فيها، أو فى جميع

مَنْسُوباً إِلَى الْعَفَافِ وَ الْعِلْمِ وَ الْفَضْلِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ مُسْنَداً إِلَيْهِ أَمْرُ وَالِدِهِ صَامِتاً عَنِ الْمَنْطِقِ فِی حَيَاتِهِ فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ وَالِدِهِ إِلَى أَنِ انْتَهَتْ بِهِ مَقَادِيرُ اللَّهِ إِلَى مَشِيئَتِهِ وَ جَاءَتِ الْإِرَادَةُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ إِلَى مَحَبَّتِهِ وَ بَلَغَ مُنْتَهَى مُدَّةِ وَالِدِهِ ع فَمَضَى وَ صَارَ أَمْرُ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ وَ قَلَّدَهُ دِينَهُ وَ جَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ وَ قَيِّمَهُ فِی بِلَادِهِ وَ أَيَّدَهُ بِرُوحِهِ وَ آتَاهُ عِلْمَهُ وَ أَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانِهِ وَ اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ وَ انْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ وَ أَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانِ عِلْمِهِ وَ نَصَبَهُ عَلَماً لِخَلْقِهِ وَ جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ عَالَمِهِ وَ ضِيَاءً لِأَهْلِ دِينِهِ وَ الْقَيِّمَ عَلَى عِبَادِهِ رَضِیَ اللَّهُ بِهِ إِمَاماً لَهُمُ اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ وَ اسْتَحْفَظَهُ

البلاد، فإنها كلها له و الأول أظهر للمقابلة بقوله" عند انتهائه" أی كماله فی السن أو عند إمامته" مسندا إليه أمر والده" أی يكون وصيه.
" إلى أن انتهت" فی غيبة النعمانی ليس" إلى أن" فيكون" انتهت" جزاء الشرط و هو أصوب، و على هذه النسخة" فمضى" جزاء الشرط،" و إلى" متعلق بمقدر، أی تسببت الأسباب إلى أن انقضت، أو يضمن الانقضاء معنى الانتهاء" إلى مشيته" الضمير راجع إلى الله و الضمير فی قوله:" به" راجع إلى الولد، و يحتمل الوالد أی انتهت مقادير الله بسبب الولد إلى ما شاء و أراد من إمامته" و جاءت الإرادة من عند الله فيه إلى محبته" الضمير راجع أيضا إلى الله أی إلى ما أحب من خلافته" و أيده بروحه" أی بروح القدس كما سيأتی" و أنبأه فصل بيانه" أی البيان الفاصل بين الحق و الباطل، كما قال تعالى:" إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ" و فی بعض النسخ بالضاد المعجمة أی زيادة بيانه" و انتدبه" أی دعاه و حثه، و فی أكثر كتب اللغة أن الندب الطلب، و

عِلْمَهُ وَ اسْتَخْبَأَهُ حِكْمَتَهُ وَ اسْتَرْعَاهُ لِدِينِهِ وَ انْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ وَ أَحْيَا بِهِ مَنَاهِجَ سَبِيلِهِ وَ فَرَائِضَهُ وَ حُدُودَهُ فَقَامَ بِالْعَدْلِ عِنْدَ تَحَيُّرِ أَهْلِ الْجَهْلِ وَ تَحْيِيرِ أَهْلِ الْجَدَلِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ وَ الشِّفَاءِ النَّافِعِ بِالْحَقِّ الْأَبْلَجِ وَ الْبَيَانِ اللَّائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ عَلَى طَرِيقِ الْمَنْهَجِ الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ مِنْ آبَائِهِ ع فَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هَذَا الْعَالَمِ إِلَّا شَقِيٌّ وَ لَا يَجْحَدُهُ إِلَّا غَوِيٌّ وَ لَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا جَرِيٌّ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَ عَلَا

الانتداب الإجابة، و يظهر من الخبر أن الانتداب أيضا يكون بمعنى الطلب كما فى مصباح اللغة، حيث قال: انتدبه للأمر فانتدب يستعمل لازما و متعديا.

" و استخبأه" بالخاء المعجمة و الباء الموحدة مهموزا أو غير مهموز تخفيفا أى استكتمه، و فى بعض النسخ بالحاء المهملة أى طلب منه أن يحبوا الناس الحكمة" و استرعاه لدينه" أى طلب منه رعاية الناس و حفظهم لأمور دينه، أو اللام زائدة" عند تحيير أهل الجهل" أى عند ما يحير أهل الجهل الناس بشبههم، و فى بعض النسخ تحير على التفعل و هو أنسب" و تحبير أهل الجدل" أى تزيينهم الكلام الباطل عند المناظرة، فى القاموس: تحبير الخط و الشعر و غيرهما: تحسينه" بالنور الساطع" الباء للسببية أو بدل أو عطف بيان لقوله:" بالعدل" و كذا قوله:" بالحق" بالنسبة إلى قوله: بالنور، أو متعلق بالنافع، و الباء للسببية" الأبلج" الأوضح" من كل مخرج"" من" تعليلية.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ع وُلَاةُ الْأَمْرِ وَ هُمُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَ

1 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَشَّاءُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ

باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر و هم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز و جل

الحديث الأول

: ضعيف.
" وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ" قد تقدم القول فيه فى باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام، و قال ابن شهرآشوب رحمه الله فى المناقب: الأمة على قولين فى معنى" أولى الأمر" فى هذه الآية:
أحدهما: أنها فى أئمتنا عليهم السلام" و الثانى" أنها فى أمراء السرايا، و إذا بطل أحد الأمرين ثبت الآخر، و إلا خرج الحق عن الأمة، و الذى يدل على أنها فى أئمتنا صلوات الله عليهم أن ظاهرها يقتضى عموم طاعة أولى الأمر من حيث عطف الله تعالى الأمر بطاعتهم على الأمر بطاعته و طاعة رسوله، و من حيث أطلق الأمر بطاعتهم و لم يخص شيئا من شىء لأنه سبحانه لو أراد خاصا لبينه، و فى فقد البيان منه تعالى دليل على إرادة الكل، و إذا ثبت ذلک ثبتت إمامتهم، لأنه لا أحد تجب طاعته على ذلک الوجه بعد النبى صلى الله عليه و آله إلا الإمام، و إذا اقتضت وجوب طاعة أولى الأمر على العموم لم يكن بد من عصمتهم، و إلا أدى إلى أن يكون قد أمر بالقبيح، لأن من ليس بمعصوم لا يؤمن منه وقوع القبيح، فإذا وقع كان الاقتداء به قبيحا، و إذا ثبت

مِنْكُمْ فَكَانَ جَوَابُهُ-

دلالة الآية على العصمة و وجوب الطاعة بطل توجهها إلى أمراء السرايا، لارتفاع عصمتهم، و قال بعضهم هم علماء الأمة و هم مختلفون و فى طاعة بعضهم عصيان بعض، و إذا أطاع المؤمن بعضهم عصى الآخر، و الله تعالى لا يأمر بذلک، ثم إن الله تعالى وصف أولى الأمر بصفة تدل على العلم و الإمرة جميعا فى قوله:" وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ" فرد إليهم الأمن أو الخوف للأمراء، و الاستنباط للعلماء، و لا يجتمعان إلا لأمير عالم، انتهى.
قوله عليه السلام: كان جوابه، قيل: سئل عليه السلام عن معنى أولى الأمر فأجاب السائل ببيان آية أخرى ليفهم به ما يريد مع إيضاح و تشييد و لا يخفى ما فيه.
و أقول: سوء الفهم و إشكال الحديث إنما نشأ من أن المصنف (ره) أسقط تتمة الحديث و ذكرها فى موضع آخر، و فى تفسير العياشى بعد قوله:" إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً"" وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا" قال:
قلت: قوله: فى آل إبراهيم:" وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً" ما الملک العظيم؟ قال: أن جعل منهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله، و من عصاهم عصى الله، فهو الملک العظيم قال:
ثم قال" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً" قال: إيانا عنى، أن يؤدى الأول منا إلى الإمام الذى بعده الكتب و العلم و السلاح" وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" الذى فى أيديكم ثم قال للناس:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة" أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" إيانا عنى خاصة، فإن خفتم تنازعا فى الأمر فارجعوا إلى الله و إلى الرسول و أولى

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا يَقُولُونَ لِأَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَ الدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ- هؤُلاءِ أَهْدى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ سَبِيلًا أُولئِکَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْکِ يَعْنِى الْإِمَامَةَ وَ الْخِلَافَةَ

الأمر منكم، هكذا نزلت، و كيف يأمرهم بطاعة أولى الأمر و يرخص لهم فى منازعتهم، إنما قيل ذلک للمأمورين الذين قيل لهم:" أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ".
أقول: فظهر أنه عليه السلام شرع فى تفسير الآيات المتقدمة على تلک الآية و بين نزولها فيهم عليه السلام ليتضح نزول هذه الآية فيهم أشد إيضاح و أبينه.
" أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ" قال البيضاوى: نزلت فى يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعو إليه محمد، و قيل: فى حيى بن أخطب و كعب بن الأشرف و فى جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله، فقالوا: أنتم أهل كتاب، و أنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا، فلانا من مكركم فاسجدوا آلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا، و الجبت فى الأصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله، و قيل: أصله الجبس و هو الذى لا خير فيه، فقلبت سينه تاء.
و الطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره" وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا" لأجلهم و فيهم" هؤلاء" إشارة إليهم" أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا" أى أقوم دينا و أرشد طريقا" فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً" يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها، انتهى.
أقول: و على تأويله عليه السلام الجبت و الطاغوت: الأول و الثانى،" و الذين كفروا" سائر خلفاء الجور، و لا ينافى ذلک ما مر من نزول الآية، لأن الله تعالى لما ذم المخالفين للرسول و لعنهم فهو جار فيمن خالف أهل بيته، لأنهم القائمون مقامه.
" أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ" قال البيضاوى" أم" منقطعة، و معنى الهمزة إنكار

فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً نَحْنُ النَّاسُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ وَ النَّقِيرُ النُّقْطَةُ الَّتِي فِي وَسَطِ النَّوَاةِ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ مِنَ الْإِمَامَةِ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً يَقُولُ جَعَلْنَا مِنْهُمُ الرُّسُلَ وَ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَئِمَّةَ فَكَيْفَ

أن يكون لهم نصيب من الملک، أو جحد لما زعمت اليهود من أن الملک سيصير إليهم" فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً" أى لو كان لهم نصيب من الملک فإذا لا يؤتون أحدا ما يوازى نقيرا، و هو النقرة فى ظهر النواة، و هذا هو الإغراق فى بيان شحهم، فإنهم بخلوا بالنقير و هم ملوک فما ظنک بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين.
أقول: و يحتمل أن يكون المراد بالنقطة فى كلامه عليه السلام النقرة، و قال الطبرسى رحمه الله: قيل: المراد بالملک هنا النبوة.
" أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ" قال الطبرسى: معناه بل أ يحسدون الناس، و اختلف فى معنى الناس هنا فقيل: أراد به النبى صلى الله عليه و آله حسدوه على ما أعطاه من النبوة و إباحة تسعة نسوة و ميلة إليهن، و قالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن ذلک، فبين الله سبحانه أن النبوة ليست ببدع فى آل إبراهيم" و ثانيها" أن المراد بالناس النبى و آله عليهم السلام عن أبى جعفر عليه السلام، و المراد بالفضل فيه النبوة، و فى آله الإمامة، انتهى.
و أقول: روى ابن حجر فى صواعقه قال: أخرج أبو الحسن المغازلى عن الباقر عليه السلام أنه قال فى هذه الآية: نحن الناس و الله، و لا يخفى أن تفسيرهم عليهم السلام أنسب بلفظ الناس.
" فكيف يقرون به فى آل إبراهيم و ينكرونه فى آل محمد" و محمد أفضل من إبراهيم، فكيف يستبعدون ذلک، أو آل محمد من آل إبراهيم فلم لا يشملهم؟
" يقول جعلنا منهم الرسل" إما تفسير لإيتاء مجموع الكتاب و الحكمة و الملک

يُقِرُّونَ بِهِ فِی آلِ إِبْرَاهِیمَ ع وَ یُنْکِرُونَهُ فِی آلِ مُحَمَّدٍ ص- فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ کَفی بِجَهَنَّمَ سَعِیراً إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِنا سَوْفَ نُصْلِیهِمْ ناراً کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَزِیزاً حَکِیماً

2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ سَعِیدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَیْلِ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- أَمْ یَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَالَ نَحْنُ الْمَحْسُودُونَ

3 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ سَعِیدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَیْدٍ عَنْ یَحْیَی الْحَلَبِیِّ عَنْ مُحَمَّدٍ الْأَحْوَلِ عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْیَنَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ فَقَالَ النُّبُوَّةَ قُلْتُ- الْحِکْمَةَ قَالَ الْفَهْمَ وَ الْقَضَاءَ قُلْتُ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً فَقَالَ الطَّاعَةَ

العظیم، أو علی اللف و النشر المرتب، و یؤید الأخیر ما سیأتی.

" فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ" أی بالإیتاء أو بالملک العظیم، و ضمیر" منهم" للأمة، و یقال صد صدودا أی أعرض، و صد فلانا عن کذا صدا أی منعه و صرفه" إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِنا" أی الآیات النازلة فی الأئمة أو هم علیهم السلام کما سیأتی" بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها" أی فی الصفة" إِنَّ اللَّهَ کانَ عَزِیزاً" أی قویا غالبا علی جمیع الأشیاء" حَکِیماً" یعاقب و یثیب علی وفق حکمته.

الحديث الثانى

: مجهول.

الحديث الثالث

: حسن.
و فسر الكتاب بالنبوة لاستلزامه لها، و لعل المراد بالفهم الإلهام و بالقضاء العلم بالحكم بين الناس، أو الفهم فهم مطلق العلوم، و المعارف إشارة إلى الحكمة النظرية، و القضاء إلى الحكمة العلمية" قال الطاعة" أى فرض طاعته على الخلق.

4 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِی الصَّبَّاحِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَالَ يَا أَبَا الصَّبَّاحِ نَحْنُ وَ اللَّهِ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ

5 عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً قَالَ جَعَلَ مِنْهُمُ الرُّسُلَ وَ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَئِمَّةَ فَكَيْفَ يُقِرُّونَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ ع وَ يُنْكِرُونَهُ فِی آلِ مُحَمَّدٍ ص قَالَ قُلْتُ- وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً قَالَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ أَنْ جَعَلَ فِيهِمْ أَئِمَّةً مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ عَصَاهُمْ عَصَی اللَّهَ فَهُوَ الْمُلْكُ الْعَظِيمُ

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ ع هُمُ الْعَلَامَاتُ الَّتِی ذَكَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِی كِتَابِهِ

1 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِی دَاوُدَ الْمُسْتَرِقِّ قَالَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ الْجَصَّاصُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ

الحديث الرابع

: ضعيف.

الحديث الخامس

: حسن.

باب أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات التى ذكرها الله عز و جل فى كتابه

الحديث الأول

: ضعيف.
" وَ عَلاماتٍ" قال الطبرسى (ره) أى و جعل لكم علامات أى معالم يعلم بها الطرق، و قيل: العلامات الجبال يهتدى بها نهارا" وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" ليلا و المراد بالنجم الجنس، و قيل: إن العلامات هى النجوم أيضا لأن من النجوم ما يهتدى بها، و منها ما يكون علامة لا يهتدى بها، و قيل: أراد بها الاهتداء فى القبلة، انتهى.

ص: 413
يَهْتَدُونَ قَالَ النَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ الْعَلَامَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع
2 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَسْبَاطِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ سَأَلَ الْهَيْثَمُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع وَ أَنَا عِنْدَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص النَّجْمُ وَ الْعَلَامَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع
3 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ سَأَلْتُ الرِّضَا ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى- وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ قَالَ نَحْنُ الْعَلَامَاتُ وَ النَّجْمُ رَسُولُ اللَّهِ ص

و على تأويله عليه السلام ضمير" هم" و ضمير" يهتدون" راجعان إلى العلامات و هو أظهر، لأن قبل هذه الآية" وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" فكان الظاهر على التفسير المشهور" و أنتم تهتدون" فعلى تأويله عليه السلام لا يحتاج إلى تكلف الالتفات، و هذه المعانى بطون للآيات لا تنافى كون ظواهرها أيضا مرادة، فإنه كما أن لأهل الأرض جبالا و أنهارا و نجوما و علامات يهتدون بها إلى طرقهم الظاهرة، و بها تصلح أمور معاشهم، فكذا لهم رواسى من الأنبياء و الأوصياء و العلماء بهم تستقر الأرض و تبقى، و منابع للعلوم و المعارف بها يحيون الحياة المعنوية و شمس و قمر و نجوم من الأنبياء و الأئمة عليهم السلام بهم يهتدون إلى مصالحهم الدنيوية و الأخروية، و قد تضمنت الآيات ظهرا و بطنا، الوجهين جميعا.

الحديث الثانى

: ضعيف على المشهور.

الحديث الثالث

: كذلک.

بَابُ أَنَّ الْآيَاتِ الَّتِی ذَکَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِی کِتَابِهِ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع
1 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أُمَیَّةَ بْنِ عَلِیٍّ عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّیِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ قَالَ الْآیَاتُ هُمُ الْأَئِمَّةُ وَ النُّذُرُ هُمُ الْأَنْبِیَاءُ ع
2 أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَظِیمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِیِّ عَنْ مُوسَی بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِجْلِیِّ عَنْ یُونُسَ بْنِ یَعْقُوبَ رَفَعَهُ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ کَذَّبُوا بِآیاتِنا کُلِّها یَعْنِی الْأَوْصِیَاءَ کُلَّهُمْ

باب أن الآيات التى ذكرها الله عز و جل فى كتابه هم الأئمة عليهم السلام

الحديث الأول

: ضعيف.
" الآيات" جمع الآية و هى العلامة، و هم عليهم السلام علامات لسبيل الهداية و دلائل لعظمة الله سبحانه و قدرته و حكمته، و النذر جمع النذير بمعنى المنذر، و المشهور فى تفسير الآيات: الحجج و البينات أو المعجزات، أو ما خلقه الله فى الآيات و الأنفس دالا على وجوده و قدرته و علمه و حكمته.
و فى الصحاح: ما يغنى عنک هذا، أى ما يجدى عنک و ما ينفعک.

الحديث الثانى

: ضعيف.
" يعنى الأوصياء" أى هم المقصودون فى بطن الآية أو هم داخلون فيها.
فإن قيل سابق الآية:" وَ لَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ، كَذَّبُوا بِآياتِنا كُلِّها فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ" و آل فرعون إنما كذبوا بموسى؟
قلنا: و إن كذبوا بموسى لكن تكذيبهم بموسى يوجب تكذيبهم بأوصيائه

ص: 415

3 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاکَ إِنَّ الشِّيعَةَ يَسْأَلُونَکَ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ- عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ قَالَ ذَلِکَ إِلَيَّ إِنْ شِئْتُ أَخْبَرْتُهُمْ وَ إِنْ

كهارون و يوشع، بل الأنبياء و الأوصياء المتقدمين عليه، لأن كلهم أخبروا بموسى، أو المعنى أن نظير ذلک التكذيب فى هذه الأمة التكذيب بالأوصياء عليهم السلام، مع أنه ورد فى تفسير الإمام عليه السلام أن موسى عليه السلام كان يخبر قومه بالنبى و أوصيائه عليهم السلام، و يأمرهم بالإيمان بهم، و قيل: التكذيب بواحد من الأئمة تكذيب بالجميع لاشتراكهم فى الحق و الصدق و الدين.

: مجهول.
" عَمَّ يَتَساءَلُونَ" قال البيضاوى: أصله" عما" فحذف الألف، و معنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه، كأنه لفخامته خفى جنسه فيسأل عنه، و الضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم، أو يسألون الرسول و المؤمنين عنه استهزاء أو للناس" عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ" بيان للشأن المفخم أو صلة يتساءلون، و عم متعلق بمضمر مفسر به" كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" ردع عن التساؤل" ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" تكرير للمبالغة، انتهى.
و أقول: تأويله عليه السلام مذكور فى بعض كتب المخالفين، روى السيد فى الطرائف نقلا من تفسير محمد بن مؤمن الشيرازى بإسناده عن السدى يرفعه قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: يا محمد هذا الأمر لنا من بعدک أم لمن؟
قال صلى الله عليه و آله: يا صخر الأمر بعدى لمن هو منى بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام، فأنزل الله:" عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ" يعنى يسألک أهل مكة عن خلافة على بن أبى طالب" الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ" منهم المصدق بولايته و خلافته، و منهم المكذب قال" كلا" و هو ردع عليهم" سيعلمون" أى سيعرفون خلافته بعدک أنها حق [تكون]" ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" أى يعرفون خلافته و ولايته إذ يسألون عنها فى قبورهم، فلا

شِئْتُ لَمْ أُخْبِرْهُمْ ثُمَّ قَالَ لَكِنِّی أُخْبِرُکَ بِتَفْسِیرِهَا قُلْتُ عَمَّ یَتَساءَلُونَ قَالَ فَقَالَ هِیَ فِی أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَیْهِ کَانَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَیْهِ یَقُولُ مَا لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ آیَةٌ هِیَ أَکْبَرُ مِنِّی وَ لَا لِلَّهِ مِنْ نَبَإٍ أَعْظَمُ مِنِّی بَابُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رَسُولُهُ ص مِنَ الْکَوْنِ مَعَ الْأَئِمَّةِ ع

1 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ عَنِ ابْنِ أُذَیْنَةَ عَنْ بُرَیْدِ بْنِ مُعَاوِیَةَ الْعِجْلِیِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ-

---

یبقی میت فی شرق و لا غرب و لا فی بر و لا فی بحر إلا و منکر و نکیر یسألان عن ولایة أمیر المؤمنین علیه السلام بعد الموت، یقولان له: من ربک؟ و من نبیک؟ و من إمامک؟

و روی مثله ابن شهرآشوب عن تفسیر القطان بإسناده عن السدی مثله.

و روی محمد بن العباس بن مروان فی تفسیره بإسناده إلی علقمة قال: خرج یوم صفین رجل من عسکر الشام و علیه سلاح و فوقه مصحف، و هو یقرأ" عَمَّ یَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِیمِ" فأردت البراز إلیه فقال علی علیه السلام: مکانک، و خرج بنفسه فقال له: أ تعرف النبإ العظیم الذی هم فیه مختلفون؟ قال: لا، فقال علیه السلام: أنا و الله النبإ العظیم الذی فیه اختلفتم، و علی ولایتی تنازعتم، و عن ولایتی رجعتم بعد ما قبلتم و ببغیکم [هلکتم] بعد ما بسیفی نجوتم، و یوم الغدیر قد علمتم و یوم القیامة تعلمون ما علمتم، ثم علاه بسیفه فرمی رأسه و یده.

باب ما فرض الله عز و جل و رسوله صلى الله و عليه و آله من الكون مع الأئمة عليهم السلام

الحديث الأول

: ضعيف.
" وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" قال الطبرسى (ره) فى مصحف عبد الله و قراءة ابن

اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِيَّانَا عَنَى

عباس: من الصادقين، و روى ذلک عن أبى عبد الله عليه السلام، ثم قال: أى مع الذين يصدقون فى أخبارهم و لا يكذبون، و معناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق فى أقواله، و صاحبوهم و رافقوهم، و قد وصف الله الصادقين فى سورة البقرة بقوله:
" وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ" إلى قوله" أُولئِکَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" فأمر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء، و قيل: المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله فى كتابه و هو قوله:" رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ" يعنى حمزة بن عبد المطلب و جعفر بن أبى طالب عليه السلام وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ" يعنى على بن أبى طالب، و روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كونوا مع الصادقين، مع على و أصحابه، و روى جابر عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله:" كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" قال: مع آل محمد عليهم السلام، انتهى.
و أقول: التمسک بتلک الآية لإثبات الإمامة فى المعصومين بين الشيعة معروف، و قد ذكره المحقق الطوسى طيب الله روحه القدوسى فى كتاب التجريد، و وجه الاستدلال بها أن الله أمر كافة المؤمنين بالكون مع الصادقين، و ظاهر أن ليس المراد به الكون معهم بأجسادهم بل المعنى لزوم طرائقهم و متابعتهم فى عقائدهم و أقوالهم و أفعالهم، و معلوم أن الله تعالى لا يأمر عموما بمتابعة من يعلم صدور الفسق و المعاصى عنه، مع نهيه عنها، فلا بد من أن يكونوا معصومين لا يخطئون فى شىء حتى تجب متابعتهم فى جميع الأمور، و أيضا اجتمعت الأمة على أن خطاب القرآن عام لجميع الأزمنة لا يختص بزمان دون زمان، فلا بد من وجود معصوم فى كل زمان ليصح أمر مؤمنى كل زمان بمتابعتهم.
فإن قيل: لعلهم أمروا فى كل زمان بمتابعة الصادقين الكائنين فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله، فلا يتم وجود المعصوم فى كل زمان.
قلنا: لا بد من تعدد الصادقين أى المعصومين لصيغة الجمع، و مع القول بالتعدد

يتعين القول بما تقول الإمامية، إذ لا قائل بين الأمة بتعدد المعصومين فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله مع خلو سائر الأزمنة عنهم، مع قطع النظر عن بعد هذا الاحتمال عن اللفظ و سيأتى تمام القول فى ذلک فى أبواب النصوص على أمير المؤمنين صلوات الله عليه.
و العجب من إمامهم الرازى كيف قارب ثم جانب و سدد ثم شدد و أقر ثم أنكر و أصر حيث قال فى تفسير تلک الآية: أنه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين فلا بد من وجود الصادقين لأن الكون مع الشىء مشروط بوجود ذلک الشىء فهذا يدل على أنه لا بد من وجود الصادقين فى كل وقت، و ذلک يمنع من إطباق الكل على الباطل، فوجب أن أطبقوا على شىء أن يكونوا محقين فهذا يدل على أن إجماع الأمة حجة.
فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال المراد بقوله: كونوا مع الصادقين، أى كونوا على طريقة الصادقين الصالحين كما أن الرجل إذا قال لولده كن مع الصالحين لا يفيد إلا ذلک، سلمنا ذلک لكن نقول: إن هذا الأمر كان موجودا فى زمان الرسول صلى الله عليه و آله فقط و كان هذا أمرا بالكون مع الرسول فلا يدل على وجود صادق فى سائر الأزمنة، سلمنا ذلک لكن لم لا يجوز أن يكون ذلک الصادق هو المعصوم الذى يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما تقول الشيعة.
فالجواب عن الأول: أن قوله: كونوا مع الصادقين أمر بموافقة الصادقين و نهى عن مفارقتهم، و ذلک مشروط بوجود الصادقين، و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فدلت هذه الآية على وجود الصادقين، و قوله: إنه محمول على أن يكونوا على طريقة الصادقين، فنقول: إنه عدول عن الظاهر من غير دليل، قوله: هذا الأمر مختص بزمان الرسول قلنا: هذا باطل لوجوه" الأول" أنه ثبت بالتواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه و آله أن التكاليف المذكورة فى القرآن متوجهة على المكلفين إلى قيام

القيامة فكان الأمر فى هذا التكليف كذلک" و الثانى" أن الصيغة تتناول الأوقات كلها، بدليل صحة الاستثناء" و الثالث" لما لم يكن الوقت المعين مذكورا فى لفظ الآية لم يكن حمل الآية على البعض أولى من حملها على الباقى، فإما أن لا يحمل على شىء فيفضى إلى التعطيل و هو باطل، أو على الكل و هو المطلوب" و الرابع" أن قوله:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ" أمر لهم بالتقوى و هذا الأمر إنما يتناول من يصح منه أن لا يكون متقيا و إنما يكون كذلک لو كان جائز الخطأ، فكانت الآية دالة على أن من كان جائز الخطإ وجب كونه مقتديا بمن كان واجب العصمة، و هم الذين حكم الله بكونهم صادقين و ترتب الحكم فى هذا يدل على أنه إنما وجب على جائز الخطإ كونه مقتديا به، ليكون مانعا لجائز الخطإ عن الخطإ و هذا المعنى قائم فى جميع الأزمان، فوجب حصوله فى كل الأزمان، قوله: لم لا يجوز أن يكون المراد هو كون المؤمن مع المعصوم الموجود فى كل زمان، قلنا: نحن معترف بأنه لا بد من معصوم فى كل زمان إلا أنا نقول إن ذلک المعصوم هو مجموع الأمة، و أنتم تقولون أن ذلک المعصوم واحد منهم، فنقول: هذا الثانى باطل، لأنه تعالى أوجب على كل من المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، و إنما يمكنه ذلک لو كان عالما بأن ذلک الصادق من هو، لأن الجاهل بأنه من هو لو كان مأمورا بالكون معه كان ذلک تكليف ما لا يطاق، لأنا لا نعلم إنسانا معينا موصوفا بوصف العصمة، و العلم بأنا لا نعلم هذا الإنسان حاصل بالضرورة، فثبت أن قوله" كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" ليس أمرا بالكون مع شخص معين، و لما بطل هذا بقى أن المراد منه الكون مع جميع الأمة، و ذلک يدل على أن قول مجموع الأمة صواب و حق و لا نعنى بقولنا الإجماع حجة إلا ذلک، انتهى كلامه.

و الحمد لله الذى حقق الحق بما جرى على أقلام أعدائه، أ لا ترى كيف شيد ما ادعته الإمامية بغاية جهده ثم بأى شىء تمسک فى تزييفه و التعامى عن رشده،

و هل هذا إلا كمن طرح نفسه فى البحر العجاج رجاء أن يتشبث للنجاة بخطوط الأمواج، و لنشر إلى شىء مما فى كلامه من التهافت و الاعوجاج.
فنقول كلامه فاسد عن وجوه:
أما أو لا فلأنه بعد ما اعترف أن الله تعالى إنما أمر بذلک لتحفظ الأمة عن الخطإ فى كل زمان، فلو كان المراد ما زعمه من الإجماع كيف يحصل العلم بتحقق الإجماع فى تلک الأعصار مع انتشار علماء المسلمين فى الأمصار، و هل يجوز عاقل إمكان الاطلاع على جميع أقوال آحاد المسلمين فى تلک الأزمنة، و لو تمسک بالإجماع الحاصل فى الأزمنة السابقة، فقد صرح بأنه لا بد فى كل زمان من معصوم محفوظ عن الخطإ.
و أما ثانيا: فبأنه على تقدير تسليم تحقق الإجماع و العلم به فى تلک الأزمنة فلا يتحقق ذلک إلا فى قليل من المسائل، فكيف يحصل تحفظهم عن الخطإ بذلک.
و أما ثالثا: فبأنه لا يخفى على عاقل أن الظاهر من الآية أن المأمورين بالكون، غير من أمروا بالكون معهم، و على ما ذكره يلزم اتحادهما.
و أما رابعا: فبأن المراد بالصادق إما الصادق فى الجملة، فهو يصدق على جميع المسلمين فإنهم صادقون فى كلمة التوحيد لا محالة، أو فى جميع الأقوال، و الأول لا يمكن أن يكون مرادا لأنه يلزم أن يكونوا مأمورين باتباع كل من آحاد المسلمين كما هو الظاهر من عموم الجمع المحلى باللام، فتعين الثانى و هو لازم العصمة، و أما الذى اختاره من إطلاق الصادقين على المجموع من حيث المجموع، من جهة أنهم من حيث الاجتماع ليسوا بكاذبين، فهذا احتمال لا يجوزه كردى لم يأنس بكلام العرب قط.
و أما خامسا: فبأن تمسكه فى نفى ما يدعيه الشيعة فى معرفة الإمام لا تخفى سخافته، إذ كل جاهل و ضال و مبتدع فى الدين يمكن أن يتمسک بهذا فى عدم وجوب اختيار الحق و التزام الشرائع، فلليهود أن يقولوا: لو كان محمد صلى الله عليه و آله نبيا

ص: 421
2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ قَالَ الصَّادِقُونَ هُمُ الْأَئِمَّةُ وَ الصِّدِّيقُونَ بِطَاعَتِهِمْ
3 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاةً تُشْبِهُ حَيَاةَ الْأَنْبِيَاءِ وَ يَمُوتَ مِيتَةً تُشْبِهُ مِيتَةَ الشُّهَدَاءِ

لكنا عالمين بنبوته، و لكنا نعلم ضرورة أنا غير عالمين به، و كذا سائر فرق الكفر و الضلالة، و ليس ذلک إلا لتعصبهم و معاندتهم، و تقصيرهم فى طلب الحق، و لو رفعوا أغشية العصبية عن أبصارهم، و نظروا فى دلائل إمامتهم و معجزاتهم، و محاسن أخلاقهم و أطوارهم لأبصروا ما هو الحق فى كل باب، و لم يبق لهم شک و لا ارتياب، و كفى بهذه الآية على ما قرر الكلام فيها دليلا على لزوم الإمام فى كل عصر و زمان.

الحديث الثانى

: صحيح.
" و الصديقون" عطف على الصادقين أى الصديقون فى قوله تعالى:" مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ" هم الأئمة، و إنما سموا بذلک لطاعتهم للأنبياء فى جميع ما أتوا به قبل كل أحد، و عصمتهم من الخطإ فهم صادقون من جهة القول، صديقون من جهة الفعل، فضمير طاعتهم راجع إلى الصديقين، أو عطف على الأئمة، أى الصادقون هم الأئمة و هم الصديقون، فالعطف للتفسير إشارة إلى أن المراد بالصديقين أيضا هم عليه السلام، و الضمير كما مر و يؤيده أن فى بصائر الدرجات بدون العاطف، و يحتمل الأخير وجها آخر، و هو أن يكون المراد بالصديقين الشيعة، فيحتمل إرجاع الضمير إلى الأئمة أو الصادقين إضافة إلى المفعول.

الحديث الثالث

: مختلف فيه كالموثق.

وَ يَسْكُنَ الْجِنَانَ الَّتِی غَرَسَهَا الرَّحْمَنُ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيّاً وَ لْيُوَالِ وَلِيَّهُ وَ لْيَقْتَدِ بِالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُمْ عِتْرَتِی خُلِقُوا مِنْ طِينَتِی- اللَّهُمَّ ارْزُقْهُمْ فَهْمِی وَ عِلْمِی وَ وَيْلٌ لِلْمُخَالِفِينَ لَهُمْ مِنْ أُمَّتِی اللَّهُمَّ لَا تُنِلْهُمْ شَفَاعَتِی

4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِی حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَقُولُ اسْتِكْمَالُ حُجَّتِی عَلَى الْأَشْقِيَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ- مَنْ تَرَكَ وَلَايَةَ عَلِيٍّ وَ وَالَى أَعْدَاءَهُ وَ أَنْكَرَ فَضْلَهُ وَ فَضْلَ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّ فَضْلَكَ فَضْلُهُمْ وَ طَاعَتَكَ طَاعَتُهُمْ وَ حَقَّكَ حَقُّهُمْ وَ مَعْصِيَتَكَ مَعْصِيَتُهُمْ وَ هُمُ الْأَئِمَّةُ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِكَ جَرَى فِيهِمْ رُوحُكَ- وَ رُوحُكَ مَا جَرَى فِيكَ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ عِتْرَتُكَ مِنْ طِينَتِكَ وَ لَحْمِكَ وَ دَمِكَ

" غرسها الرحمن" أی بقدرته و رحمانيته بلا توسط غارس، و فيه إيماء إلى أن دخول الناس الجنة بمحض الرحمة لا باستحقاقهم، و يقال: تولاه إذا اتخذه وليا أی إماما، و الموالاة ضد المعاداة، و الولی المحب و الناصر، و ضمير" فإنهم" لعلی و الأئمة، و الدعاء بعدم إنالة الشفاعة مع أنها من فعله إما لأن المراد به الأمر بالشفاعة، أو عدم إدخالهم فی الشفاعة الإجمالية منه صلی الله عليه و آله للأمة، أو المقصود به الأخبار عن عدم الإنالة لا الدعاء.

: مجهول.
و الاستكمال: الإتمام، و هو مبتدأ" و على الأشقياء" خبره" من ترک" بفتح الميم بدل الأشقياء، و الولاية بالكسر: المحبة و الطاعة، و بالفتح: الإمارة و السلطنة،" فإن فضلک فضلهم" أی کل ما ثبت لک من العلم و العصمة و سائر الفضائل فهو فضلهم، و ثابت لهم" و طاعتک طاعتهم" أی لو لم يطيعوهم لم يطيعوک، أو أن فرض الطاعة کما ثبت لک ثبت لهم" و حقک" على الناس" حقهم" أی تجب رعاية حقهم لرعاية حقک، فإن مودتهم أجر الرسالة، أو لهم على الناس حق کمالک عليهم، و فی الفقرات نوع قلب للمبالغة" جری فيهم روحک" بالضم أی روح القدس، أو من سنخ روحک و

وَ قَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهِمْ سُنَّتَکَ وَ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَکَ وَ هُمْ خُزَّانِی عَلَى عِلْمِی مِنْ بَعْدِکَ حَقٌّ عَلَیَّ لَقَدِ اصْطَفَيْتُهُمْ وَ انْتَجَبْتُهُمْ وَ أَخْلَصْتُهُمْ وَ ارْتَضَيْتُهُمْ وَ نَجَا مَنْ أَحَبَّهُمْ وَ وَالاهُمْ وَ سَلَّمَ لِفَضْلِهِمْ وَ لَقَدْ أَتَانِی جَبْرَئِيلُ ع بِأَسْمَائِهِمْ وَ أَسْمَاءِ آبَائِهِمْ وَ أُمَّهَاتِهِمْ وَ أَحِبَّائِهِمْ وَ الْمُسَلِّمِينَ لِفَضْلِهِمْ

5 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ أَبِی الْمَغْرَاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِی وَ يَمُوتَ مِيتَتِی وَ يَدْخُلَ جَنَّةَ عَدْنٍ الَّتِی غَرَسَهَا اللَّهُ رَبِّی بِيَدِهِ فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِی طَالِبٍ وَ لْيَتَوَلَّ وَلِيَّهُ وَ لْيُعَادِ عَدُوَّهُ وَ لْيُسَلِّمْ لِلْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُمْ عِتْرَتِی مِنْ لَحْمِی وَ دَمِی

مثله، و الحمل على المبالغة" و روحک" بالفتح و هو الراحة و الرحمة و نسيم الريح، كناية عن الألطاف الربانية" ما جرى" أی نحو ما جرى أو قدره" و لحمک و دمک" كناية عن غاية القرابة الجسمانية و الروحانية و العقلانية" سنتک" أی طريقتک من الهداية و الرئاسة، و التكميل و الإرشاد" لقد اصطفيتهم" اللام جواب القسم لأن قوله" حق على" بمنزلة القسم، أو حق خبر مبتدإ محذوف و قوله:" لقد اصطفيتهم" استيناف بيانی و الانتجاب: الاختيار" و لقد أتانی" من كلام رسول الله صلى الله عليه و آله.

: مجهول.
و العدن: الإقامة، و قيل: جنة العدن اسم لمدينة الجنة، و هى مسكن الأنبياء و العلماء و الشهداء و أئمة العدل، و الناس سواهم فى جنات حواليها، و قيل: هى قصر لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو إمام عدل، و قيل: للعدن نهر على حافتيه جنات عدن و الأول أصوب" فليتول" أى يعتقد ولايته و إمامته" و ليتول" أى يحب، و يحتمل أن يكون الأول أيضا بمعنى المحبة، و التسليم للأوصياء إطاعتهم فى الأوامر و النواهى، و قبول كل ما يصدر منهم قولا و فعلا" فإنهم" أى الأوصياء أو هم مع

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ فَهْمِی وَ عِلْمِی إِلَی اللَّهِ أَشْکُو أَمْرَ أُمَّتِی الْمُنْکِرِینَ لِفَضْلِهِمْ الْقَاطِعِینَ فِیهِمْ صِلَتِی وَ ایْمُ اللَّهِ لَیَقْتُلُنَّ ابْنِی لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِی
6 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَیْنِ عَنْ مُوسَی بْنِ سَعْدَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَبْدِ الْقَهَّارِ عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِیِّ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص مَنْ سَرَّهُ أَنْ یَحْیَا حَیَاتِی وَ یَمُوتَ مِیتَتِی وَ یَدْخُلَ الْجَنَّةَ الَّتِی وَعَدَنِیهَا رَبِّی وَ یَتَمَسَّکَ بِقَضِیبٍ غَرَسَهُ رَبِّی بِیَدِهِ فَلْیَتَوَلَّ عَلِیَّ بْنَ أَبِی طَالِبٍ ع وَ أَوْصِیَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّهُمْ لَا یُدْخِلُونَکُمْ فِی بَابِ ضَلَالٍ وَ لَا یُخْرِجُونَکُمْ مِنْ بَابِ هُدًی فَلَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْکُمْ وَ إِنِّی سَأَلْتُ رَبِّی أَلَّا یُفَرِّقَ بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ الْکِتَابِ حَتَّی یَرِدَا عَلَیَّ الْحَوْضَ هَکَذَا وَ ضَمَّ بَیْنَ إِصْبَعَیْهِ وَ عَرْضُهُ مَا بَیْنَ صَنْعَاءَ إِلَی أَیْلَةَ فِیهِ

علی" القاطعین فیهم" أی بسببهم أو فی حقهم" صلتی" أی بری و إحسانی، إذ مودتهم علیهم السلام أجر الرسالة و الإقرار بإمامتهم و متابعتهم قضاء لحق الرسول صلی الله علیه و آله" و أیم" بفتح الهمزة و سکون الیاء مبتدأ مضاف، و أصله أیمن جمع یمین، و خبره محذوف و هو یمینی، و المقصود الحلف بکل" ما" حلف بالله، و المراد بالابن الحسین علیه السلام، و ربما یقرأ بصیغة التثنیة إشارة إلی الحسن و الحسین علیهما السلام.

: ضعيف.
" و القضيب": الغصن، و اليد: القدرة" فإنهم أعلم منكم" أى فى كل ما تريدون تعليمهم فيه، فلا يرد أن العالم قد يعلم الأعلم" أن لا يفرق بينهم و بين الكتاب" أى يجعلهم الحافظين للكتاب، المفسرين له، العاملين به، الداعين إليه و إلى العمل به، و المراد بالإصبعين السبابتان فى اليدين" و صنعاء" ممدودة قصبة فى اليمن.
" و أيلة" فى أكثر النسخ هنا بفتح الهمزة و سكون الياء المثناة التحتانية، قال فى القاموس: إيلة جبل بين مكة و المدينة قرب ينبع، و بلد بين ينبع و مصر، و حصن معروف، و إيلة بالكسر: قرية بباخرز و موضعان آخران" انتهى" و فى أكثر روايات

قُدْحَانُ فِضَّةٍ وَ ذَهَبٍ عَدَدَ النُّجُومِ
7 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع وَ إِنَّ الرَّوْحَ وَ الرَّاحَةَ وَ الْفَلْجَ وَ الْعَوْنَ وَ النَّجَاحَ وَ الْبَرَكَةَ وَ الْكَرَامَةَ وَ الْمَغْفِرَةَ وَ الْمُعَافَاةَ وَ الْيُسْرَ وَ الْبُشْرَى وَ الرِّضْوَانَ وَ الْقُرْبَ وَ النَّصْرَ وَ التَّمَكُّنَ وَ الرَّجَاءَ وَ الْمَحَبَّةَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ

الحوض فى سائر الكتب: بضم الألف و الباء الموحدة و اللام المشددة، و هى بلد قرب بصرة فى الجانب البحرى و لعله موضع البصرة اليوم.
" و القدحان" بضم القاف و سكون الدال جمع قدح بالتحريک، و هو إناء يروى الرجلين، أو اسم يجمع الصغار و الكبار، و" عدد" منصوب بنزع الخافض، أى بعدد، و يعبر بعدد النجوم عن الكثرة بحيث لا يحصى، لأن ما يحصل به المجرة من النجوم لا يمكن إحصاؤه.

: ضعيف.
و كأنه سقط منه" قال رسول الله صلى الله عليه و آله" كما يظهر من آخر الخبر.
و الروح بالفتح نسيم الريح، و المراد هنا روح الجنة أو النفخات القدسية، و الفلج بالجيم بمعنى الغلبة، و فى بعض النسخ بالحاء المهملة و هو محركة الفوز و النجاة و البقاء فى الخير كما فى القاموس، و العون: الإعانة على الخيرات، و النجاح:
الفوز بالمطلوب، و البركة: الثبات فى الخير أو النماء و الزيادة فى الخيرات الدنيوية و السعادات الأخروية، و الكرامة: الشرف و القرب عند الله، و المعافاة: دفع الله عنه مكاره الدنيا و العقبى، و اليسر: رفع العسر فيهما، و البشرى: الإخبار بما يسر أى عند الموت أو الأعم، و الرضوان بالكسر و الضم، أى الرضا من الله و القرب منه تعالى، و النصر على الأعداء الظاهرة و الباطنة، و التمكن: أى الاقتدار على جلب المنافع و دفع المكاره، أو المنزلة عند الله.
و قوله:" من الله" متعلق بالجميع أو بالأخير فقط،" حقا على" أى حق

ص: 426
لِمَنْ تَوَلَّى عَلِيّاً وَ ائْتَمَّ بِهِ وَ بَرِئَ مِنْ عَدُوِّهِ وَ سَلَّمَ لِفَضْلِهِ وَ لِلْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ حَقّاً عَلَيَّ أَنْ أُدْخِلَهُمْ فِي شَفَاعَتِي وَ حَقٌّ عَلَى رَبِّي تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَنْ يَسْتَجِيبَ لِي فِيهِمْ فَإِنَّهُمْ أَتْبَاعِي وَ مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي
بَابُ أَنَّ أَهْلَ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ بِسُؤَالِهِمْ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع
1 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ

حقا على و ثبت و لزم، و يحتمل أن يكون حقا تأكيدا للجملة السابقة نحو: لا إله إلا الله حقا احترازا عمن انتحل التولى و لم يتصف به، فيكون" على" ابتداء الكلام أى واجب و لازم على إدخالهم فى شفاعتى، و حق على ربى أى واجب عليه أن يستجيب دعائى فيهم، و يمكن أن يقرأ حق بصيغة الماضى المجهول" فإنهم اتباعى" فى جميع الأمور" و من تبعنى" كذلك" فإنه منى" و كعضوى بل كنفسى كما قال تعالى:" فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي" و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: على منى و أنا من على.

باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام

الحديث الأول

: ضعيف على المشهور.
" فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ*" قال الطبرسى (ره): فيه أقوال:" أحدهما" أن المعنى بذلک أهل العلم بإخبار من مضى من الأمم، سواء كانوا مؤمنين أو كفارا و سمى العلم ذكرا لأن الذكر منعقد بالعلم" و ثانيها" أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس و مجاهد، أى فاسألوا أهل التوراة و الإنجيل إن كنتم لا تعلمون، يخاطب مشركى مكة، و ذلک أنهم كانوا يصدقون اليهود و النصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الذِّكْرُ أَنَا وَ الْأَئِمَّةُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَ قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع نَحْنُ قَوْمُهُ وَ نَحْنُ الْمَسْئُولُونَ

لأنهم كانوا يكذبون النبى صلى الله عليه و آله لشدة عداوتهم" و ثالثها" أن المراد به أهل القرآن، لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد، و يقرب منه ما رواه جابر و محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: نحن أهل الذكر، و قد سمى الله رسوله ذكرا فى قوله:" ذِكْراً رَسُولًا" على أحد الوجهين، انتهى.
و أقول: يظهر من الأخبار لكونهم عليهم السلام أهل الذكر وجه آخر، و هو أن الذكر القرآن و هم أهل القرآن كما يومى إليه آخر الخبر، و روى الصفار فى البصائر بأسانيد جمة عن الباقر عليه السلام فى تفسير هذه الآية أنه قال: الذكر القرآن و نحن أهله، و نحن المسؤولون، و هذا التفسير مما روته العامة أيضا.
روى الشهرستانى فى تفسيره المسمى بمفاتيح الأسرار عن جعفر بن محمد عليه السلام أن رجلا سأله فقال: من عندنا يقولون فى قوله تعالى:" فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ*" أن الذكر هو التوراة و أهل الذكر هم علماء اليهود؟ فقال عليه السلام: و الله إذن يدعوننا إلى دينهم، بل نحن و الله أهل الذكر الذين أمر الله تعالى برد المسألة إلينا، قال: و كذلک نقل عن على عليه السلام أنه قال: نحن أهل الذكر.
و روى السيد فى الطرائف، و العلامة فى كشف الحق نقلا عن تفسير محمد بن مؤمن الشيرازى من علماء الجمهور، و استخرجه من التفاسير الاثنى عشر عن ابن عباس فى قوله تعالى:" فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ*" قال: هو محمد و على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام، هم أهل الذكر و العلم و العقل و البيان، و هم أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة، و الله ما سمى المؤمن مؤمنا إلا كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام، قالا:
و رواه سفيان الثورى عن السدى عن الحارث.
" وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ" قال الطبرسى (ره): أى و أن القرآن الذى أوحى

2 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قَالَ اَلذِّكْرُ مُحَمَّدٌ ص وَ نَحْنُ أَهْلُهُ الْمَسْئُولُونَ قَالَ قُلْتُ قَوْلُهُ- وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ قَالَ إِيَّانَا عَنَى وَ نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَ نَحْنُ الْمَسْئُولُونَ
3 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ قَالَ سَأَلْتُ الرِّضَا ع فَقُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ فَقَالَ نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَ نَحْنُ الْمَسْئُولُونَ قُلْتُ فَأَنْتُمُ الْمَسْئُولُونَ وَ نَحْنُ السَّائِلُونَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ حَقّاً عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَكُمْ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ حَقّاً عَلَيْكُمْ أَنْ تُجِيبُونَا قَالَ لَا ذَاكَ إِلَيْنَا

إليک لشرف لک و لقومک من قريش عن ابن عباس و السدی، و قيل: و لقومک، أی للعرب لأن القرآن نزل بلغتهم، ثم يختص ذلک الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتی يکون الشرف لقريش أکثر من غيرهم، ثم لبنی هاشم أکثر من غيرهم مما يکون لقريش" وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ" عن شکر ما جعله الله لکم من الشرف، و قيل: تسألون عن القرآن و عما يلزمکم من القيام بحقه، انتهی.

و أقول: علی تفسيره عليه السلام يحتمل أن يکون الذکر فی الآية بمعنی المذکر" وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ" أی أنت و قومک عن معانی القرآن إلی آخر الزمان، و هذا أنسب بظاهر الخطاب کما لا يخفی علی ذوی الألباب.

الحديث الثانى

: ضعيف.
" إيانا عنى" تفسير لقوله تعالى:" لِقَوْمِکَ".

الحديث الثالث

: ضعيف على المشهور.
" ذاک إلينا" أى لم يفرض علينا جواب كل سائل و كل سؤال، بل إنما يجب عند عدم التقية و تجويز التأثير، و كون السائل قابلا لفهم الجواب، فلا ينافى ما مر من وجوب تعليم الجهال على العلماء، و لعل الاستشهاد بالآية على وجه التنظير أى

إِنْ شِئْنَا فَعَلْنَا وَ إِنْ شِئْنَا لَمْ نَفْعَلْ أَ مَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَى- هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ بِغَيْرِ حِسابٍ
4 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ فَرَسُولُ اللَّهِ ص الذِّکْرُ وَ أَهْلُ بَيْتِهِ ع الْمَسْئُولُونَ وَ هُمْ أَهْلُ الذِّکْرِ

كما أن الله تعالى خير سليمان بين المن و هو العطاء و الإمساک فى الأمور الدنيوية، كذلک فوض إلينا فى بذل العلم، و يحتمل أن يكون فى سليمان عليه السلام أيضا بهذا المعنى أو الأعم.
قال البيضاوى:" هذا عَطاؤُنا" أى هذا الذى أعطيناک من الملک و البسط و التسلط على ما لم يسلط به غيرک عطاؤنا" فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِکْ" فأعط من شئت و امنع من شئت" بِغَيْرِ حِسابٍ" حال من المستكن فى الأمر، أى غير محاسب على منه، و إمساكه لتفويض التصرف فيه إليک، أو من العطاء أو صلة و ما بينهما اعتراض، و المعنى أنه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره.

: صحيح، و لعل فيه إسقاطا أو تبديلا لإحدى الآيتين بالأخرى من الرواة أو النساخ.
و ربما يأول بتقدير مضاف أى فرسول الله ذو الذكر أو المذكر، لأن اللام فى قوله:" لَکَ وَ لِقَوْمِکَ" للتعليل لا للانتفاع، لأنه لا يختص به و بقومه، بل هو شامل للعالمين" و أهل بيته" عطف على رسول الله" و المسؤولون" نعت لأهل بيته، أو مبتدأ و خبر، و الفرض أن العمدة و المقصود الأصلى فى هذا الخطاب كون أهل بيته المسؤولون و قوله:" و هم أهل الذكر" إشارة إلى تفسير الآية الأخرى يعنى أنهم جامعون لكونهم ذكرا و لكونهم أهل الذكر.

5 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ رِبْعِيٍّ عَنِ الْفُضَيْلِ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ قَالَ الذِّکْرُ الْقُرْآنُ وَ نَحْنُ قَوْمُهُ وَ نَحْنُ الْمَسْئُولُونَ
6 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنْ أَبِی بَکْرٍ الْحَضْرَمِیِّ قَالَ کُنْتُ عِنْدَ أَبِی جَعْفَرٍ ع وَ دَخَلَ عَلَيْهِ الْوَرْدُ أَخُو الْکُمَيْتِ فَقَالَ جَعَلَنِیَ اللَّهُ فِدَاکَ اخْتَرْتُ لَکَ سَبْعِينَ مَسْأَلَةً مَا تَحْضُرُنِی مِنْهَا مَسْأَلَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ وَ لَا وَاحِدَةٌ يَا وَرْدُ قَالَ بَلَی قَدْ حَضَرَنِی مِنْهَا وَاحِدَةٌ قَالَ وَ مَا هِیَ قَالَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ مَنْ هُمْ قَالَ نَحْنُ قَالَ قُلْتُ عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَکُمْ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ عَلَيْکُمْ أَنْ تُجِيبُونَا قَالَ ذَاکَ إِلَيْنَا
7 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَی عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ إِنَّ مَنْ عِنْدَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ أَنَّهُمُ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَی

الحديث الخامس

: صحيح.
" الذكر القرآن" بيان لمرجع الضمير، و ضمير" قومه" للمخاطب فى ذلک"
و نحن المسؤولون" أى المقصود بالسؤال أو منهم.

الحديث السادس

: حسن موثق.
و الكميت بن زيد من الشعراء المشهورين و كان مداحا لأهل البيت عليهم السلام" و لا واحدة" بتقدير الاستفهام" قال بلى" إما مبنى على حضور الواحدة بعد نسيان الكل أو حمل أول الكلام على المبالغة.

الحديث السابع

: صحيح.
" إن من عندنا" أى من المخالفين" أنهم" بالفتح بدل" أن قول الله" و الضمير

قَالَ إِذاً يَدْعُونَكُمْ إِلَى دِينِهِمْ قَالَ قَالَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ وَ نَحْنُ الْمَسْئُولُونَ
8 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ عَلِیُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ع عَلَى الْأَئِمَّةِ مِنَ الْفَرْضِ مَا لَيْسَ عَلَى شِيعَتِهِمْ وَ عَلَى شِيعَتِنَا مَا لَيْسَ عَلَيْنَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يَسْأَلُونَا قَالَ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُونَا وَ لَيْسَ عَلَيْنَا الْجَوَابُ إِنْ شِئْنَا أَجَبْنَا وَ إِنْ شِئْنَا أَمْسَكْنَا
9 أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِی نَصْرٍ قَالَ كَتَبْتُ إِلَى الرِّضَا ع كِتَاباً فَكَانَ فِی بَعْضِ مَا كَتَبْتُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ وَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِ

لأهل الذكر" إلى صدره" متعلق بقال بتضمين معنى الإشارة، أو القول بمعنى الفعل كما هو الشائع.

الحديث الثامن

: صحيح.
" على الأئمة عليهم السلام من الفرض" مثل خشونة الملبس و جشوبة المأكل كما سيأتى" و على شيعتنا" التفات أو ابتداء كلام من الرضا عليه السلام.

الحديث التاسع

: صحيح.
" ما كان المؤمنون" أى ما استقام لهم" أن ينفروا" كلهم إلى أهل العلم لطلبه لأن ذلک يوجب اختلال نظام معاشهم" فَلَوْ لا" أى فهلا" نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ" كثيرة" طائِفَةٌ" قليلة" لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ" من مخالفة الرب" إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ".
و استدل به على أن طلب العلم واجب كفائى، و على حجية خبر الواحد، و فى الآية وجه آخر، و هو أنها نزلت فى شأن المجاهدين أى ما كان لهم أن ينفروا كافة إلى الجهاد، بل يجب أن ينفر من كل فرقة طائفة ليتفقه الباقون و لينذروا

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِی الدِّینِ وَ لِیُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ فَقَدْ فُرِضَتْ عَلَیْهِمُ الْمَسْأَلَةُ وَ لَمْ یُفْرَضْ عَلَیْکُمُ الْجَوَابُ قَالَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَکَ وَ تَعَالَی- فَإِنْ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَکَ فَاعْلَمْ أَنَّما یَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ

بَابُ أَنَّ مَنْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَی فِی کِتَابِهِ بِالْعِلْمِ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع

1 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِیرَةِ عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِیِّ عَنْ سَعْدٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ إِنَّما یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع إِنَّمَا نَحْنُ الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ عَدُوُّنَا وَ شِیعَتُنَا أُولُوا الْأَلْبابِ

2 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَیْنِ بْنِ سَعِیدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَیْدٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع فِی قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ

قومهم إذا رجع النافرون إليهم، فتدل على أن الجهاد واجب كفائى.

" قال" أى كتب" قال الله تبارک و تعالى" لعله عليه السلام فسر الآية بعدم وجوب التبليغ عند اليأس من التأثير كما هو الظاهر من سياقها، و الحاصل أن عدم الجواب للتقية و المصلحة، و قيل: لعل المراد أنه لو كنا نجيبكم عن كل ما سألتم فربما يكون فى بعض ذلک ما لا تستجيبونا فيه، فتكونون من أهل هذه الآية، فالأولى بحالكم ألا نجيبكم إلا فيما نعلم أنكم تستجيبونا فيه.

باب أن من وصفه الله تعالى فى كتابه بالعلم هم الأئمة صلوات الله عليهم

الحديث الأول

: مجهول.

الحديث الثانى

: صحيح.
" هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ" الاستفهام للإنكار و المراد يعلمون كل ما تحتاج إليه

لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ قَالَ نَحْنُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ عَدُوُّنَا الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ وَ شِيعَتُنَا أُولُوا الْأَلْبابِ

بَابُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِی الْعِلْمِ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع

1 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ الْحُرِّ وَ عِمْرَانَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ* وَ نَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ

الأمة" وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ" جميع ذلک" إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ" أی أصحاب العقول السليمة، فإنهم يعلمون فضل أهل العلم على غيرهم، و مصداقهم الشيعة، لأنهم اختاروا إمامة الأعلم و فضلوه على غيره، و بالجملة هذه الآية تدل على إمامة أئمتنا عليهم السلام، إذ تدل على أن مناط الفضل و معياره العلم، و لا ريب فی أن أئمتنا عليهم السلام فی كل عصر كانوا أعلم من المدعين للخلافة من غيرهم.

باب أن الراسخين فى العلم هم الأئمة عليهم السلام

الحديث الأول:

" نحن الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ" إشارة إلی قوله سبحانه:" هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ" أی أصله" وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ" و اختلف فی تفسیر المحکم و المتشابه، فقیل: المحکم ما علم المراد بظاهره من غیر قرینة، و المتشابه ما لا یعلم المراد بظاهره حتی یقرن به ما یدل علی المراد منه لالتباسه، و قیل: المحکم ما لا یحتمل من التأویل إلا وجها واحدا، و المتشابه ما یحتمل وجهین فصاعدا، و قیل: المحکم ما یعلم تعیین تأویله، و المتشابه ما لم یعلم تعیین تأویله کقیام الساعة.
قال تعالی:" فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ" أی میل عن الحق" فَیَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ

2 عَلِیُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِیٍّ عَنْ إِبْرَاهِیمَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ بُرَیْدِ بْنِ مُعَاوِیَةَ عَنْ أَحَدِهِمَا ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ فَرَسُولُ اللَّهِ ص أَفْضَلُ الرَّاسِخِینَ فِی الْعِلْمِ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ جَمِیعَ مَا أَنْزَلَ عَلَیْهِ مِنَ التَّنْزِیلِ وَ التَّأْوِیلِ وَ مَا کَانَ اللَّهُ لِیُنْزِلَ

مِنْهُ" أی یحتجون به علی باطلهم" ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ" أی لطلب الضلال و الإضلال و إفساد الدین علی الناس، و روی عن الصادق علیه السلام أن الفتنة هی الکفر" وَ ابْتِغاءَ تَأْوِیلِهِ" أی و لطلب تأویله علی خلاف الحق.
" وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ" قال الطبرسی رحمه الله: أی الثابتون فی العلم، الضابطون له المتقنون فیه، و اختلف فی نظمه و حکمه علی قولین:
" أحدهما" أن الراسخون معطوف علی الله بالواو علی معنی أن تأویل المتشابه لا یعلمه إلا الله و إلا الراسخون فی العلم، فإنهم یعلمونه" و یقولون" علی هذا فی موضع النصب علی الحال، و تقدیره قائلین" آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا" و هذا قول ابن عباس و مجاهد و الربیع و محمد بن جعفر بن الزبیر، و اختیار أبی مسلم، و هو المروی عن أبی جعفر علیه السلام، و القول الآخر: أن الواو فی قوله" وَ الرَّاسِخُونَ" واو الاستئناف فعلی هذا القول یکون تأویل المتشابه لا یعلمه إلا الله تعالی، و الوقف عند قوله:" إِلَّا اللَّهُ" و یبتدأ ب" وَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ" فیکون مبتدأ و خبرا، و هؤلاء یقولون أن الراسخین لا یعلمون تأویله، و لکنهم یؤمنون به" کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا" معناه المحکم و المتشابه جمیعا من عند ربنا،" وَ ما یَذَّکَّرُ" أی و ما یتفکر فی آیات الله و لا یرد المتشابه إلی المحکم" إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ" أی ذوو العقول.

الحديث الثانى

: ضعيف.
" من التنزيل" أى المدلول المطابقى أو التضمنى، و التأويل أى المعنى الالتزامى، ما يوافق ظاهر اللفظ، و التأويل ما يصرف إليه اللفظ لقرينة أو دليل عقلى أو نقلى،

عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ وَ أَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِمْ بِعِلْمٍ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ- يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ الْقُرْآنُ خَاصٌّ وَ عَامٌّ وَ مُحْكَمٌ وَ مُتَشَابِهٌ وَ نَاسِخٌ وَ مَنْسُوخٌ فَالرَّاسِخُونُ فِی الْعِلْمِ یَعْلَمُونَهُ

" وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ" مبتدأ و جملة الشرط و الجزاء خبره، و قيل: قوله: فأجابهم خبر، و فيه بعد لخلو الشرط عن الجزاء إلا بتقدير، و المراد بالذين لا يعلمون الشيعة، أى الشيعة و المؤمنون.
" إذا قال العالم" أى الإمام عليه السلام" فيه" أى فى القرآن و فى تأويل المتشابه، و فى بعض النسخ" فيهم" أى الإمام الذى بين أظهركم، فالظرف حال عن العالم" بعلم" أى بالعلم الذى أعطاه الله و خصه به" يَقُولُونَ" أى الشيعة فى جواب الإمام بعد ما سمعوا التأويل منه" آمَنَّا بِهِ" فالضمير فى قوله: فأجابهم راجع إلى الراسخين، أى أجابهم من قبل الشيعة، و يحتمل إرجاعه إلى الشيعة على طريقة الحذف و الإيصال أى أجاب لهم، و قيل: معنى فأجابهم: قبل قولهم و مدحهم، فالضمير راجع إلى الشيعة.
و فى بعض النسخ" و الذين يعلمون" بدون حرف النفى، أى الذين يعلمون من الشيعة بتعليم الإمام و الأول أصوب، و قيل على الأول: الذين عطف على" أوصيائه من بعده" بتقدير و الذين لا يعلمون تأويله يعلمونه كله" فيهم" حال للعالم، و المراد أن الشيعة الإمامية يعلمون تأويل ما تشابه كله بشرطين:" الأول" أن يكون الإمام العالم حاضرا فيهم لا غائبا عنهم، فإن الغائب لا يفيد قوله العلم إلا إذا تواتر، و قلما يكون" و الثانى" أن يعلمهم الإمام العالم بأن لا يكون كلامه فى تأويل ما تشابه عن تقية، و قوله: فأجابهم الله لإفادة أن جملة يقولون استئناف بيانى لجواب سؤال مقدر، و لا يخفى ما فيه.

3 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ الرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ* أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ ع

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ قَدْ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ أُثْبِتَ فِی صُدُورِهِمْ

1 أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنْ أَبِی بَصِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع يَقُولُ فِی هَذِهِ الْآيَةِ بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ

الحديث الثالث

: ضعيف.
" أمير المؤمنين" أى بعد الرسول صلى الله عليه و آله.

باب أن الأئمة (ع) قد أوتوا العلم و أثبت فى صدورهم

الحديث الأول

: ضعيف.
" بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ" قال الطبرسی قدس سره: يعنی أن القرآن دلالات واضحات فی صدور العلماء و هم النبی صلی الله عليه و آله و المؤمنون به، لأنهم حفظوه و وعوه و رسخ معناه فی قلوبهم، و قيل: هم الأئمة من آل محمد عليهم السلام عن أبی جعفر و أبی عبد الله عليهما السلام، و قيل: إن" هو" كناية عن النبی صلی الله عليه و آله، أی إنه فی كونه أميا لا يقرأ و لا يكتب" آياتٌ بَيِّناتٌ" فی صدور العلماء من أهل الكتاب لأنه منعوت فی كتبهم بهذه الصفة، انتهی.
" فأومأ بيده إلی صدره" الإيماء للإشارة إلی أن المراد بالذين أوتوا العلم الأئمة الذين أنا منهم عليهم السلام، فالمراد بالعلم علم جميع القرآن ظهره و بطنه و محكمه و متشابهه، بحيث لا يذهب عنهم بسهو و لا نسيان.

2 عَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِیٍّ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِیزِ الْعَبْدِیِّ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ قَالَ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع
3 وَ عَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِیٍّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِیسَی عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِی بَصِیرٍ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ع فِی هَذِهِ الْآیَةِ- بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ ثُمَّ قَالَ أَمَا وَ اللَّهِ یَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا قَالَ بَیْنَ دَفَّتَیِ الْمُصْحَفِ قُلْتُ مَنْ هُمْ جُعِلْتُ فِدَاکَ قَالَ مَنْ عَسَی أَنْ یَکُونُوا غَیْرَنَا

الحديث الثانى:

ضعيف.

الحديث الثالث

: ضعيف.
" قال أبو جعفر عليه السلام هذه الآية" أى قرأها، و فى بعض النسخ" فى هذه" أى قرئها و فسرها.
قوله عليه السلام:" أما و الله" أما بالتخفيف حرف استفتاح، و أبو محمد كنية أخرى لأبى بصير، و كلمة" ما" فى قوله:" ما قال" نافية أى لم يقل أن الآيات بين دفتى المصحف أى جلديه الذين يحفظان أوراقه، بل قال" فى صدور الذين أوتوا العلم، ليعلم أن للقرآن حملة يحفظونه عن التحريف فى كل زمان، و هم الأئمة عليهم السلام، و يحتمل على هذا أن يكون الظرف فى قوله:" فى صدور" متعلقا بقوله" بينات" فاستدل عليه السلام به على أن القرآن لا يفهمه غير الأئمة عليهم السلام، لأنه تعالى قال: الآيات بينات فى صدور قوم، فلو كانت بينة فى نفسها لما قيد كونها بينة بصدور جماعة مخصوصة.
و يحتمل أن تكون كلمة (ما) موصولة فيكون بيانا لمرجع ضمير (هو) فى الآية، أى الذى قال تعالى إنه آيات بينات هو ما بين دفتى المصحف لكنه بعيد جدا.
" من عسى أن يكونوا" الاستفهام للإنكار.

4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ يَزِيدَ شَغَرٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ حَمْزَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ- بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ قَالَ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع خَاصَّةً
5 عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ قَالَ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع خَاصَّةً
بَابٌ فِي أَنَّ مَنِ اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ وَ أَوْرَثَهُمْ كِتَابَهُ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع
1 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ عَنْ سَالِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع- عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ

الحديث الرابع

: صحيح على الظاهر.

الحديث الخامس

: مجهول.

باب فی أن من اصطفاه الله من عباده و أورثهم کتابه هم الأئمة (ع)

الحديث الأول

." ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ" قال الطبرسى (ره) أى القرآن أو التوراة أو مطلق الكتب الذى اصطفيناه من عبادنا، قيل: هم الأنبياء و قيل: هم علماء أمة محمد صلى الله عليه و آله، و المروى عن الباقر و الصادق عليهما السلام أنهما قالا: هى لنا خاصة و إيانا عنا، و هذا أقرب الأقوال.
" فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ" اختلف فى مرجع الضمير على قولين:" أحدهما" أنه يعود إلى العباد و اختاره المرتضى رضى الله عنه" و الثانى" أنه يعود إلى المصطفين، و يؤيده ما ورد فى الحديث عن أبى الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول فى الآية: أما

بِإِذْنِ اللَّهِ قَالَ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ- وَ الْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ لِلْإِمَامِ وَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِی لَا یَعْرِفُ الْإِمَامَ
2 الْحُسَیْنُ عَنْ مُعَلًّی عَنِ الْوَشَّاءِ عَنْ عَبْدِ الْکَرِیمِ عَنْ سُلَیْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَی- ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا فَقَالَ أَیَّ شَیْءٍ تَقُولُونَ أَنْتُمْ قُلْتُ نَقُولُ إِنَّهَا فِی الْفَاطِمِیِّینَ قَالَ لَیْسَ

السابق فیدخل الجنة بغیر حساب، و أما المقتصد فیحاسب حسابا یسیرا، و أما الظالم لنفسه فیحبس فی المقام ثم یدخل الجنة، فهم الذین قالوا" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ".
و روی أصحابنا عن زیاد بن المنذر عن أبی جعفر علیه السلام أما الظالم لنفسه منا فهو عمل عملا صالحا و آخر سیئا، و أما المقتصد فهو المتعبد المجتهد، و أما السابق بالخیرات فعلی و الحسن و الحسین علیهم السلام، و من قتل من آل محمد شهیدا بإذن الله، انتهی.
و الظاهر من أخبار هذا الباب و غیرها مما ذکرناه فی کتابنا الکبیر أن الضمائر راجعة إلی أهل البیت علیهم السلام و سائر الذریة الطیبة، و الظالم الفاسق منهم، و المقتصد الصالح منهم، و السابق بالخیرات الإمام، و لا یدخل فی تلک القسمة من لم تصح عقیدته منهم أو ادعی الإمامة بغیر حق، أو الظالم من لم تصح عقیدته، و المقتصد من صحت عقیدته و لم یأت بما یخرجه عن الإیمان، فعلی هذا الضمیر فی قوله تعالی:" جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَها" راجع إلی المقتصد و السابق، لا الظالم، و علی التقدیرین المراد بالاصطفاء إن الله تعالی اصطفی تلک الذریة الطیبة بأن جعل منهم أوصیاء و أئمة، لأنه اصطفی کلا منهم، و کذا المراد بإیراث الکتاب أنه أورثه بعضهم، و هذا شرف للکل إن لم یضیعوه.

الحديث الثانى

: ضعيف.
" أى شىء تقولون" أى معشر الزيدية القائلين بأن كل من خرج بالسيف

حَيْثُ تَذْهَبُ لَيْسَ يَدْخُلُ فِی هَذَا مَنْ أَشَارَ بِسَيْفِهِ وَ دَعَا النَّاسَ إِلَی خِلَافٍ فَقُلْتُ فَأَیُّ شَیْءٍ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ قَالَ الْجَالِسُ فِی بَيْتِهِ لَا يَعْرِفُ حَقَّ الْإِمَامِ وَ الْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِحَقِّ الْإِمَامِ وَ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ
3 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع- عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا الْآيَةَ قَالَ فَقَالَ وُلْدُ فَاطِمَةَ ع وَ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ الْإِمَامُ وَ الْمُقْتَصِدُ الْعَارِفُ بِالْإِمَامِ وَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِی لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ
4 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِی وَلَّادٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ

من أولاد فاطمة عليها السلام فهو إمام مفترض الطاعة، و كان سليمان ممن خرج مع زيد فقطعت إصبعه، و لم يخرج معه من أصحاب أبی جعفر عليه السلام غيره، لكن قالوا: أنه تاب من ذلک و رجع إلی الحق قبل موته، و رضی أبو عبد الله عليه السلام منه بعد سخطه، و توجع بموته.
" ليس حيث تذهب" أی من شموله لكل الفاطميين" من أشار بسيفه" أی دل الناس علی إمامته جبرا بسيفه أو رفع سيفه للدعوة إلی إمامته، قال الفيروزآبادی أشار إليه: أو ما، و أشار عليه بكذا أمره به، و أشار النار و بها: رفعها.

الحديث الثالث

: ضعيف على المشهور.
قوله عليه السلام:" ولد فاطمة" أى هم معظمهم و أكثرهم، و إلا فالظاهر دخول أمير- المؤمنين صلوات الله عليه فيهم.

الحديث الرابع

: صحيح.
" الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ" قال الطبرسى (ره) قيل: نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشة، و قيل: هم من آمن من اليهود، و قيل: هم أصحاب محمد صلى الله عليه و آله.

أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ قَالَ هُمُ الْأَئِمَّةُ ع

" یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ" قال: اختلف فی معناه علی وجوه" أحدها" أنهم یتبعونه یعنی التوراة أو القرآن حق اتباعه، و لا یحرفونه ثم یعملون بحلاله و یقفون عند حرامه" و ثانیها" أن المراد یصفونه حق صفته فی کتبهم لمن یسألهم من الناس، و علی هذا یکون الهاء راجعة إلی محمد صلی الله علیه و آله" و ثالثها" ما روی عن أبی عبد الله علیه السلام إن حق تلاوته هو الوقوف عند ذکر الجنة و النار، یسأل فی الأول و یستعیذ فی الأخری" و رابعها" أن المراد یقرءونه حق قراءته، یرتلون ألفاظه و یفهمون معانیه" و خامسها" أن المراد یعملون حق العمل به فیعملون بمحکمه و یؤمنون بمتشابهه، و یکلون ما أشکل علیهم إلی عالمه،" أُولئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ" أی بالکتاب، و قیل: بالنبی، انتهی.

و أقول: علی تفسیره علیه السلام لعل المراد الذین أورثناهم القرآن لفظا و معنی، فإن جمیع القرآن عندهم و علم جمیعه مختص بهم، و جملة" یَتْلُونَهُ" خبر المبتدأ" و حَقَّ تِلاوَتِهِ" قراءته کما نزل به جبرئیل بدون زیادة و لا نقصان فی اللفظ، و لا فی حرکاته و سکناته، و بدون تغییر فی ترتیب نزوله مع فهم جمیع معانیه ظهرا و بطنا، و معلوم أن قراءته علی الوجه المذکور مخصوص بهم علیهم السلام، لما سیأتی أنه لا یجمع القرآن غیرهم، و لا یعلم معانی القرآن إلا هم، و هم المؤمنون به حقا إذ من لم یعرف جمیع معانیه لا یؤمن به حق الإیمان.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ فِی کِتَابِ اللَّهِ إِمَامَانِ إِمَامٌ یَدْعُو إِلَی اللَّهِ وَ إِمَامٌ یَدْعُو إِلَی النَّارِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ یَحْیَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَالِبٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِی جَعْفَرٍ ع قَالَ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآیَةُ- یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ قَالَ الْمُسْلِمُونَ یَا رَسُولَ اللَّهِ أَ لَسْتَ إِمَامَ النَّاسِ کُلِّهِمْ أَجْمَعِینَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَی النَّاسِ أَجْمَعِینَ وَ لَکِنْ سَیَکُونُ مِنْ بَعْدِی أَئِمَّةٌ عَلَی النَّاسِ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ بَیْتِی یَقُومُونَ فِی النَّاسِ فَیُکَذَّبُونَ وَ یَظْلِمُهُمْ أَئِمَّةُ الْکُفْرِ وَ الضَّلَالِ وَ أَشْیَاعُهُمْ فَمَنْ وَالاهُمْ وَ اتَّبَعَهُمْ وَ صَدَّقَهُمْ فَهُوَ مِنِّی وَ مَعِی وَ سَیَلْقَانِی أَلَا وَ مَنْ ظَلَمَهُمْ وَ کَذَّبَهُمْ فَلَیْسَ مِنِّی وَ لَا مَعِی وَ أَنَا مِنْهُ بَرِیءٌ

باب أن الأئمة فى كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله و إمام يدعو إلى النار

الحديث الأول

: صحيح.
" يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ" قال الطبرسى (ره) فيه أقوال:" أحدها" أن معناه نبيهم، و هذا معنى ما رواه ابن جبير عن ابن عباس، و روى أيضا عن على عليه السلام أن الأئمة إمام هدى و إمام الضلالة، و رواه الوالبى عنه: بأئمتهم فى الخير و الشر" و ثانيها" معناه بكتابهم الذى أنزل عليهم" و ثالثها" بمن كانوا يأتمون به من علمائهم و أئمتهم، و يجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص و العام عن الرضا عليه السلام بالأسانيد الصحيحة أنه روى عن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: فيه يدعى كل أناس بإمام زمانهم، و كتاب ربهم و سنة نبيهم" و رابعها" بكتابكم الذى فيه أعمالهم" و خامسها" بأمهاتهم، انتهى.
" فيكذبون" على بناء التفعيل بصيغة المجهول" فهو منى" أى من حزبى و أعوانى و معى فى الآخرة.

ص: 443

2 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ قَالَ إِنَّ الْأَئِمَّةَ فِی كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِمَامَانِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَا بِأَمْرِ النَّاسِ يُقَدِّمُونَ أَمْرَ اللَّهِ قَبْلَ أَمْرِهِمْ وَ حُكْمَ اللَّهِ قَبْلَ حُكْمِهِمْ قَالَ وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ يُقَدِّمُونَ أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَمْرِ اللَّهِ وَ حُكْمَهُمْ قَبْلَ حُكْمِ اللَّهِ وَ يَأْخُذُونَ بِأَهْوَائِهِمْ خِلَافَ مَا فِی كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ

: ضعيف كالموثق.
" وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً" أى يقتدى بهم فى أقوالهم و أفعالهم يهدون الخلق إلى طريق الجنة بأمرنا" لا بأمر الناس" تفسير لقوله تعالى" بِأَمْرِنا" أى ليس هدايتهم للناس و إمامتهم بنصب الناس و أمرهم بل هم منصوبون لذلك من قبل الله تعالى، و مأمورون بأمره، أو ليس هدايتهم بعلم مأخوذ من الناس أو بالرأى، بل بما علم من وحى الله سبحانه و إلهامه كما بينه بقوله:" يقدمون أمر الله قبل أمرهم" و الظاهر إرجاع الضمير إلى أنفسهم كما يؤيده الفقرات الآتية، و يحتمل إرجاعه إلى الناس.
" وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ" قال الطبرسى قدس سره: هذا يحتاج إلى تأويل لأن ظاهره يوجب أنه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى النار، كما جعل الأنبياء أئمة يدعون إلى الجنة، و هذا ما لا يقول به أحد، فالمعنى أنه أخبر عن حالهم بذلك و حكم بأنهم كذلك، و قد تحصل الإضافة على هذا الوجه بالتعارف، و يجوز أن يكون المراد بذلك أنه لما أظهر حالهم على لسان أنبيائه حتى عرفوا، فكأنه جعلهم كذلك، و معنى دعائهم إلى النار أنهم يدعون إلى الأفعال التى يستحق بها دخول النار من الكفر و المعاصى، انتهى.
و قوله:" خلاف" مفعول مطلق بغير اللفظ، أو مفعول له كأنهم قصدوا الخلاف.

بَابُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِی لِلْإِمَامِ

1 مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَی عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَی عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا ع عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِیَ مِمَّا تَرَکَ الْوالِدانِ

باب إلى نادر

صحيح :
" وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ" فيه وجوه" الأول" أن المعنى لكل شىء" مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ" من المال" جَعَلْنا مَوالِيَ" وراثا يلونه و يحوزونه فمن للتبيين" الثانى" لكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترک الوالدان و الأقربون" الثالث" لكل أحد جعلنا موالى مما ترک أى وارثا، على أن" من" صلة موالى لأنهم فى معنى الوارث، و فى" ترک" ضمير كل و فسر الموالى بقوله:" الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ" كأنه قيل: من هم؟ فقيل:" الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ" هكذا قرأ الكوفيون و قرأ الباقون" عاقدت" و هو مبتدأ ضمن معنى الشرط، فقرن خبره و هو" فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ" بالفاء، و يجوز أن يكون منصوبا على شريطة التفسير، و يجوز أن يعطف على" الوالدان" و يكون المضمر فى" فآتوهم" للموالى.
قال المفسرون: المراد بالذين عقدت مولى الموالاة، كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمى دمک، و هدمى هدمک، و ثارى ثارک، و حربى حربک، و سلمى سلمک، و ترثنى و أرثک، و تعقل عنى و أعقل عنک، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، فنسخ ذلک بقوله:" وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللَّهِ*" و الميراث بالمعاقدة و المعاهدة المسمى بضمان الجريرة منسوخ عند الشافعى مطلقا لا إرث له، و عندنا ثابت عند عدم الوارث النسبى و السببى، فلا حاجة إلى القول بنسخ الآية.

وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ قَالَ إِنَّمَا عَنَى بِذَلِکَ الْأَئِمَّةَ ع بِهِمْ عَقَدَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَيْمَانَكُمْ

و قال بعضهم: المعاقدة هنا هى المصاهرة، و ما ذكره عليه السلام فى الخبر هو المتبع، فيكون إشارة إلى إرث الإمام عليه السلام عند فقد سائر الوراث.

" بهم عقد الله عز و جل أيمانكم" لعل المراد بالإيمان العهود الإيمانية، و عقد الحبل و العهد شده و أحكامه، أى بولايتهم و الإقرار بإمامتهم شد الله عهود أيمانكم، و حكم بكونكم مؤمنين فى الميثاق و فى الدنيا، فيكون بيانا لحاصل المعنى، و يكون المراد فى الآية عقدت أيمانكم بولايتهم دينكم أو عقدت أيديكم بيعتهم و ولايتهم.

قال فى النهاية فى حديث ابن عباس فى قوله:" و الذين عاقدت أيمانكم" المعاقدة المعاهدة، و الميثاق و الأيمان جمع يمين القسم أو اليد.

و قال الطبرسى رحمه الله فى حجة القراءتين، قال أبو على: الذكر الذى يعود من الصلة إلى الموصول ينبغى أن يكون ضميرا منصوبا، فالتقدير و الذين عاقدتهم أيمانكم، فجعل الأيمان فى اللفظ هى المعاقدة، و المعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الأيمان، و المعنى الذين عاقدت حلفهم أيمانكم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه، فعاقدت أشبه بهذا المعنى، لأن لكل نفس من المعاقدين يمينا على المخالفة، و من قال عقدت أيمانكم كان المعنى عقدت حلفهم أيمانكم فحذف الحلف و أقام المضاف إليه مقامه، و الذين قالوا" عاقدت" حملوا الكلام على اللفظ، لأن الفعل لم يسند إلى أصحاب الأيمان فى اللفظ و إنما أسند إلى الأيمان.

2 عَلِیُّ بْنُ إِبْرَاهِیمَ عَنْ أَبِیهِ عَنِ ابْنِ أَبِی عُمَیْرٍ عَنْ إِبْرَاهِیمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِیدِ عَنْ مُوسَی بْنِ أَکْیَلٍ النُّمَیْرِیِّ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ سَیَابَةَ عَنْ أَبِی عَبْدِ اللَّهِ ع فِی قَوْلِهِ تَعَالَی- إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ قَالَ یَهْدِی إِلَی الْإِمَامِ
بَابُ أَنَّ النِّعْمَةَ الَّتِی ذَکَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِی کِتَابِهِ الْأَئِمَّةُ ع
1 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ بِسْطَامَ بْنِ مُرَّةَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حَسَّانَ عَنِ الْهَیْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ عَنْ عَلِیِّ بْنِ الْحُسَیْنِ الْعَبْدِیِّ عَنْ سَعْدٍ الْإِسْکَافِ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ قَالَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ ع مَا بَالُ أَقْوَامٍ غَیَّرُوا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ عَدَلُوا عَنْ وَصِیِّهِ لَا یَتَخَوَّفُونَ أَنْ یَنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابُ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآیَةَ- أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ کُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ ثُمَّ قَالَ نَحْنُ النِّعْمَةُ الَّتِی

الحديث الثانى

: مجهول.
" لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ" أى للملة التى هى أقوم الملل، و الطريقة التى هى أقوم الطرائق، و فسر فى الخبر بالإمام، لأنه الهادى إلى تلك الملة و ولايته الجزء الأخير بل الأعظم منها، و هو المبين لتلك الطريقة و الداعى إليها، و القرآن يهدى إليه فى آيات كثيرة كما عرفت.

باب أن النعمة التى ذكرها الله فى كتابه عز و جل هم الأئمة عليهم السلام

الحديث الأول

: ضعيف.
" بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً" قال الطبرسى (ره): يحتمل أن يكون المراد أ لم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد، أى عرفوا محمدا ثم كفروا به، فبدلوا مكان الشكر كفرا، و روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: نحن و الله نعمة الله التى أنعم بها على عباده و بنا يفوز من فاز، و يحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها

أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ وَ بِنَا يَفُوزُ مَنْ فَازَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
2 الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ فِی قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ

أقبح التبديل، و اختلف فی المعنی بالآية فروی عن أمير المؤمنين عليه السلام و ابن عباس و ابن جبير و غيرهم أن المراد بهم كفار قريش كذبوا نبيهم، و نصبوا له الحرب و العداوة، و سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية؟ فقال: هم الأفجران من قريش بنو أمية و بنو المغيرة، فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، و أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر" وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ" أی أنزلوا قومهم دار الهلاک بأن أخرجوهم إلى بدر، و قيل: أنزلوهم دار الهلاک أی النار بدعائهم إلى الكفر، و قال الزمخشری: أی بدلوا نعمة الله كفرا لأن شكرها الذی وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا، أو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا، على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوب النعمة موصوفين بالكفر، ثم ذكر حديث الأفجرين عن عمر كما مر، و قال" جَهَنَّمَ" عطف بيان لدار البوار، انتهى.
أقول: فيمكن حمل الأخبار على أن نعمة الله أهل البيت عليهم السلام، و الإقرار بولايتهم شكر تلک النعمة، فبدلوا هذا الشكر بالكفران و إنكار الولاية، أو بدلوا النعمة بالكفر أی بقوم هم أصول الكفر و هم أعداء أهل البيت، فتركوا ولايتهم، و قالوا بولاية أعدائهم.

الحديث الثانى

: ضعيف.
" فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ*" فإن قيل: الآيات السابقة على تلك الآية مشتملة على نعم مخصوصة ليس فيها ذكر النبى و الوصى، فكيف تحمل هذه الآية عليهما.
قلت: ذكر بعض النعم لا ينافى شمول الآلاء جميع النعم التى أعظمها النبى و الوصى، مع أنه قد ورد فى الآيات السابقة بحسب بطونها بهم عليهم السلام أيضا كما روى

أَ بِالنَّبِیِّ أَمْ بِالْوَصِیِّ تُکَذِّبَانِ نَزَلَتْ فِی الرَّحْمَنِ
3 الْحُسَیْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّی بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنِ الْهَیْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ عَنْ أَبِی یُوسُفَ الْبَزَّازِ قَالَ تَلَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ع هَذِهِ الْآیَةَ- فَاذْکُرُوا آلاءَ اللَّهِ قَالَ أَ تَدْرِی مَا آلاءُ اللَّهِ قُلْتُ لَا قَالَ هِیَ أَعْظَمُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَی خَلْقِهِ وَ هِیَ وَلَایَتُنَا

عن الرضا علیه السلام فی قوله تعالی:" الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ" قال: ذاک أمیر المؤمنین علیه السلام قال الراوی: قلت:" عَلَّمَهُ الْبَیانَ"؟ قال: علمه بیان کل شیء یحتاج الناس إلیه، و فسر علیه السلام" النَّجْمُ" بالرسول" وَ الشَّجَرُ" بالأئمة علیهم السلام و قال علیه السلام:
" السماء" رسول الله صلی الله علیه و آله" و المیزان" أمیر المؤمنین نصبه لخلقه، قلت:" أَلَّا تَطْغَوْا فِی الْمِیزانِ" قال: لا تعصوا الإمام" وَ أَقِیمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ" قال: أقیموا الإمام العدل" وَ لا تُخْسِرُوا الْمِیزانَ" قال: لا تبخسوا الإمام حقه و لا تظلموه.
و قد ورد فی روایات کثیرة تأویل الشمس و القمر بالرسول و أمیر المؤمنین صلوات الله علیهما، فحمل الآلاء فی تلک الآیة علی النبی و الوصی غیر بعید.
" نزلت فی الرحمن" لعله من کلام الراوی.

الحديث الثالث

: ضعيف.
" و اذكروا آلاء الله" هذا غير موافق لما عندنا من القرآن، إذ فيه فى موضع من الأعراف" فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" و فى موضع آخر" فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" و فى آل عمران و غيرها" وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ" و الظاهر أنه كانَ بالفاء فصحفه النساخ" هى أعظم نعم الله" أى هى المقصودة بالذات فيها، إذ الولاية أعظمها.

ص: 449

.....

الحديث الرابع

: ضعيف" قاطبة" أى جميعا و لا يستعمل إلا حالا.

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/41).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علـَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص 159؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـَّيخ الصَّدوق، الباب28، ج1/ ص307).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثـَّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِـذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علـَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِـساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنـَةِ 1340 الهجريّة الشمسيّة (=1380 الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسة ً و طريقة ً لم يَنطـَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قدً ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنـَةِ 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع ٍمن خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتـَّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثـَقافة الثـَّقـَلـَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـَّباب و عموم الناس إلى التـَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثـّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة ً، على أنـّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثـَّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالـَم - مِن جِـهةٍ أُخرَى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ
ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: 00983112350524)
ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS
ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة
ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة
المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى"/بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: 2373
الهويّة الوطنيّة: 10860152026
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com
الهاتف: 25-2357023- (0098311)
الفاكس: 2357022 (0311)
مكتب طهرانَ 88318722 (021)
التـّجاريّة و المَبيعات 09132000109
امور المستخدمين 2333045(0311)
ملاحَظة هامّة:
الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا

فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّـقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّـمكّـن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

